لا يستغني عنه بيت مسلم
العلم بين يدي الجميع

ابن الإسلام

منهج متكامل في الشريعة للمبتدئين

تأليف
محمد بن حسين يعقوب

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/١١١٢٨

الترقيم الدولي: ٩-٢٠٦-٤٢٩-٩٧٧-٩٧٨



للطبع والنشر والتوزيع

الإدارة: ٤٤٧١٥٥٠٦ - ٠١٠١٦٦٨٠٦٧

١٥ ش ١٥ مايو - شبرا الخيمة

ف / ت / ٤٤٧١٥٥٠٦ - م / ٠١٠١٥٩٢٢٧١

٥ ش ابن البيطار خلف الجامع الأزهر

ت / ٢٥١٤١٧٠٤

موقعنا على الإنترنت:

www-daraltakoa.com

E-mail: webmaster@daraltakoa.com

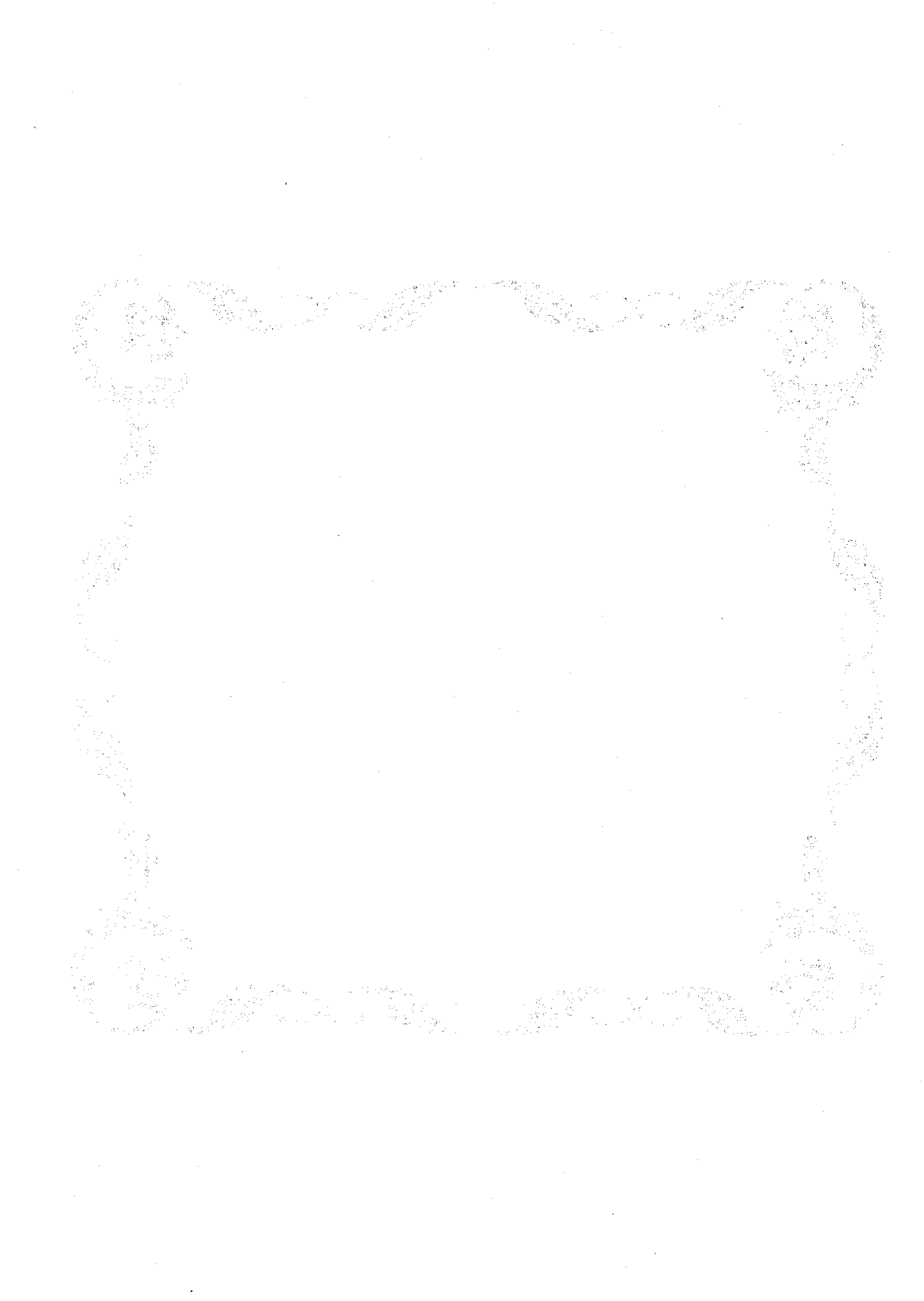


أولاً:
التفسير





مُقَدِّمَة



بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثم أما بعد:

حَبِيبِي فِي اللهِ.. ابنَ الإِسْلَام..

وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ... إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ..

وَأَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ جل جلاله أَنْ يَجْمَعَنَا بِهَذَا الحُبِّ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلَنَا كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ فِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرَكَ شَيْئًا.

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُم﴾ [آل عمران:١١٠].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة:٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (أَدِّبُوهُمْ، وَعَلِّمُوهُمْ).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ، يُحْيِي اللهُ بِهِمُ الدِّينَ**» [«صحيح مشكاة المصابيح» (٢٤٨)].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**» [مسلم (٢٦٧٤)].

اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنِّي أُحِبُّكَ.. وَمِنْ أَجْلِكَ يَا رَبِّي، وَمَالِكِي، وَخَالِقِي، وَعَوْنِي، وَنَصِيرِي، وَرَازِقِي، أُحِبُّ حَبِيبَكَ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَمِنْ أَجْلِكَ يَا كَرِيمُ، يَا عَظِيمُ، يَا حَلِيمُ، أُحِبُّ هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ، الَّذِي وَهَبْتَنِيهِ، وَأَلْزَمْتَنِيهِ بِغَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ..

وَمِنْ أَجْلِكَ يَا رَبِّ.. يَا وَدُودُ يَا رَحِيمُ.. يَا لَطِيفُ يَا حَلِيمُ، أُحِبُّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي خَالِصًا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ.. نَافِعًا لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ بَرَكَةً عَلَيَّ وَعَلَىٰ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَاجْعَلْهُ يَا رَبِّ نُورًا لِلأُمَّةِ، تَسْتَضِيءُ بِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَنُورًا لِي، يَنْفَعُنِي فِي قَبْرِي وَعَلَىٰ الصِّرَاطِ..

إِخْوَتِي فِي اللهِ..

إِنَّ مِمَّا يَزِيدُ الإِنْسَانَ ذُلًّا للهِ، وَخُضُوعًا لِعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ: تَرَادُفُ النِّعَمِ، وَتَوَاتُرُ الآلَاءِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكُمْ أَنْ يَسْتَعْمِلَ اللهُ الكَرِيمُ عَبْدَهُ الضَّعِيفَ المِسْكِينَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ.

إِخْوَتَاهُ..

إِنَّ لِهَذَا الدِّينِ حُصُونًا، وَعَلَيْهِ ثُغُورًا، وَيَلْزَمُ لِهَذِهِ الحُصُونِ وَتِلْكَ الثُّغُورِ مُرَابِطِينَ يَحْمُونَهَا مِنْ كَيْدِ الكَائِدِينَ، وَهَجَمَاتِ المُعْتَدِينَ، وَيَلْزَمُ لِهَذِهِ الثُّغُورِ وَتِلْكَ الحُصُونِ حُمَاةً وَمُرَابِطِينَ يَحْفَظُ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أَخْطَرِ ثُغُورِ الإِسْلَامِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ -بَلْ إِنَّ هَذَا الثَّغْرَ هُوَ الدِّينُ- ثَغْرُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ الأَصِيلِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ.

وَكَمْ أُتِيَ المُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ وَأُوذُوا، مُنْذُ أَنْ ظَهَرَتِ البِدَعُ، وَأَطَلَّتْ بِرَأْسِهَا وَالصَّحَابَةُ أَحْيَاءُ، فَقَامُوا لَهَا نَهْضَةَ اللَّيْثِ مِنْ عَرِينِهِ، وَقَمَعُوهَا فِي أَوْكَارِهَا، ﷺ، وَحَمَوْا حَوْزَةَ الدِّينِ، وَحَرَسُوا حِيَاضَ الشَّرِيعَةِ، حَتَّىٰ بَلَّغُوهَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَمَا زَالَ السَّلَفُ يَتَوَاصَوْنَ بِحِفْظِ العِلْمِ وَنَقْلِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ حِفْظَ الدِّينِ، وَلَكِنْ..

قَدْ صَدَقَ فِي عَصْرِنَا قَوْلُ النَّبِيِّ الكَرِيمِ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ-: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» [البخاري (١٠٠)].

فَقَدْ مَاتَ فِي عَصْرِنَا جِلَّةُ عُلَمَائِنَا، وَأَطَلَّ الجَهْلُ بِرَأْسِهِ، وَصَارَ لِلنَّاسِ فِتْنَةً، وَرَغْمَ ظُلْمَةِ الوَاقِعِ الكَالِحَةِ، فَإِنَّكَ كُلَّمَا الْتَفَتَّ فِي الجِهَاتِ السِّتِّ، وَجَدْتَ دَاهِيَةً فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، إِلَّا أَنَّ رَبَّكَ الكَرِيمَ -سُبْحَانَهُ- تَعَهَّدَ بِحِفْظِ هَذَا الدِّينِ، فَصَدَقَ قَوْلُ نَبِيِّنَا الكَرِيمِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ**». [حسن، ابن ماجه (٨)].

فَظَهَرَتْ نَاشِئَةٌ لِلإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَرْجِعُونَ إِلَىٰ هَدْيِ الدِّينِ وَمَصْدَرِهِ مِنَ الوَحْيَيْنِ: كِتَابًا وَسُنَّةً، وَيَصْدُرُونَ عَنْهُمَا، فَبَاتَ حَرِيًّا بِأَهْلِ الدِّيَانَةِ تَأْصِيلُ المَنْهَجِ، وَتَعْلِيمُ النَّاسِ الخَيْرَ، عَلَىٰ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ؛ لِيَتِمَّ الخَيْرُ، وَيُؤْتِيَ ثَمَرَتَهُ؛ لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَنَا يَدًا فِي التَّمْكِينِ لِدِينِهِ.

تَكَاثَرَتِ المَطَالِبُ، وَتَوَاتَرَتِ الأَسْئِلَةُ عَنْ مَنْهَجٍ سَلَفِيٍّ أَصِيلٍ لِتَرْبِيَةِ الأَوْلَادِ وَتَعْلِيمِ النَّاشِئَةِ، وَالأَخْذِ بِيَدِ المُبْتَدِئِينَ فِي الالْتِزَامِ، كَثُرَتْ فِعْلًا الكُتُبُ وَالمُذَكِّرَاتُ، وَالرَّسَائِلُ وَالمَطْوِيَّاتُ حَوْلَ هَذَا المَنْهَجِ، وَظَلَلْتُ دَهْرًا أُفَكِّرُ، وَأُقَدِّمُ وَأَتَأَخَّرُ، أَفْعَلُ أَوْ لَا أَفْعَلُ، حَتَّىٰ عَزَمْتُ مُنْذُ الصَّيْفِ المَاضِي أَنْ أَكْتُبَ مَنْهَجًا مُبَسَّطًا لِلْكَتَاتِيبِ، مُسْتَعِينًا بِاللهِ العَلِيمِ الحَكِيمِ الخَبِيرِ، وَبَدَأَ العَمَلُ، وَظَلَّ يَتَّسِعُ وَيَتَشَعَّبُ حَتَّىٰ كَانَ هَذَا المَنْهَجُ المُتَكَامِلُ الَّذِي تَرَوْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ:

١ - تَحْفِيظُ القُرْآنِ: أَهَمِّيَّةُ القُرْآنِ، وَكَيْفِيَّةُ حِفْظِهِ.

٢ - التَّفْسِيرُ: تَفْسِيرُ جُزْءِ (عَمَّ) مُيَسَّرًا وَمُبَسَّطًا، وَاسْتِخْرَاجُ آيَةٍ لِلْعَمَلِ.

٣ - العَقِيدَةُ: ٢٠٠ سُؤَال وَجَوَاب فِي العَقِيدَةِ.

٤ - الفِقْهُ: ٢٠٠ سُؤَال وَجَوَاب فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ.

٥ - قَصَصُ الأَنْبِيَاءِ: مُيَسَّرَةً وَمُبَسَّطَةً مَعَ ذِكْرِ الفَوَائِدِ.

٦ - سِيرَةُ الرَّسُولِ ﷺ فِي نِقَاطٍ مُخْتَصَرَةٍ، مَعَ الفَوَائِدِ.

٧ - الحَدِيثُ: مُقَدِّمَةٌ مُبَسَّطَةٌ عَنْ مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ، ثُمَّ شَرْحُ مِائَةِ حَدِيثٍ، وَاسْتِخْرَاجُ الفَوَائِدِ.

٨ - الأَذْكَارُ: نَحْوًا مِنْ مِائَةٍ وَسِتِّينَ نَوْعًا مِنَ الذِّكْرِ.

٩ - الأَدَبُ: أَرْبَعِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الأَدَبِ المُخْتَلِفَةِ.

١٠ - القَصَصُ: خَمْسُونَ قِصَّةً مِنَ القَصَصِ المُفِيدَةِ، مَعَ شَرْحِهَا وَذِكْرِ الفَوَائِدِ.

وَقَدْ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ هَذَا المَنْهَجِ كُتَيِّبًا مُهِمًّا فِي إِدَارَةِ العَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنْ تَحْفِيظِ القُرْآنِ، وَتَعْلِيمِ العِلْمِ وَخِلَافِهِ، وَصِفَاتِ المُرَبِّي وَالمُحَفِّظِ، وَنُصْحِهِ وَإِرْشَادِهِ إِلَىٰ بَعْضِ الآدَابِ وَالأَخْلَاقِيَّاتِ، وَالنَّصَائِحِ وَالوَصَايَا، وَالاحْتِرَازَاتِ وَالاحْتِيَاطَاتِ؛ لِيَكُونَ هَذَا أَنْجَحَ لِلعَمَلِيَّةِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَاللهُ المُوَفِّقُ وَالمُسْتَعَانُ، وَمِنْهُ العَوْنُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

وَبَعْدُ..

فَإِنَّهُ حَقًّا مَنْهَجٌ مُتَكَامِلٌ فِي فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي الإِخْلَاصَ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ عَمَلِي فِي سَبِيلِهِ، نُصْرَةً لِدِينِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَ كُلَّ مَنْ يَرَاهُ عَمَلًا بِهِ، وَقَدْ بَذَلْتُ -وَاللهُ يَعْلَمُ- جُهْدِي فِي تَأْصِيلِهِ وَتَنْقِيحِهِ، لِيَخْرُجَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، تَأْلِيفًا وَطِبَاعَةً، وَإِنِّي إِذْ أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، لَا أَنْفِي عَنْ نَفْسِي التَّقْصِيرَ وَالعَجْزَ وَالقُصُورَ، فَلْنَجْعَلْهُ خُطْوَةً عَلَىٰ الطَّرِيقِ مُكَمِّلَةً لِمَا سَبَقَ، وَمُؤَصِّلَةً لِمَا سَيَأْتِي بَعْدَنَا.

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ الحَلِيمَ رَبَّ العَرْشِ الكَرِيمِ أَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الصَّوَابَ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ، آمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

إلمـاحة

نصيحة لمدرس هذا المنهج

(١) قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْ هَذَا المَنْهَجِ نِدَاءَاتٍ لِابنِ الإِسْلَامِ، وَتَحْفِيزًا وَتَنْشِيطًا، وَإِثَارَةً لِعُلُوِّ الهِمَّةِ، فَيَنْبَغِي الحِرْصُ عَلَىٰ قِرَاءَتِهِ بِطَرِيقَةٍ مُفِيدَةٍ وَمُؤَثِّرَةٍ، وَتَدَاوُلِ نِدَاءِ (يَا ابنَ الإِسْلَامِ) لِإِشْعَارِ أَصْحَابِ هَذَا المَنْهَجِ بِالمَسْئُولِيَّةِ تِجَاهَ هَذَا الدِّينِ.

(٢) آثَرْتُ أَنْ يَكُونَ المَنْهَجُ كُلُّهُ فِي جَمِيعِ فُرُوعِهِ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ: سُؤَالٍ وَجَوَابٍ، أَوْ نِقَاطٍ مُحَدَّدَةٍ سَرِيعَةٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَذَلِكَ لِيَكُونَ أَسْهَلَ فِي الِاسْتِيعَابِ وَالتَّقْوِيمِ.

(٣) تَرَكْتُ مَجَالًا لِكَفَاءَةِ المُدَرِّسِ وَمَهَارَتِهِ، وَإِظْهَارِ مَوَاهِبِهِ فِي الشَّرْحِ وَالتَّوَسُّعِ.

(٤) قَرَنْتُ كُلَّ مَسْأَلَةٍ بِدَلِيلٍ وَاحِدٍ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لِتَعْوِيدِ الطَّلَبَةِ احْتِرَامَ الدَّلِيلِ، وَالعَمَلَ عَنْ دَلِيلٍ.

(٥) تَرْبِيَةُ النَّشْءِ عَلَىٰ سَعَةِ الصَّدْرِ لِقَبُولِ الخِلَافِ، فَلَا يَنْبَغِي شَغْلُهُمْ بِالخِلَافَاتِ، إِنَّمَا عَلَىٰ القَوْلِ الوَاحِدِ فِي المَسْأَلَةِ، وَعَدَمِ الخُرُوجِ عَمَّا وَرَدَ فِي هَذَا المَنْهَجِ، هَذَا أَفْضَلُ لِلالْتِزَامِ.

(٦) تَعَمَّدْتُ أَنْ يَكُونَ الخَطُّ كَبِيرًا وَاضِحًا جَمِيلًا، لِبَيَانِ جَمَالِ الخَطِّ العَرَبِيِّ، وَتَحْسِينِ خُطُوطِ الطَّلَبَةِ، وَهُوَ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ أَيْضًا، فَأَلْفِتُ نَظَرَهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ.

(٧) تَعَمَّدْتُ اخْتِيَارَ الأَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ الفَصِيحَةِ الرَّصِينَةِ البَسِيطَةِ، لِتَقْوِيمِ اللِّسَانِ، وَزِيَادَةِ الثَّرْوَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي قَلْبِ الطِّفْلِ، وَرَاعَيْتُ فِي ذَلِكَ عَدَمَ التَّعْقِيدِ، أَوِ اعْتِمَادَ الأَلْفَاظِ الغَرِيبَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ شَرْحٍ.

(٨) اجْتَهَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ فِي كُلِّ الفُرُوعِ فَائِدَةً لِلعَمَلِ؛ لِيَرْتَبِطَ العِلْمُ بِالعَمَلِ.

(٩) يُفَضَّلُ أَنْ يُدْرَسَ هَذَا المَنْهَجُ فِي المَسْجِدِ، وَرَبْط الطَّالِبِ بِهِ؛ لِأَنَّ فِي المَسَاجِدِ بَرَكَةً فِي تَعْلِيمِ العِلْمِ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا، وَلَكِنْ لَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَ مَنْهَجًا لِلحَلْقَاتِ العِلْمِيَّةِ فِي البُيُوتِ بَيْنَ الأَبِ وَأَوْلَادِهِ.

(١٠) يُمْكِنُكَ تَقْسِيمُ هَذَا المَنْهَجِ إِلَىٰ أَجْزَاءٍ أَوْ مَرَاحِلَ إِذَا أَحْسَسْتَ أَنَّهُ طَوِيلٌ، كَمَرْحَلَةٍ أُولَىٰ وَمَرْحَلَةٍ ثَانِيَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَيَنْبَغِي فِي البِدَايَةِ عِنْدَ تَقْسِيمِ هَذَا المَنْهَجِ عَلَىٰ الأَسَابِيعِ وَالشُّهُورِ تَمْيِيزُ الطَّلَبَةِ أَيْضًا، تَبَعًا لِلفِئَاتِ العُمُرِيَّةِ: مَا بَيْنَ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَكَذَلِكَ مُلَاحَظَةُ مُسْتَوَيَاتِ إِدْرَاكِهِمْ مَا بَيْنَ: مُتَمَيِّزٍ وَكُفْءٍ.

(١١) اطَّلَعْتُ عَلَىٰ مُعْظَمِ الكُتُبِ المُؤَلَّفَةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ المَنَاهِجِ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْهَا، جَزَىٰ اللهُ مُؤَلِّفِيهَا كُلَّ خَيْرٍ، وَآثَرْتُ أَنْ يَكُونَ كِتَابُنَا وَقُورًا، عِلْمِيًّا مُؤَصَّلًا، وَإِنِ اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ بَعْضَ التَّطْوِيلِ وَالإِسْهَابِ لِأَجْلِ التَّحْصِيلِ وَالاسْتِيعَابِ، فَاصْبِرْ تُؤْجَرْ.

(١٢) تَعَمَّدْتُ أَنْ أَذْكُرَ تَخْرِيجَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ بِجِوَارِ النَّصِّ مُبَاشَرَةً، لَا فِي الهَامِشِ، كَيْ لَا يَكْثُرَ انتِقَالُ عَيْنِ الطَّالِبِ عَنِ النَّصِّ، بَلْ يَظَلُّ مُرْتَبِطًا بِهِ، مُتَوَاصِلَ القِرَاءَةِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُهْمِلُ النَّظَرَ إِلَىٰ الهَامِشِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَ الطَّالِبُ دَائِمًا أَسْمَاءَ السِّوَرِ فَيَعْرِفَهَا، وَأَرْقَامَ الآيَاتِ، وَأَسْمَاءَ رُوَاةِ الأَحَادِيثِ، فَيَنْطَبِعُ كُلُّ ذَلِكَ بِذِهْنِهِ، فَلَا تُهْمِلْ قِرَاءَةَ ذَلِكَ وَالعِنَايَةَ بِهِ.

أَخِي الحَبِيب:

* رجـــاء *

تَوَاضَعْ لِلمَنْهَجِ وَاسْتَفِدْ مِنْهُ، وَاسْتَكْمِلْهُ إِنْ شِئْتَ وَزِدْ عَلَيْهِ، وَلَا نَعْدِمُ مِنْكَ دَعْوَةً صَالِحَةً بِظَهْرِ الغَيْبِ.

وَأَرْجُو المُسَامَحَةَ فِي خُرُوجِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ فِي عُجَالَةٍ مَا، لِإِدْرَاكِ فَصْلِ الصَّيْفِ مِنْ أَوَّلِهِ، وَلْيَكُنْ هَذَا المَنْهَجُ فِي مَرْحَلَةٍ تَجْرِيبِيَّةٍ هَذِهِ السَّنَةَ، وَنَنْتَظِرُ مِنَ العَامِلِينَ بِهِ

النَّصَائِحَ وَالوَصَايَا.

جَزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا، وَغَفَرَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُنْجِيَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالحَمْدُ للهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَكَتَبَ

أَبُو العَلَاءِ

مُحَمَّد حُسَيْن يَعْقُوب

عَفَا اللهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ

وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ

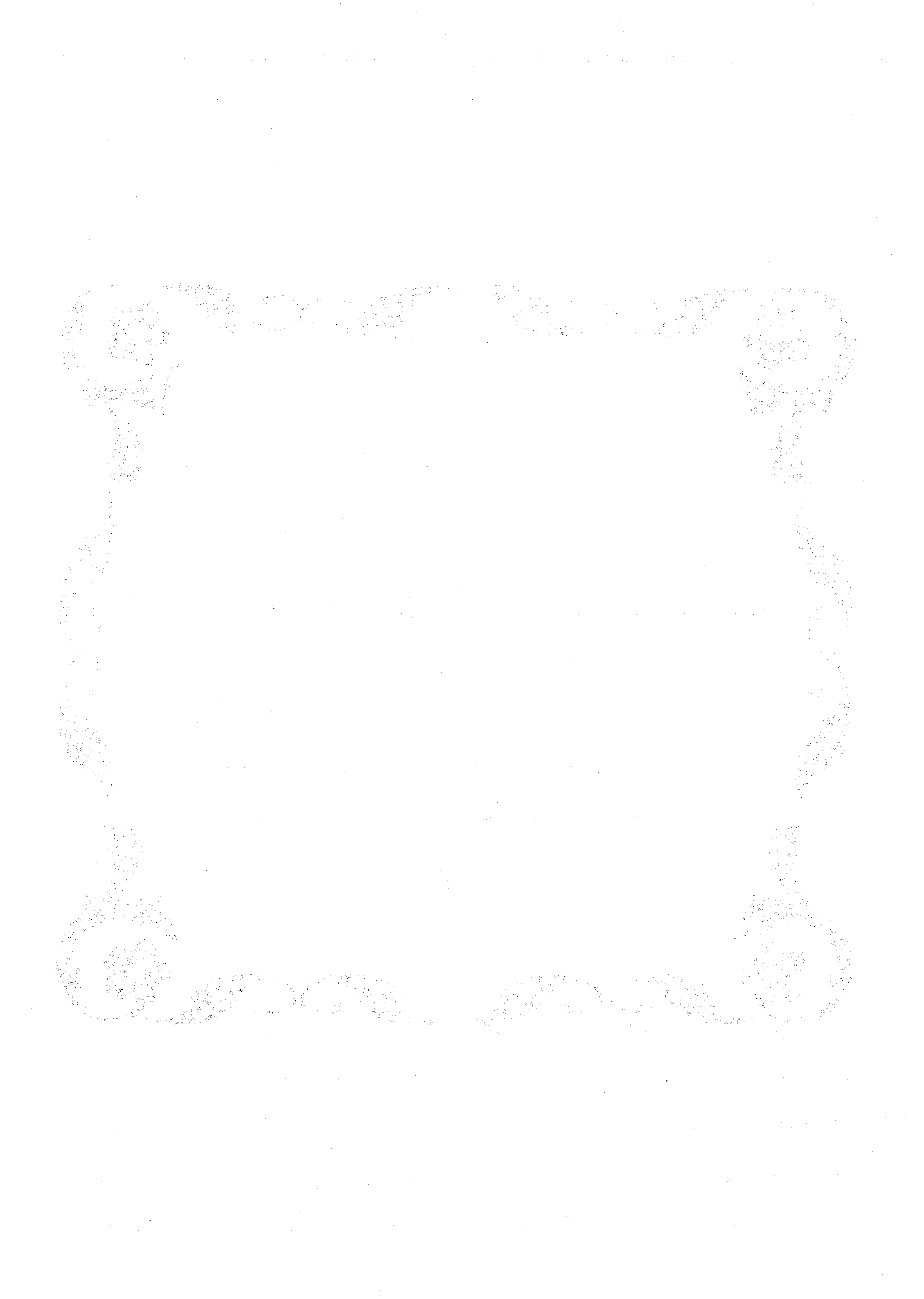
مَدِينَةُ ٦ أُكْتُوبَر: لَيْلَةَ الأَحَدِ، الثَّامِنِ مِنْ جُمَادَى الآخِر ١٤٢٧هـ

٢٠٠٦/٦/٤م



تَمهيد :

يَا ابْنَ الإِسْلامِ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، رب يسر، وأعن، وتمم بخير يا كريم.

حبيبي في الله.. ابن الإسلام..

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة.. إني أحبك في الله..

ابني.. وحبيبي..

أسأل الله أن يرزقنا وإياك الصدق والإخلاص، والعفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة.

أما بعد..

فإني أحمد الله إليك، سبحانه ﷻ ولي النعم، الذي يوالي خلقه بنعمة بغير سبب من العباد، فالحمد لله الذي خلقنا علىٰ الإسلام، وامتن علينا بنعمة الإيمان، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، أتباع خير نبي، وأحفاد خير الناس، أمة العرب، من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ...

ولكن.. ولدي الحبيب..

تصديقًا لحديث محمد ﷺ : «**إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**» [مسلم (١٤٥)]، فإننا نجد أنفسنا في هذه الأيام نعيش الغربة الثانية للإسلام، وهي أشد في مرارتها من غربة الإسلام الأولىٰ، يشهد لذلك حديثه ﷺ : «**لَيْتَنَا نَرَىٰ إِخْوَانَنَا**»، قَالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا بِإِخْوَانِكَ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَمَّا إِخْوَانِي فَقَوْمٌ يَأْتُونَ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي، عَمَلُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ بِخَمسِينَ**»، قَالوا: مِنَّا أَو مِنْهُم يَا

رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**بَلْ مِنْكُم، إِنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَىٰ الْخَيرِ أَعْوَانًا، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ عَلَىٰ الْخَيرِ أَعْوَانًا**». [أوله في صحيح مسلم (٢٤٩)].

صدقت يا حبيبي يا سيدي يا رسول الله، فداك أبي وأمي ونفسي..

أين الأعوان؟... وأين الإخوان؟

العون عند الرخاء.. والعدة عند البلاء..

قلما تجدهم، وندر أن تراهم..

اللهم كن لنا معينًا ووليًّا ونصيرًا..

وإذا كان الله قيض للإسلام في أيام غربته الأولىٰ رجالًا أزالوا عنه غربته، وقوىٰ الله بهم شوكته، فإني أرجو.. أرجو -والله- أن يقيض الله منكم.. منكم أنتم أيها الأبناء الكرام جيل المستقبل، أمل الأمة، من يزيل عنه غربته الثانية، هذا رجائي في الله، وأسأل الله ألا يخيب فيه رجائي.

ولكن الأمر ليس بالأماني، فأصحاب الأماني في الظلمة خلف السور، غرتهم الأماني وغرهم بالله الغرور، ولابد والله من عملٍ وجدٍّ، وصدقٍ وصبرٍ، ورباطٍ ومصابرةٍ، ولابد أن ننظر كيف تم التمكين لطائفة الصحابة الأولىٰ، لكي يكونَ ومضة في الطريق للتمكين مرة أخرىٰ..

وأرجوه -والله- تمكينًا، أنتم أصله وأساسه، وأنتم عماده وبناؤه.. علىٰ اعتقاد صحيح سليم، ومنهج أصيل قويم.

فلابد أولًا من إيجاد رجل العقيدة، التي هي أساس البناء والتربية؛ فإنه لما غزا رسول الله ﷺ ثقيفًا، وكان معه عشرة آلاف من الطلقاء (الذين أسلموا بعد فتح مكة) فروا جميعًا، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ نفسه وحده نادىٰ ثلاث مرات: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ.. يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ.. يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ**» [البخاري (٤٠٧٨)]، ولم يناد غيرهم، من الآلاف العشرة من المسلمين الجدد، إنما نادىٰ الذين رباهم في المدينة عشر سنين علىٰ العقيدة والتوحيد.

فأهم عوامل الثبات على الدين، وأهم دوافع العمل لنصرة الدين، وإثارة الحرص على إعادة التمكين؛ التربية على العقيدة السليمة والمنهج الصحيح، ولذلك:

ثانيًا: لابد أيضًا من إيجاد الرجل صاحب المنهج..

ابني الحبيب.. ابن الإسلام

إن المشوار طويل.. وإن الجهد المطلوب غاية في الضخامة، لعودة مجدنا المسلوب، والأمة إلا من رحم ربك في حالة الغثاء والتيه، والسبل متفرقة، وأبواب ثلاث وسبعين فرقة مشرعة، على رأس كلٍّ منها شيطانٌ يدعو إليها بكل لسان، في مواقع الإنترنت، وعلى الفضائيات، وفي الجرائد الصفراء، والمجلات.

فأين تذهبون؟؟؟

لابد -ولدي الحبيب- من معرفة المنهج الأصيل؛ لتعود إليه في كل حياتك، وهو اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين؛ لأن الله تعالى ذكر لنا السبيل القويم لرضاه فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾[التوبة:١٠٠].

فالمطلب الرئيس أن تحسن اتباع هؤلاء الصحابة، والإحسان هو البصيرة في الدين، فأحسن الاتباع على بصيرة.

ابني.. يا ابن الإسلام

هناك معالم لابد من مراعاتها؛ لتعيش الإسلام، وتكون ابن الإسلام:

أولها: العلم الصحيح، والتربية الصحيحة.

ثانيًا: إن مصدر الهداية الوحيد كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ بفهم سلفنا الصالح، والهدى هدى الله.

ثالثًا: عقيدة السلف قواعد وضوابط تعصم من الخطأ، وتبعث علىٰ العمل، وتجعل المسلم قوة حيةً متحركةً عاملةً.

رابعًا: إحياء الإخلاص والإحسان، وفقه القلوب، وتعميق الصلة بالله، وتعويد النفوس علىٰ الحياة في معية الله، والتدريب علىٰ ممارسة السلوك الإيماني في معالم الواقع.

خامسًا: تعميق الإيمان باليوم الآخر، وتأصيل يقين أن العيش عيشُ الآخرة، وأن الدنيا متاعٌ زائل لا يساوي جناح بعوضة.

سادسًا: البصيرة من ألزم اللوازم، ضرورة لا غنىٰ عنها؛ لتخترق الغبش الكثيف، الذي أحاط بالإسلام وحقائقه.

سابعًا: توسيع مفهوم العبادة، حتىٰ لا تعود طقوسًا ومزامير تتلىٰ فقط في المذابح.

فلتفهم -ابني الحبيب اللبيب- أن العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وفروض الكفايات قد لا تقلُّ بحال عن فروض الأعيان إذا حسنت النية وتم الإخلاص، ولذلك فإن حاجتنا إلىٰ كوادر تحمل العلوم الشرعية، وتعيها جيدًا، وتستوعبها جيدًا، وتعمل بها جيدًا، وتدرسها جيدًا، هذا هو الإحسان.

فهي تحمل العقيدة بين ضلوعها بأصولها وفروعها وأدلتها، وتحمل الفقه: أصوله وقواعده وفروعه بين عيونها، حتىٰ تبلغ درجة الاجتهاد، فلابد إذًا في العلوم الشرعية من التخصص والمثابرة، نحتاج إلىٰ كوادر في الحديث ومصطلحه، للوقوف أمام الهجمة الشرسة علىٰ السنة، والذب عن النبي محمد ﷺ .

نحتاج إلىٰ جهابذة في اللغة؛ لتأصيل المصطلحات الشرعية للغة الناس التي تنتقص من أطرافها.

يا ابن الإسلام . . .

نحتاج إلىٰ أطباء عباقرة، يقومون بفرض الكفاية في الطب؛ لأنهم حين يؤدونه تدينًا لا تجارة، وحسبة لا كسبًا، يحمون صحة الأمة ووعيها، قال الشافعي رحمه الله: (إنما ضيع المسلمون ثلث العلم بتضييعهم للطب، وتركه لليهود والنصارىٰ).

نحتاج إلىٰ مهندسين في كل فروع الهندسة...

نحتاج إلىٰ اقتصاديين يديرون حركة الاقتصاد الإسلامي، بدلًا من هذا الاقتصاد الربوي..

نحتاج إلىٰ أعلىٰ التخصصات في نظم الإدارة والتخطيط..

نحتاج إلىٰ المزارعين الذين يكفوننا شر استيراد الخبز ولقمة العيش..

نحتاج إلىٰ تجار مهرة، أمناء صادقين رحماء، غير جشعين، بل يتخذون هذه المهنة تدينًا، فلا يبيعون ولا يشترون إلا النافع، ويؤثرون مصلحة الأمة علىٰ المال وعلىٰ الدنيا، ويتقون الله في أرزاق الناس..

وإلا.. فكيف تقوم الدنيا؟؟؟

يا ابن الإسلام . .

إن فيك طاقات وطاقات نريد أن نوظفها، لإحياء المجتمع الإسلامي في الواقع، وشموله لكل جوانب الحياة.

إننا نريد كوادر متخصصة في كل فنون الحياة حتىٰ في علوم الغربيين ذاتهم ولغاتهم..

إن الطريق إلىٰ إقامة دولة الإسلام لا يتحقق بمجرد الأماني، والطريق ليس مفروشًا بالورود والرياحين؛ بل تعترضها عقبات جسام، فلابد -يا ابن الإسلام- من بذل الغالي والنفيس من وقتك بإخلاصٍ وصدقٍ، وتجرد وإنكار للذات، فلا حسدَ ولا بغيَ، ولا شحناءَ ولا بغضاءَ، ولا كبرَ ولا غرورَ، ولا تنافس علىٰ الرياسة وحب

الظهور؛ فإن من مداخل الشيطان إلىٰ نفوس ذوي المواهب خاصةً فتنة الذات.. [فتنة الأنا].

هكذا يتدسس الشيطان إلىٰ النفوس؛ فيجعل عند بعض الناس ذاته ونفسه مركز اهتمامه، ومنطلق تحركه، ولكن حين نكون متجردين لله، ولا تكون ذواتنا محور اهتمامنا، بل ندفع الأجدر، ونساعد الأقدر، ونقدم الأعلم، ونتواضع للأكبر، قال الراهب للغلام: أي بني، أنت اليوم أفضل مني، بمنتهىٰ الصدق والتجرد والموضوعية.

إننا حين نكون متجردين لله بالقدر الكافي فلن يكون الولاء لأشخاصنا؛ بل سيكون الولاء للدين والمنهج.

قال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ : ما صدق الله عبدٌ أحب الشهرة.

وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ : قال لي سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحدًا إلا وقد نهاني عن الشهرة.

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ : الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول ذلك زهدك في نفسك.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : إذا رأىٰ أحدًا قال: هذا أفضل مني.

يـا ابن الإسـلام..

لابد أن تتعلم، لابد أن تعرف دينك وتتقنه، لابد أن تتخصص وتتميز وتنطلق وتعلو همتك لنصر الدين، وخدمة شريعة الله في الأرض، وكل ذلك بإخلاص تام وتجرد كامل، لله سبحانه وحده، لا طلبًا للدنيا وشهواتها، ولا طمعًا فيما في أيدي الناس،شعارك في ذلك: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

يـا ابن الإسـلام..

إنك تحتاج إلىٰ التواضع، والتطامن، والمسكنة، وترك الأبهة والجاه وإياك

والعجب والكبر ورؤية الأنا.

ثامنًا: إن العلماء الربانيين هم ورثة الأنبياء علمًا وخلقًا رفيعًا وشفافية روحية، هم أولو الحكمة والشهادة العادلة علىٰ الناس، سائرون علىٰ قدم الأنبياء جآرون بالتضرع والدعاء.

العلماء العاملون الصادقون الربانيون الزهاد هم حاجة الأمة، وحاجة الناس إليهم أشد من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب، إنهم بناء للأمة وهؤلاء هم الذين يجبرون ضعف المسلمين، ويقيمون الأمة من عثرتها، ويعيدون لها عزتها، وعلىٰ أيديهم يشرق علىٰ المسلمين فجرهم، ويمن الله علىٰ الأمة بأن يجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين.

فلابد أن تكون -يا ابن الإسلام- أولهم وقائدهم.

يـا ابن الإســلام..

أنا علىٰ يقين دائمًا أن المسلم معه الغد، وأنه آتيه وإن أدبر عنه اليوم وذاهب.

إن المسلم ليس رجل الأرض في الأرض، ولكنه رجل السماء في الأرض، وإن شمس فجره الآتي الذي سينتصر فيه مشرقة في قلبه قبل أن تشرق علىٰ الدنيا.

يـا ابن الإســلام..

إنك وإن خلقت من طين إلا أنك عندما تتحلىٰ بالتوحيد والإيمان واليقين، تكون عبدًا لربك المهيمن وحده سبحانه، فتكون حرًّا، تقول لكل قيود الأرض:

لا.. لا.. لا قيود الأرض..

لا تحدك حدود، ولا تغلك قيود، رفرف بجناحيك، انفض عنك غبار الكسل والخمول والدعة والراحة، وانطلق بطلًا فأنت لها.

يـا ابن الإســلام..

إن البصيرة الإبراهيمية والعزة بالإسلام والتوحيد لا تأتي بسهولة ولا توهب

مجانًا، وأنت كنز الفضائل، أنت موج من أمواج بحر الإسلام الخضم، صحوت علىٰ الأذان الصارخ والنداء العالي:

الله أكبر .. الله أكبر

يا ابن الإسلام..

افتح عينيك أيها الزهر النائم..

لقد أغار علىٰ أمتنا الأعداء..

ألا يوقظك صفير الأذان؟؟ ألا ينبهك أنين القلوب والأرواح؟!

انتبه من هذا السبات العميق الذي طال أمده، واشتدت وطأته، واشرب كأسًا فائضة من اليقين، وانهض من حضيض الظن والتخمين.

يا ابن الإسلام..

إنني أبحث عن عملاق من الرجال، وبطل من الأبطال، يملأ عيني برجولته، ويروح نفسي ببطولته..

مسلم.. يمتاز بين أهل الشك والظن بإيمانه ويقينه..

مسلم.. يمتاز بين أهل الجبن والخوف بشجاعته وقوته الروحية..

مسلم.. يمتاز بين عباد الرجال والأموال والأصنام والملوك بتوحيده الخالص لله رب العالمين..

مسلم.. يمتاز بين عباد الأوطان والألوان والشعوب بعقيدته وفقهه..

مسلم.. يمتاز بين عباد الشهوات والأهواء والمنافع بتجرده من الشهوات، وتمرده علىٰ موازين المجتمع الزائفة، وقيم الأشياء الحقيرة..

مسلم.. يمتاز بين أهل الأثرة والأنانية، بزهده وإيثاره وعظمة نفسه..

مسلم.. يتميز حين يعيش الناس لبطونهم، يعيش هو برسالته ولرسالته..

يــا ابن الإســلام . .

إنك -أيها المسلم- في هذا العالم رجل وحدك، صِيْغَ من إيمان ويقين..

وما عداك سراب خادع ودرهم زائف..

يــا ابن الإســلام . .

أنت نقطة دائرة الحق، وكل الحقائق تدور حولك..

أنت أنت.. لا تتغير ولا تتحول، وأما ما عداك فزبد يذهب جفاء..

يــا ابن الإســلام . .

أنت الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.. وما عداك شجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار؛ لأنك تحمل رسالة خالدة، وتحتضن أمانة خالدة، وتعيش لغاية خالدة، أنت رمز لرسالات الأنبياء، أنت وريث نبي رسالة الله الأخيرة فلا يعتريها النسخ ولا التبديل.

يــا ابن الإســلام . .

اعلم أن الله العظيم الكريم إذا وهب شيئًا؛ لا يستطيع أحد أن يسلبه أو يشرده إلا بإذن الله، وليس حتف ابن آدم في فراق الروح؛ إنما حتفه في ضعف الإيمان والحرمان من اليقين..

يــا ابن الإســلام . .

يا أيها الجيل الجديد.. يا سليل الطهر.. يا برد اليقين.. يا حارس الدين.. يا من لو أقسم علىٰ الله لأبره.. لا تربط نفسك وقلبك بالتراب.. امتلك ناصية الأيام.. خذ عنان التاريخ، امتلك قيادة قافلة البشرية إلىٰ الغاية المثلىٰ..

يــا ابن الإســلام . .

أنت رجلٌ أجدادك: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

أنت رجلٌ قوادك: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأسامة بن زيد رضي الله عنهم..

أنت رجلٌ قدوتك: أبو عبيدة وأبو الدرداء وأبو ذر رضي الله عنهم..

أنت رجلٌ أسوتك: أنس وعبد الله بن عمر و عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم..

ثم أتباعهم: الحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير وأتباعهم وأتباعهم حتىٰ جدك القريب الألباني وابن باز وابن عثيمين، سندك متصل؛ فتوسل واتصل تصل..

يـا ابن الإسـلام..

هذه رسالتي إليك، ويدي ممدودة إليك، وهذا هو منهج الإسلام معروض عليك؛ فكن نعم الآخذ، واستعن بالله، ولا تخذل أمة علقت أملها عليك، وربطت مستقبلها رهن تربيتك وصناعتك، فتعلم واعمل وجد وشمر، وانطلق فأنت لها.

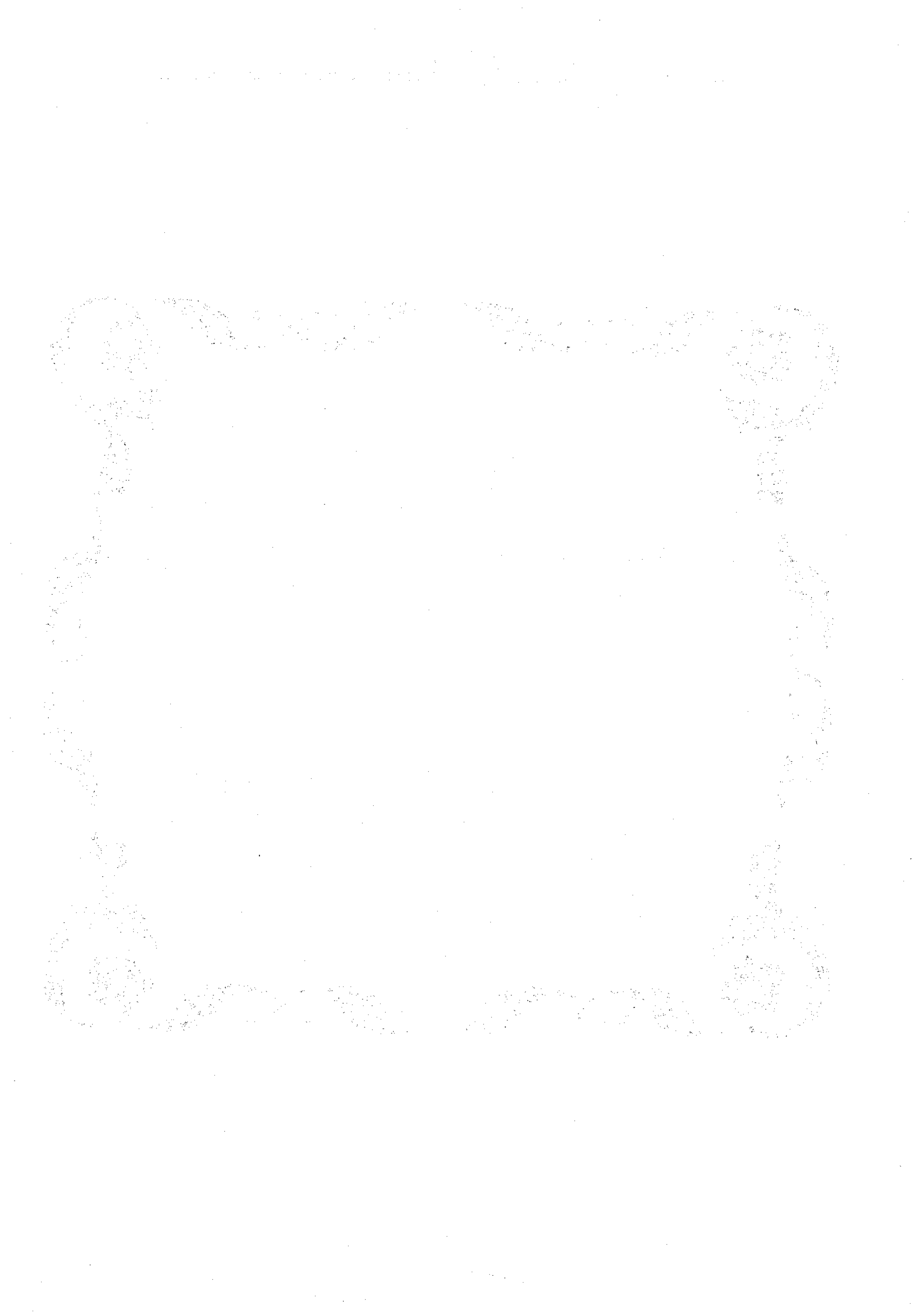
يـا ابن الإسـلام.. إني أحبك في الله..





الفَصْلُ الأَوَّلُ

السفرة الكرام



بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن كتاب الله الخالد المعجز، وهو كلامُ الله المنزل علىٰ عبده ورسوله وخاتم رسله محمد ﷺ.

وهو الكتاب الذي أذن الله بحفظه من أن يغير أو يُبدل أو يزادُ فيه أو ينقص منه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩]

وهو الكتاب الذي تلقاه الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام من رب العزة تبارك وتعالى، ثم علمه رسول الله ﷺ أصحابه الأطهار رضي الله عنهم وحملة الدين السفرة البررة الكرام، وهو الذي جمعه الصديق رضي الله عنه بإشارة الفاروق رضي الله عنه ودَوَّنه ذو النورين عثمان رضي الله عنه وأجمعت الأمة المسلمة عليه.

وهو الكتاب الذي بين أيدينا اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، والمحفوظ بين دفتي المصحف، من الحمد إلىٰ الناس.

هذا القرآن العظيم هو دستور المسلمين، وشريعتهم وصراطهم المستقيم، وهو حبل الله المتين، وهدايته الدائمة وموعظته إلىٰ عباده، آية صدق رسوله محمد ﷺ الباقية إلىٰ آخر الدنيا، وهو سبيل عز المسلمين في كل العصور والدهور، ولما كان القرآن كذلك؛ تعبدنا الله بتلاوته، وجعل خَيرنا من تعلمه وعلمه.



فضل تلاوة القرآن وتعلمه

لماذا نحفظ القرآن الكريم؟؟

لماذا نحرص علىٰ حفظه كاملًا؟؟

إليك أخي هذه العشرين، اجعلها نيات أو مبشرات، أو محفزات..

واعلم أن الغاية هي: العمل، فافهم معي وانطلق..

١- القرآن تجارة رابحة، وكل الناس تعاملك لتربح عليك، إلا الله؛ فإنه يعاملك لتربح عليه، قال عثمان رضي الله عنه: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُم أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآن؛ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَخِذُوا تلَاوَتَهُ عَمَلًا»** قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[فاطر: ٢٩- ٣٠].

٢- تلاوة القرآن بالأمر المباشر من الله تعالىٰ، فاستحضر النية عند تلاوة القرآن العظيم، أنك تتلوه استجابة لأمر الملك العظيم، قال الكبير المتعال: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[النمل:٩١-٩٢].

٣- في تلاوة القرآن حصنٌ حصين، وملجأٌ منيع لتاليه، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾[الكهف:٢٧].

٤- كل إنسان يبحث عن نسبة يتشرف بها ويفتخر، وإنه لحلم فعلًا أن ينتسب إنسان إلىٰ الملك القدوس، هل تريد أن تنال هذا الشرف؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»**. [صحيح ابن ماجه (٢١٥)].

٥- التنافس علىٰ الخير مطلوب، وأن تكون خير الناس مرتبة لا تطال، ولكن ذلك ليس بالمحال، وأهل القرآن الذين هم أهله خير الناس، فعن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» [البخاري (٤٧٣٩)].

٦- قال الله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس:١٥-١٦]، السفرة: هم الملائكة، كرام بررة: أي: خلقهم كريم، وأخلاقهم طاهرة، إن الفلاح كل الفلاح في التشبه بهؤلاء الكرام، فأتقن تكن معهم؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**» [البخاري (٤٦٥٣)].

٧- لكل إنسان ريح وطعم يشمه ويتذوقه أهل الإيمان، ويشهد الواقع بذلك، فللمعاصي ريح خبيثة تظهر علىٰ العصاة والمذنبين، نسأل الله أن يتوب علينا وعلىٰ المسلمين أجمعين، وللطاعات روائح وطعومات، والقرآن يغير طعم الإنسان وريحه؛ فعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**» [البخاري (٥١١١)].

٨- قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [التين:٤-٥] الله سبحانه يرفع ويخفض، بيده مقادير الخلق، فاللهم ارفعنا ولا تضعنا، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**» [مسلم (٨١٧)].

٩- يوم القيامة أهواله عظيمة، يحتاج الإنسان إلىٰ من يقف معه، ويشفع له عند ربه، في يوم غضب الله فيه غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

والقرآن شفيع مشفع؛ فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**» [مسلم (٨٠٤)].

١٠- يتحاسد الناس علىٰ المظاهر وعلىٰ الدنيا، وعلىٰ الأشكال، وكل ذلك عرض زائل، والغبطة الفرح بالنعمة علىٰ عباد الله، وتمني مثلها ولا يغبط في هذه الدنيا مثل حامل القرآن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ؛ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا؛ فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**» [البخاري (٧٠٩١)].

١١- في القيامة قد يخف ميزان العبد، ويحتاج إلىٰ حسنة واحدة، ويتمنىٰ حسنة واحدة... حسنة واحدة فقط، وقد يدور علىٰ الناس ولا يعطيه أحد، الكل يقول: نفسي.. نفسي.

يـا ابن الإسـلام. . أمامك فرصة اليوم بالعشرات، وويل لمن غلبت آحاده عشراته، اقرأ واغتنم بالعشرات.. بالمئات.. بالآلاف.. بالملايين، ما بين مستقل ومستكثر، ولا حرج علىٰ فضل الله، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**» [صحيح الترمذي (٢٩١٠)].

١٢- النفوس البشرية لها هم وعمل واشتغال بشيء.. ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وحتىٰ الشغل درجات تتفاوت بين حق وأحق منه، وفاضل ومفضول، ولكن مع الله، وأنت تتعامل مع الكريم سبحانه لا يحرمك فضله، إذا عرفت فضله وسعيت في طلبه سعيًا حثيثًا فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ الرَّبُّ عز وجل: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي؛ أُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ**» [صحيح الترمذي (٢٩٢٦)].

١٣- القلوب تمتلئ وتفرغ، وفراغ القلوب خراب، والبيت الخرب تسكنه

البوم والغربان، والقلب الخراب تسكنه الوساوس والهموم والأحقاد والأنكاد.. اعمر قلبك بالقرآن يستنر ويتطهر؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنْ الْقُرْآنِ، كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ**» [صحيح الترمذي (٢٩١٣)].

١٤- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنْ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ**» [مسلم (٥٠٥٨)]. سبحان الملك! الجنة خمسمائة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام؛ فانظر كم الفرق بين الأدنىٰ والأعلىٰ، والله إنها مسافة لا تتصور.

ولماذا يرضىٰ بالنزول من يستطيع العلو، وفي الجنة تكون درجتك علىٰ حسب ما معك من القرآن، ولن تعطىٰ هنالك مصحفًا تقرأ منه؛ إنما هو الحفظ والإتقان؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» [صحيح الترمذي (١٤٦٤)].

١٥- حق الوالدين عظيم وقلما يستطيع أحد أن يوفي والديه حقهما، أما إذا تولىٰ الملك العظيم ﷻ إيفاء الوالدين هذه الحقوق؛ فإن الكريم إذا أعطىٰ أعطىٰ بغير حساب.

وأهل القرآن يتولىٰ الله عنهم سبحانه وهو الكريم أداء حق الوالدين، بشرط أن يعمل الرجل بالقرآن؛ فعن سهل بن معاذ الجهني رضي الله عنه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟!**» [صحيح أبي داود (١٤٥٣)].

١٦- من أمتع المشاعر والأحاسيس الشعور بالأمان وإذا كان الحذر من عذاب الله لازم لكل إنسان؛ فكيف بك إذا عرفت أن القرآن أمان؟! هل تنصرف عن مأدبة

الله؟؟ إذا أحببت القرآن فأبشر بالأمان؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لا يُعْذِب قَلْبًا وَعَىٰ الْقُرْآنَ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ فَهُوَ آمِنٌ**» [صححه الحافظ في الفتح (٩/ ٧٩)].

١٧- كن علىٰ يقين من الأمان مهما كان إذا وعىٰ قلبك القرآن وتأكد أنك إن حفظته وعملت به فلن تدخل النار، لقد ضرب رسول الله ﷺ لذلك مثلًا فقال: «**لَوْ أَنَّ الْقُرْآنَ جُعِلَ فِي إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ**» [صحيح مسند الإمام أحمد (٤/ ١٥٤)].

١٨- الحب نعمة، وقد يشتهي الإنسان أحيانًا أن يحبه بعض الناس وقد يشتهي أن يحب هو الآخر بعض الناس، ولكنه لا يستطيع وإذا كان في المعاملة مع الله ليس الشأن أن تحب؛ إنما الشأن أن تحب، فكيف الشأن إذا كان ممكنًا أن تُحِبَ وتُحَبَ؟ خذ هذه الهدية قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ فَلْيَنْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ فَلْيَنْظُرْ فِي الْمُصْحَفِ**» [السلسلة الصحيحة (٢٣٤٢)].

١٩- سبحان الملك العظيم، الذي لا يعرف قدر ذاته جل وعلا إلا هو سبحانه وتعالى!! إن من الواجب علىٰ كل البشر، واللازم لكل الخلق تعظيم الله وإجلاله سبحانه جل جلاله فانظر كيف يشترط رسول الله ﷺ لإجلال الله تعالىٰ إكرام حامل القرآن فأي إكرام بعد هذا الإكرام وأي إهانة لمن رغب عن هذا الإكرام وتخلىٰ عنه؟ فعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ عز وجل: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**» [صحيح أبي داود (٤٨٤٣)].

٢٠- حامل القرآن يُقَدَّم في الآخرة كما يقدم في الدنيا، هذا حقه.. إكرام من الله له، وانظر معي كيف آثر رسول الله ﷺ حامل القرآن وقدمه حتىٰ في القبر؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلىٰ أحد في ثوب واحد ثم يقول: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ**» فإذا أشير إلىٰ أحدهما قدمه في اللحد. [البخاري (١٢٥٧)].

آداب متعلم القرآن

القرآن كلام الله العظيم ﷻ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

فإذا علم التالي أنه إنما يتلو كلام الله، أو يتعلم كتاب الله، فلابد حينئذٍ من توقيره واحترامه، والتأدب معه كما ينبغي، والآداب كثيرة أذكر لك طرفًا منها، فَانْوِ العمل، واستعن بالله، ولا تغتر ولا يغرنك أحوال السفلة من الناس الذين لا يتأدبون مع القرآن، بل كلما زاد وقار الله في قلبك زاد حبك للقرآن وتأدبك معه:

١- أن يُخلص النية، ويقصد بذلك رضا الله تعالىٰ.

٢- لا يقصد بتعلمه توصُّلًا إلىٰ غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة، أو ارتفاع علىٰ أقرانه، أو ثناء عند الناس، أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». (يعني: ريحها).

٣- وينبغي للمتعلم أن يتخلق بالخصال الحميدة من:

- السخاء، والجود، ومكارم الخلاق، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ». [البخاري (٦)].

- طلاقة الوجه، والحلم، والصبر، عوتب رسول الله ﷺ في القرآن حين عبس وجهه، وهو ﷺ أحسن الناس خلقًا؛ فكن بشوشًا، وأحسن إلىٰ الناس وإن أساءوا.

- التنزُّه عن دنيء المكاسب، وتحري أكل الحلال.

- ملازمة الخشوع والسكينة، والوقار والتواضع، والخضوع، قال الله سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

- اجتناب الضحك، وترك المزاح مطلقًا في مجالس القرآن.

- يحذر من الحسد والرياء، والعجب والكبر، واحتقار غيره وإن كان دونه.

- يستعمل دومًا الأحاديث الواردة في التسبيح والتهليل ونحوهما من الأذكار والدعوات.

- ويراقب الله -تعالىٰ- في سره وعلانيته، ويحافظ علىٰ ذلك، ويجب أن يكون معتمدًا في جميع أموره علىٰ الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة:١٢٤].

٤- يصون يديه في حال القراءة أو التسميع عن العبث، ويحفظ عينه عن تفريق نظرهما من غير حاجة.

٥- المداومة علىٰ استعمال السواك، لتطييب الفم قبل القراءة.

٦- إذا وصل إلىٰ موضع جلوسه صلىٰ ركعتين قبل الجلوس.

٧- يقعد علىٰ طهارة مستقبل القبلة، منكسرًا، حاضر القلب.

٨- يجلس بوقار، وتكون ثيابه بيضاء نظيفة، ويلبس قلنسوة أو عمامة.

٩- يجلس متربعًا إن شاء، أو غير متربع بأدب ووقار.

١٠- يجتنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل.

١١- ينبغي أن يطهر قلبه من الأدناس؛ ليصلح لقبول القرآن وحفظه واستثماره.

١٢- ينبغي أن يتواضع لمعلمه، ويتأدب معه وإن كان أصغر منه سنًا.

١٣- ينبغي أن ينقاد لمعلمه، ويشاوره في أموره، قبل قوله.

١٤- لا يتعلم إلا ممن كملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته.

١٥- عليه أن ينظر إلىٰ معلمه بعين الاحترام والتوقير.

١٦- من حق المعلم عليك أن تسلم علىٰ الناس عامة، وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تجلس خلفه، ولا تشيرن عنده بيدك، ولا تغمزن بعينك، ولا تقولن: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تشاور جليسك في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه إذا قام، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته.

١٧- أن يرد غيبة شيخه إن قدر، فإن تعذر عليه ردها فارق ذلك المجلس.

١٨- ويدخل علىٰ الشيخ كامل الخصال متطهرًا، مستعملًا للسواك فارغًا من الأمور الشاغلة.

١٩- لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ في مكان يحتاج فيه إلىٰ استئذان.

٢٠- يقعد بين يدي الشيخ قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين.

٢١- ولا يرفع صوته، رفعًا بليغًا من غير حاجة.

٢٢- ولا يضحك، ولا يكثر الكلام من غير حاجة.

٢٣- ولا يعبث بيده ولا بغيرها، ولا يلتفت يمينًا ولا شمالًا من غير حاجة، بل يكون متوجهًا إلىٰ الشيخ مصغيًا إلىٰ كلامه.

٢٤- لا يقرأ علىٰ الشيخ في حال شغل قلب الشيخ وملله، وغمه وفرحه وعطشه ونعاسه وقلقه، ونحو ذلك مما يشق عليه أو يمنعه من كمال حضور القلب والنشاط.

٢٥- يغتنم أوقات نشاط الشيخ.

٢٦- يتحمل جفوة الشيخ، ولا يصده ذلك عن ملازمته واحترامه، وإن جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلىٰ الشيخ، وأظهر أن الذنب له والعتب عليه، فذلك أنفع له

في الدنيا والآخرة وأنقىٰ لقلب الشيخ.

٢٧- أن يكون حريصًا علىٰ التعلم، مواظبًا عليه في جميع الأوقات التي يتمكن منه فيها.

٢٨- لا يقتنع بالقليل من العلم مع تمكنه من الكثير.

٢٩- لا يحمل نفسه ما لا يطيق مخافة من الملل وضياع ما حصَّل.

٣٠- إذا جاء إلىٰ مجلس الشيخ فلم يجده انتظره، ولازم بابه ولا يفوت وظيفته إلا أن يخاف كراهة الشيخ لذلك.

٣١- إذا وجد الشيخ نائمًا أو مشتغلًا بشيء لم يستأذن عليه بل يصبر إلىٰ استيقاظه أو فراغه، أو ينصرف والصبر أولىٰ.

٣٢- يحافظ علىٰ قراءة محفوظه ويراجعه دومًا.

٣٣- لا يحسد أحدًا من رفقته أو غيرهم علىٰ فضيلة رزقه الله إياها.

٣٤- لا يعجب بنفسه بما خصه الله، وأن يذكر نفسه أنه لم يحصل ما حصله بحوله وقوته؛ وإنما هو فضل من الله، و لا ينبغي أن يعجب بشيء لم يخترعه بل أودعه الله تعالىٰ عنده لينظر كيف يعمل فيه؛ فإنما هو حجة الله سبحانه.

آداب حامل القرآن

١- حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن.

٢- أن يكون علىٰ أكمل الأحوال وأكرم الشمائل تعظيمًا لما في جوفه من كلام الله سبحانه وتعالى.

٣- يرفع نفسه عن كل ما نهىٰ القرآن عنه إجلالًا للقرآن.

٤- وأن يكون مصونًا عن دنيء الاكتساب شريف النفس عفيفًا.

٥- متواضعًا للصالحين وأهل الخير والمساكين.

٦- وأن يكون متخشعًا ذا سكينة ووقار.

٧- أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها.

٨- ينبغي أن يحافظ علىٰ تلاوته ويكثر منها، وأن يكون عالي الهمة في ذلك لا يقنع بالقليل.

٩- ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤]

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل:١-٤]، وقد ذكر أهل العلم أن أكثر القرآن إنما نزل بليل.

١٠- يتعهد القرآن ولا يعرضه للنسيان، فإن أعظم ذنوب أمة النبي ﷺ: رجل أوتي آية أو سورة ثم نسيها.

آداب القراءة

١- يجب على القارئ الإخلاص.

٢- مراعاة الأدب مع القرآن، فينبغي أن تستحضر في نفسك أنك تناجي الله ﷻ.

٣- تقرأ على حال من يرى الله ﷻ؛ فإنك إن لم تكن تراه فإن الله تعالى يراك.

٤- ينبغي إذا أردت القراءة أن تنظف فاك بالسواك.

٥- يستحب أن تقرأ وأنت على طهارة.

٦- ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار، ولهذا استحب القراءة في المسجد؛ لكونه جامعًا للنظافة وشرف البقعة، ومحصلًا لفضيلة أخرى وهي الاعتكاف؛ فإنه ينبغي لكل جالس في المسجد الاعتكاف، سواء أكثر في جلوسه أو أقل، بل ينبغي عليه عند أول دخوله المسجد أن ينوي الاعتكاف.

٧- يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة، ويجلس متخشعًا بسكينة ووقار، مطرقًا رأسه ويكون جلوسه وحده في تحسين أدبه وخضوعه كجلوسه بين يدي معلمه، ولو قرأ قائمًا، أو مضطجعًا أو في فراشه، أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر ولكن دون الأول.

٨- فإن أراد الشروع في القراءة استعاذ فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أو يزيد: من همزه ونفخه ونفثه.

٩- وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة سوى سورة براءة.

١٠- فإذا شرع في القراءة؛ فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة.

١١- استحباب ترديد الآية للتدبر.

١٢- البكاء مستحب مع القراءة، وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن؛ بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء مما يحضر الخواص؛ فليبك علىٰ فقد ذلك؛ فإنه من أعظم المصائب.

١٣- ينبغي أن يرتل قراءته قال الله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ لأن ذلك أقرب إلىٰ التوقير والاحترام، وأشد تأثيرًا في القلب.

١٤- ويستحب إذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب أو يقول: اللهم إني أسألك العافية أو أسألك المعافاة من كل مكروه، وإذا مر بآية تنزيه لله ﷻ نزه فقال: ﷻ، أو تبارك وتعالىٰ، أو جَلَّت عظمة ربنا.

١٥- احترام القرآن وتعظيمه وتوقيره والحذر من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين وخصوصًا إذا كانوا مجتمعين فمن ذلك:

- يجب اجتناب الضحك، واللغط والمزاح.
- ويجب ترك الحديث أثناء قراءة القرآن واستماعه، إلا كلامًا يضطر إليه.
- واحذر العبث باليد وغيرها؛ فإنك تناجي ربك ﷻ فلا تعبث بين يديه.
- واحذر النظر إلىٰ ما يلهي أو يبدد الذهن.
- واحذر النظر إلىٰ ما لا يجوز النظر إليه.

وعلىٰ الحاضرين مجلس القراءة إذا رأوا شيئًا من هذه المنكرات المذكورة أو غيرها أن ينهوا عنه -حسب الإمكان- باليد لمن قدر، وباللسان لمن عجز عن اليد؛ وإلا فلينكر بقلبه.

١٦- يستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها.

١٧- قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر.

آداب الناس كلهم مع القرآن

الأدب مع كتاب الله تعالى هو:

١- الإيمان بأنه كلام الله تعالىٰ وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر علىٰ مثله الخلق بأسرهم فلا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله، أو حتىٰ بآية واحدة.

٢- تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها.

٣- إقامة حروفه في التلاوة وتحسين تجويده وتزيين القرآن بصوته.

٤- التصديق بكل ما فيه.

٥- الوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه والتفكر فيه.

٦- العمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه.

٧- تعظيم القرآن العزيز علىٰ الإطلاق وتنزيهه وصيانته.

٨- يحرم تفسيره بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها.

٩- يحرم المراء في القرآن والجدال فيه بغير حق.

١٠- ينبغي لمن أراد السؤال عن تقديم آية في المصحف أو مناسبة هذه الآية في الموضع ونحو ذلك أن يقول: ما الحكمة في كذا.

١١- يكره أن يقول نَسيت آية كذا، بل يقول أُنسيتها أو أُسقطتها.

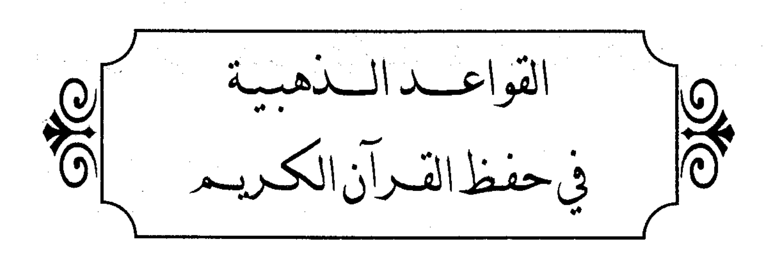
١٢- لا يمنع الكافر من سماع القرآن لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

١٣- يكره نقش الحيطان والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالىٰ تعظيمًا لها.

١٤- حب القرآن والاستغناء به والاستمتاع والتلذذ بتلاوته.

١٥- التداوي بالقرآن عقيدة ويقينًا فإنه شفاء لجميع الأمراض القلبية والبدنية الحسية والمعنوية.





القاعدة الأولى: الإخلاص

وجوب إخلاص النية، وإصلاح القصد، وجعل حفظ القرآن والعناية به من أجل رضا الله ﷻ، والفوز بجنته وحصول مرضاته، فلا أجر ولا ثواب لمن قرأ القرآن وحفظه رياءً أو سمعة ولا شك أن من قرأ القرآن لا يريد به إلا الدنيا طالبًا بذلك الأجر الدنيوي فقط؛ فهو آثم، وممن تسعر بهم النار في الآخرة.

القاعدة الثانية: تصحيح النطق والقراءة

ولا يكون ذلك إلا بالسماع من قارئ مجيد أو حافظ متقن والصبر علىٰ ذلك، والقرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي فلابد من تعلم التجويد؛ فإن تعلمه فرض عين علىٰ كل مسلم، وهذا رأي الجمهور.

القاعدة الثالثة: تحديد نسبة الحفظ كل يوم

يجب علىٰ مريد حفظ القرآن أن يحدد ما يستطيع حفظه في اليوم: عددًا من الآيات مثلًا أو صفحة أو صفحتين من المصحف أو ثُمنًا أو رُبعًا للجزء يجتهد ألا ينقص عنه أبدًا ولا يزيد عليه وإن وجد في نفسه نشاطًا صرفه لمراجعة السابق أو تلاوة التدبر، وهكذا.

القاعدة الرابعة: تكرار الآيات

يبدأ بعد تحديد مقدار حفظه، وتصحيح قراءته بالتكرار والترداد ويجب أن يكون هذا التكرار مع التغني وذلك لدفع السآمة أولًا، وليثبت الحفظ ثانيًا وليهيج

القلب علىٰ حب القرآن وإدمان تلاوته.

القاعدة الخامسة: إجادة الحفظ

لا تجاوز مقررك اليومي حتىٰ تجيد حفظه تمامًا، فلا يجوز للحافظ أن ينتقل إلىٰ مقرر جديد في الحفظ إلا إذا أتم تمامًا حفظ المقرر القديم، وذلك ليثبت ما حفظه تمامًا في الذهن ولا يستعجل ولا يتباهىٰ بكثرة الحفظ أو سبق الرفقة.

القاعدة السادسة: دوام التلاوة

مما يعين علىٰ حفظ المقرر أن يجعله الحافظ شغله طيلة ساعات النهار والليل، وذلك بقراءته في الصلاة السرية وإن كان إمامًا ففي الجهرية، وكذلك في النوافل وكذلك في أوقات انتظار الصلوات، وفي ختام الصلاة وتسميعه لغيره، وسماعه من الأشرطة وغيرها.

القاعدة السابعة: احذر الحسد

لا تكثر الكلام عن حفظك ومقداره، أو كثرته أو سرعته؛ فإن العين حق كما قال النبي ﷺ والإيمان يُحْسَد فلا تتكلم كثيرًا قال رسول الله ﷺ: «**الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ**» [صحيح الترمذي (٢٨٤٣)].

وقد أخبرنا ربنا ﷻ أن صدقة السر أفضل، فقال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢٧١].

فاحفظ، واستكمل القرآن في هدوء؛ لئلا تحسد، وليكون أيسر أيضًا في تحقيق الإخلاص.

القاعدة الثامنة: رسم واحد لمصحف الحفظ

حافظ علىٰ رسم واحد لمصحف حفظك؛ فإن مما يعين تمامًا علىٰ الحفظ أن يجعل الحافظ لنفسه مصحفًا خاصًا لا يغيره مطلقًا، وذلك أن الإنسان يحفظ بالنظر

كما يحفظ بالسمع، ويكون بينه وبين مصحفه الخاص ألفة فيحبه ويتشجع دائمًا علىٰ النظر فيه، ويعرف مواضعه الخاصة من بداية الصفحة ونهايتها، ومواضع الآيات فيه وبداية ونهاية الأرباع والأجزاء.

القاعدة التاسعة: الفهم طريق الحفظ

من أعظم ما يعين علىٰ الحفظ فهم الآيات المحفوظة ومعرفة وجه ارتباط بعضها ببعض، ولذلك يجب علىٰ الحافظ أن يقرأ تفسيرًا للآيات التي يريد حفظها، وأن يعلم وجه ارتباط بعضها ببعض.

القاعدة العاشرة: حضور الذهن

حضور القلب وتفريغ الذهن من الشواغل والهموم من أهم عوامل تسهيل حفظ القرآن، ومن ذلك أيضًا عدم استعجال الانصراف وإنهاء الحلقة أو وقت الحفظ، فيجلس الإنسان للحفظ متفرغًا حاضر القلب كل همه في التركيز فيما يحفظ؛ فإنه حين يكون حاضر الذهن عند القراءة يسهل عليه استذكار الآيات، واستحضارها ثم استرجاعها.

القاعدة الحادية عشرة: لا تجاوز سورة حتى تربط أولها بآخرها

بعد تمام سورة ما من سور القرآن لا ينبغي للحافظ أن ينتقل إلىٰ سورة أخرىٰ إلا بعد إتمام حفظها تمامًا، وربط أولها بآخرها وأن يُجري لسانه بها بسهولة ويسر ودون إعناء فكر وكد في تذكر الآيات ودومًا النصيحة: (اصبر.. ولا تتعجل) فإن من تأنىٰ؛ نال ما تمنىٰ.

القاعدة الثانية عشرة: التسميع الدائم

يجب علىٰ الحافظ ألا يعتمد علىٰ حفظه بمفرده بل يجب أن يعرض حفظه دائمًا علىٰ حافظ آخر، أو متابع في المصحف، حبذا لو كان هذا مع حافظ متقن وذلك حتىٰ ينبهه الحافظ بما يمكن أن يدخل في القراءة من خطأ، والفروق بين الآيات

المتشابهات كذلك.

القاعدة الثالثة عشر: المتابعة الدائمة

القرآن سريع الهروب من الذهن بل قال رسول الله ﷺ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**» [مسلم (٧٩١)]، ولذلك فلابد من المتابعة الدائمة والسهر الدائم علىٰ المحفوظ من القرآن.

القاعدة الرابعة عشر: ورد دائم

يجب علىٰ حافظ القرآن أن يكون له ورد دائم في المراجعة، أقله جزء من الثلاثين جزءًا من القرآن كل يوم، وبهذه المتابعة الدائمة والرعاية المستمرة يستمر الحفظ ويبقىٰ، ومن غيرها يتفلت القرآن.

القاعدة الخامسة عشر: العناية بالمتشابهات

القرآن متشابه في معانيه وألفاظه وآياته وإذا كان القرآن فيه نحوًا من ستة ألاف آية ونيف فإن هناك نحوٌ من ألفي آية تتشابه بوجه ما قد يصل أحيانًا حد التطابق أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة أو اثنتين أو أكثر؛ لذلك يجب علىٰ قارئ القرآن المجيد أن يعتني عناية خاصة بالمتشابهات من الآيات.

ومن أشهر الكتب التي تساعده في ذلك:

١) عون المعبود في حفظ القرآن: للشيخ/ أبو ذر القلموني.. المعاصر.

٢) أسرار التكرار في القرآن: للشيخ/ محمود بن حمزة بن نصر الكرماني.

القاعدة السادسة عشر: اغتنم سني الحفظ الذهبية

سنوات الحفظ الذهبية من سن الخامسة إلىٰ الثالثة والعشرين تقريبًا فالإنسان في هذه السن تكون حافظته جيدة جدًا، وعلىٰ الإنسان أن يستغل سنوات الحفظ الذهبية في حفظ كتاب الله، أو ما استطاع من ذلك والحفظ في هذا السن يكون سريعًا جدًا والنسيان يكون بطيئًا جدًا، فأكثر السلف الكرام حفظوه ما بين السابعة إلىٰ الرابعة عشر.

ولكن ليس معنىٰ هذا أنه لا يمكن الحفظ في غير هذه السن، بل قد حفظ بعض الناس القرآن بعد الستين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم؛ فجاهد واجتهد وواصل واتصل تصل.. ولكل مجتهد نصيب.

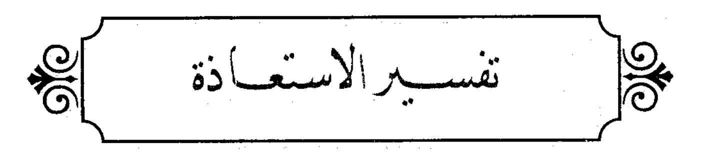




الفصل الثاني

التفسير





تفسير الاستعاذة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

أعوذ: أستجير وأتحصن وألتجئ وأحتمي.

الله: لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية وإليه تضاف جميع الأسماء الحسنى.

الشيطان: إبليس لعنه الله.

الرجيم: المطرود من رحمة الله.

المعنى الإجمالي: أستجير وأتحصن بجناب الله العظيم رب كل شيء، والقادر على كل شيء، والعليم بكل شيء، من الشيطان الطريد أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه.



فضائل بعض السور

فضل سورة الفاتحة:

١- قال رسول الله ﷺ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ» [البخاري (٤٢٠٤)].

٢- عن النبي ﷺ: قال: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهْيَ خِدَاجٌ -ثَلاثًا- غَيْرُ تَمَامٍ» [مسلم (٣٩٥)].

قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» [مسلم (٣٩٥)].

فضل المعوذتين:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ يَقْرَأُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ» [البخاري (٤٧٢٨)].

معنىٰ الحديث: أن النبي ﷺ كان إذا مرض يرقي نفسه بالمعوذات؛ فتكون سببًا للشفاء بإذن الله.

٢- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». [مسلم (٨١٤)].

٣- عن محمد بن إبراهيم أن عابس الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا ابْنَ عَابِسٍ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ**» قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» [صحيح النسائي (٥٤٣٢)].

فضل سورة الإخلاص:

١- قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**» [البخاري (٤٦٢٧)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَقْبَلْتُ مَعَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**وَجَبَتْ**» قُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**الْجَنَّةُ**» [صحيح الترمذي (٢٨٢٢)].

٢- عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّىٰ يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَىٰ اللهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ**» [صحيح الجامع (٦٤٧٢)].

فضل سورة الكوثر:

١- عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ -أَوْ طِيبُهُ- مِسْكٌ أَذْفَرُ**» [البخاري (٦٠٥٩)].

٢- عَنْ أَنَسِ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَغْفَىٰ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِغْفَاءَةً فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ: «**إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةَ** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾» فَقَرَأَ حَتَّىٰ خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عز وجل فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ الْكَوَاكِبِ**» [صحيح النسائي (٩٠٤)].

سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: أي: أقرأ بتسمية الله وذكره، وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا، وأستعين ببركة اسم الله الذي لا معبود بحق إلا هو ذو الرحمة الواسعة علىٰ تلاوة كتابه العزيز.

﴿الْعَالَمِينَ﴾: جميع الخلق.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الثناء علىٰ الله مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب بأنه أهل الحمد، ومستحق بأن يحمد، ثناء باللسان مع محبته وتعظيمه سبحانه فله الحمد كله وله الشكر كله.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: أي: ذو الرحمة العظيمة التي لا تنتهي.

﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾: يوم القيامة، والدين: يعني الحساب.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: مالك الأمر كله في يوم القيامة.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أي: نخصك وحدك بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب منك وحدك المعونة علىٰ العبادة وغيرها.

﴿الصِّرَاطَ﴾: الطريق.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: أرشدنا إلىٰ الطريق الواضح الموصل إليك وإلىٰ جنتك؛ وهو معرفة الحق والعمل به والثبات علىٰ ذلك حتىٰ الممات.

﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود، الذين عرفوا الحق، ورفضوا أن يتبعوه.

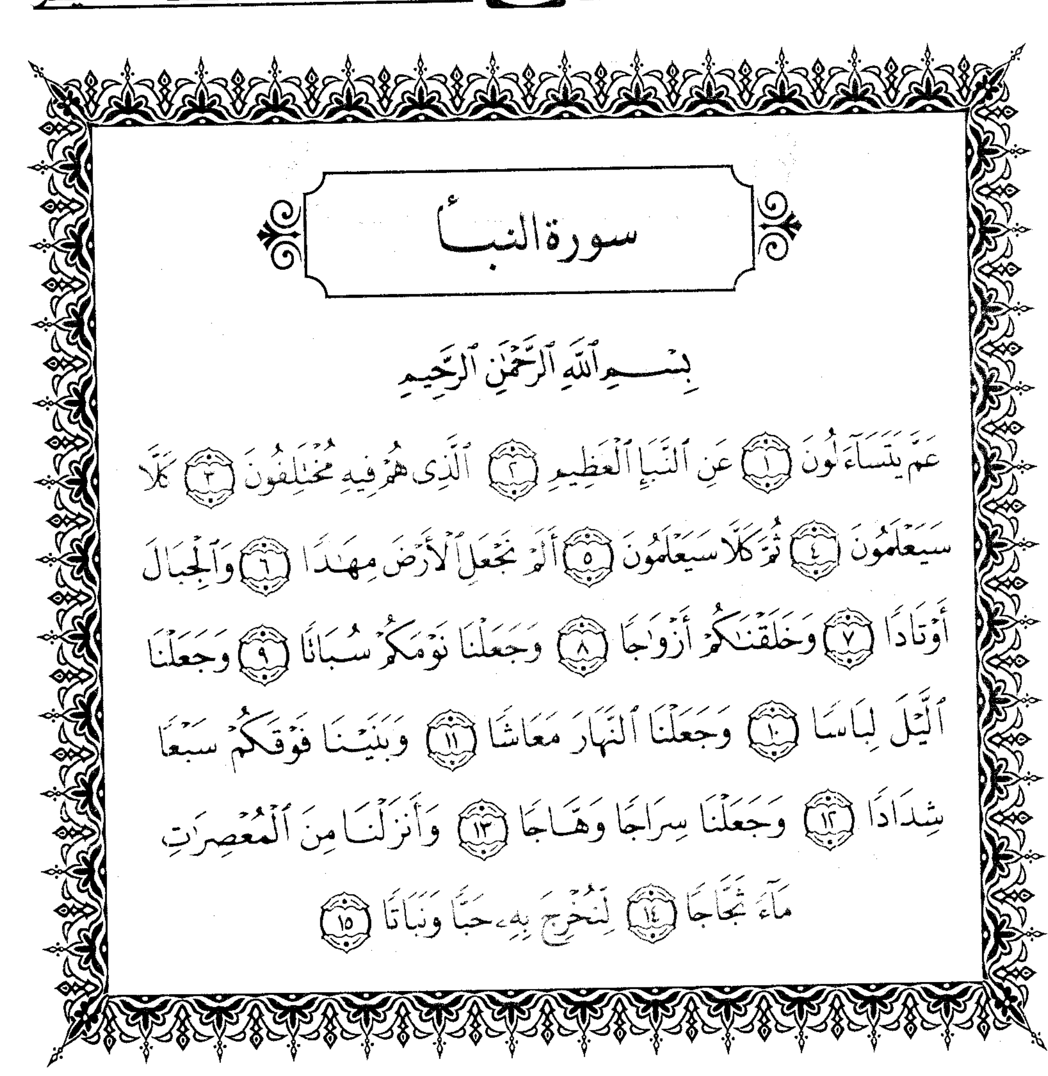
﴿الضَّالِّينَ﴾: النصارىٰ: الذين ضلوا فلم يعرفوا الحق، ولم يتبعوه.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾: أي: أرشدنا إلىٰ طريق

المؤمنين الموصل إلىٰ الجنة، غير طريق الذين غضبت عليهم من اليهود، ولا الذين ضلوا من النصارىٰ.

✰ إشارة مهمة: كلمة آمين ليست من الفاتحة وإنما هي دعاء بمعنىٰ: اللهم استجب.





سورة النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾

آيةٌ للعمل

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾

سترىٰ عملك يوم القيامة؛ فهل ستسوؤك أعمالك أم ستسرك؟؟

احرص اليوم علىٰ أن تُرْسِلَ إلىٰ هناك ما ينفعك ولا يضرك ولا يسوؤك بل يسرك.

سورة النبأ

﴿عَمَّ﴾: عن أي شيء.

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾: أي: عن أي شيءٍ يسأل هؤلاء الكفار بعضهم بعضًا.

﴿ٱلنَّبَإِ﴾: الخبر.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي يتساءلون عن الخبر العظيم الهام، وهو أمر البعث.

﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: أي: الذي اختلفوا فيه ما بين شاكٍ في وقوعه، ومكذب منكر لحصوله.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أي: سيعلمون حين يرون البعث أمرًا واقعًا، ويرون عاقبة استهزائهم.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أي: تهديد لهم وتأكيد بأنهم سيعلمون ما يحل بهم من العذاب.

﴿مِهَٰدًا﴾: ممهدة مستوية.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾: أي: ألم نجعل هذه الأرض التي تسكنونها ممهدة للاستقرار عليها.

﴿أَوْتَادًا﴾: مثبتة.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أي: وجعلنا الجبال كالأوتاد للأرض تثبتها؛ لئلا تميد بكم كما يثبت البيت بالأعمدة.

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أي: وجعلناكم -أيها الناس- أصنافًا ذكورًا وإناثًا.

﴿سُبَاتًا﴾: راحة لأبدانكم.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: أي: وجعلنا النوم راحة لأبدانكم، قاطعًا لأشغالكم تتخلصون به من مشاق العمل بالنهار.

﴿لِبَاسًا﴾: تلبسكم ظلمته وتغشاكم.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: جعلنا الليل كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه كما يستركم اللباس.

﴿مَعَاشًا﴾: متصرفًا لطلب المعاش.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: أي: وجعلنا النهار سببًا لتحصيل المعاش تتصرفون فيه لقضاء حوائجكم.

﴿سَبْعًا﴾: السماوات السبع.

﴿شِدَادًا﴾: محكمة الخلق، وثيقة البنيان.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾: أي: وبنينا فوقكم -أيها الناس- سبع سماوات محكمة الخلق، بديعة الصنع متينة في إحكامها وإتقانها، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان، خلقناها بقدرتنا؛ لتكون كالسقف للأرض.

﴿سِرَاجًا﴾: مصباحًا، وهو الشمس.

﴿وَهَّاجًا﴾: مضيئًا بشدة.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: أي: وأنشأنا لكم شمسًا منيرة ساطعة، يتوهج ضوؤها ويتوقد لأهل الأرض كلهم، دائمة الحرارة والتوقد.

﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: السحاب المليء بالمطر.

﴿ثَجَّاجًا﴾: منصبًا بكثرة مع التتابع.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾: أي: وأنزلنا من السحب التي حان وقت إمطارها ماءً دافقًا منهمرًا بشدة وقوة.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾: أي: لنخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والزروع التي تنبت في

الأرض غذاء للإنسان والحيوان.

﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفة الأشجار.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾: أي: وحدائق وبساتين كثيرة الأشجار والأغصان ملتفة بعضها علىٰ بعض لكثرة أغصانها وتقارب أشجارها.

ذكر تعالىٰ هذه الأدلة التسع علىٰ قدرته تعالىٰ، كبرهان واضح علىٰ إمكان البعث والنشور فإن من قدر علىٰ هذه الأشياء قادرٌ علىٰ البعث والإحياء.

وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: يوم القيامة، يفصل الله بين العباد أي: يحكم بينهم.

﴿مِيقَٰتًا﴾: وقتًا ومجمعًا وميعادًا للأولين والآخرين.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾: أي: يوم الحساب والجزاء، ويوم الفصل بين الخلائق

له وقت محدود معلوم في علمه تعالىٰ وميقاته لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿ٱلصُّورِ﴾: كهيئة البوق، والملك الذي ينفخ فيه هو إسرافيل وهو ينفخ فيه ثلاث نفخات الأولىٰ: ليموت جميع أهل الأرض، والثانية: لبعثهم أحياء مرة أخرىٰ، والثالثة: لجمعهم للحساب والعرض.

﴿أَفْوَاجًا﴾: أممًا أو جماعات.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: أي: يكون ذلك يوم ينفخ في الصور نفخة القيامة من القبور فتحضرون جماعات جماعات وزمرًا زمرًا للحساب والجزاء.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: أي: تشققت السماء من كل جانب حتىٰ كان فيها صدوع وفتوق كالأبواب في الجدران؛ لنزول الملائكة.

﴿سَرَابًا﴾: أي: لا شيء.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: أي: ونسفت الجبال وقلعت من أماكنها حتىٰ أصبح يخيل إلىٰ الناظر أنها شيء وليست بشيء؛ كالسراب يظنه الرائي ماءً وليس بماء.

﴿مِرْصَادًا﴾: موضع ترصد وترقب للكافرين.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: إن جهنم تنتظر وتترقب نزلاءها الكفار كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه؛ ليأخذه علىٰ حين غرة، وهي مترقبة ومتطلعة لمن يمر عليها من الكفار الفجار لتلتقطهم إليها.

﴿مَـَٔابًا﴾: مرجعًا ومأوىٰ.

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾: أي: هي مرجع ومأوىٰ ومنزل للطغاة المجرمين.

﴿أَحْقَابًا﴾: جمع حقب والحقب هو الدهر أو مدة زمنية طويلة.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: أي: ماكثين في النار دهورًا متتابعة لا نهاية لها. وهي لا تنقطع كلما مضىٰ حقب جاء حقب؛ لأن أحقاب الآخرة لا نهاية لها.

﴿بَرۡدًا﴾: برودة تخفف حر النار.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدًا وَلَا شَرَابًا﴾: أي: لا يذوقون في جهنم برودة تخفف عنهم حر النار ولا شرابًا يسكن عطشهم فيها.

﴿حَمِيمًا﴾: ماء بالغ نهاية الحرارة.

﴿وَغَسَّاقًا﴾: صديد يسيل من جلودهم.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾: أي: لا يجدون ما يشربونه إلا ماءً حارًا بالغًا الغاية في الحرارة، وغساقًا أي: صديدًا يسيل من جلود أهل النار.

﴿وِفَاقًا﴾: موافقًا أو من جنسه.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: أي: عاقبهم الله بذلك جزاءً موافقًا لأعمالهم السيئة.

﴿يَرۡجُونَ﴾: ينتظرون ويعملون له حسابًا.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابًا﴾: أي: لم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء ولا يؤمنون بلقاء الله فجازاهم الله بذلك الجزاء العادل.

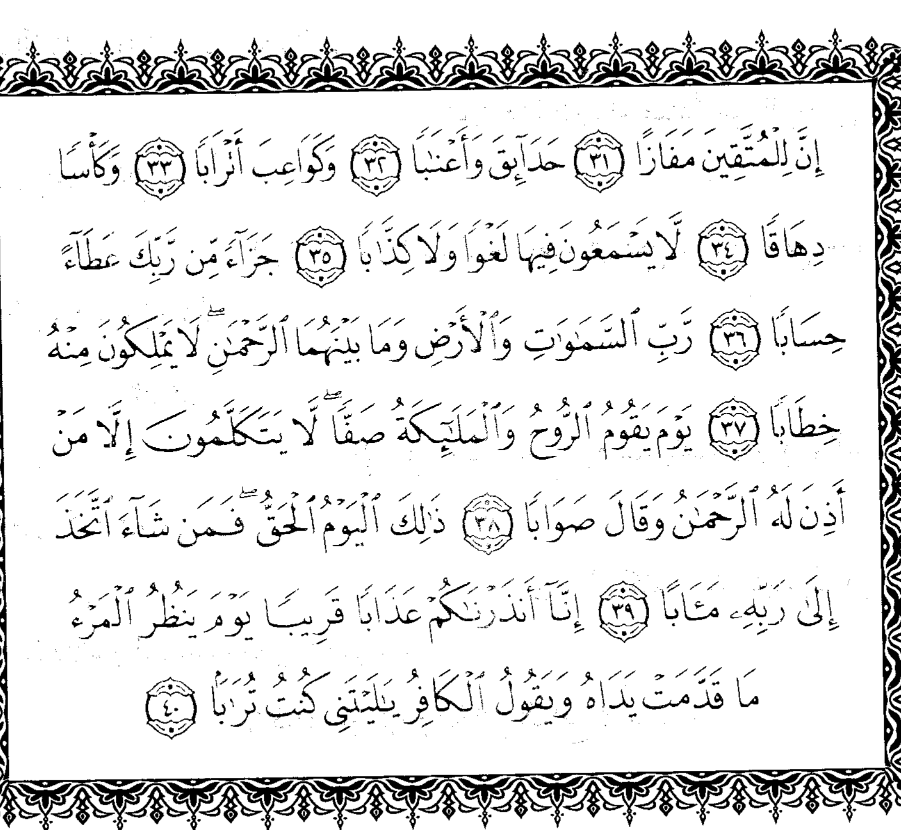
﴿كِذَّابًا﴾: تكذيبًا شديدًا.

﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: أي: وكانوا يكذبون بآيات الله الدالة علىٰ البعث وبالآيات القرآنية تكذيبًا شديدًا.

﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾: حفظناه وضبطناه.

﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبًا﴾: أي: وكل ما فعلوه من جرائم وآثام ضبطناه في كتاب؛ لنجازيهم عليه.

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾: أي: فذوقوا -يا معشر الكفار- فلن نزيدكم علىٰ استغاثتكم إلا عذابا فوق عذابكم.



إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا (٤٠)

﴿مَفَازًا﴾: فوزًا ونجاة.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: أي: إن للمؤمنين الأبرار الذين أطاعوا ربهم في الدنيا موضع ظفر وفوز بجنات النعيم وخلاص من عذاب الجحيم.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾: أي: بساتين ناضرة فيها من جميع الأشجار والأزهار وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة، من كل ما تشتهيه النفوس.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾: أي: ونساءً عذارى، وهن فتيات في سن واحدة.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: أي: وكأسا من الخمر ممتلئة صافية.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾: أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا فارغًا لا فائدة فيه ولا كذبًا من القول؛ لأن الجنة دار السلام، وكل ما فيها سالم من الباطل والنقص.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: أي: جازاهم الله بذلك الثواب العظيم تفضلًا منه

وإحسانًا كافيًا على حسب أعمالهم.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: أي: هذا الجزاء صادرٌ من الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي: لا يقدر أحدٌ أن يخاطبه في دفع بلاء أو رفع عذاب في ذلك اليوم هيبة وإجلالًا.

﴿ٱلرُّوحُ﴾: جبريل عليه السلام.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: أي: في ذلك اليوم الرهيب يقف جبريل والملائكة مصطفين خاشعين.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: أي: لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن الله له بالكلام والشفاعة ونطق بالصواب.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: ذلك هو اليوم الكائن الواقع لا محالة.

﴿مَـَٔابًا﴾: مرجعًا.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: أي: فمن شاء أن يسلك إلىٰ ربه مرجعًا كريمًا بالإيمان والعمل الصالح؛ فليفعل.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾: أي: إنا حذرناكم وخوفناكم عذابًا قريبًا وقوعه هو عذاب الآخرة، سماه قريبًا؛ لأن كل ما هو آت قريب.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أي: يوم يرىٰ كل إنسان ما قدم من خير أو شر مثبتًا في صحيفته.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾: أي: ويتمنىٰ الكافر لو أنه لم يخلق ولم يكلف ويقول: يا ليتني كنت ترابًا حتىٰ لا أحاسب ولا أعاقب.

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

آيةٌ للعمل

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

إذا عظم العبد مقام ربه وآثر الله علىٰ هواه؛ تكون الجنة مأواه.

إذًا هما أمران:

تعظيم الله، مخالفة الهوىٰ = الجنة..

سورة النازعات

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: الملائكة تنزع أرواح الكفار.

﴿غَرۡقٗا﴾: نزعًا شديدًا مؤلمًا.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾: أقسم الله تعالىٰ بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعًا بالغًا أقصىٰ الغاية في الشدة.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: الملائكة تسل أرواح المؤمنين برفق.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾: وأقسم بالملائكة التي تنزع أرواح المؤمنين بسهولة ويسر وتسلها سلًا رفيقًا.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾: الملائكة تنزل مسرعة.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾: أي: وأقسم بالملائكة التي تنزل بأمر الله ووحيه من السماء -كالذي يسبح في الماء- مسرعين لتنفيذ أمر الله.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾: الملائكة تسبق الشياطين في إيصال الوحي.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾: أي: الملائكة التي تبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلىٰ رسل الله؛ لئلا تسرقه الشياطين أو تعرفه وتطلع عليه قبل نزوله من السماء.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾: الملائكة تنزل بالتدبير المأمور به.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: أي: الملائكة تدبر شؤون الكون بأمره تعالىٰ في الرياح والأمطار، والأرزاق، والأعمار وغير ذلك من شؤون الدنيا.

﴿تَرۡجُفُ﴾: تضطرب.

﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الزلزلة.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: أي: يوم ينفخ في الصور النفخة الأولىٰ التي يرتجف ويزلزل لها كل شيء.

﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: النفخة الثانية أو الصيحة.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: تتبعها النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي: قلوب الكفار في ذلك اليوم خائفة وجلة مضطربة.

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾: أي: أبصار أصحابها منكسرة ذليلة حقيرة؛ مما عاينت من الأهوال.

﴿لَمَرْدُودُونَ﴾: نرجع أو نرد.

﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾: الحالة الأولىٰ: الحياة.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾: أي: يقولون في الدنيا استهزاء واستبعادًا للبعث أنرد بعد الموت فنصير أحياءً بعد فنائنا ونرجع كما كنا أول مرة؟!

﴿نَّخِرَةً﴾: بالية متفتتة.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾: أي: هل إذا صرنا عظامًا بالية متفتتة سنرد ونبعث من جديد؟!

﴿كَرَّةٌ﴾: رجعة.

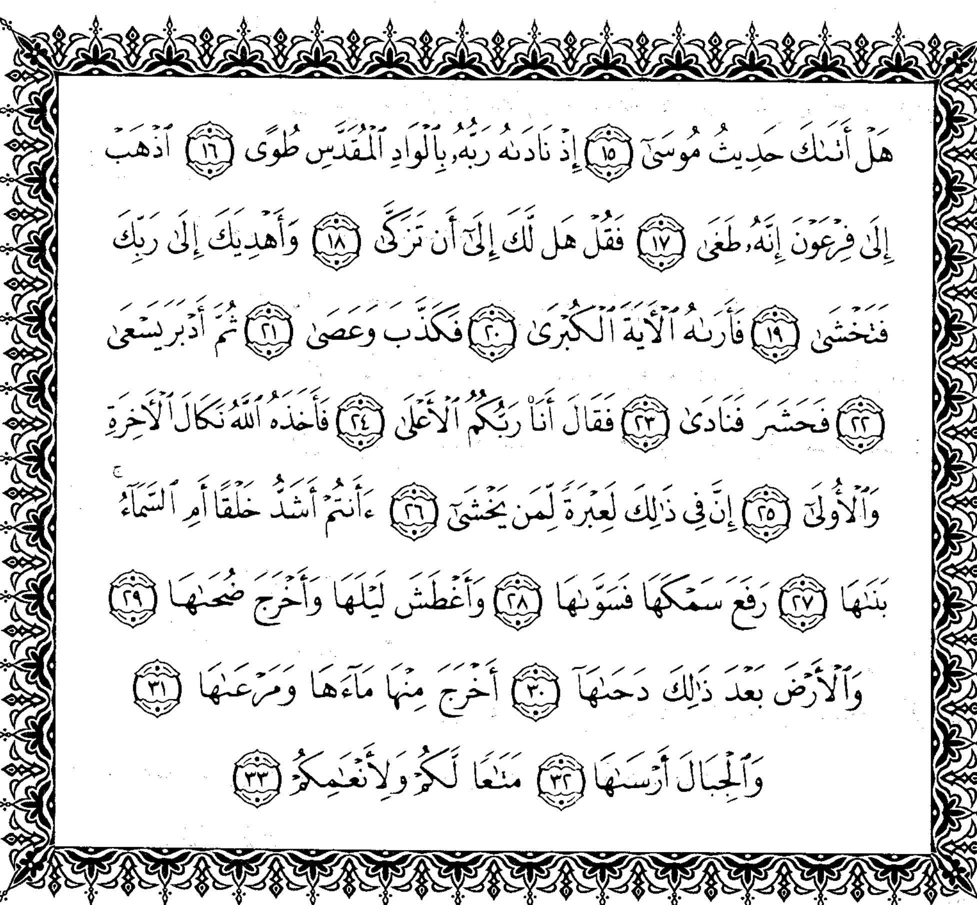
﴿خَاسِرَةٌ﴾: أهلها خاسرون.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أي: إن كان البعث حقًا وبعثنا بعد موتنا؛ فسوف نكون من الخاسرين؛ لأننا من أهل النار.

﴿زَجْرَةٌ﴾: صيحة أو نفخة.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: أي: فإنما هي صيحة واحدة ينفخ فيها في الصور للقيام من القبور.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: أي: فإذا الخلائق جميعًا علىٰ وجه الأرض بعدما كانوا في بطنها.



﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾: أي: هل جاءك خبر موسىٰ الكليم؟

﴿طُوًى﴾: الوادي الذي كلم الله فيه موسىٰ عليه السلام، وهو في أسفل جبل طور سيناء.

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: أي: حين ناجاه ربه بالوادي المطهر المبارك المسمىٰ طوىٰ.

﴿طَغَىٰ﴾: الطغيان: مجاوزة الحد، والمعنىٰ: جاوز القدر في العصيان.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: أي: اذهب إلىٰ فرعون الطاغية الجبار الذي جاوز الحد في الظلم والطغيان.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: هل لك رغبة وميل إلىٰ أن تسلم؛ فتطهر من الذنوب؟

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾: أي: وأرشدك إلىٰ معرفة ربك وطاعته؛ فتتقيه وتخشاه.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: أي: فذهب موسىٰ عليه السلام إليه ودعاه وكلمه فلما امتنع عن الإيمان؛ أراه المعجزة الكبرىٰ وهي أن تصير العصا حية تسعىٰ.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾: أي: فكذب فرعون نبي الله موسىٰ عليه السلام وعصىٰ أمر الله بعد ظهور تلك المعجزة الباهرة.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾: أي: ولىٰ مدبرًا معرضًا عن الإيمان، يسرع ويجتهد في العصيان والمعارضة.

﴿فَحَشَرَ﴾: جمع.

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾: أي: فجمع السحرة والجنود والأتباع ووقف خطيبًا في الناس.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: فقال لهم بصوت عالٍ: أنا ربكم المعبود العظيم الذي لا رب فوقي.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: أي: فأهلكه الله عقوبة له علىٰ مقالته الأخيرة: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ومقالته الأولىٰ وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾: أي: إن فيما ذكر من قصة فرعون وطغيانه وما حل به من العذاب والنكال؛ لعظة واعتبارًا لمن يخاف الله ﷻ ويخشىٰ عقابه.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾: أي: هل أنتم -يا معشر المشركين- أشق وأصعب خلقًا أم خلق السماء العظيمة البديعة؟ فإن من رفع السماء علىٰ عظمها هين عليه خلقكم وإحياؤكم بعد مماتكم؛ فكيف تنكرون البعث؟

﴿بَنَىٰهَا﴾: أي: رفعها عالية فوقكم محكمة البناء بلا عمد ولا أوتاد.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾: أي: رفع جرمها، وأعلىٰ سقفها فوقكم، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أي: جعل ليلها مظلمًا حالكًا ونهارها مشرقًا مضيئًا.

﴿دَحَىٰهَآ﴾: بسطها وأوسعها.

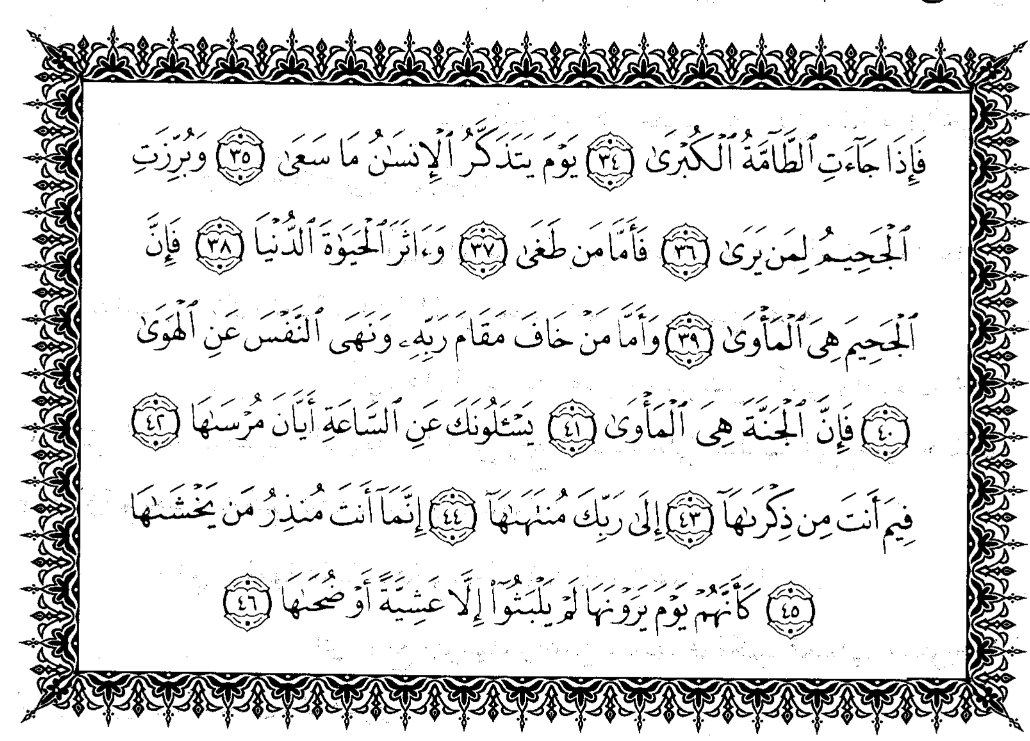
﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: أي: والأرض -بعد خلق السماء- بسطها ومهدها لسكنىٰ أهلها.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾: أي: أخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة وأجرىٰ فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعىٰ مما يأكله الناس والأنعام.

﴿أَرْسَىٰهَا﴾: أثبتها فيها، وجعلها كالأوتاد.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: أي: والجبال أثبتها في الأرض، وجعلها كالأوتاد؛ لتستقر وتسكن بأهلها.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: أي: فعل ذلك كله منفعة للعباد وتحقيقًا لمصالحهم، ومصالح أنعامهم ومواشيهم.



﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾: الداهية العظمىٰ، وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: أي: فإذا جاءت القيامة، وهي الداهية العظمىٰ، التي تعم بأهوالها كل شيء وتعلو علىٰ سائر الدواهي.

﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: أي: في ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر ويراه مدونا في صحيفة أعماله.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾: أي: أظهرت جهنم للناظرين فرآها الناس عيانًا، بادية لكل ذي بصر.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: أي: جاوز الحد في الكفر والعصيان.

﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾: أي: فضل الحياة الفانية علىٰ الآخرة الباقية ولم يستعد لآخرته بالعمل الصالح.

﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾: المرجع والمقام.

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾: أي: فإن جهنم المتأججة هي منزله ومأواه لا منزل له سواها.

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: أي: وأما من خاف عظمة ربه وجلاله وخاف مقامه بين يدي ربه يوم الحساب؛ لعلمه ويقينه بالمبدأ والمعاد.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾: أي: وزجر نفسه عن المعاصي والمحارم وكفها عن الشهوات.

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾: أي: فإن منزلته ومصيره هي الجنة دار النعيم، ليس له منزل غيرها.

﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾: متىٰ قيامها؟

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾: أي: يسألك -يا محمد- هؤلاء المشركون عن القيامة: متىٰ وقوعها وقيامها؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾: أي: ليس علمها إليك حتىٰ تذكرها لهم.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾: أي: إلىٰ ربك منتهىٰ علمها؛ لأنها من الغيوب التي استأثر الله ﷻ بها فهو الذي يعلم وقتها علىٰ التعيين، لا يعلمه أحدٌ سواه.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾: أي: ما واجبك يا محمد إلا إنذار من يخاف القيامة لا الإعلام بوقتها.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: أي: كأن هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وما فيها من الأهوال.

﴿يَلْبَثُوٓاْ﴾: يمكثوا، ويستقروا.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، بمقدار عشية أو ضحاها.



سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾

آيةٌ للعمل

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾

قالوا: من يضحك أخيرًا.. يضحك كثيرًا..

عليك بتأجيل الضحك إلىٰ يوم القيامة، يوم ترىٰ الجنة..

سورة عبس

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أي: كلح وجهه، وقطبه، وأعرض كارهًا.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: لأن الأعمىٰ جاءه يسأل عن أمور دينه.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: أي: وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الأعمىٰ الذي عبست في وجهه يتطهر من دنس الجهل بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة؟

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: أي: أو يتعظ بما يسمع؛ فتنفعه موعظتك.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: أي: أما من استغنىٰ عن الله، وعن الإيمان، بما له من الثروة والمال.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: أي: فأنت تتعرض له، وتصغي لكلامه، وتحرص علىٰ تبليغه دعوتك.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: أي: وليس من حرج عليك إن لم يتطهر من دنس الكفر والعصيان ولست بمطالب بهدايته؛ إنما عليك البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾: أي: وأما من جاءك يسرع ويمشي في طلب العلم لله، ويحرص علىٰ طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾: أي: وهو يخاف الله تعالىٰ، ويتقي محارمه.

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾: أي: تتشاغل عنه، وتتلهىٰ بالانصراف عنه إلىٰ رؤساء الكفر والضلال.

فائدة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ في ابن أم مكتوم الأعمىٰ رضي الله عنه أتىٰ رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من

عظماء المشركين؛ فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: «**أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بَأْسًا**» فيقول: لا، ففي هذا أنزل. [صحيح الترمذي (٣٣٣١)] وكان ﷺ بعد نزول آيات العتاب إذا جاءه ابن أم مكتوم يقول له: مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي، ويبسط له رداءه.

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾: فهذه الآيات موعظة، وتبصرة للخلق.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: أي: فمن شاء من عباد الله اتعظ بالقرآن، واستفاد من إرشاداته وتوجيهاته.

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾: أي: هذا القرآن في صحف مكرمة عند الله.

﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾: أي: عالية القدر والمكانة، منزهة عن أيدي الشياطين، وعن كل دنس ونقص.

﴿سَفَرَةٍ﴾: سفراء.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾: أي: بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله.

﴿بَرَرَةٍ﴾: جمع بار، وهو التقي.

﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾: أي: مكرمين معظمين عند الله، أتقياء صلحاء.

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾: أي: لعن الكافر، وطرد من رحمة الله، ما أشد كفره بالله، مع كثرة إحسان الله إليه، وأياديه عنده!!

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: هل يدري هذا الكافر من أي شيء خلقه الله؟

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾: أي: من ماء مهين حقير بدأ خلقه فقدره في بطن أمه أطوارًا من نطفة، ثم من علقة إلىٰ أن خلقه.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: أي: ثم سهل له طريقي الخير والضلال، أو سهل له طريق الخروج من بطن أمه.

﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾: أمر بدفنه في قبر تكرمة له.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: أي: ثم أماته وجعل له قبرًا يوارىٰ فيه إكرامًا له، ولم يجعله ملقىً للسباع والوحوش والطيور.

﴿أَنشَرَهُۥ﴾: أحياه بعد موته.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أي: ثم حين يشاء الله إحياءه يحييه بعد موته للبعث والحساب والجزاء.

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: أي: إنه لم يؤد ما فرض عليه، ولم يفعل ما كلفه به ربه من الإيمان والطاعة.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: أي: فلينظر هذا الإنسان الجاحد نظر تفكر واعتبار: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيأ له أسباب المعاش؛ ليستعد بها للمعاد.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: أي: أنا بقدرتنا أنزلنا الماء من السحاب على الأرض وإليها إنزالًا.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾: أي: شققنا الأرض بخروج النبات منها شقًّا بديعًا.

﴿وَقَضْبًا﴾: علفًا رطبًا للدواب.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: أي: فأخرجنا بذلك الماء أنواع الحبوب والنباتات حبًا يقتات الناس به ويدخرونه، وعنبًا شهيًا لذيذًا للإنسان، وعلفًا لدابته أيضًا.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾: أي: وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخيل، يخرج منها الزيت والرطب والتمر.

﴿غُلْبًا﴾: عظيمة كثيرة الأشجار.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: أي: وبساتين كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان.

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾: أي: وأنواع الفواكه والثمار والفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان من تين وعنب وخوخ ورمان، والأَبُّ: ما تأكله البهائم والأنعام.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: أي: أخرجنا ذلك وأنبتناه؛ ليكون منفعة ومعاشًا لكم أيها الناس ولأنعامكم.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: الصيحة الشديدة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: أي: فإذا جاءت صيحة القيامة التي تصخ الآذان حتىٰ تكاد تصمُّها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾: أي: في ذلك اليوم الرهيب يهرب الإنسان من أحبابه، من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وأولاده لاشتغاله بنفسه.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: أي: لكل إنسان منهم في ذلك اليوم العصيب أحوال تشغله عن أحوال غيره؛ فإنه لا يفكر في شيء سوىٰ مصلحته ونجاة نفسه.

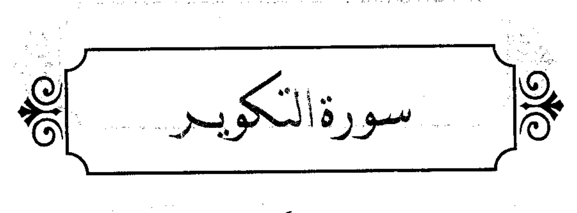
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: أي: وجوهٌ في ذلك اليوم مضيئة مشرقة من البهجة والسرور.

﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾: أي: فرحة مسرورة بما رأته من كرامة الله ورضوانه، مستبشرة بذلك النعيم الدائم.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: أي: ووجوه في ذلك اليوم عليها غبارٌ ودخان.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: أي: تغشاها وتعلوها ظلمة وسواد.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾: أي: أولئك الموصوفون بسواد الوجوه، هم الجامعون بين الكفر والفجور، جمع الله تعالىٰ إلىٰ سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلىٰ الفجور.



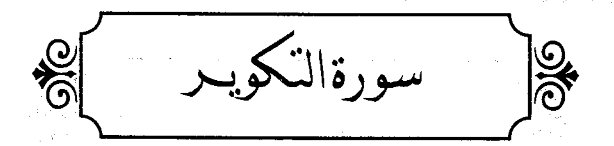
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾

آيةٌ للعمل

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ ؟!

اختر لنفسك طريقًا: إما طريق الجنة وإما طريق النار، وكلاهما معلوم..



سورة التكوير

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾: أي: إذا الشمس لُفت وطويت ومحي ضوؤها.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾: أي: وإذا النجوم تساقطت من مواضعها وتهاوت وتناثرت.

﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾: أي: وإذا الجبال حركت من أماكنها، وسيرت في الهواء حتىٰ صارت كالهباء.

﴿ٱلۡعِشَارُ﴾: النوق الحوامل.

﴿عُطِّلَتۡ﴾: أهملت، وتركت.

﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾: أي: وإذا النوق الحوامل تركت هملًا بلا راعٍ ولا طالب؛ بسبب مفاجأة القيامة وأهوالها.

﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾: أي: وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأجحارها ذاهلة من شدة الفزع.

﴿سُجِّرَتۡ﴾: أوقدت، واشتعلت.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾: أي: وإذا البحار تأججت نارًا وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾: أي: وإذا النفوس قرنت بأشباهها، فقرن الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح وقرن كل صاحب عمل مع نظيره.

﴿ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾: البنت الصغيرة التي دُفنت حية.

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾: أي: وإذا البنت التي كان بعض العرب في الجاهلية يدفنها حية من كراهته لها، أو غيرته عليها؛ سئلت توبيخًا لقاتلها: ما هو ذنبها حتىٰ قتلت؟

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾: أي: وإذا صحف الأعمال فرقت بين أصحابها وبُسطت عند الحساب.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾: أي: وإذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة. وقلعت كما يقلع السقف.

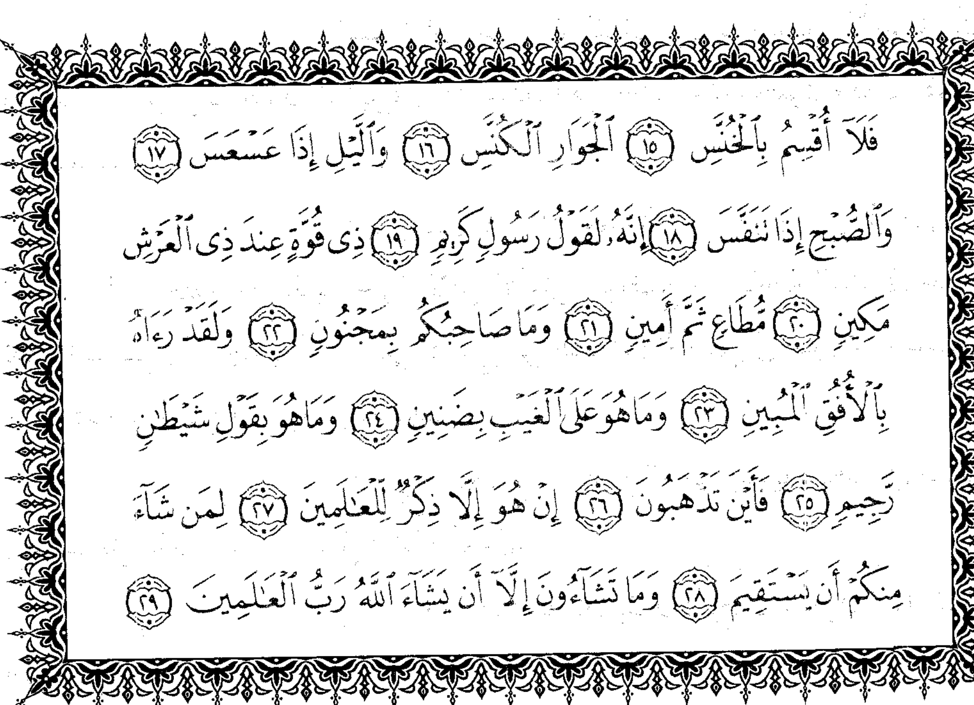
﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾: أي: وإذا نار جهنم أوقدت لأعداء الله تعالىٰ.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾: أي: وإذا الجنة قربت وأدنيت من المتقين.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾: أي: علمت كل نفس ما أحضرت من خير أو شر والمعنىٰ: إذا حدثت تلك الأمور العجيبة الغريبة، علمت حينئذ كل نفس ما قدمته من صالح أو طالح من كتابها الذي أخذته.

﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾: الكواكب السيارة، تخنس: أي: تختفي نهارًا.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾: أي: فأقسم قسمًا مؤكدًا بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار، وتظهر بالليل.



فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾: أي: النجوم التي تجري وتسير مع الشمس والقمر، ثم تستتر وقت غروبها.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أي: وأقسم بالليل إذا أقبل ظلامه حتىٰ غطىٰ الكون.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أي: وأقسم بالصبح إذا أضاء وتبلج واتسع ضياؤه حتىٰ صار نهارًا واضحًا.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: هذا هو المقسم عليه، إن هذا القرآن الكريم لكلام الله المنزل بواسطة ملك كريم علىٰ الله هو جبريل عليه السلام.

﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة رفيعة وشرف.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: أي: شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة ومنزلة سامية عند الله جل وعلا والمقصود جبريل عليه السلام.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾: أي: مطاع هناك في الملأ الأعلىٰ، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن علىٰ الوحي الذي ينزل به علىٰ الأنبياء.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾: أقسم تعالىٰ علىٰ أن القرآن نزل به جبريل الأمين، وأن محمدًا ﷺ ليس بمجنون كما يزعم أهل مكة، فنفىٰ تعالىٰ عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: أي: وأقسم لقد رأىٰ محمدٌ ﷺ جبريل عليه السلام في صورته المَلَكِية التي خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلىٰ الواضح من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس رأىٰ جبريل عليه السلام علىٰ كرسي بين السماء والأرض في صورته له ستمائة جناح قد سد ما بين المشرق والمغرب.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: أي: وما محمد ﷺ علىٰ الوحي ببخيل يقصر في تبليغه وتعليمه بل يبلغ رسالة ربه بكل أمانة وصدق.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: أي: وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: أي: أين تذهبون عن كتابي وطاعتي؟!

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: أي: لمن شاء منكم أن يتبع الحق ويستقيم علىٰ شريعة الله.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: وما تقدرون علىٰ شيء إلا بتوفيق الله ولطفه؛ فاطلبوا من الله التوفيق إلىٰ أفضل طريق.



سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)

آيةٌ للعمل

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

إياك أن يغرك الشيطان اللعين، فتعصي ربك الكريم، وتنسىٰ حقه العظيم.

سورة الانفطار

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: أي: إذا السماء انشقت بأمر الله عند قيام الساعة.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: أي: وإذا النجوم تساقطت، وتناثرت متفرقة.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾: أي: وإذا البحار فتح بعضها إلىٰ بعض؛ فاختلط عذبها بمالحها وأصبحت بحرًا واحدًا.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾: أي: وإذا القبور قُلب ترابها وأخرج ما فيها من الموتىٰ، وصار ما في باطنها ظاهرًا علىٰ وجهها.

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾: هذا هو الجواب أي علمت عندئذٍ كل نفس ما أسلفت من خير أو شر وما قدمت من صالح أو طالح.

﴿غَرَّكَ﴾: خدعك وجرأك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾: أي: أي شيء خدعك حتىٰ عصيت الله وتجرأت علىٰ مخالفة أمره مع إحسانه إليك وعطفه عليك؟ وهذا توبيخ وعتاب كأنه قال: كيف قابلت إحسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان؟

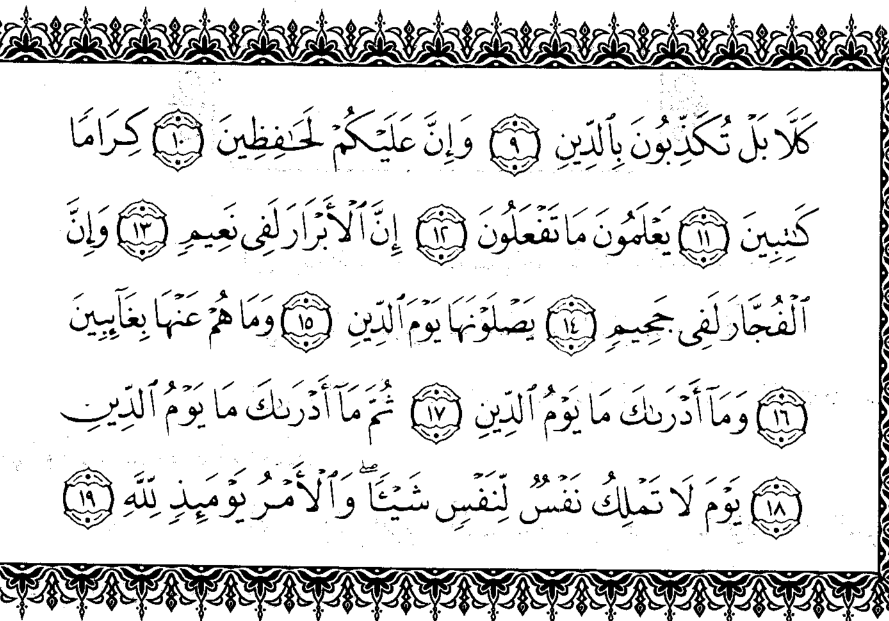
﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: جعل أعضاءك سوية سليمة.

﴿فَعَدَلَكَ﴾ جعلك معتدلًا، مناسب الخلق جميلًا.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾: أي: الذي أوجدك من العدم، فجعلك سويًا سالم الأعضاء، تسمع وتعقل وتبصر، وجعلك معتدل القامة، منصبًا في أحسن الهيئات والأشكال.

﴿رَكَّبَكَ﴾: صوَّرك.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: أي: ركبك في أي صورة شاءها واختارها لك.



﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾: أي: مع هذا الوعظ والتذكير لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾: أي: إن عليكم ملائكة حفظة يضبطون أعمالكم، ويراقبون تصرفاتكم.

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾: أي: كرامًا على الله، يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: يعلمون ما يصدر منكم من خير وشر، ويسجلونه في صحائف أعمالكم؛ لتجازوا به يوم القيامة..

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أي: إن المؤمنين الذين اتقوا ربهم في الدنيا، لفي بهجة وسرور لا يوصف، ينعمون في رياض الجنة بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهم مخلدون في الجنة.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾: أي: وإن الكفرة الفجار، الذين عصوا ربهم في الدنيا، لفي نار محرقة، وعذاب دائم مقيم في دار الجحيم.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: أي: يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به.

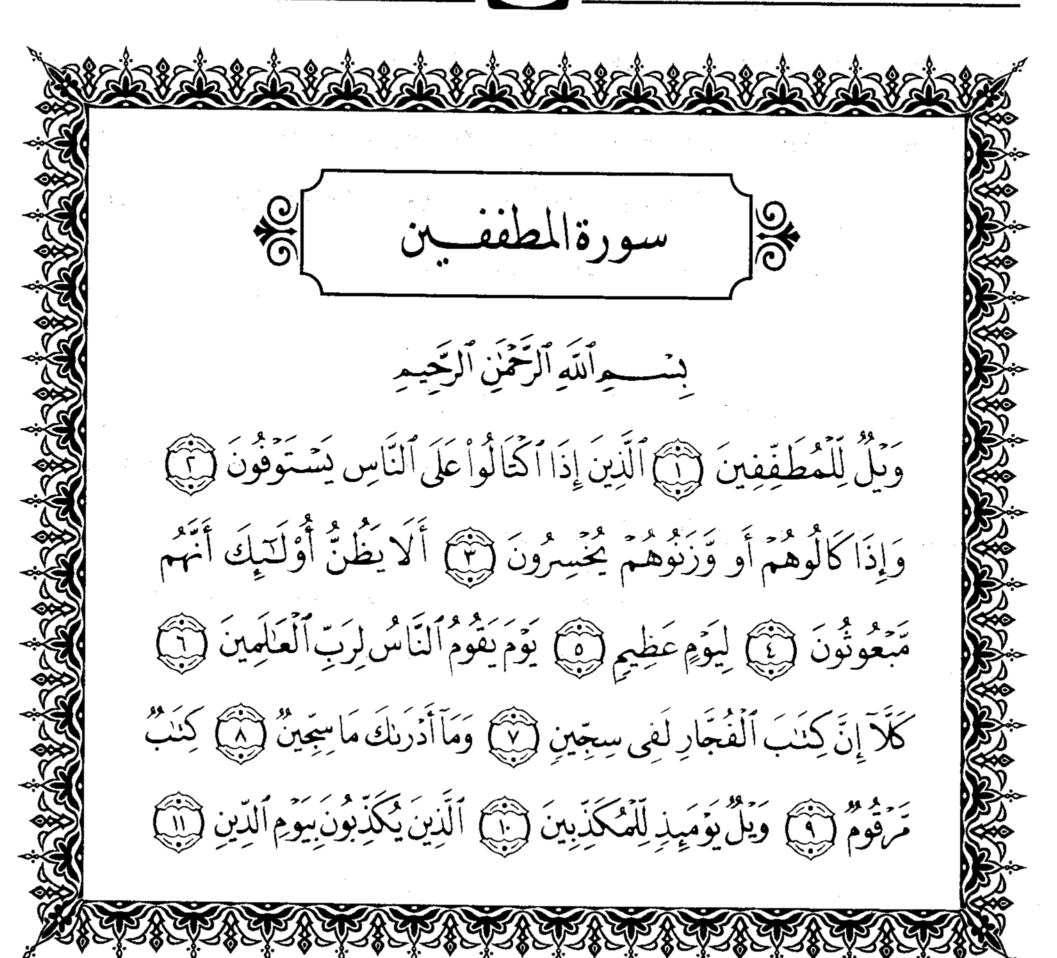
﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾: أي: وليسوا بغائبين عن جهنم، بعيدين عنها لا يرونها، بل هي أمامهم يصلون حرها ويذوقون سعيرها، ولا يخرجون منها أبدًا.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: أي: ما أعلمك ما هو يوم الدين؟ وأي شيء هو في شدته وهوله؟

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: أي: إن يوم الجزاء من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته، فهو فوق الوصف والبيان.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾: أي: هو ذلك اليوم الرهيب الذي لا يستطيع فيه أحد أن ينفع أحدًا بشيء من الأشياء، ولا أن يدفع عنه ضرًا.

﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: أي: والأمر في ذلك اليوم وحده لله جل وعلا، لا ينازعه فيه أحد.



آيةٌ للعمل

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾

ويل لمن يحب نفسه فيؤثرها علىٰ الناس؛ فيستوفي حقوقه منهم، ولا يعطي الناس حقوقهم.

سورة المطففين

﴿وَيْلٌ﴾: عذاب أو هلاك، أو هو وادٍ في جهنم.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: الذين ينقصون الناس فلا يعطونهم حقهم، ويأخذون هم حقهم من الناس كاملًا.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: أي: هلاك وعذاب ودمار لأولئك الفجار الذين ينقصون المكيال والميزان.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يأخذونه كاملًا.

﴿اكْتَالُوا﴾: اشتروا بالكيل أو الوزن.

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: أي: إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وافيًا كاملًا لأنفسهم.

﴿كَالُوهُمْ﴾: أعطوا غيرهم بالكيل.

﴿وَزَنُوهُمْ﴾: أعطوا غيرهم بالوزن.

﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون الكيل والوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾: أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والوزن، فيأخذون بالزيادة ويبيعون بالنقصان.

﴿مَّبْعُوثُونَ﴾: يرجعون بعد الموت.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: ألا يعلم أولئك المطففون أنهم سيبعثون ليوم شديد الهول كثير الفزع وهو يوم القيامة الذي يحاسبهم الله فيه على أعمالهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: يوم يقفون في المحشر حفاة عراة خاشعين خاضعين لرب العالمين.

﴿سِجِّينٍ﴾: مكان ضيق كالسجن.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾: أي: إن كتاب أعمال الأشقياء الفجار لفي مكان ضيق في أسفل سافلين مثل السجن.

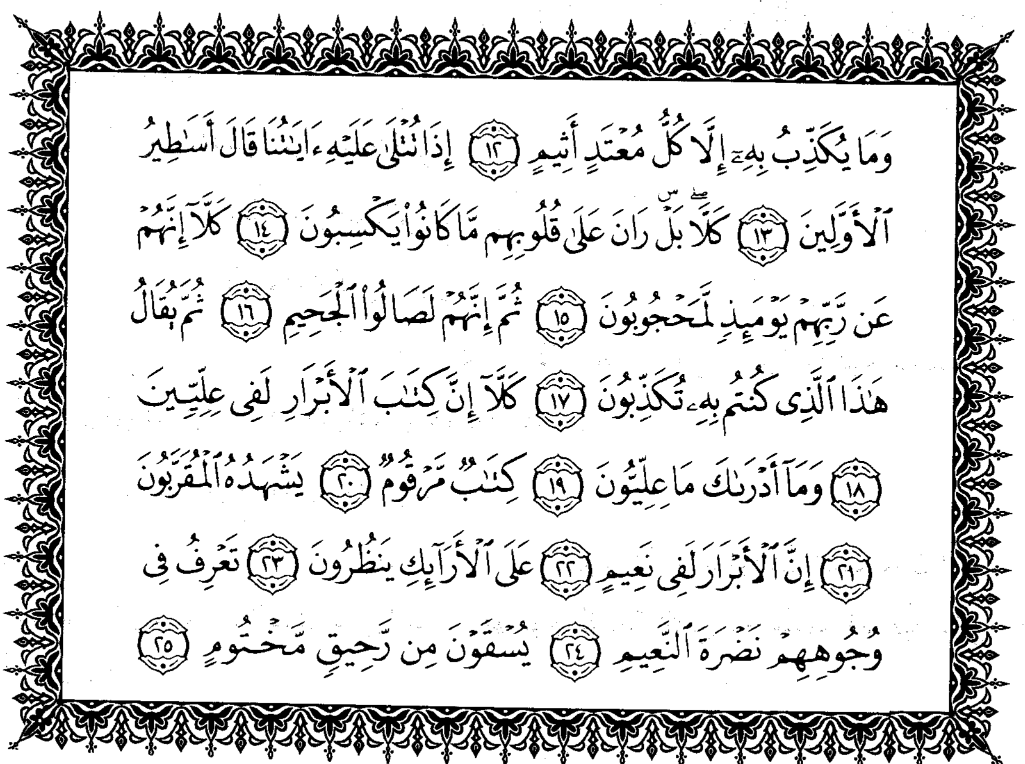
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾: أي: هل تعلم ما سجين؟

﴿مَّرْقُومٌ﴾: مكتوب.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: أي: هو كتاب مكتوب؛ كالرقم في الثوب لا ينسىٰ ولا يمحىٰ، أُثبتت فيه أعمالهم الشريرة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: هلاك ودمار للمكذبين.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: يكذبون بيوم الحساب والجزاء.


وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾

﴿مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن نهج الحق.

﴿أَثِيمٍ﴾: كثير المعاصي.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: أي: وما يكذب بيوم الحساب والجزاء إلا كل متجاوز الحد في الكفر والضلال، مبالغ في العصيان والطغيان، كثير الآثام.

﴿أَسَٰطِيرُ﴾: خرافات وحكايات وهمية.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: إذا تليت عليه آيات القرآن الناطقة بحصول البعث والجزاء، قال عنها: هذه حكايات وخرافات.

﴿رَانَ﴾: الذنب على الذنب حتىٰ يسود القلب.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: أي: ليس القرآن أساطير الأولين، بل إنهم لم يفهموا، وغطىٰ علىٰ قلوبهم ما كسبوا من الذنوب؛ فطمس بصائرهم، فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: أي: كما حجب قلبه عن الحق؛ فإنه يجازىٰ من جنس عمله بأنه يحجب عن الله ﷻ.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾: أي: ثم إنهم مع حجابهم عن الله، لداخلو الجحيم وذائقو عذابها الأليم.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: ثم تقول لهم خزنة جهنم علىٰ وجه التقريع والتوبيخ: هذا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا، ولا تصدقون أنه واقع حين أخبركم به القرآن.

فهذه ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب اللوم والتوبيخ، وعذاب الحجاب عن رب العالمين.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: أي: كتاب الأبرار في عليين، وهو مكان عال مشرف في أعلىٰ الجنة.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾: أي: وما أعلمك ما هو عليون؟

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: أي: كتاب الأبرار كتاب مكتوب فيه أعمالهم، وهو في عليين في أعلىٰ درجات الجنة.

﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: يشهده المقربون من الملائكة.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أي: إن المطيعين لله في الجنات الوارفة، والظلال الممتدة يتنعمون.

﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: السرر.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾: أي: هم علىٰ السرر المزيَّنة بفاخر الثياب والستور ينظرون إلىٰ ما أعد الله لهم من أنواع الكرامة والنعيم في الجنة.

﴿نَضۡرَةَ﴾: بهجة وجمال وبهاء.

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: أي: إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل نعمة؛ لما ترىٰ في وجوههم من النور والبياض والحسن، ومن بهجة السرور ورونقه.

﴿رَّحِيقٖ﴾: أجود الخمر وأصفاه.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ﴾: أي: يسقون من خمر في الجنة بيضاء طيبة صافية لم تكدرها الأيدي.

خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾: أي: آخر الشراب تفوح منه رائحة المسك.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾: أي: لأجل هذا النعيم والشراب الهنيء فليرغب بالمبادرة إلىٰ طاعة الله وليتسابق المتسابقون.

﴿تَسۡنِيمٍ﴾: هو أشرف وأعلىٰ شراب في الجنة.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾: أي: يمزج ذلك الرحيق من عين عالية رفيعة هي أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه، يشرب منها المقربون، عين صافية ويخلط منها للأبرار علىٰ مائهم.

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: أي: هي عينٌ في الجنة يشرب منها المقربون.

﴿يَضۡحَكُونَ﴾: يسخرون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾: أي: إن المجرمين كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاءً بهم.

﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يستهزئون.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾: أي: وإذا مر هؤلاء المؤمنون أمام الكفار، غمز هؤلاء الكفار بعضهم بعضًا بأعينهم سخرية واستهزاءً بهم.

﴿ٱنقَلَبُواْ﴾: رجعوا. ﴿فَكِهِينَ﴾: مسرورين.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾: أي: وإذا انصرف المشركون ورجعوا إلىٰ منازلهم وأهليهم، رجعوا متلذذين يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾: أي: وإذا رأىٰ الكفار المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون يسخرون منهم لإيمانهم.

﴿حَٰفِظِينَ﴾: يحفظون أعمالهم.

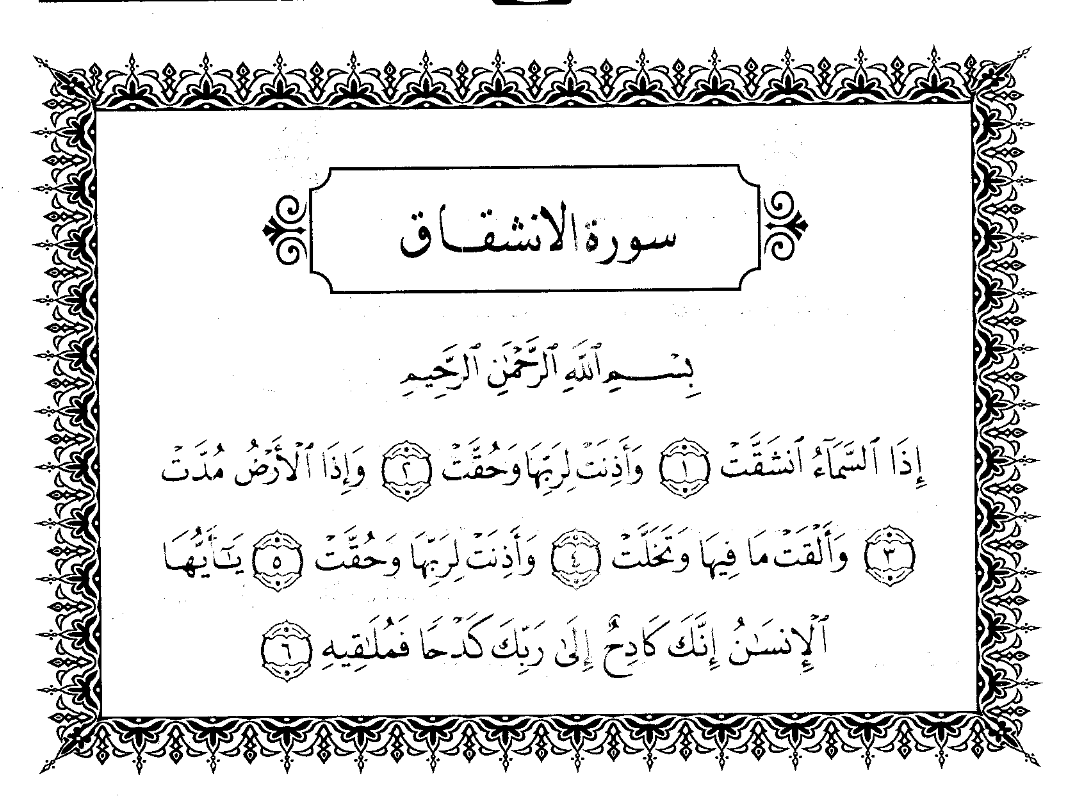
﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾: أي: وما أرسل الكفار حافظين علىٰ المؤمنين، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم.

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾: أي: ففي هذا اليوم -يوم القيامة- يضحك المؤمنون من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا جزاءً وفاقًا.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾: أي: والمؤمنون علىٰ أسرة الدرر والياقوت ينظرون إلىٰ الكفار ويضحكون منهم.

﴿ثُوِّبَ﴾: جوزي.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: أي: هل جوزي الكفار في الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟



آيةٌ للعمل

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾

الفرح العظيم، والسعادة الحقيقية الدائمة تكون وتحصل بالعمل الصالح ودخول الجنة؛ فاعمل صالحًا تسعد في الدنيا، وتسعد في الآخرة عند الحساب.

سورة الانشقاق

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾: إذا تشققت السماء وتصدعت لهول يوم القيامة فكانت أبوابًا.

﴿وَأَذِنَتۡ﴾: استمعت لأمر ربها.

﴿وَحُقَّتۡ﴾: حق عليها الاستماع والانقياد.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾: أي: واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمه وحق لها أن تسمع وتطيع، وأن تنشق من أهوال القيامة.

﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾: أي: وإذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها، وصارت مستوية لا بناء فيها ولا جبال.

﴿وَأَلۡقَتۡ﴾: رمت.

﴿وَتَخَلَّتۡ﴾: تركتهم، وتخلت عنهم.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾: أي: رمت ما في جوفها من الموتىٰ والكنوز والمعادن وتخلت عنهم.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾: أي: واستمعت لأمر ربها وأطاعت، وحق لها أن تسمع وتطيع.

﴿كَادِحٌ﴾: جاهد، ساعٍ.

﴿كَدۡحٗا﴾: جهادًا وسعيًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾: أي: إنك ساع إلىٰ الله وعامل بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة فيجازيك علىٰ عملك، بالفضل علىٰ الخير، وبالعقوبة علىٰ الشر.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿كِتَٰبَهُۥ﴾: الصحيفة التي يكتب فيها عمل العبد: حسناته وسيئاته.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: أي: فأما من أُعْطِيَ كتاب أعماله بيمينه، وهذه علامة السعادة.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: أي: فسوف يكون حسابه سهلًا هينًا.. يجازىٰ علىٰ حسناته، ويتجاوز عن سيئاته؛ وهذا هو العرض.

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: أي: ويرجع إلىٰ أهله في الجنة مبتهجًا مسرورًا بما أعطاه الله من الفضل والكرامة.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾: أي: وأما من أُعْطِيَ كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره؛ وهذه علامة الشقاوة.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾: الثبور: الهلاك. أي: يصيح بالويل والثبور ويتمنىٰ الهلاك والموت.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾: السعير: نار حامية شديدة. أي: ويدخل نارًا مستعرة يقاسي عذابها وحرها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: أي: لأنه كان في الدنيا مسرورًا مع أهله بالمعاصي، غافلًا لاهيًا، لا يفكر في العواقب ولا تخطر بباله الآخرة.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: يحور: يرجع. أي: إنه ظن أنه لن يرجع إلىٰ ربه ولن يحييه الله بعد موته للحساب والجزاء فلذلك كفر وفجر.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾: بصيرًا: رقيبًا. أي: بلىٰ، سيعيده الله بعد موته ويجازيه علىٰ أعماله كلها خيرها وشرها؛ فإنه تعالىٰ مطلع علىٰ العباد لا تخفىٰ عليه خافية من شؤونهم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: أي: فأقسم قسمًا مؤكدًا بحمرة الأفق بعد غروب الشمس.

﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: أي: وأقسم بالليل وما ضم إليه وما لف في ظلمته.

﴿ٱتَّسَقَ﴾: تكامل وتم نوره.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: أي: وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوؤه ونوره وصار بدرًا ساطعًا مضيئًا.

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾: لتلاقن.

﴿طَبَقًا﴾: أحوالًا بعد أحوال.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: هذا جواب القسم أي: لتلاقن وتصادفن -يا معشر الناس- أطوارًا متعددة وأحوالًا متباينة.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، بعد وضوح الدلائل علىٰ وقوعه؟

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾: أي: وإذا سمعوا آيات القرآن لم يخضعوا ولم يسجدوا للرحمن.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾: أي: بل طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود ولذلك لا يخضعون عند تلاوته.

﴿يُوعُونَ﴾: يضمرون ويجمعون ويخفون وينوون.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: أي: والله أعلم بما يجمعون في صدورهم من الكفر وما يخفونه من التكذيب.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: فبشرهم علىٰ كفرهم وضلالهم بعذاب مؤلم موجع.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: لكن الذين صدقوا الله ورسوله وجمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾: أي: لهم ثواب في الآخرة غير منقوص ولا مقطوع بل هو دائم مستمرٌ.





سورة البروج

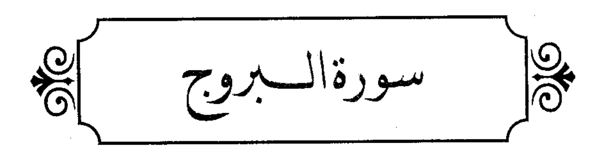
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ
﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا
أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

آيةٌ للعمل

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

يدعو الله عبادة كلهم للتوبة والعمل الصالح للوصول إلىٰ جنته ورضوانه والقرآن محفوظ عند الله؛ فهل أنت من حفظة القرآن فتكون محفوظًا بحفظه؟



سورة البروج

﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾: المنازل المعروفة للكواكب.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾: أي: أقسم بالسماء البديعة ذات المنازل الرفيعة التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾: أي: وأقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة، الذي وعد الله به الخلائق.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾: الشاهد هو: يوم عرفة، والمشهود هو: يوم القيامة.

﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾: الشق العظيم المستطيل في الأرض كالخندق.

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾: هذا هو جواب القسم، أي: قاتل الله ولعن أصحاب الأخدود الذين شقوا الأرض طولًا، وجعلوها كالخنادق وأضرموا فيها النار؛ ليحرقوا بها المؤمنين.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾: أي: النار العظيمة المتأججة، ذات الحطب واللهب التي أضرمها الكفار في تلك الأخاديد لإحراق المؤمنين.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾: أي: حين هم جلوس حول النار يشاهدون تعذيب المؤمنين.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾: ويشهدون ذلك الفعل الشنيع، يتشفون بإحراق المؤمنين فيها.

﴿نَقَمُواْ﴾: أنكروا عليهم.

﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغالب القادر الذي يخشىٰ عقابه.

﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾: المحمود بإحسانه إلىٰ خلقه، المستحق لكل الحمد.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾: أي: وما كان للمؤمنين ذنب ولا انتقم الكفار منهم؛ إلا لأن المؤمنين آمنوا بالله العزيز الحميد وحده، ولم يشركوا في عبادته أحدًا، ولم يخافوا من أحد غيره.

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: أي هو تعالىٰ مطلع علىٰ أعمال عباده لا تخفىٰ عليه خافية من شؤونهم وفيه وعدٌ للمؤمنين، يعني أن الله يراكم وسوف يدخلكم الجنة ووعيدٌ للمجرمين أي: إن الله يراكم وسيعاقبكم بالنار في الآخرة.

أي: والله علىٰ فعل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد، وعلىٰ غير ذلك من أفعالهم وأفعال جميع خلقه، وهو مجازيهم جزاءهم.

﴿فَتَنُواْ﴾: حاولوا ردهم عن دينهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾: أي: عذبوا وأحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليفتنوهم عن دينهم.

﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾: أي: ثم لم يرجعوا عن كفرهم وطغيانهم ويتوبوا إلىٰ ربهم.

﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾: أي: فلهم عذاب جهنم المخزي بكفرهم ولهم العذاب المحرق بإحراقهم المؤمنين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح.

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: لهم البساتين والحدائق الزاهرة، التي تجري من تحت قصورها أنهار الجنة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾: أي: ذلك الفوز برضىٰ ربهم، الذي لا سعادة ولا فوز بعده وذلك شيء كبير وعظيم.

﴿بَطْشَ﴾: أخذه، وانتقامه.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: أي: إن انتقام الله وأخذه الجبابرة والظلمة، بالغ الغاية في الشدة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: أي: هو -جل وعلا- الخالق القادر الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيدهم أحياء بعد الموت.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾: أي: وهو الساتر لذنوب عباده المؤمنين، اللطيف المحسن إلىٰ أوليائه، المحبُّ لهم.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: أي: صاحب العرش العظيم.

﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: أي: هو تعالىٰ المجيد، العالي علىٰ جميع الخلائق، المتصف بجميع صفات الجلال والكمال.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: أي: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾: أي: هل بلغك خبر الجموع الكافرة، الذين تجندوا لحرب الرسل والأنبياء؟ هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وما أنزل عليهم من النقمة والعذاب؟

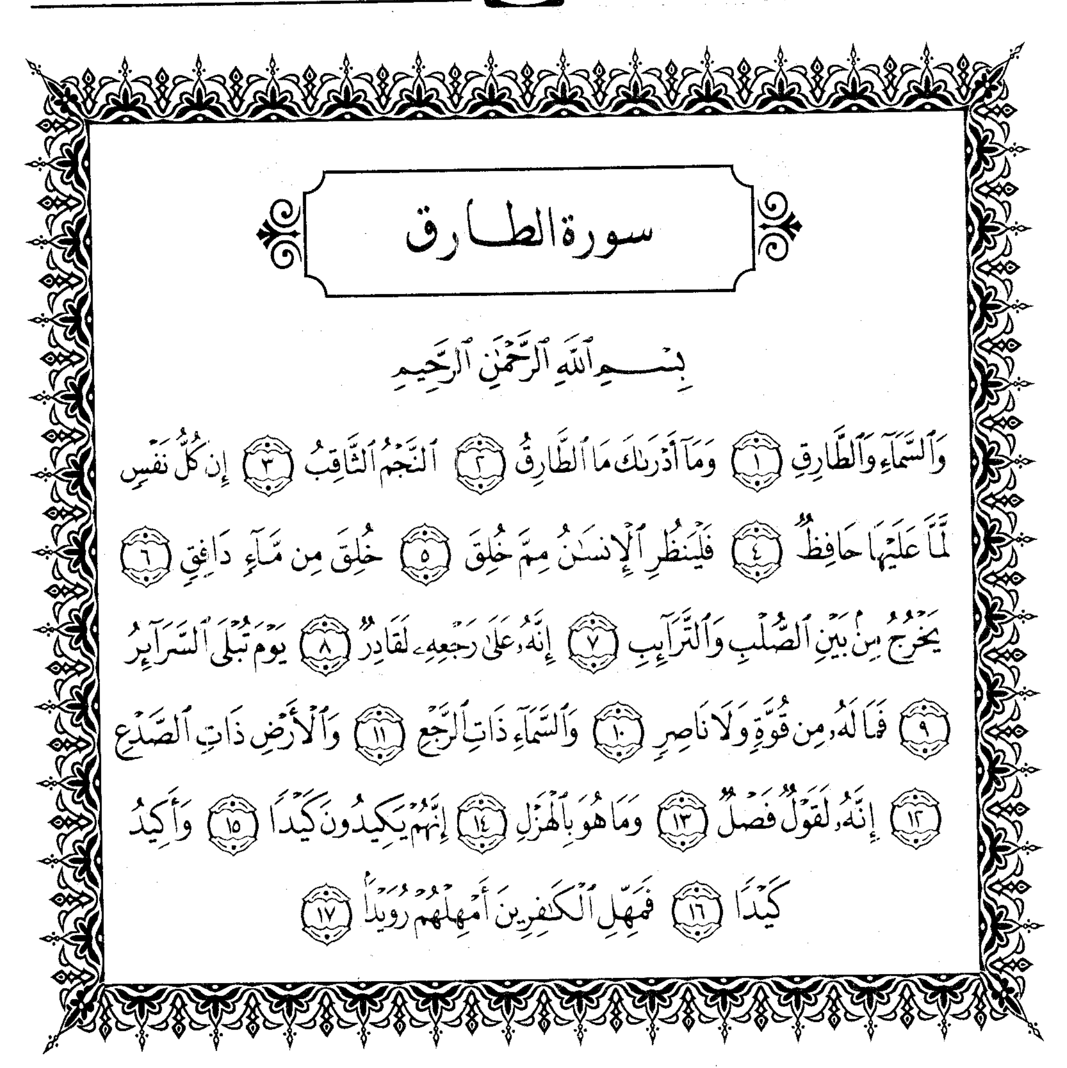
﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾: أي: هم فرعون وثمود أولوا البأس والشدة.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾: أي: لا يزالون مستمرين علىٰ التكذيب والعناد لا تنفع فيهم الآيات ولا تجدي معهم العظات.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: أي: والله تعالىٰ قادرٌ عليهم لا يفلتون منه قد أحاط بهم علمًا وقدرة وقهرًا.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: أي: بل هذا الذي كذبوا به كتابٌ عظيم شريف، كثير الخير والعلم.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾: أي: هو في اللوح المحفوظ الذي في السماء، محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل. واللوح المحفوظ هو الذي أثبت الله فيه كل شيء.



سورة الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾

آيةٌ للعمل

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾

لا تتكبر ولا تغتر؛ فالله خلقك ورزقك، ووكل ملائكته بحفظك والدفاع عنك وهم يكتبون أفعالك وأقوالك، وسوف تموت وترجع إلىٰ الله فتجد كل ما فعلت مكتوبًا، فماذا ستجد هنالك؟ (اعمل تجد ثمرة عملك)

سورة الطارق

﴿وَٱلطَّارِقِ﴾: نجمٌ يظهر بالليل ويختفي بالنهار.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: أي: أقسم بالسماء وبالكواكب النيرة التي تظهر ليلًا وتختفي نهارًا.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾: أي: وما الذي أعلمك ما حقيقة هذا النجم وتوهجه؟

﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: يتوقد ضياؤه ويتوهج.

﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: أي: النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضيائه.

﴿حَافِظٌ﴾: كاتب من الملائكة.

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ﴾: هذا جواب القسم أي: ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر ويكتبه.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾: أي: فلينظر الإنسان في أول نشأته نظرةَ تفكرٍ واعتبارٍ وتأمُّل.

﴿دَافِقٍ﴾: متدفق مندفع بشدة.

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾: أي: خلق من المني المتدفق الذي ينصب بقوة وشدة.

﴿ٱلصُّلۡبِ﴾: الظهر. ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: موضع القلادة من صدر المرأة.

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: أي: يخرج هذا الماء من بين الصلب في الرجل، وعظام الصدر في المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾: أي: إن الله تعالىٰ الذي خلق الإنسان ابتداءً قادرٌ علىٰ إعادته بعد موته وبعثه.

﴿تُبۡلَى﴾: تختبر وتكشف. ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾: ما خفي في القلب من أسرار.

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أي: يوم تمتحن القلوب وتختبر ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر.

﴿قُوَّةٍ﴾: شدة وبأس. ﴿نَاصِرٍ﴾: من ينصره ويدافع عنه.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾: أي: فليس للإنسان في ذلك الوقت قوة؛ فيدفع عن نفسه العذاب، ولا ناصر غيره، ينصره ويجيره ويدفع عنه.

﴿ٱلرَّجۡعِ﴾: المطر.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: أي: أقسم بالسماء ذات المطر الذي يرجع علىٰ العباد حينًا بعد حين.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾: أي: وأقسم بالأرض التي تتصدع وتنشق؛ فيخرج منها النبات والأشجار والأزهار.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: أي: إنَّ هذا القرآن قول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في بيانه وتشريعه وإعجازه.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾: أي: ليس فيه شيءٌ من اللهو والباطل والعبث بل هو جدٌ كله؛ لأنه كلام أحكم الحاكمين.

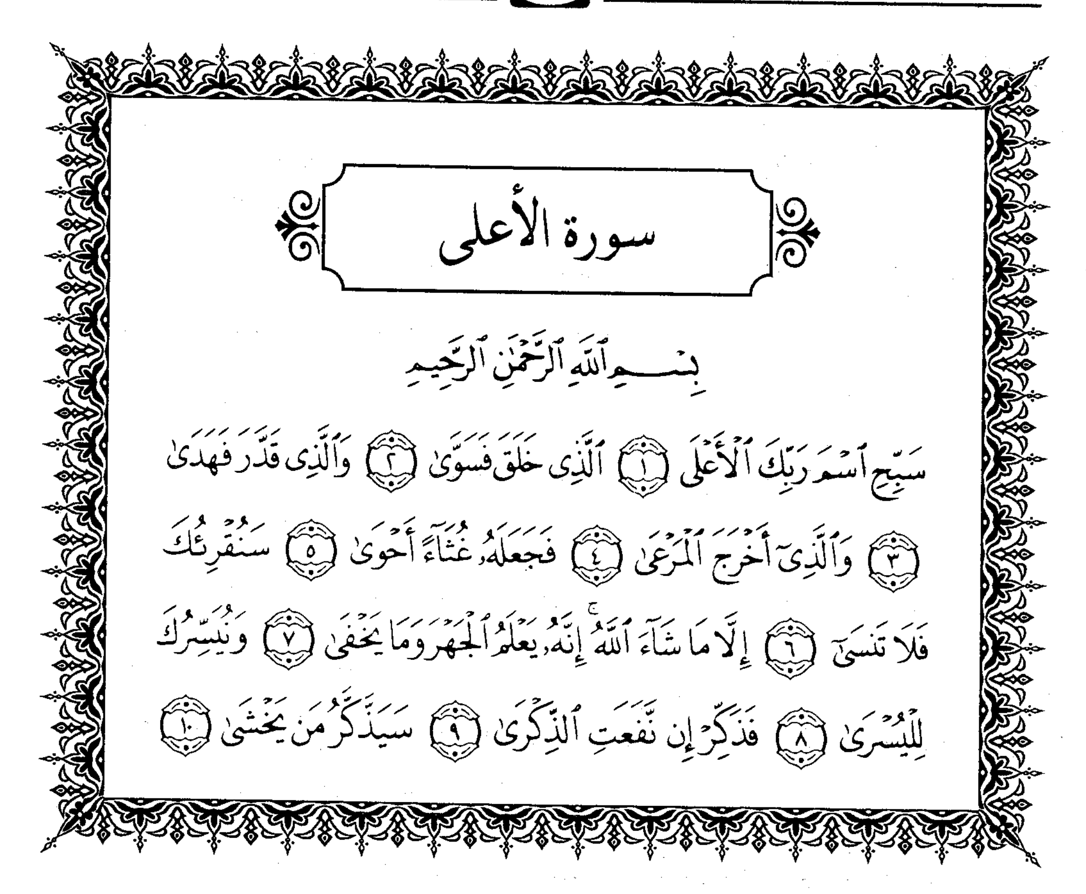
﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾: أي: إن هؤلاء المشركين يسعون بالشر لإطفاء نور الله وإبطال شريعة محمد ﷺ، ويدبرون ويمكرون لذلك.

﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾: أي: وأجازيهم علىٰ كيدهم بالإمهال والاستدراج ثم النكال حيث آخذهم أخذ عزيز مقتدر.

﴿أَمۡهِلۡهُمۡ﴾: أعطهم مهلة ولا تستعجل.

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾: أي: لا تستعجل في هلاكهم والانتقام منهم وأمهلهم قليلًا؛ فسوف ترىٰ ما أصنع بهم.

﴿رُوَيۡدَۢا﴾: قليلًا



آيةٌ للعمل

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾

تحذير من السميع العليم القريب، أنه سبحانه يعلم السرَّ والجهرَ، فكن دائم التذكُّرِ لهذا الأمر؛ فإن ذلك يجلب تيسير الخير لك، وحذرك يبعدك عن المعصية والشر.

سورة الأعلى

﴿سَبِّحِ﴾: التسبيح تنزيه الله عن صفات النقص. ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾: الأعظم.

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾: أي: عظم ربك الأعلىٰ، لا رب أعلىٰ منه ولا أعظم.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: أي: خلق المخلوقات جميعها، فأتقن خلقها وأبدع صنعها في أجمل الأشكال وأحسن الهيئات.

﴿فَسَوَّىٰ﴾: عدل.

﴿وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾: أي: قدر في كل شيء خواصه ومزاياه، وهدىٰ الناس لوجه الانتفاع بما أودعه فيها.

﴿ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾: النباتات التي ترعىٰ فيها البهائم.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾: أي: أنبت ما ترعاه الدواب، من الحشائش والأعشاب.

﴿غُثَآءً﴾: يابسًا هشيمًا.

﴿أَحۡوَىٰ﴾: أسود.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾: أي: فصير نبات المرعىٰ بعد الخضرة أسود باليًا، بعد أن كان ناضرًا زاهيًا.

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: أي: سنقرئك -يا محمد- هذا القرآن العظيم؛ فتحفظه في صدرك ولا تنساه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: إلا إذا أراد الله ﷻ غير ذلك.

وفي هذه الآيات بشرىٰ للنبي محمد ﷺ بأن الله سيحفظ القرآن في قلبه فلا ينساه؛ ليطمئن بذلك.

﴿ٱلْجَهْرَ﴾: العلانية. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾: السر.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾: أي: هو تعالىٰ عالم بما يجهر به العباد، وما يخفونه من الأقوال والأفعال.

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾: نوفقك. ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: السهل من الأمور.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: نيسر لك كل أمر عسير في أمور دنياك وفي أمور الدين والشريعة السمحة.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي: فذكر بهذا القرآن حيث تنفع الموعظة والتذكرة.

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾: أي: سينتفع بهذه الذكرىٰ والموعظة من يخاف الله تعالىٰ.

وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾: أي: ويرفض الموعظة ويبتعد عن قبولها.. الكافر المبالغ في الشقاوة.

﴿يَصْلَى﴾: يدخل ويعاني. ﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: العظيمة.

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: أي: الذي يدخل نار جهنم المستعرة الشديدة الالتهاب.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾: أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا الحياة الطيبة الكريمة، بل هو دائم في العذاب والشقاء.

﴿أَفْلَحَ﴾: نجح، وفاز. ﴿تَزَكَّىٰ﴾: طهر نفسه.

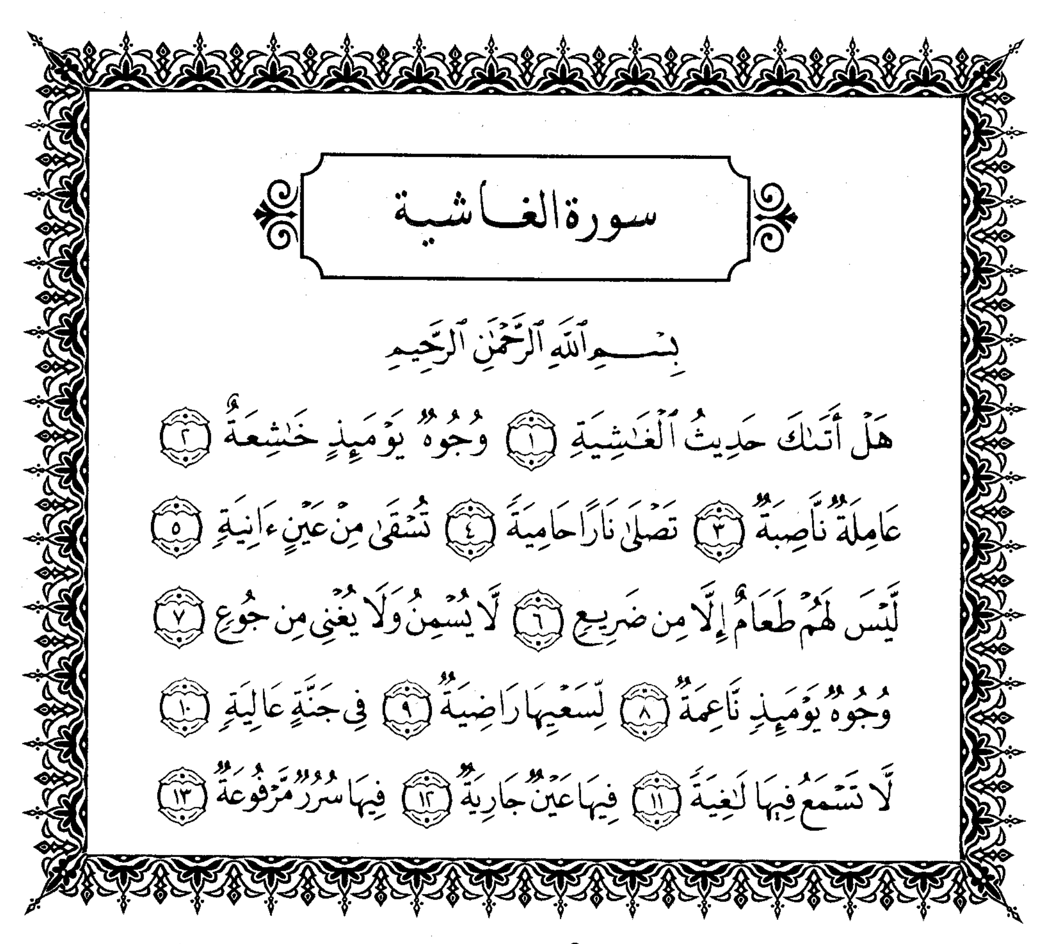
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: قد فاز من طهر نفسه بالإيمان وأخلص عمله للرحمن.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: أي: وذكر عظمة ربه وجلاله فصلىٰ خشوعًا وامتثالًا لأمره.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: بل تفضلون -أيها الناس- هذه الحياة الفانية علىٰ الآخرة الباقية فتشتغلون لها وتنسون الآخرة.

﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أي: والحال أن الآخرة خيرٌ من الدنيا وأبقىٰ؛ لأن الدنيا فانية والآخرة باقية.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: أي: إن هذه المواعظ المذكورة في هذه السورة مثبتة في الصحف القديمة المنزلة علىٰ إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام.



سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

آيةٌ للعمل

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾

القيامة داهية شديدة، وهناك من يعمل ويتعب ثم يدخل النار؛ لأنه كان من الكفار، فلابد من التوحيد، وتعظيم الله العظيم:

أولًا: بالنظر إلىٰ مخلوقاته: السماء، والأرض والجبال.

ثانيًا: بحمده وشكره والثناء عليه، والثبات علىٰ طاعته، والحذر من معصيته.

ثالثًا: الإيمان بالآخرة، وتحصيل الزاد للقدوم علىٰ رب العباد.

سورة الغاشية

﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: يوم القيامة.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: أي: هل جاءك خبر الداهية العظيمة التي تعيش الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها وهي القيامة؟

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾: أي: وجوه في ذلك اليوم ذليلة خاضعة مهينة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: أي: دائبة العمل فيما يتعبها ويشقيها في النار، تجر علىٰ وجوهها وتقاسي حر النار.

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾: أي: تدخل نارًا مشتعلة شديدة الحر.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: أي: تسقىٰ من عين متناهية الحرارة وصل حرها وغليانها درجة النهاية.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾: أي: ليس لأهل النار طعام إلا الضريع وهو نبت ذو شوك وهو أخبث طعام وأبشعه.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾: أي: لا يفيد القوة والسمن في البدن ولا يدفع الجوع عن آكله.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: أي وجوه المؤمنين يوم القيامة ناعمة ذات بهجة وحسن وإشراق ونضارة.

﴿لِّسَعْيِهَا﴾: عملها الصالح.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: أي: لعملها الذي عملته في الدنيا وطاعتها لله راضية مطمئنة؛ لأن هذا العمل أورثها الفردوس دار المتقين.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: في حدائق وبساتين مرتفعة مكانًا وقدرًا محلها في أعلىٰ عليين ومساكنها عالية.

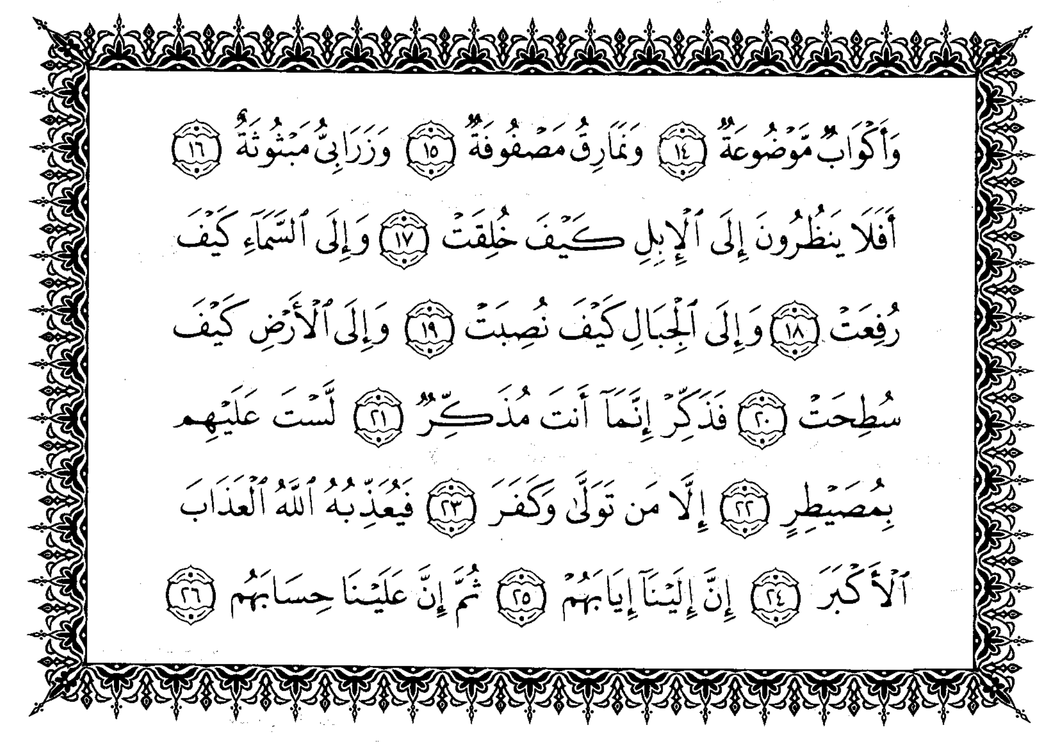
﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾: أي: لا تسمع في الجنة شتمًا أو سبًا أو فحشًا ولا أذىٰ ولا باطلًا ولا لغوًا.

﴿عَيْنٌ﴾: مكان ينبع منه الماء العذب.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: أي: فيها عيون تجري بالماء السلسبيل، لا تنقطع أبدًا.

﴿سُرُرٌ﴾: جمع سرير، وهو الفراش.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: أي: في الجنة أسرة مرتفعة، مكللة بالذهب والياقوت واللؤلؤ.



وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: أي: وأكواب موضوعة علىٰ حافات العيون، معدة لشرابهم لا تحتاج إلىٰ من يملأها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: أي: ووسائد -مخدات- قد صف بعضها إلىٰ جانب بعض؛ ليسندوا عليها.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾: فراش.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: أي: وفيها طنافس فاخرة، لها حمل رقيق، مبسوطة وممدودة في مجالسهم في أنحاء الجنة.

﴿يَنظُرُونَ﴾: يتفكرون، ويعتبرون. ﴿الْإِبِلِ﴾: الجمال.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: أي: أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تفكر واعتبار، إلىٰ الإبل كيف خلقها الله خلقًا عجيبًا بديعًا يدل علىٰ قدرة خالقها؟!

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: أي: وينظرون إلىٰ السماء البديعة المحكمة، كيف رفع الله بناءها، وأعلىٰ سمكها بلا عمد ولا دعائم؟

﴿نُصِبَتْ﴾: أقيمت ثابتة منصبة.

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: أي: أفلا تنظرون إلىٰ الجبال الشاهقة كيف نصبت علىٰ الأرض نصبًا ثابتًا راسخًا لا يتزلزل؟!

﴿سُطِحَتْ﴾: بسطت وسويت.

﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أي: وإلىٰ الأرض التي يعيشون عليها، كيف بسطت، ومهدت حتىٰ صارت شاسعة واسعة يستقرون عليها.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي: فعظهم وخوفهم، وذكرهم بنعمتي عليهم، ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتفكرون؛ فإنما أنت واعظ ومرشد.

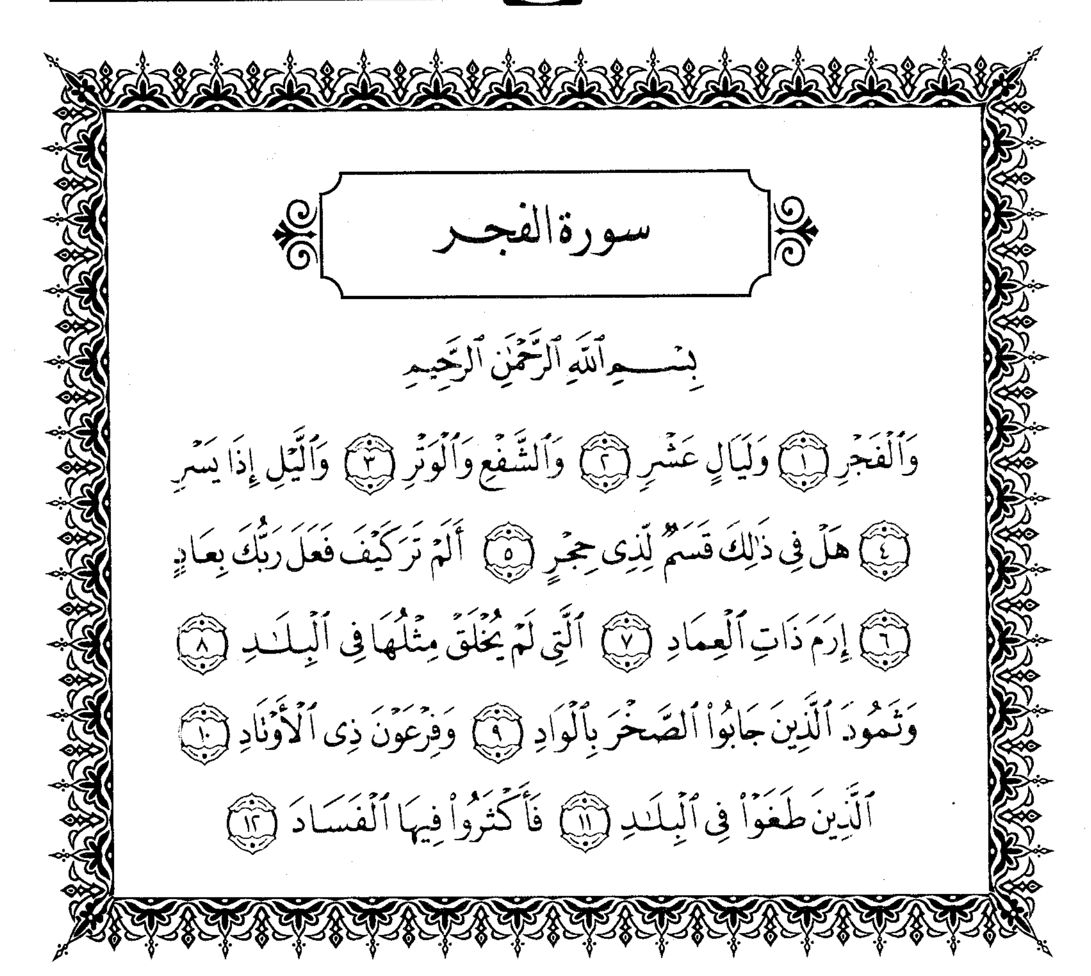
﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: أي: لست بمتسلط عليهم، ولا قاهر لهم حتىٰ تجبرهم علىٰ الإيمان.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: أي: لكن من أعرض عن الوعظ والتذكير، وكفر بالله العلي القدير.

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾: أي: فيعذبه الله بنار جهنم الدائم عذابها.

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾: أي: إلينا رجوعهم بعد الموت بالبعث.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾: أي: ثم إن علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم.



سورة الفجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾

آيةٌ للعمل

﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾

الله يكرم من شاء بفضله، ويهينُ من شاء بعدله، ﷻ، وهو الحكم العدلُ الرءوفُ الرحيمُ، وليس الإكرام بالغنىٰ وكثرة المال، وليست الإهانةُ بالفقر وقلة المال؛ إنما الإكرامُ بالطاعاتِ والقرباتِ، والإهانةُ بالمعاصي والسيئاتِ.

سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: هذا قسم أي: أقسم بضوء الصبح عند مطاردته ظلمة الليل، وبالليالي العشر المباركات من أول شهر ذو الحجة.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: أي: وأقسم بالشفع: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة.

﴿يَسْرِ﴾: يمضي ويذهب، والسرىٰ: السير بالليل.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: أي: وأقسم بالليل إذا يمضي.

﴿حِجْرٍ﴾: لب وعقل.

﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾: أي: هل فيما ذكر من الأشياء قسم مقنع لكل صاحب عقل؟!

﴿بِعَادٍ﴾: قوم نبي الله هود عليه السلام.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: أي: ألم تعلم ماذا فعل ربك بعاد قوم هود؟

﴿إِرَمَ﴾: اسم جدهم، وبه سميت القبيلة، وكانوا يسكنون بالأحقاف، بين عمان وحضرموت.

﴿الْعِمَادِ﴾: الأبنية الرفيعة المحكمة بالعمد.

﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: أي: أهل إرم ذات البناء الرفيع.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾: أي: لم يخلق الله مثلهم في القوة والشدة، وضخامة البنية.

﴿جَابُوا﴾: قطعوه، ونحتوا فيه.

﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾: أي: وكذلك ثمود الذين قطعوا صخر الجبال، ونحتوا بيوتًا بوادي القرىٰ.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ﴾: صفة لحاكم مصر، وليس اسمًا لشخص معين، كما أن كسرى لقب لكل من حكم فارس، وقيصر لقب لكل من حكم الروم، والنجاشي لقب لكل من حكم الحبشة، وتُبَّع لقب لكل من حكم اليمن.

﴿ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: الجنود الكثيرة التي تشد ملكه.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: أي: وكذلك فرعون الطاغية الجبار، ذو الجنود، والجموع، والجيوش التي تشد ملكه.

﴿طَغَوۡاْ﴾: الطغيان مجاوزة الحد.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: أي: أولئك المتجبرون «عاد، وثمود، وفرعون» الذين تمردوا وعتوا عن أمر الله، وجاوزوا الحد في الظلم والطغيان.

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ﴾: أي: فأكثروا في البلاد الظلم، والجور، والقتل، وسائر المعاصي والآثام.

فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾

﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾: أي: فأنزل عليهم ربك ألوانًا شديدة من العذاب؛ بسبب إجرامهم وطغيانهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: المرصاد: المكان الذي يترقب فيه الرصد. أي: إن ربك ليترقب عمل الناس، ويحصيه عليهم، ويجازيهم به، وإنه تعالىٰ رقيب علىٰ كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار.

﴿ٱبْتَلَىٰهُ﴾: اختبره، وامتحنه.

﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾: أفاض عليه من كرمه، وأعطاه من نعيم الدنيا.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: أي: إذا اختبره وامتحنه ربه بالنعمة، فأكرمه بالغنىٰ واليسار، وجعله منعمًا في الدنيا بالمال والبنين، فيقول: ربي أحسن إليَّ بما أعطاني من النعم التي أستحقها، ولم يعلم أن هذا ابتلاء له أيشكر أم يكفر.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾: أي: وأما إذا اختبره وامتحنه ربه بالفقر وتضييق الرزق، فيقول: إن ربي أهانني بتضييقه الرزق عليَّ.

﴿كَلَّا﴾: أي: ليس الإكرام بالغنىٰ، والإهانة بالفقر كما تظنون؛ وإنما الغنىٰ، والفقر، والسعة، والضيق اختبار وامتحان من الله ﷻ.

﴿ٱلْيَتِيمَ﴾: من فقد أباه وهو لم يبلغ بعد.

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: فمع إكرام الله لكم بكثرة المال لا تكرمون اليتيم، ولا تساعدونه، بل تهينونه.

﴿تَحَـٰضُّونَ﴾: يوصي بعضكم بعضًا.

﴿وَلَا تَحَـٰضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: ولا يحض بعضكم بعضًا ولا يحثه علىٰ إطعام المحتاج، وعون المسكين.

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾: ميراث النساء والصغار. ﴿لَّمًّا﴾: جمعًا بين الحلال والحرام.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾: أي: وتأكلون الميراث أكلًا شديدًا لا تسألون: أمن حلال هو أم من حرام.

وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

﴿جَمًّا﴾: شديدًا.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أي: وتحبون المال حبًا كثيرًا مع الحرص والشرة.

﴿دُكَّتِ﴾: دُقت وكسرت بالزلازل.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: وذلك في يوم القيامة حتىٰ تزلزل الأرض وتحرك تحريكًا متتابعًا حتىٰ ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: الملائكة.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: أي: وجاء ربك -يا محمد- لفصل القضاء بين العباد وجاءت الملائكة صفوفًا متتابعة صفًا بعد صف.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾: أي: وأحضرت جهنم؛ ليراها المجرمون وفي الحديث: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**» [مسلم (٢٨٤٢)].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أي: في ذلك اليوم الرهيب والموقف العصيب يتذكر الإنسان عمله ويندم على تفريطه وعصيانه ويريد أن يقلع ويتوب.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي: ومن أين يكون له الانتفاع بالذكرىٰ وقد فات أوانها فقد انتهت الدنيا وجاءت الآخرة؟!

﴿قَدَّمْتُ﴾: فعلت في الدنيا.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾: أي: يقول نادمًا متحسرًا: يا ليتني قدمت عملًا صالحًا في حياتي في أيام الدنيا؛ فينفعني في آخرتي وهي حياتي الباقية.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أي: ففي ذلك اليوم ليس أحدٌ أشد عذابًا من تعذيب الله من عصاه.

﴿يُوثِقُ﴾: يقيد بالسلاسل.

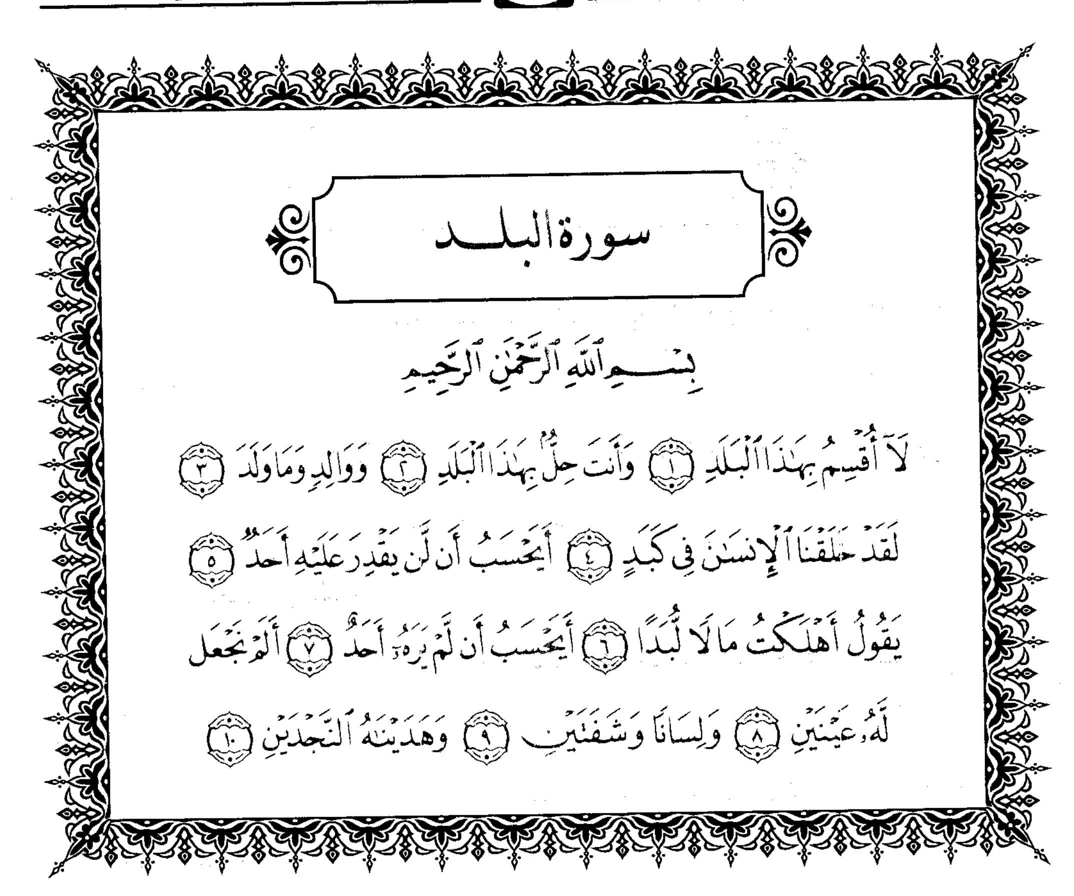
﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أي: ولا يقيد أحد بالسلاسل والأغلال مثل تقييد الله للكافر الفاجر.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: أي: يا أيتها النفس الطاهرة الزكية المطمئنة بوعد الله التي لا يلحقها اليوم خوفٌ ولا فزع.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾: أي: راضية عن الله وعما أكرمها به من الثواب وقد رضي الله عنها تعالىٰ.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾: أي: فادخلي في زمرة عبادي الصالحين.

﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾: أي: وادخلي جنتي دار الأبرار الصالحين.



آيةٌ للعمل

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾

هناك عقباتٌ أمامك للوصول إلىٰ رضا الله والجنة، لابد من اقتحامها وتخطيها بالأعمال الصالحة الكبيرة الكثيرة، والصبر إلىٰ آخر العمر؛ فاعمل.

سورة البلد

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: أقسم سبحانه بالبلد الحرام مكة التي شرفها الله تعالىٰ بالبيت العتيق.

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: أي: وأنت -يا محمد- ساكن ومقيم بمكة بلد الله الأمين.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أي: أقسم بآدم وذريته جميعًا.

﴿كَبَدٍ﴾: تعب، ومشقة.

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾: هذا هو المقسم عليه، أي: لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾: أي: أيحسب هذا الإنسان أن لن يقهره أحدٌ ويغلبه فالله غالبه وقاهره.

﴿لُّبَدًا﴾: الكثير بعضه علىٰ بعض.

﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾: يطغىٰ ويفتخر بما أنفق من الأموال علىٰ شهوات نفسه.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أي: أيظن أن الله تعالىٰ لم يره حين كان ينفق ويظن أن أعماله تخفىٰ علىٰ رب العباد؟ ليس الأمر كما يظن بل إن الله رقيب مطلع عليه سيسأله يوم القيامة ويجازيه عليه.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ﴾: أي: ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟

﴿وَلِسَانٗا﴾: أي: وجعلنا له لسانًا ينطق به؛ فيعبر عما في ضميره.

﴿وَشَفَتَيۡنِ﴾: وشفتين يطبقهما علىٰ فمه ويستعين بهما علىٰ الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك.

﴿النَّجْدَيْنِ﴾: طريق الخير والشر.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: أي: وبينا له طريقي الخير والشر والهدىٰ والضلال ليسلك طريق السعادة ويتجنب طريق الشقاوة.

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: فهلا جاهد نفسه في أعمال البر، ويعبرُ تلك العقبة الشديدة عليه؟

وهو مثل ضربه الله تعالىٰ لمجاهدة النفس والهوىٰ والشيطان فيتخطىٰ هذه العقبات حتىٰ ينال رضىٰ الرحمن.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾: أي: وما أعلمك ما اقتحام العقبة؟

﴿فَكُّ﴾: عتق وتخليص.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: أي: هي عتق الرقبة في سبيل الله وتخليص صاحبها من الأسر والرق فمن أعتق رقبة كانت له فداءً من النار.

﴿مَسْغَبَةٍ﴾: مجاعة شديدة.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾: أي: أو أن يطعم الفقير في يوم عصيب فيه جوع شديد.

﴿مَقْرَبَةٍ﴾: قريب له.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: أي: أطعم اليتيم الذي بينه وبينه قرابة.

﴿مَتْرَبَةٍ﴾: فاقة وحاجة شديدة، لصق منها بالتراب.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: أو المسكين الفقير الذي قد لصق بالتراب من فقره وضره.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: عمل هذه القربات لوجه الله تعالىٰ، وكان مع ذلك مؤمنًا صادق الإيمان.

﴿وَتَوَاصَوْا﴾: أوصىٰ بعضهم بعضًا.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: أي: وأوصىٰ بعضهم بعضًا بالصبر علىٰ الإيمان وطاعة الرحمن وبالرحمة والشفقة علىٰ الضعفاء المساكين.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: أي: هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات الجليلة هم أصحاب الجنة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم ويدخلون من الباب الأيمن من الجنة.

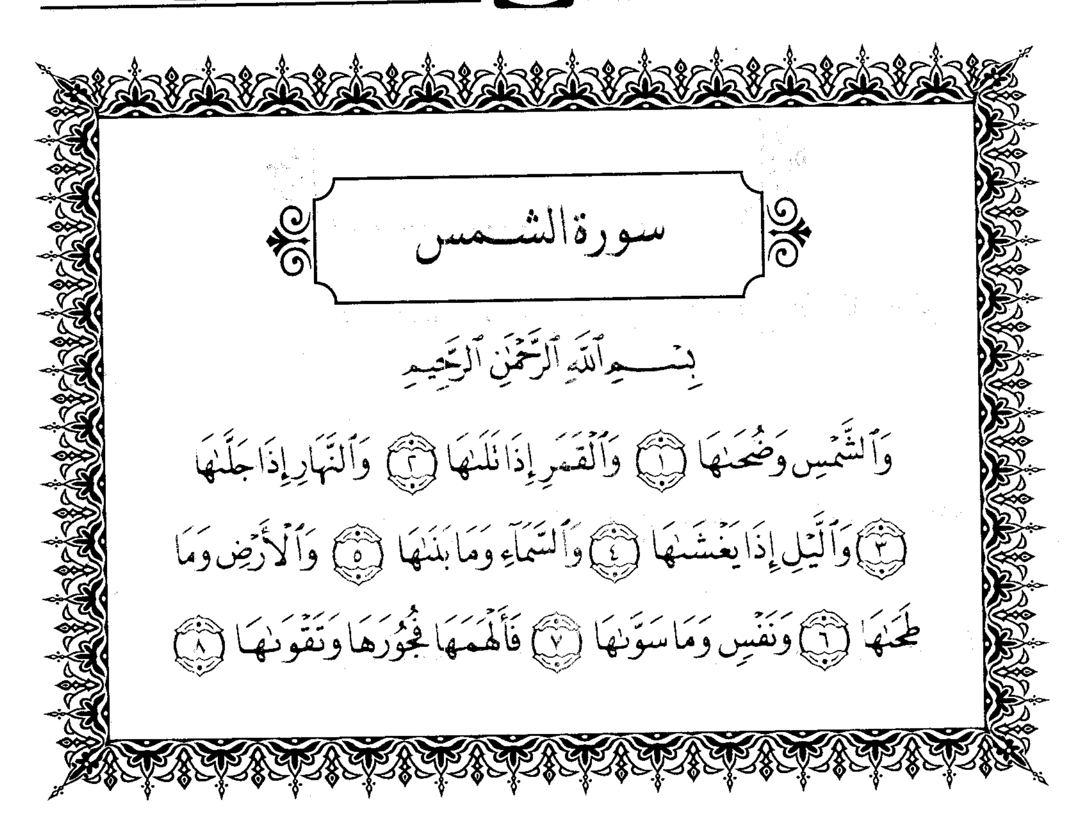
﴿الْمَشْأَمَةِ﴾: أصحاب الشمال.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: أي: والذين جحدوا نبوة محمد ﷺ وكذبوا بالقرآن هم أهل الشمال -أهل النار- لأنهم يأخذون كتبهم بشمائلهم.

﴿مُؤْصَدَةٌ﴾: مغلقة مطبقة.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾: أي: عليهم نارٌ مطبقة مغلقة لا يدخل فيها روحٌ ولا ريحان ولا يخرجون منها أبد الزمان.





آيةٌ للعمل

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾

الفلاحُ كلُّ الفلاح في تزكية النفوس، والتزكية هي: التطهير والتنميةُ، يعني لكي يزكي الإنسان نفسه يجبُ عليه أن يُطهر نفسهُ من مرذول الأخلاق والأعمال، وينمي ما في نفسه من الخير والصلاح؛ فافعل.

سورة الشمس

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: أي: أقسم بالشمس وضوئها الساطع إذا أنار الكون وبدد الظلام.

﴿تَلَاهَا﴾: تبعها.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾: أي: وأقسم بالقمر إذا سطع مضيئًا وتبع الشمس طالعًا بعد غروبها.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾: أي: وأقسم بالنهار إذا جلَّا ما علىٰ الأرض وأوضحه وكشفها بنوره.

﴿يَغْشَاهَا﴾: يغطيها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: أي: وأقسم بالليل إذا غطىٰ الكون بظلامه.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾: أي: وأقسم بالقادر العظيم الذي بنىٰ السماء وأحكم بناءها بلا عمد.

﴿طَحَاهَا﴾: بسطها ومدها.

﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: أي: وأقسم بالأرض ومن بسطها من كل جانب وجعلها ممتدة ممهدة صالحة لسكنىٰ الإنسان والحيوان.

﴿سَوَّاهَا﴾: خلقها في أحسن صورة.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾: أي: وأقسم بالنفس البشرية وبالذي أنشأها وأبدعها.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: أي: وعرفها طريق الخير وطريق الشر وما تميز به بين الهداية والضلال وعرفها.. معصيتها وطاعتها شرها وخيرها.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

﴿زَكَّىٰهَا﴾: طهرها وأنماها.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: هذا هو جواب القسم أي: لقد فاز وأفلح من زكىٰ نفسه بطاعة الله وطهرها من دنس المعاصي والآثام.

﴿دَسَّىٰهَا﴾: نقصها وأخفاها.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: أي: وقد خسر وخاب من حقر نفسه بالكفر والمعاصي والسيئات.

﴿ثَمُودُ﴾: قوم نبي الله صالح عليه السلام. ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾: بسبب تكبرها عن الحق.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾: أي: كذبت ثمود نبيها صالحًا بسبب الطغيان والكبر.

﴿ٱنۢبَعَثَ﴾: قام مسرعًا. ﴿أَشْقَىٰهَا﴾: أشقىٰ القبيلة.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: أي: حين انطلق أشقىٰ القوم بسرعة ونشاط ليذبح الناقة ظلمًا وعدوانًا وعصيانًا.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: أي: فقال لهم صالح عليه السلام.

﴿نَاقَةَ﴾: الناقة أنثىٰ الجمل.

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴾: أي: احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء واحذروا أيضًا أن تمنعوها من سقياها أي شربها نصيبها من الماء، وكانت هذه الناقة هي المعجزة التي أتىٰ بها نبي الله صالح ﷺ لإثبات نبوته خرجت من صخرة بإذن الله وكانت تسقي القبيلة كلها من لبنها.

﴿فَعَقَرُوهَا ﴾: ذبحوها.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾: أي: فكذبوا نبيهم صالحًا ﷺ وقتلوا الناقة ولم يلتفتوا إلىٰ تحذيره.

﴿فَدَمْدَمَ ﴾: أطبق عليهم العذاب.

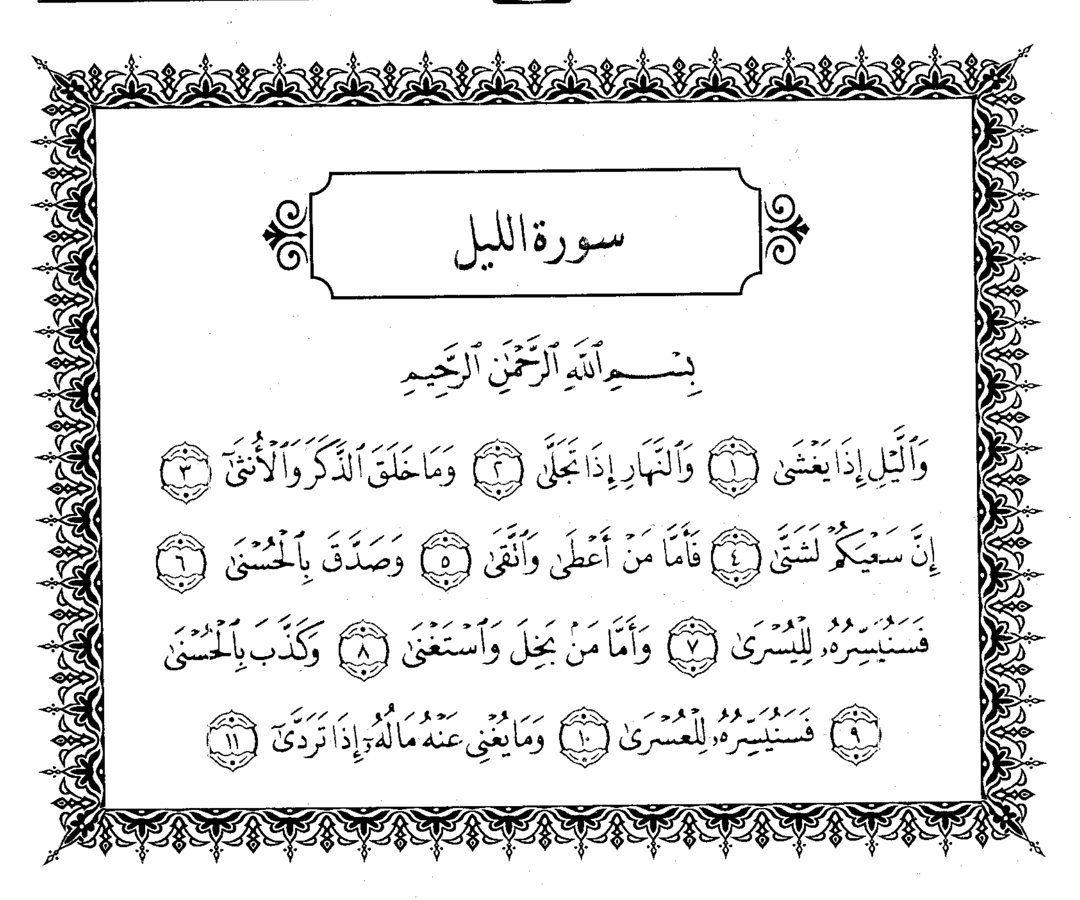
﴿فَسَوَّىٰهَا ﴾: أي: فسوىٰ بين القبيلة في العقوبة فلم يلتفت منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾: أي: فأهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم بسبب إجرامهم وطغيانهم والمعنىٰ أطبق عليهم العذاب طبقا فلم ينفلت منهم أحد.

﴿عُقْبَـٰهَا ﴾: تبعتها ونتيجتها.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴾: أي: ولا يخاف تعالىٰ عاقبة إهلاكهم وتدميرهم وكيف يخاف من هو قاهر لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق؟



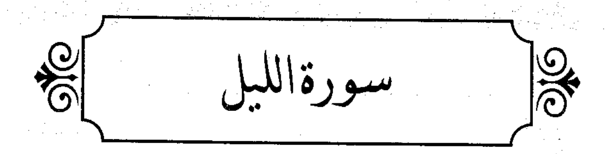


آيةٌ للعمل

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾

إلىٰ أين يا ابن الإسلام؟؟

قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ؛ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**».



سورة الليل

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾: أي: أقسم بالليل إذا غطىٰ بظلمته الكون.

﴿يَغْشَىٰ﴾: يعم ظلامه.

﴿تَجَلَّىٰ﴾: أضاء وأنار.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: أي: وأقسم بالنهار إذا تجلىٰ وانكشف وأنار العالم وأضاء الكون.

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾: أي: وأقسم بالقادر العظيم الذي خلق النوعين: الذكر والأنثىٰ.

﴿لَشَتَّىٰ﴾: مختلف.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾: هذا هو جواب القسم أي: إن عملكم لمختلف فمنكم تقي ومنكم شقي ومنكم صالح ومنكم فاسد.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾: أي: فأما من أعطىٰ ماله وأنفق ابتغاء وجه الله، واتقىٰ ربه فكف عن محارم الله.

﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾: لا إله إلا الله، وملة الإسلام.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: أي: وصدق بالملة الحسنىٰ وهي الإسلام وما دلت عليه من العقائد الدينية وما دلت عليه من الجزاء الأخروي.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نوفقه. ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: عمل الخير.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: سنسهل له عمل الخير ونذله ونعينه علىٰ الخصلة المؤدية لليسر وهي فعل الطاعات وترك المحرمات.

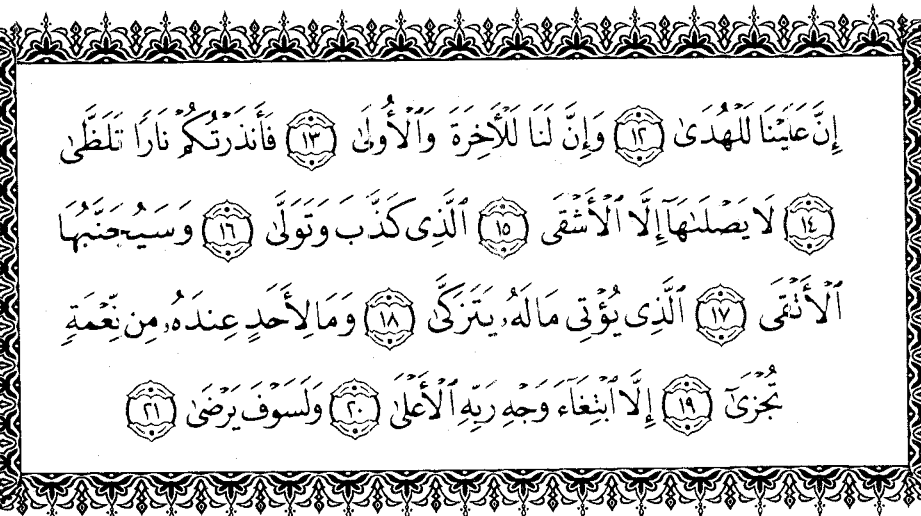
﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾: أي: وأما من بخل بإنفاق المال واستغنىٰ عن عبادة ذي الجلال.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: وكذب بدين الإسلام.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾: أي: فسنسهله للخصلة المؤدية للعسر وهي الحياة السيئة في الدنيا والآخرة وهي طريق الشر.

﴿تَرَدَّىٰٓ﴾: هلك ومات.

﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: أي: أي شيء ينفعه ماله إذا هلك وهوىٰ في نار جهنم.



إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: أي: إن علينا أن نبين للناس طريق الهدىٰ من طريق الضلالة ونوضح سبيل الرشد من سبيل الغي.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾: أي: لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبها من غير الله فقد أخطأ الطريق.

﴿تَلَظَّىٰ﴾: تتلهب وتتوقد.

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: أي: فحذرتكم نارًا تتوقد وتتوهج من شدة حرارتها.

﴿يَصْلَىٰهَآ﴾: يدخلها ويقاسي حرها.

﴿ٱلْأَشْقَى﴾: الكافر الشقي.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: أي: لا يدخلها للخلود فيها، ولا يذوق سعيرها إلا الأشقياء.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾: أي: الذي كذب بآيات ربه وأعرض عنها ولم يصدق بها وكذب الرسل وأعرض عن الإيمان.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يبعد عنها. ﴿ٱلْأَتْقَى﴾: الذي يخاف الله ويطيعه.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾: أي: وسيبعد عن النار التقي النقي الذي يجتنب الشرك والمعاصي.

﴿يُؤْتِى﴾: ينفق.

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: أي: الذي ينفق ماله في وجوه الخير؛ ليزكىٰ نفسه قاصدا وجه ربه.

﴿تُجْزَىٰٓ﴾: تكافأ.

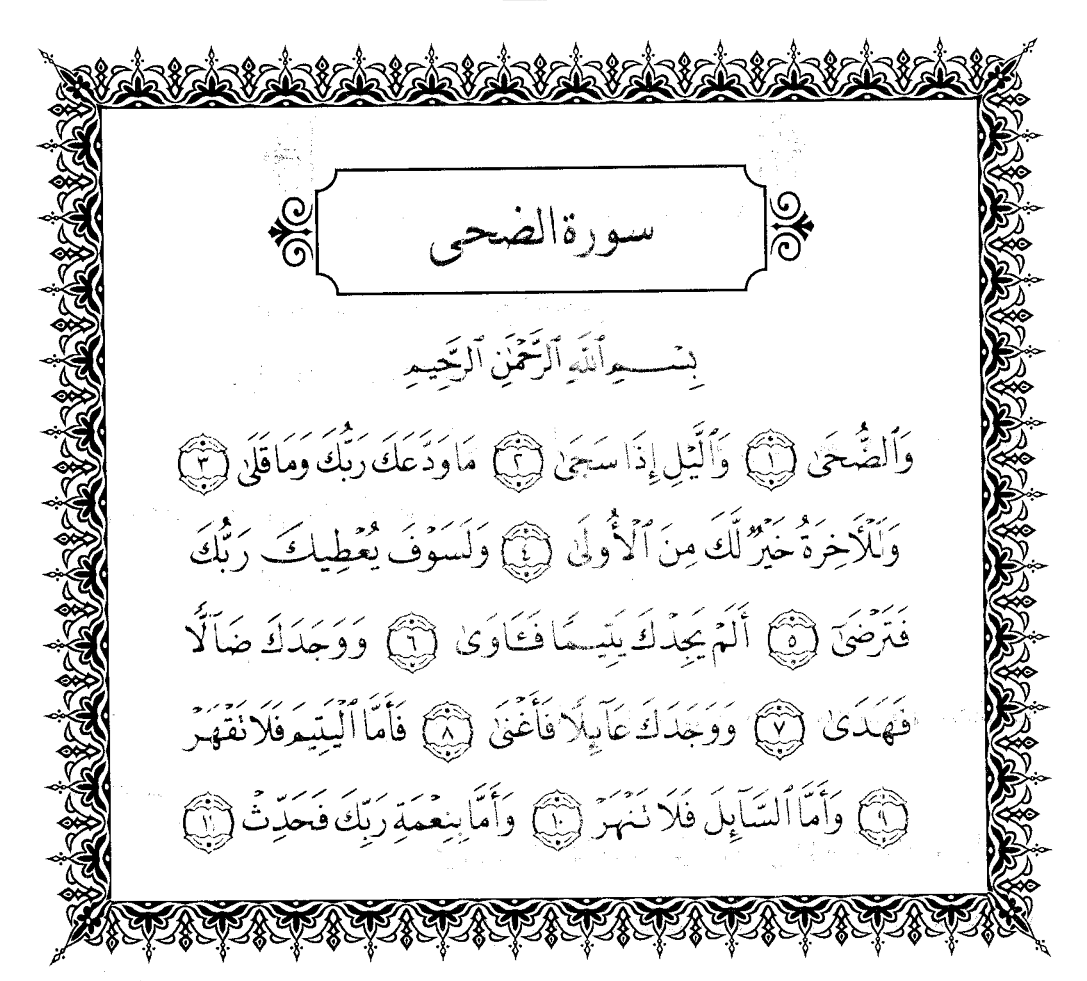
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾: أي: وليس لأحد عنده نعمة حتىٰ يكافئه عليها وإنما ينفق لوجه الله.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: ليس له غاية إلا مرضاة الله.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: أي: ولسوف يعطيه الله في الآخرة ما يرضيه، وعد كريم من رب رحيم.

فائدة:

نزلت الآيات الأخيرة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما أنفق كل ماله في سبيل الله.



سورة الضحى

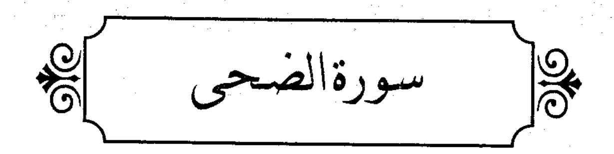
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

آيةٌ للعمل

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾

الدنيا مرحلةٌ من مراحل الحياة، والقرارُ والخلودُ إن شاء الله في الجنة؛ فاعمل لها أولى.



سورة الضحى

﴿وَالضُّحَىٰ﴾: صدر النهار حين ترتفع الشمس.

﴿سَجَىٰ﴾: الليل إذا اشتد ظلامه.

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: أقسم تعالىٰ بوقت الضحىٰ وأقسم بالليل إذا اشتد ظلامه وغطىٰ كل شيء في الوجود.

﴿وَدَّعَكَ﴾: تركك.

﴿قَلَىٰ﴾: أبغض.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أي: ما تركك ربك -يا محمد- منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: أي: وللدار الآخرة خيرٌ لك من هذه الحياة الدنيا.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: أي: سوف يعطيك ربك في الآخرة كل ما تطلب إلىٰ أن ترضىٰ.

﴿فَآوَىٰ﴾: ضمك إلىٰ من يكفلك.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾: أي: ألم تكن -يا محمد- يتيما في صغرك؛ فآواك الله إلىٰ جَدك عبد المطلب، وبعد وفاته آواك إلىٰ عمك أبي طالب وضمك إليه؟

﴿ضَالًّا﴾: تائهًا عن الحق.

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾: أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان فعلمك ما لم تكن تعلم.

﴿عَائِلًا﴾: فقيرًا.

﴿فَأَغۡنَىٰ﴾: فلم يحوجك وأغناك.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾: أي: ووجدك فقيرًا محتاجًا؛ فأغناك عن الخلق.

﴿تَقۡهَرۡ﴾: تسيء معاملته.

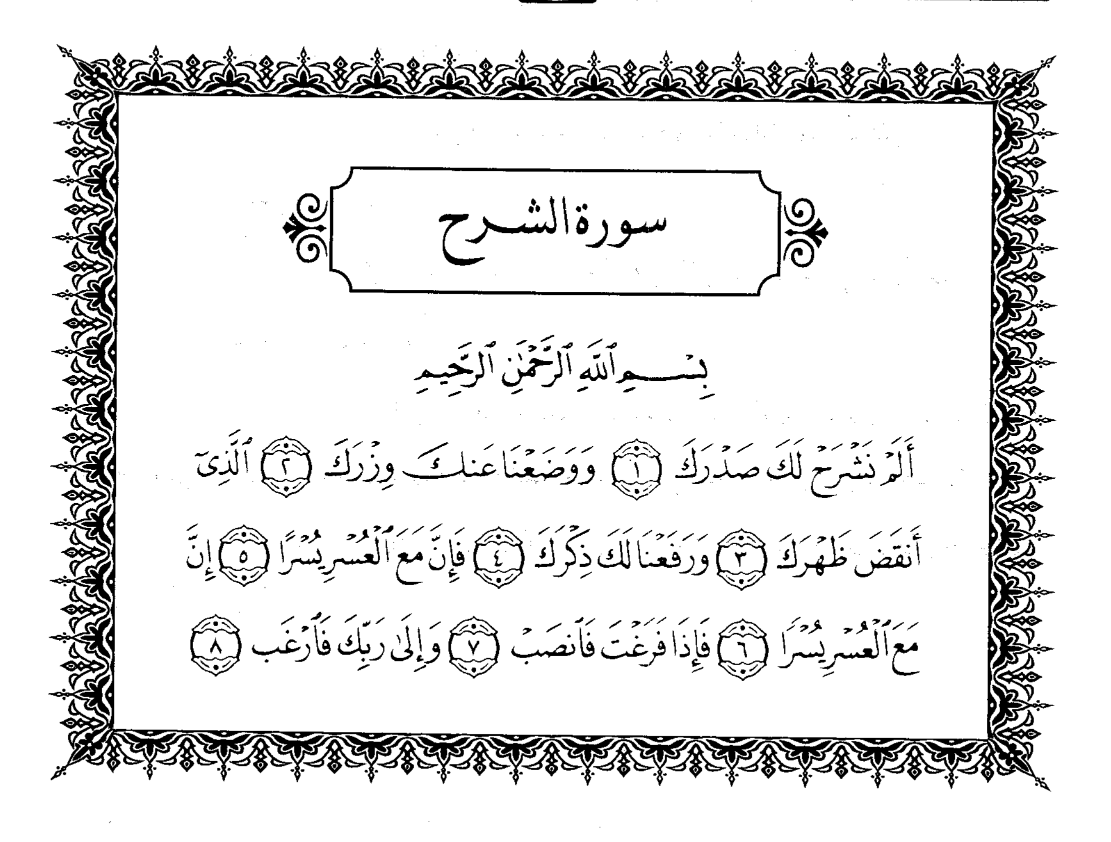
﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾: أي: فأما اليتيم فلا تحقره ولا تؤذه ولا تضره ولا تهنه.

﴿تَنۡهَرۡ﴾: تزجر وترد بغلظة.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾: أي: وأما السائل المستجدي الذي يطلب مساعدة عن حاجة وفقر فلا تزجره إذا سألك ولا تغلظ له القول بل أعطه، أو رده ردا جميلًا.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾: أي: حدث الناس بفضل الله وإنعامه عليك؛ فإن التحدث بالنعمة شكرٌ لها.





آيةٌ للعمل

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾

خلقت في الدنيا للعبادة فلا تترك العبادة أبدًا، وكلما انتهيت من عبادةٍ؛ اشرع في غيرها.

سورة الشرح

﴿نَشۡرَحۡ﴾: نوسع ونلين.

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾: أي: قد شرحنا لك صدرك بالهدىٰ والإيمان ونور القرآن أي: نورناه وجعلناه فسيحًا رحيبًا واسعًا فلم يكن ضيقًا حرجًا.

﴿وَوَضَعۡنَا﴾: خففنا.

﴿وِزۡرَكَ﴾: حملك أو ذنبك.

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾: أي: خففنا عنك حملك من أعباء الرسالة والدعوة أو قد غفرنا لك ما تقدم من ذنبك.

﴿أَنقَضَ﴾: أثقله حتىٰ سمع له نقيض أو صوت.

﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾: أي: الذي أثقل وأوهن ظهرك، وليس المراد الذنوب والمعاصي فإن الرسل معصومون من المعاصي والذنوب.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾: أي: رفعنا شأنك وأعلينا مقامك في الدنيا والآخرة وجعلنا اسمك مقرونًا باسم الله.

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾: أي: بعد الضيق يأتي الفرج وبعد الشدة يكون المخرج وكأن الله تعالىٰ يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم الجليلة سينصرك عليهم ويبدل لك هذا العسر يسر قريب.

﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾: في هذه الآيات بشارات للنبي ﷺ أنه كلما وجد عسرًا وصعوبة فإن اليسر يقارنه ويصاحبه.

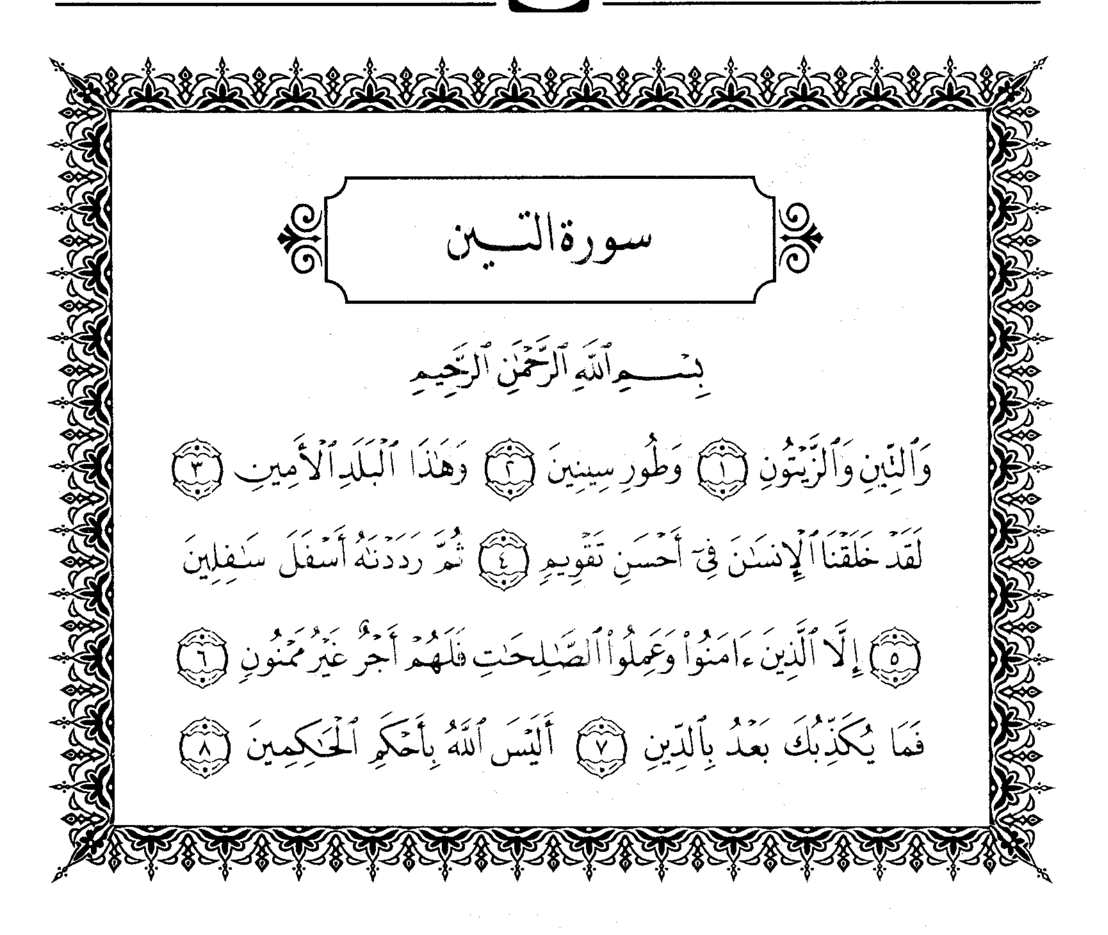
﴿فَرَغۡتَ﴾: انتهيت.

﴿فَٱنصَبۡ﴾: اجتهد واتعب.

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ﴾: أي: إذا تفرغت من أشغالك ولم يبق في قلبك ما يعوقه؛ فاجتهد في العبادة والدعاء.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: أي: اجعل همك ورغبتك إلىٰ ربك ﷻ.





آيةٌ للعمل

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

خلقك الله في أجمل صورة، وأمدك بكل ما يعينك علىٰ الكمال الإنساني؛ فاجتهد أن تكون في أحسن الأحوال والأخلاق.

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: أي: أقسم بالتين والزيتون لبركتهما وعظيم منفعتهما.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: جبل المناجاة للكليم موسىٰ عليه السلام.

﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: أي: وأقسم بالبلد الأمين مكة المكرمة التي يأمن فيها من دخلها علىٰ نفسه وماله.

﴿تَقْوِيمٍ﴾: تام الخلق متناسب الأعضاء منتصب القامة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: أي: لقد خلقنا الإنسان في أعدل خلق وأحسن صورة.

﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: إلىٰ النار.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: أي: ثم أنزلنا درجته إلىٰ أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ما خلقناه له حيث لم يشكر نعمة خلقنا له في أحسن صورة ولم يستعمل ما خصصناه به من المزايا في طاعتنا فلذلك سنرده إلىٰ أسفل سافلين وهي جهنم.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: إلا المؤمنين المتقين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح.

﴿مَمْنُونٍ﴾: مقطوع.

﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: فلهم ثواب دائم غير مقطوع عنهم وهو الجنة دار المتقين هم فيها خالدون.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾: أي: فما سبب تكذيبك أيها الإنسان بعد هذا البيان وبعد وضوح الدلائل والبراهين؟

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: أي: أليس الله الذي خلق وأبدع بأعدل العادلين حكمًا وقضاءً وفصلًا بين العباد؟



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

آيةٌ للعمل

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾

أول كلمة أوحيت إلىٰ نبينا من الله: ﴿ٱقْرَأْ﴾ فديننا دين القراءة؛ فاحرص علىٰ أن تكثر من القراءة فإن القراءة نور العقل.

سورة العلق

هي أول ما أنزله الله من القرآن على النبي محمد ﷺ.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾: أي: اقرأ -يا محمد- القرآن مبتدئًا ومستعينًا باسم ربك الجليل الذي خلق جميع المخلوقات.

﴿عَلَقٍ﴾: قطعة من الدم.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾: أي: خلق هذا الإنسان البديع الشكل الذي هو أشرف المخلوقات من العلقة والعلقة قطعة من دم رطب.

﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: الذي لا يوازيه كريم.

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: أي: اقرأ -يا محمد- وربك العظيم الكريم.

﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾: أي: الذي علم الخط والكتابة بالقلم.

﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾: علم البشر ما لم يكونوا يعرفونه من العلوم والمعارف فنقلهم من ظلمة الجهل إلىٰ نور العلم.

﴿لَيَطۡغَىٰٓ﴾: الطغيان مجاوزة الحد.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾: أي: حقًا إن الإنسان ليتجاوز الحد في الطغيان ويستكبر علىٰ ربه ﷻ.

﴿ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾: رأىٰ نفسه غنيًا.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾: أي: من أجل أن رأىٰ نفسه غنيًا وأصبح ذا ثروة ومال؛ أشر وبطر وطغىٰ وبغىٰ وظن نفسه قديرًا.

﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾: الرجوع والمصير.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: أي: إن إلىٰ ربك -أيها الإنسان- المرجع والمصير؛ فيجازيك علىٰ أعمالك.

﴿يَنْهَىٰ﴾: يمنع.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾: أي: إن الإنسان عندما رأىٰ نفسه غنيًا وتكبر وترك الهدىٰ ويدعو غيره إلىٰ ترك الهدىٰ فينهاه ويمنعه عن الصلاة.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾: أي: أيها الناهي أرأيت إن كان الذي تنهاه عن الصلاة صالحًا مهتديًا عالمًا بالحق عاملًا به داعيًا إليه فهل يحسن أن تنهىٰ من هذا وصفه أليس نهيه أعظم المحاربة لله؟!

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: ترك الأمر.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أي: هذا الناهي عن الصلاة إن كذب بالحق أما يخاف الله ويخشىٰ عقابه؟؟

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾: أي: ألم يعلم ذلك المكذب أن الله مطلع علىٰ أحواله مراقب لأفعاله وسيجازيه عليها.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: أي: لو لم ينته هذا المكذب الجاحد.

﴿لَنَسْفَعًۢا﴾: لنأخذن. ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: مقدم شعر الرأس.

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: أي: لنأخذنه بناصيته فلنجرنه إلىٰ النار ونقذفه فيها.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: أي: صاحب هذه الناصية كاذب فاجر كثير الذنوب والإجرام.

﴿فَلْيَدْعُ﴾: فلينادي. ﴿نَادِيَهُۥ﴾: أهل مجلسه.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: أي: فليدع أهل مجلسه من قومه وعشيرته وليستنصر بهم.

﴿ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: ملائكة العذاب.

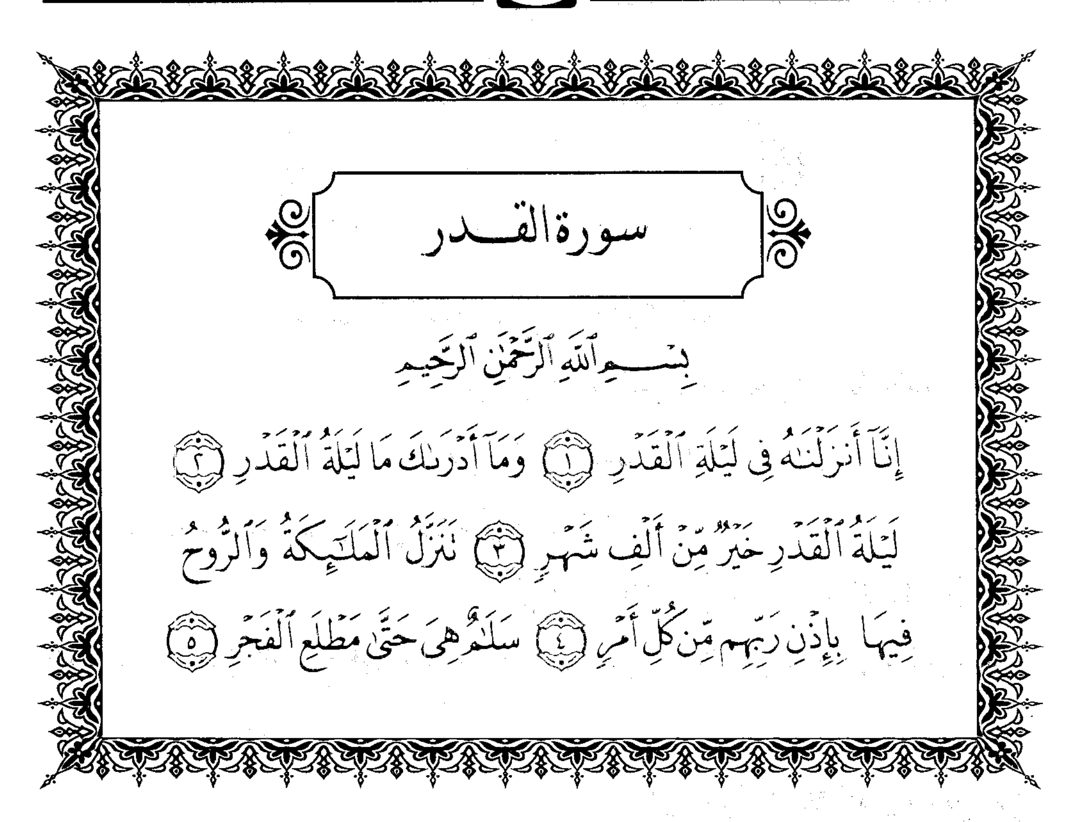
﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: أي: سندعوا خزنة جهنم الملائكة الغلاظ الشداد لجره إلىٰ النار فلا يقدر أن يفر منهم.

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾: أي: لا تطع هذا الكافر فيما أمرك به من ترك الصلاة لربك واسجد لربك واقترب منه وتحبب إليه بطاعته فإنه لن يقدر علىٰ ضرك ونحن نحميك منه.

☆ **سجدة:** وسجود التلاوة حكمه مستحب وفي القرآن خمسة عشر موضعًا للسجدات.

☆ **فائدة:**

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ ذكر أنها نزلت في أبي جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأن عُنقه فأنزل الله ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ قال نبي الله ﷺ حين بلغه الذي قال أبو جهل: «**لَوْ فَعَلَ لَاخْتَطَفَتْهُ الزَّبَانِيَةُ**» [صحيح الترمذي (٣٣٤٨)].



سورة القدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

آيةٌ للعمل

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

ليلة واحدة قد تكون أفضل من العمر كله؛ فاحرص ألا تضيع ليلة من عمرك.

سورة القدر

﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: أي: نحن أنزلنا هذا القرآن المعجز في ليلة القدر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾: أي: هل تعلم ما عظم مقدار ليلة القدر؟

ذكر الله سبحانه فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالىٰ:

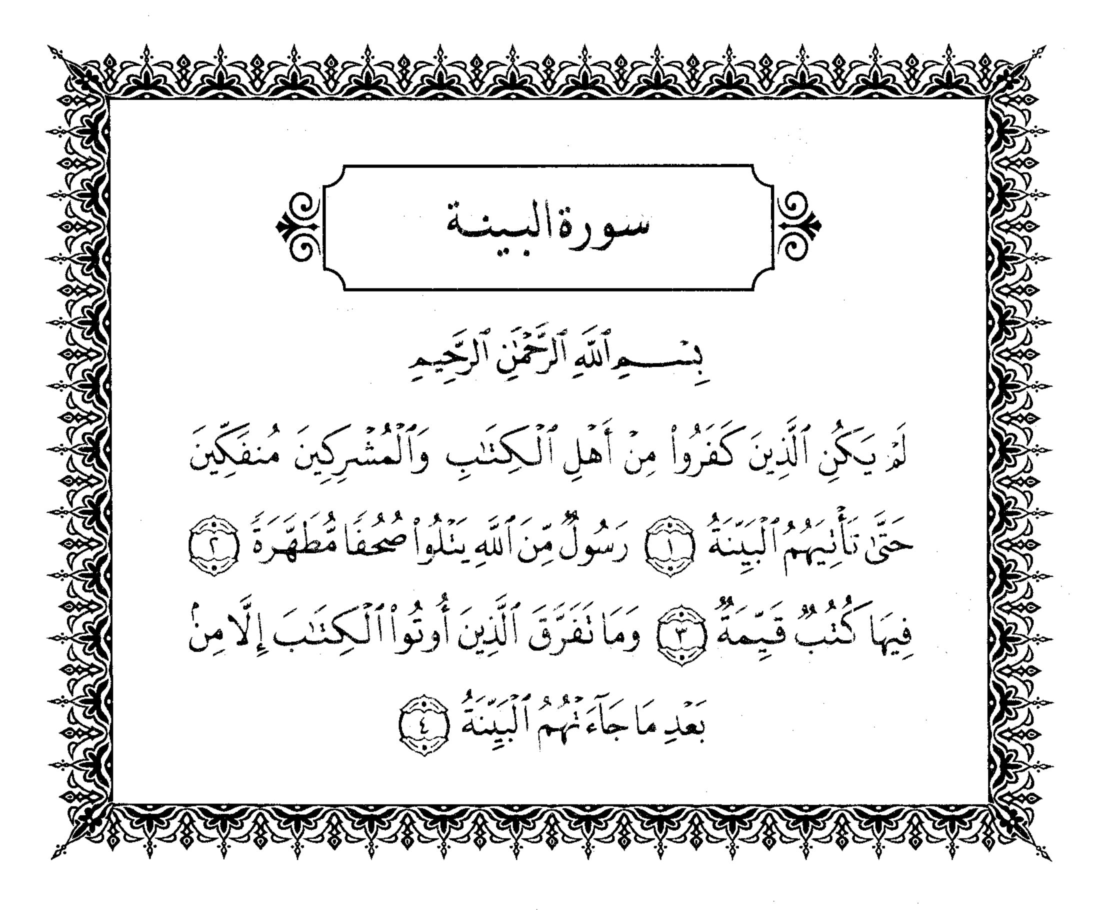
١ - ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: أي: ليلة القدر في الشرف والفضل خير من ألف شهر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر أي أكثر من ثلاث وثمانين سنة.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾: جبريل عليه السلام.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾: أي: تنزل الملائكة وجبريل إلىٰ الأرض في تلك الليلة بأمر ربهم من أجل كل أمر قدره الله وقضاه ففي ليلة القدر يقدر ما يكون في العام من الآجال والأرزاق.

﴿سَلَٰمٌ﴾: سالمة من كل شر.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: أي: هي سلام من أول يومها إلىٰ طلوع الفجر سالمة من كل آفة وشر.



آيةٌ للعمل

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

حين تخاف من الله يرزقك النور الذي ترىٰ به الحق من الباطل، ويرزقك الله البينة التي تميز بها بين الحق والباطل؛ فتكون من خير البرية.

سورة البينة

﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود والنصارىٰ.

﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾: عبدة الأوثان والأصنام.

﴿مُنفَكِّينَ﴾: منتهين.

﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الحجة الواضحة.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: أي لم يكن أهل الكفر الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارىٰ وهم أهل الكتاب، ومن المشركين عبد الأوثان والأصنام منتهين عما هم عليه من الكفر حتىٰ تأتيهم الحجة الواضحة.

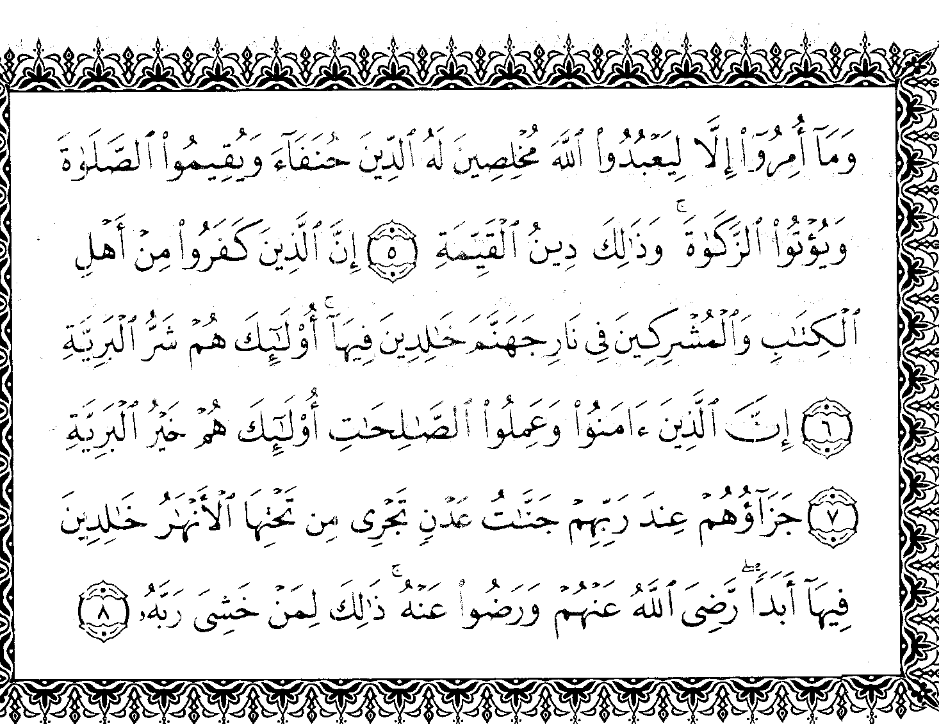
﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: أي: هذه البينة هي رسالة النبي محمد ﷺ المرسل من عند الله تعالىٰ يقرأ عليهم صحفًا منزهة عن الباطل عن ظهر قلب وهي القرآن.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: أي: فيها أحكام قيمة أي: مستقيمة لا عوج فيها تبين الحق من الباطل.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: أي: وما اختلف اليهود والنصارىٰ في شأن محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة، الدالة علىٰ صدق رسالته وأنه الرسول الموعود به في كتبهم.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لا يشركون به شيئًا.

﴿حُنَفَآءَ﴾: مستقيمين علىٰ دين إبراهيم.



﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾: أي: أنهم ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بأن يعبدوا الله وحده، مخلصين العبادة لله -جل وعلا- مائلين عن الأديان كلها إلىٰ دين الإسلام، مستقيمين علىٰ دين إبراهيم عليه السلام، وأمروا بأن يؤدوا الصلاة علىٰ الوجه الأكمل، في أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها، ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: أي: إن الذين كذبوا بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ، من اليهود والنصارىٰ وعبدة الأوثان، وهؤلاء جميعًا يوم القيامة في نار جهنم، ماكثين فيها أبدًا، لا يخرجون منها ولا يموتون.

﴿ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: الخلق.

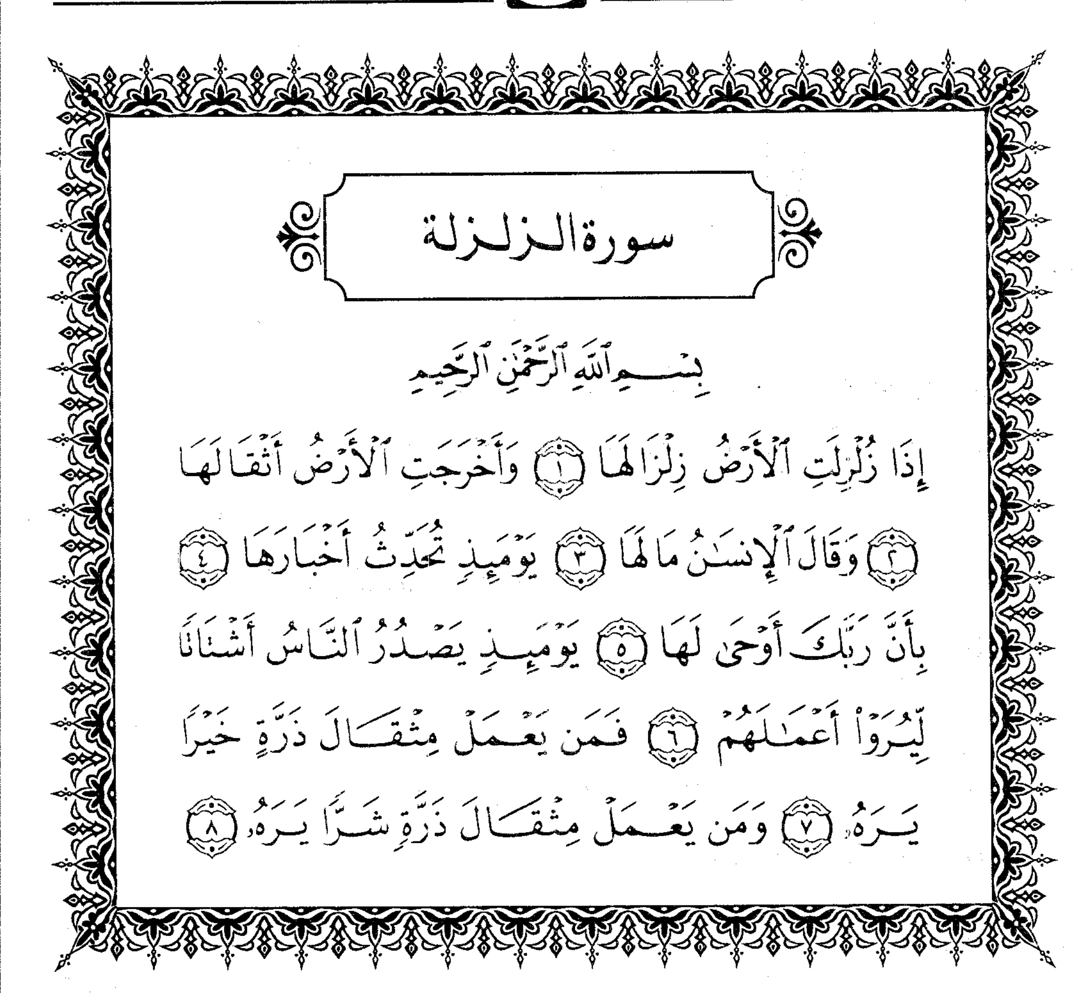
﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أي: أولئك هم شر الخلق علىٰ الإطلاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أي: إن المؤمنين الذين

جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال هم خير الخليقة التي خلقها الله وبرأها.

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾: أي: ثوابهم في الآخرة علىٰ ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة جنات إقامة دائمة تجري أمام قصورها وحواليها أنهار الجنة ماكثين فيها أبدًا لا يموتون، ولا يخرجون منها، وهم في نعيم دائم لا ينقطع رضي الله عنهم بما قدموا في الدنيا من الطاعات وفعل الصالحات ورضوا عنه بما أعطاهم من الخيرات والكرامات وذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله واتقاه وانتهىٰ عن معصية مولاه.





سورة الزلزلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

آيةٌ للعمل

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾

لا تستصغر عملًا صالحًا ولو كان يسيرًا، ولا تستصغر سيئةً وإن كانت حقيرة؛ فإن الحساب عند الله غدًا بالذرة.

سورة الزلزلة

﴿زُلْزِلَتِ﴾: حركت تحريكًا عنيفا متكررًا.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أي: إذا حركت الأرض تحريكًا عنيفًا واضطربت اضطرابًا شديدًا واهتزت بمن عليها اهتزازًا يقطع القلوب ويفزع الألباب عند النفخة الأولىٰ في الصور.

﴿أَثْقَالَهَا﴾: الموتىٰ المدفونون في بطنها.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: أي: وأخرجت الأرض ما في بطنها من الكنوز والموتىٰ.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾: أي: وقال الإنسان: ما الذي جرىٰ للأرض ولماذا تتزلزل؟

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: أي: في ذلك اليوم العصيب -يوم القيامة- تتحدث الأرض وتخبر بما عمل عليها من خير أو شر وتشهد علىٰ كل إنسان بما صنع علىٰ ظهرها.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أي: ذلك الإخبار بسبب أن الله جلت عظمته أمرها بذلك.

﴿يَصْدُرُ﴾: ينصرفون إلىٰ موقف الحساب والصدور: الرجوع والإياب.

﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي: في ذلك اليوم يرجع الخلائق إلىٰ موقف الحساب ثم ينصرفون متفرقين فرقًا فرقًا فآخذ ذات اليمين إلىٰ الجنة وآخذ ذات الشمال إلىٰ النار.

﴿لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: ليشاهدوا أعمالهم وينالوا جزاء أعمالهم من خير أو شر.

﴿مِثْقَالَ﴾: مقدار. ﴿ذَرَّةٍ﴾: كمقدار أصغر نملة، أو حبة تراب.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾: أي: فمن يفعل من الخير زنة ذرة من التراب؛ يجده في صحيفة يوم القيامة ويلق جزاءه عليه.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾: أي: ومن يفعل من الشر زنة ذرة من التراب؛ يجده كذلك ويلق جزاءه عليه.



سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

آيةٌ للعمل

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾

لا تنكر جميل ربك عليك، ولا تنس فضله العظيم، وجوده العميم؛ فإن الشكر يزيد النعم.

سورة العاديات

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الخيل تعدو في الغزو.

﴿ضَبْحًا﴾: صوت أنفاس الخيل إذا جرت بسرعة شديدة.

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾: يقسم الله تعالىٰ بخيل المجاهدين المسرعات في الكر علىٰ العدو يسمع لأنفاسها صوتٌ قوي هو الضبح.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: تشعل. ﴿قَدْحًا﴾: أي: تقدح النار.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: أي: فالخيل تشعل شرر النار من الأرض بوقع حوافرها علىٰ الحجارة من شدة الجري وصلابة حوافرها.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: أي: فالخيل التي تغير علىٰ العدو وقت الصباح قبل طلوع الشمس.

﴿فَأَثَرْنَ﴾: أي: أثارت وحركت. ﴿نَقْعًا﴾: غبارًا.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: أي: فأثارت الخيل الغبار الكثيف؛ لشدة الجري في الموضع الذي أغرن به.

﴿فَوَسَطْنَ﴾: أصبحن في وسطه. ﴿جَمْعًا﴾: جموع الأعداء.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: أي: فتوسطن به جموع الأعداء وأصبحن وسط المعركة.

﴿لَكَنُودٌ﴾: كفور جحود.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: يقسم الله بكل ما سبق علىٰ أن الإنسان يذكر المصائب وينسىٰ النعم.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: أي: وإن الإنسان لشاهد علىٰ جحوده وإنكاره النعم لا

يقدر أن ينكره لظهور أثره عليه.

﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾: المال.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾: أي: وإنه لشديد الحب للمال حريصٌ علىٰ جمعه.

﴿بُعۡثِرَ﴾: أثير وأخرج.

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾: أي: أفلا يعلم هذا الجاهل إذا أثير ما في القبور، وأخرج ما فيها من الأموات

﴿وَحُصِّلَ﴾: بين وأظهر.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: أي: وجمع وظهر ما في الصدور من الأسرار والخفايا التي كانوا يسرونها.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾: أي: إن ربهم لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ومجازيهم عليها أوفر الجزاء.

سورة القارعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

آيةٌ للعمل

﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾

القيامةُ شديدُ الأهوالِ، والنارُ شديدةُ الالتهابِ؛ فاعملْ للجنةِ واحذرِ النارَ.

سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: أي: القيامة التي تضرب القلوب بأهوالها ضربًا عنيفًا.

﴿كَٱلْفَرَاشِ﴾: وهو الذي يتساقط في النار.

﴿ٱلْمَبْثُوثِ﴾: المتفرق المنتشر.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: أي: يحدث ذلك عندما يخرج الناس من قبورهم فزعين كأنهم فراش متفرق منتشر هنا وهناك يموج بعضهم في بعض من شدة الفزع والحيرة.

﴿كَٱلْعِهْنِ﴾: الصوف.

﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾: المتطاير.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: أي: وتصير الجبال كالصوف المنتشر المتطاير تتفرق أجزاؤها وتتطاير في الجو حتىٰ تكون كالصوف المتطاير عند الندف.

﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾: الميزان يوم القيامة توضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: رجحت موازين حسناته وزادت حسناته علىٰ سيئاته.

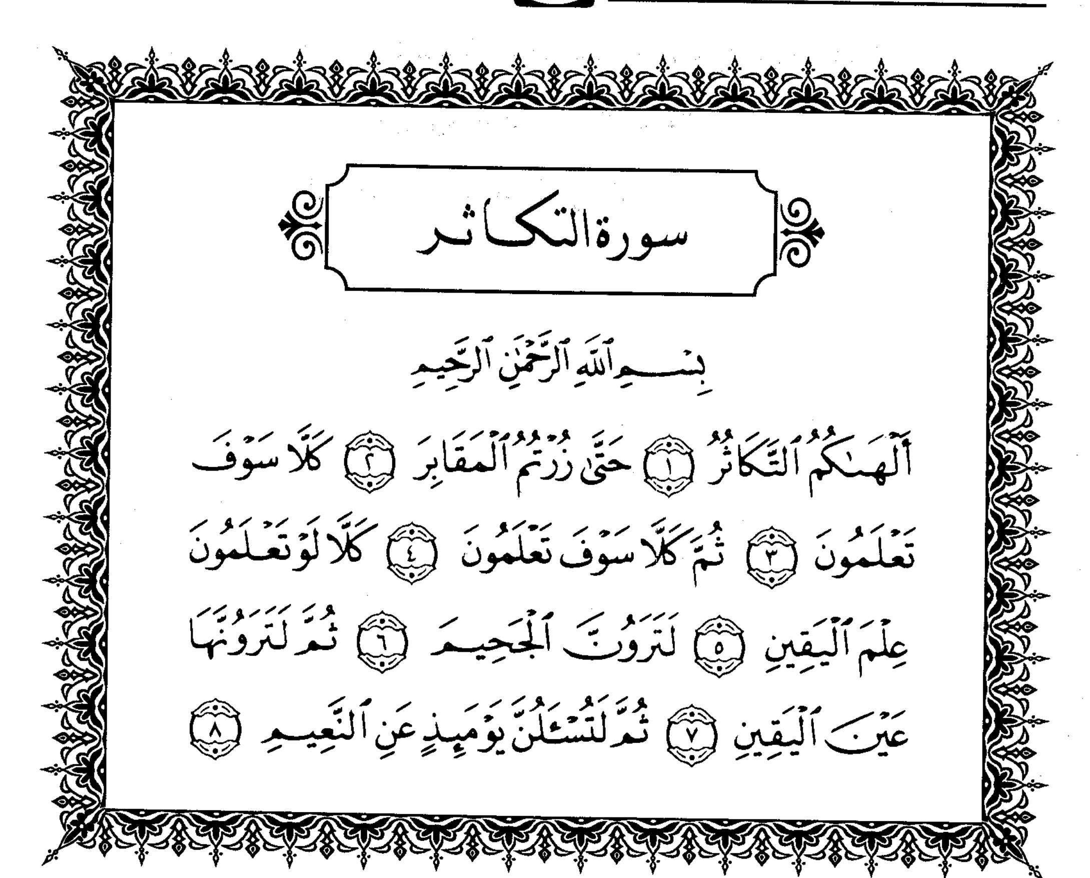
﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي: فهو في عيش هنيئ سعيد في جنان الخلد والنعيم.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: نقصت حسناته عن سيئاته أو لم يكن له حسنات ينجو بها.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾: أي: فمسكنه ومصيره جهنم يهوي في قعرها.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴾: أي: وما أعلمك ما الهاوية؟

﴿ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾: أي: هي نار شديدة الحرارة.



سورة التكاثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

آيةٌ للعمل

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾

ليس المقصودُ من العلم الشرعي الحفظ فقط، بل اعتقادُه والعمل به حتىٰ ينير لك طريقك إلىٰ الجنة.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: أي: شغلكم. ﴿التَّكَاثُرُ﴾: التباهي بكثرة متاع الدنيا.

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾: أي: شغلكم -أيها الناس- التفاخر بالأموال والأولاد والرجال عن طاعة الله وعن الاستعداد للآخرة.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: أي: حتىٰ أدرككم الموت ودفنتم في المقابر.

والمعنىٰ شغلكم المباهاة بكثرة المال والأولاد عن طاعة الله حتىٰ متم فجأة ودفنتم في المقابر.

﴿كَلَّا﴾: أي: ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر.

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: سوف تعلمون عاقبة نسيانكم وانشغالكم بالتكاثر عن ذكر ربكم.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم العذاب في القبر.

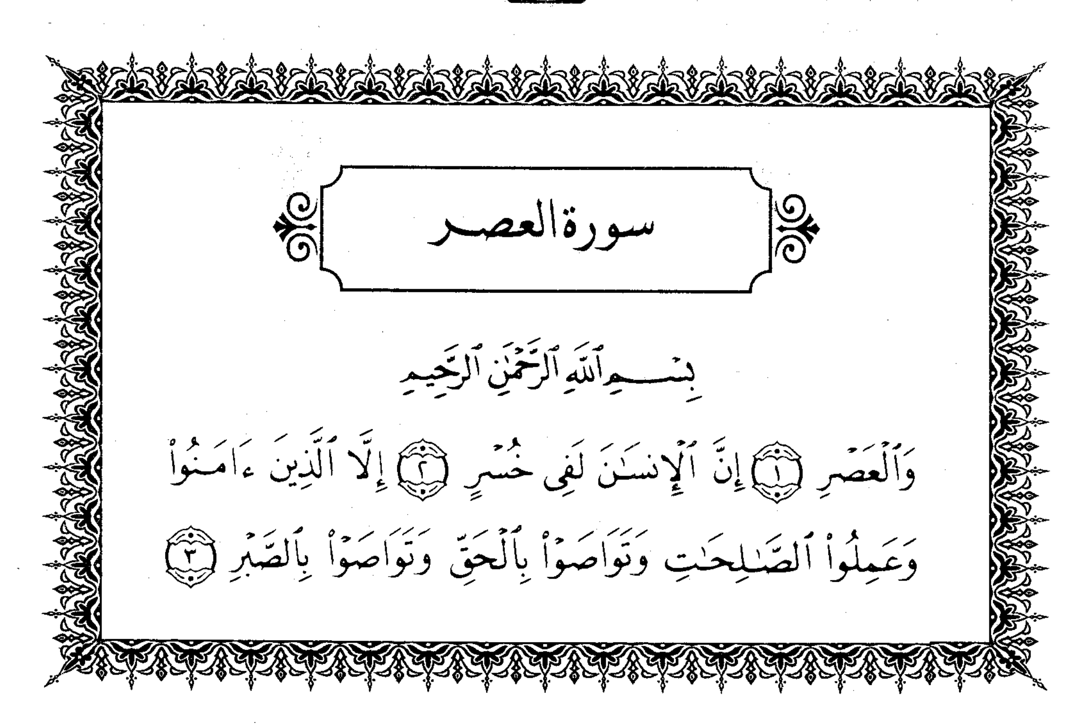
﴿الْيَقِينِ﴾: الأكيد الجازم.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: أي: لو تعلمون ما أمامكم من أمر الآخرة علما يصل إلىٰ القلوب لما ألهاكم التكاثر ولا شغلكم عن الآخرة.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: أي: أقسم وأؤكد بأنكم ستشاهدون الجحيم عيانًا ويقينًا.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: أي: لترونها رؤية حقيقية بالمشاهدة العينية.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾: أي: ثم لتسألن في الآخرة عن نعيم الدنيا من الأمن والصحة وسائر ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومركب ومفرش هل أديتم شكره لله أم لا؟



آيةٌ للعمل

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾

المكسب الوحيد في الدنيا: الإيمانُ والعملُ الصالحُ.

سورة العصر

﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾: أي: أقسم بالدهر والزمن.

﴿خُسۡرٍ﴾: خسران ونقصان وهلكة.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾: يقسم تعالىٰ بأن الإنسان في خسار؛ لأنه يفضل العاجلة علىٰ الآجلة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: إن الإنسان في خسارة دائمة إلا هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال فهؤلاء هم الفائزون.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: وأوصىٰ بعضهم بعضًا بالحق وهو الخير كله من الإيمان والتصديق وعبادة الرحمن.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾: أي: وأوصىٰ بعضهم بعضًا بالصبر علىٰ الشدائد والمصائب وعلىٰ فعل الطاعات وترك المحرمات.



سورة الهمزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

آيةٌ للعمل

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

العذاب الشديد والخزي والوعيد لمن يؤذي المسلمين بلسانه أو فعاله.

سورة الهمزة

﴿هُمَزَةٍ﴾: الهمزة: الذي يعيب الناس بفعله.

﴿لُّمَزَةٍ﴾: الذي يعيب الناس بقوله.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: أي: عذاب شديد وهلاك ودمار لكل من يعيب الناس بلسانه أو بفعله ويغتابهم ويطعن في أعراضهم أو يلمزهم سرًا بعينه أو حاجبه.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾: أحصىٰ عدده وعرف أعداده الكثيرة.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: أي: الذي جمع مالًا كثيرًا وأحصاه يعني عرف عدده وقيمته وحافظ علىٰ عدده؛ لئلا ينقص فمنعه من الخيرات ولم يؤد حق الله فيه.

﴿أَخْلَدَهُۥ﴾: جعله خالدًا لا يموت.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: أي: يظن هذا الجاهل لفرط غفلته أن ماله سيخلده في الدنيا فلا يموت!!

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: ليطرحن.

﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾: جهنم سميت بذلك لأنها تحطم كل ما يلقىٰ فيها.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾: يخبر تعالىٰ عن جزاء هذا الذي يغتاب الناس ويعيبهم وقد جمع المال وأحصاه وظن أن ماله سوف يمنع عنه الموت كلا ليس الأمر كما يظن بل سوف يرمىٰ في جهنم وتحطمه كما تحطم كل شيء.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾: أي: هل تعلم ما هي الحطمة؟

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾: أي: هي نار الله المشتعلة بأمره تعالىٰ وإرادته ليست كسائر النيران؛ فإنها لا تخمد أبدًا ولا تنطفئ.

﴿تَطَّلِعُ﴾: تصل إلىٰ وتبلغ.

﴿ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: القلوب وهي جمع فؤاد.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى﴾: أي: أن تلك النار يصل ألمها وإحراقها إلىٰ القلوب.

﴿مُّؤۡصَدَةٞ﴾: مغلقة.

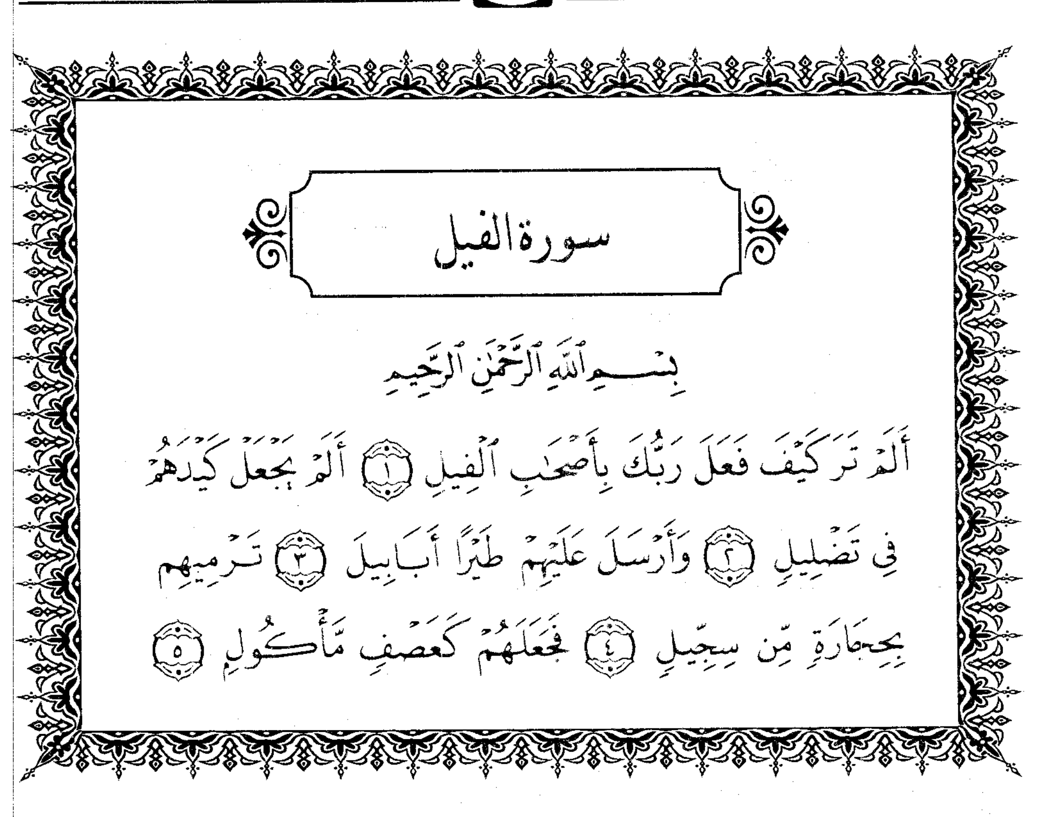
﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾: أي: إن جهنم مطبقة مغلقة عليهم.

﴿عَمَدٖ﴾: أعمدة.

﴿مُّمَدَّدَةِۭ﴾: ممدودة.

﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾: أي: مغلقة بأعمدة ممدودة علىٰ أبوابها حتىٰ لا يخرجوا منها أبدًا.





آيةٌ للعمل

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾

الذي يكيد ويمكر لأذىٰ الناس ومعصية الله يضله الله، ويخيب سعيه؛ فكن عاملًا في طاعة الله، وإعانة الناس علىٰ الخير.

سورة الفيل

أصحاب الفيل: أبرهة وجنوده الذين أرادوا هدم الكعبة بالفيل.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: ألم تعلم ماذا فعل ربك بهؤلاء الذين أرادوا أن يهدموا بيته؟

﴿كَيْدَهُمْ﴾: سعيهم لتخريب الكعبة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: أي: لقد أبطل الله مكرهم؛ فضل سعيهم ولم يستطيعوا فعل ما أرادوا.

﴿أَبَابِيلَ﴾: جماعات متتابعة.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: أي: وسلط عليهم من جنوده سبحانه طيرًا أتتهم جماعات متتابعة بعضها في إثر بعض وأحاطت بهم من كل ناحية.

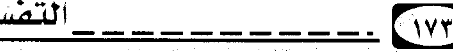
﴿سِجِّيلٍ﴾: طين متحجر.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: أي: تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر كأنها رصاصات ثاقبة لا تصل إلىٰ أحد إلا قتلته.

﴿كَعَصْفٍ﴾: كزرع.

﴿مَّأْكُولٍ﴾: أكلته الدواب ثم أخرجته برازًا

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: أهلكهم الله كلهم كأنهم زرع أكلته الدواب ثم تبرزته.



سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

آيةٌ للعمل

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾

الكعبة من نعم الله علىٰ البشر؛ فاحرص علىٰ الحج والعمرة.

سورة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾: أي: اعتادت قريش عادة

﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾: رحلة الشتاء إلىٰ اليمن ورحلة الصيف إلىٰ الشام.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾: أي: اعتيادهم تلك الرحلة.

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾: أي: فليعبدوا الله العظيم الجليل رب هذا البيت العتيق وليجعلوا عبادتهم شكرًا لهذه النعمة التي خصهم بها.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾: أي: هذا الإله الكريم هو الذي أطعمهم بعد شدة جوعٍ وأمنهم بعد شدة خوفٍ، أفلا يجب علىٰ قريش أن يفردوا هذا الإله الجليل بالعبادة؟!!

المعنى الإجمالي:

اعجبوا لاعتياد قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت!!

وهو سبحانه ذو النعم الجليلة والعطايا الكثيرة والمنح الوفيرة وخاصة علىٰ قريش فليعبدوا رب هذا البيت فهو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.





سورة الماعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

آيةٌ للعمل

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

جعل الله واديًا في جهنم، شديد الالتهاب لمن ينشغلون عن الصلاة وينسونها فلا تزال الصلاة دومًا منك علىٰ بال.

سورة الماعون

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: أي: هل تعرف من هو الذي يكذب بالجزاء والحساب في الآخرة ولا يؤمن به.

﴿يَدُعُّ﴾: يدفعه دفعًا عنيفًا.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾: أي: إن من صفات ذلك المكذب؛ أنه يدفع اليتيم دفعًا غليظًا شديدًا ولا يرحمه بل يظلمه ولا يعطيه حقه.

﴿يَحُضُّ﴾: يحث وينصح.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: إنه لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه.

﴿فَوَيْلٌ﴾: عذاب وهلاك أو هو واد في جهنم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾: يتوعد الله الذين يصلون نفاقًا ورياءً أن لهم عذابًا شديدًا في جهنم.

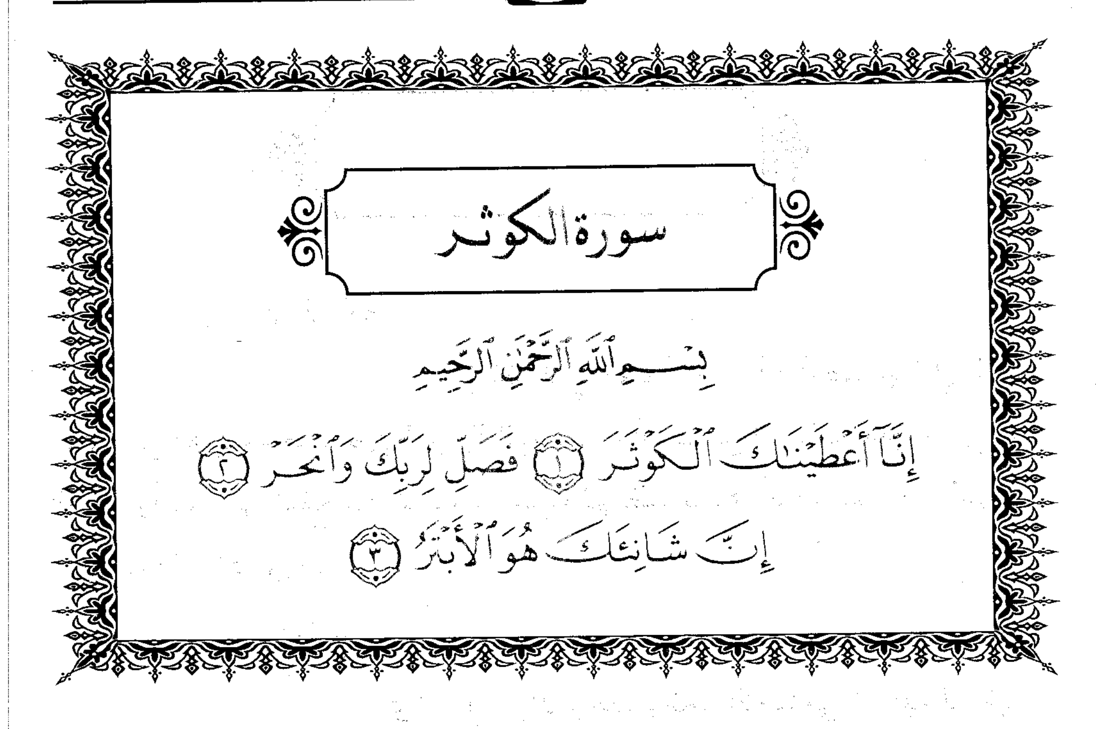
﴿سَاهُونَ﴾: غافلون غير مبالين بها يتأخرون عنها أو يضيعونها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: ومن صفات هؤلاء المنافقين المكذبين أنهم لا يبالون بالصلاة ويتركونها حتىٰ يخرج وقتها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾: أي: يصلون أمام الناس رياءً ليقال: إنهم صلحاء.

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: ما يستعيره الناس من أشياء بسيطة مثل الآنية وغيرها.

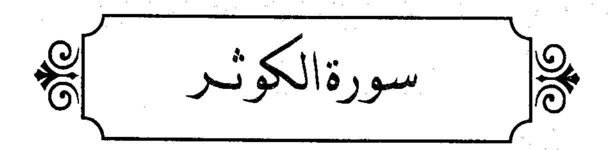
﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾: أي: ويمنعون الناس المنافع اليسيرة فهم يبخلون حتىٰ بأقل الأشياء.



آيةٌ للعمل

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

النبي ﷺ حبيب الله، وهو بجمال خلقته، وجمال خلقه، وعظمة دينه، يجب أن يحبه الناس، ومن يكرهه يكرهه الله؛ فأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ.



سورة الكوثر

﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾: نهر في الجنة.

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾: يبشر الله النبي محمدًا ﷺ أنه أعطاه نهرًا في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه علىٰ الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلىٰ من العسل وأبيض من الثلج من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا وسماه الله الكوثر. نسأل الله أن يرزقنا وروده.

﴿وَٱنۡحَرۡ﴾: أي: اذبح.

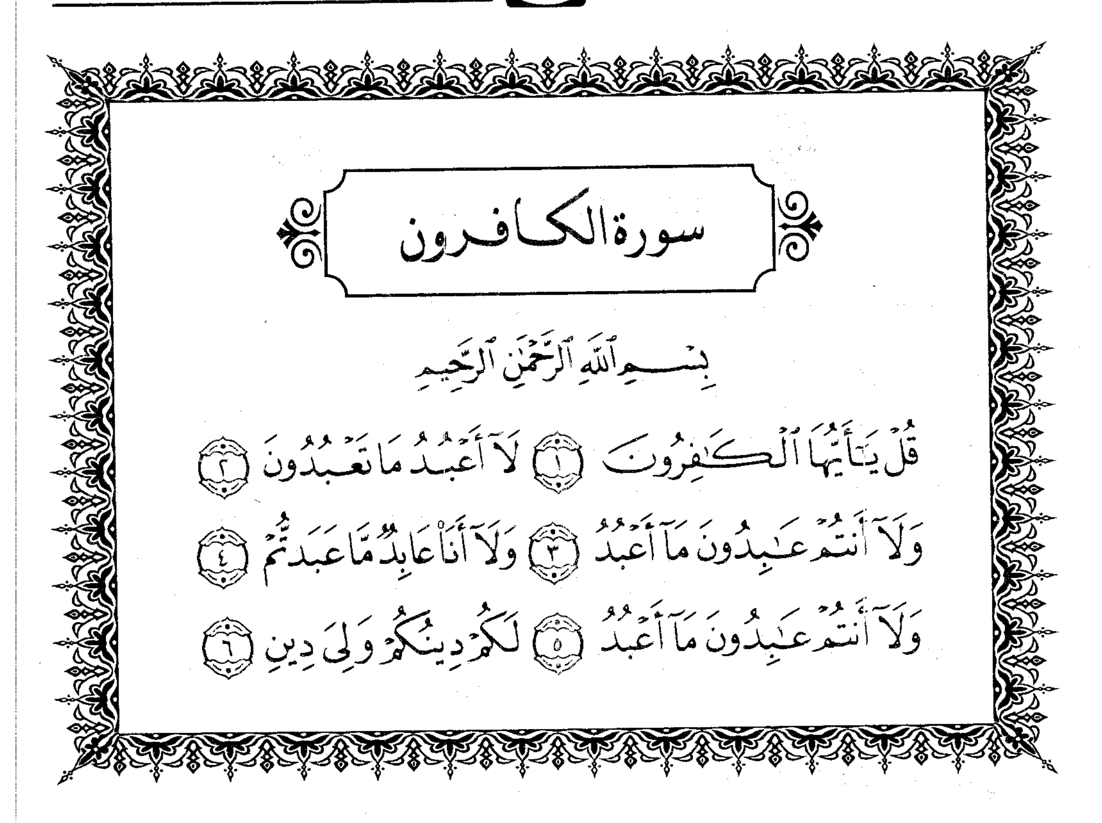
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾: أي: صل لربك وحده وانحر الأضاحي لوجهه لا لغيره شكرًا لله علىٰ ما وهبك من النعم.

﴿شَانِئَكَ﴾: مبغضك وكارهك.

﴿ٱلۡأَبۡتَرُ﴾: المقطوع.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾: يقول تعالىٰ عن أحد مشركي قريش: إنه كان يكره النبي ﷺ ويقول عنه أنه أبتر؛ لأنه ليس له أولاد ذكور، وإن هذا المشرك هو المقطوع عن كل خير وأما أنت -أيها النبي- فذكرك باقي غير مقطوع إلىٰ يوم القيامة.





آيةٌ للعمل

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾

إذا نصحت وأديت ما عليك؛ فدع للناس شأنهم، وانشغل بدينك ورضا ربك.

سورة الكافرون

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أي قل لهؤلاء الذين يكفرون بالله ولا يؤمنون به.

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي: لن أعبد هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها أبدًا.

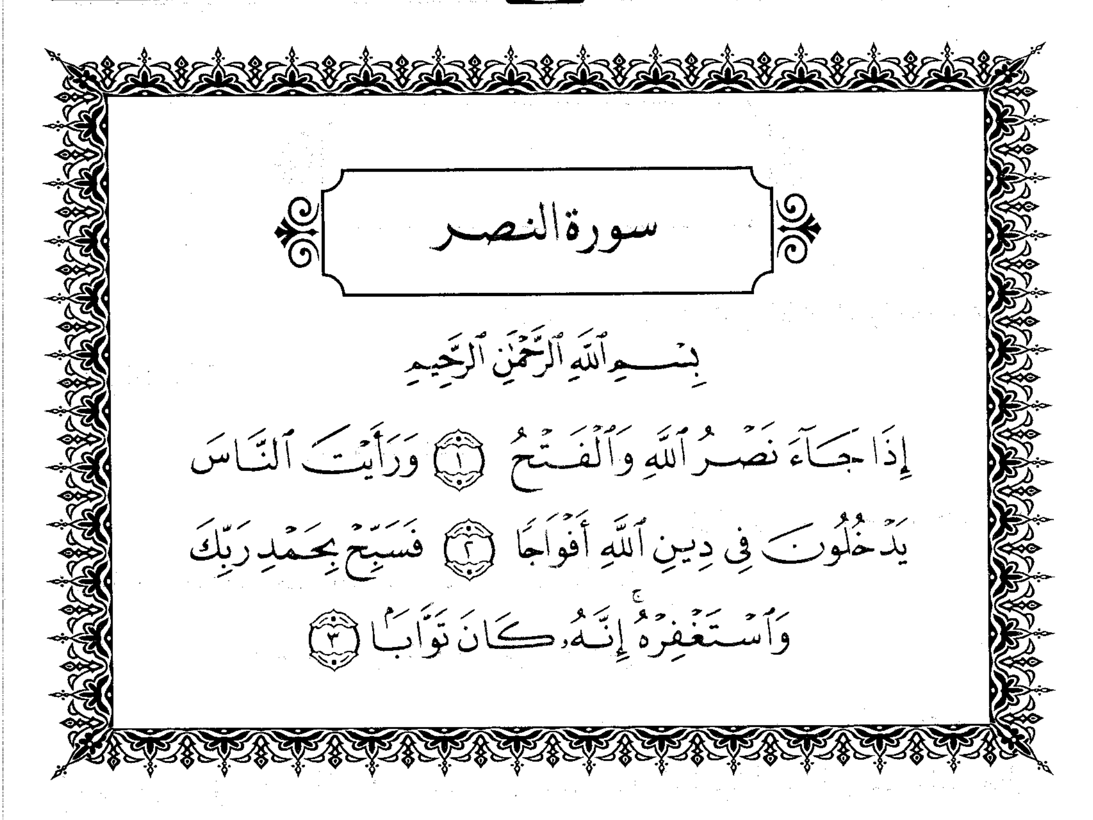
﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أي: ولا أنتم -يا معشر المشركين- عابدون إلهي الحق الذي أعبده وهو الله وحده.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: أي: ولم أعبد الأصنام أبدًا.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أي: ولستم أنتم في المستقبل بعابدين إلهي الحق الذي أعبده.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾: فكونوا كما شئتم لكم شرككم واتركوا لي توحيدي، لا شأن لكم بي.





آيةٌ للعمل

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾

إذا زادت الخيرات، ونزلت البركات، وكثرت النعم؛ فانشغل بثلاث: التسبيح، والحمد، والاستغفار.

سورة النصر

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾: أي: إذا نصرك الله علىٰ الأعداء وأعانك عليهم وفتح لك مكة.

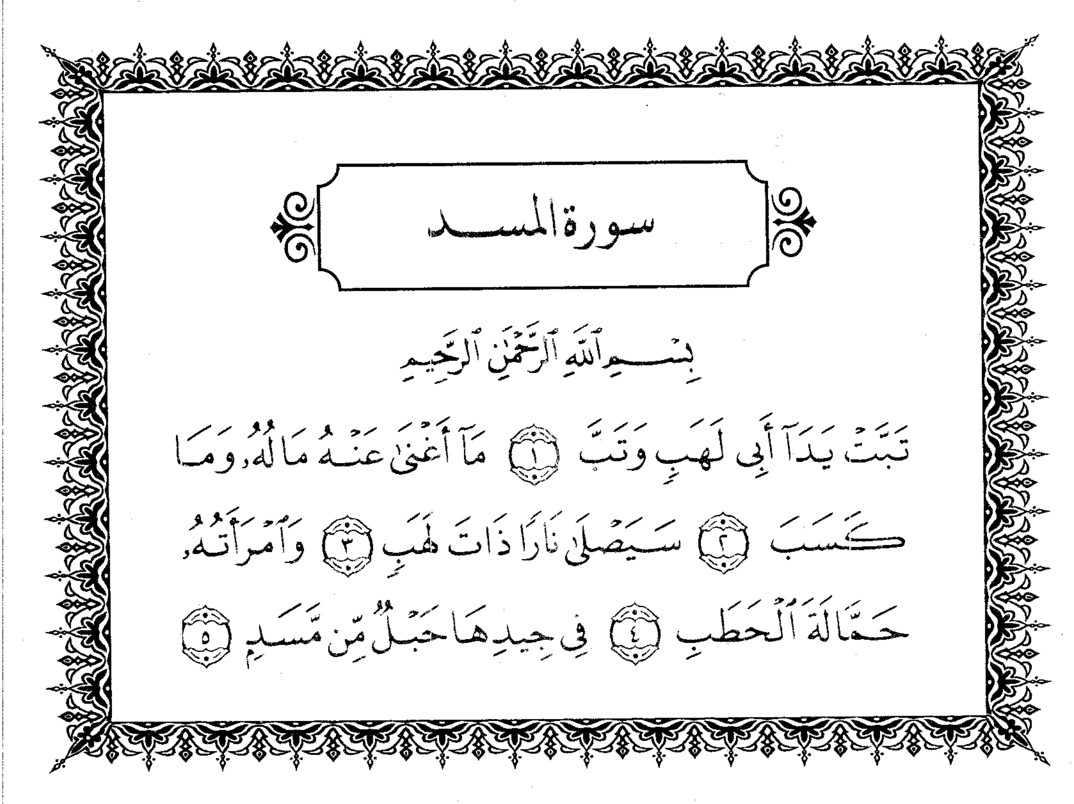
﴿أَفۡوَاجٗا﴾: أي: جماعات كثيرة.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾: أي: ورأيت الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات من غير حرب ولا قتال.

﴿فَسَبِّحۡ﴾: التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾: أي: سبح ربك واحمده لأنه تعالىٰ هو الذي حقق لك هذا النصر، واطلب منه المغفرة لك ولقومك فالله تعالىٰ يقبل التوبة وهي دومًا ختام الأعمال؛ فاختم بها عمرك.





آيةٌ للعمل

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾

المال والمكاسب ليست هي سبيل الوصول إلىٰ الله، إنما الموصول من وصله الله، والمقطوع من قطعة الله؛ فتوسل إلىٰ الله تصل.

سورة المسد

﴿تَبَّتْ﴾: هلكت أو قطعت.

﴿وَتَبَّ﴾: أي: هلك وقطع.

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾: أي: هلكت يدا أبي لهب وخاب وخسر وضل عمله وقد هلك وخسر.

﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾: يعني لم ينفعه.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾: أي: لم يفده ماله الذي كسبه ولم يدفع عنه عذاب الله.

﴿سَيَصْلَىٰ﴾: أي: سيدخل أو يقاسي.

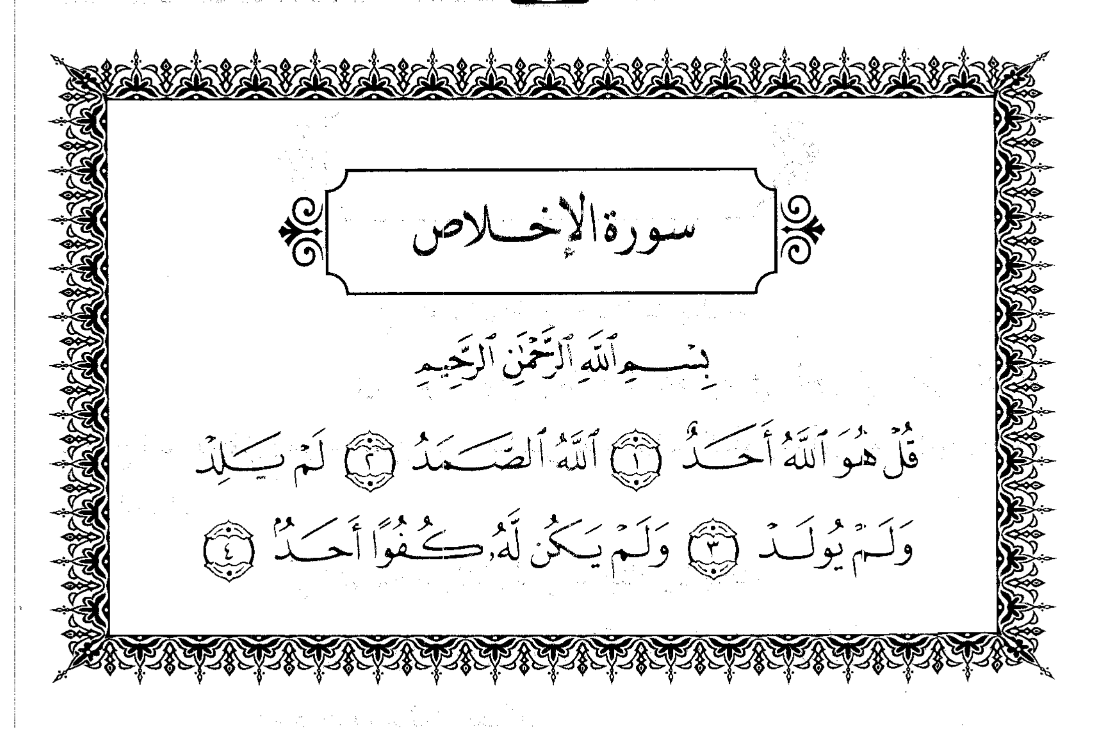
﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: سيدخل نارًا حامية ذات اشتعال وتوقد عظيم وهي نار جهنم.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: أي: وستدخل معه نار جهنم امرأته التي كانت تحمل الحطب لتؤذي به رسول الله ﷺ وأصحابه.

﴿جِيدِهَا﴾: عنقها.

﴿مَّسَدٍ﴾: حبل قوي شديد.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: أي: في عنقها يوم القيامة حبل قوي شديد من نار تشد به إلىٰ عذاب جهنم.



آيةٌ للعمل

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

هذه سورة الحب، فأحبها يحبك الله؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلًا كان يلزم قراءة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في الصلاة مع كل سورة يؤم بأصحابه، فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: إني أحبها، قال ﷺ: «**حُبُّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»، وذلك لكثرة قراءتها وإدمان تلاوتها.

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي: قل: إن الله واحد لا شريك له.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: أي: هو -جل وعلا- المقصود في الحوائج علىٰ الدوام يحتاج إليه الخلق وهو مستغن عن العالمين تصمد إليه القلوب، أي تتجه إليه ونحوه علىٰ الدوام.

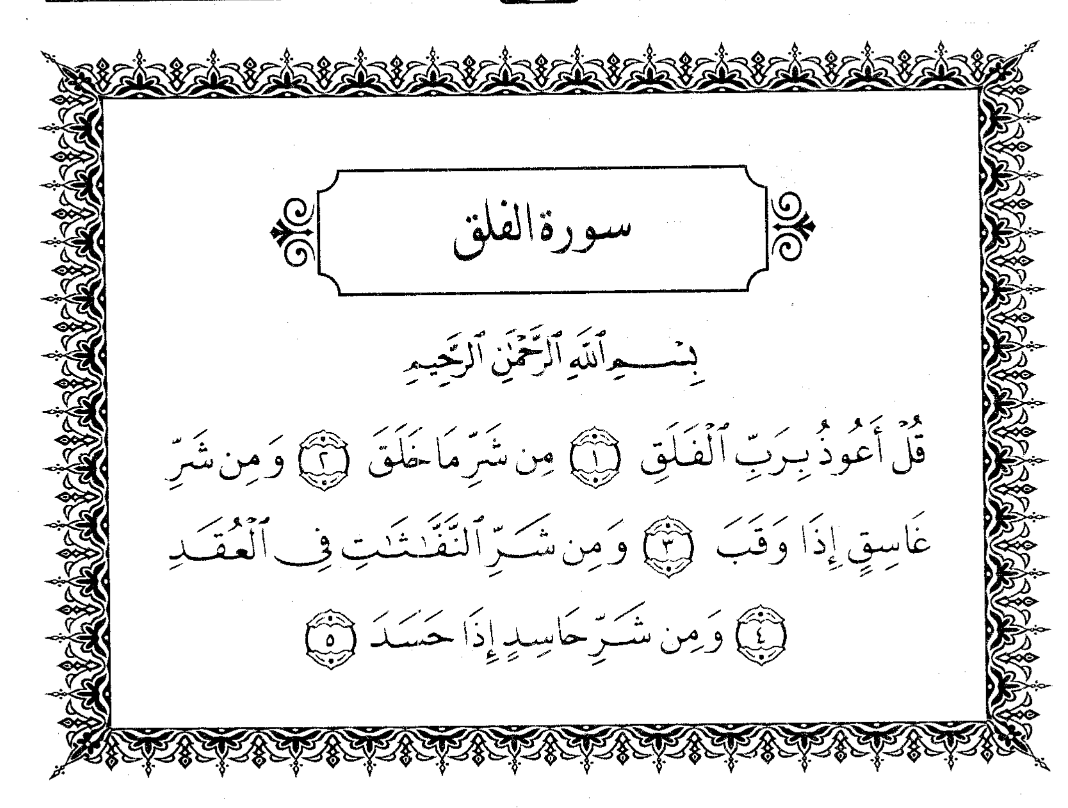
﴿لَمْ يَلِدْ﴾: أي: لم يتخذ ولدًا وليس له أبناء ولا بنات.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي: ولم يولد من أب ولا أم فهو الأول الذي ليس قبله شيء.

﴿كُفُوًا﴾: مكافئًا ومماثلًا ونظيرًا.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: أي: وليس له -جل وعلا- مثيل ولا نظير ولا شبيه من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

فقوله: ﴿أَحَدٌ﴾: نفي النظير والمثل وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: إثبات صفات الكمال وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: نفي للصاحبة والعيال ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: نفي الشركاء لذي الجلال لذلك فهي سورة الإخلاص.



آيةٌ للعمل

﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾

كل المخلوقات فيها خيرٌ وشرٌّ؛ فانفع الناس بخيرك، ولا تؤذ الناس بشرك، واطلب من الله أن يرزقك خير مخلوقاته، وأن يكفيك شرها.

سورة الفلق

﴿ٱلۡفَلَقِ﴾: الصبح.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾: أي: أعتصم وأستجير بالله رب الصبح الذي ينفلق عن الليل.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: أي: من شر جميع المخلوقات من الإنس والجن والدواب والهوام، ومن شر كل مؤذ خلقه الله تعالىٰ.

﴿غَاسِقٍ﴾: الليل إذا اشتد ظلامه.

﴿وَقَبَ﴾: أي: انتشر.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: أي: أعوذ بالله من شر الليل إذا اشتد ظلامه وانتشر أهل الشر من الإنس والجن.

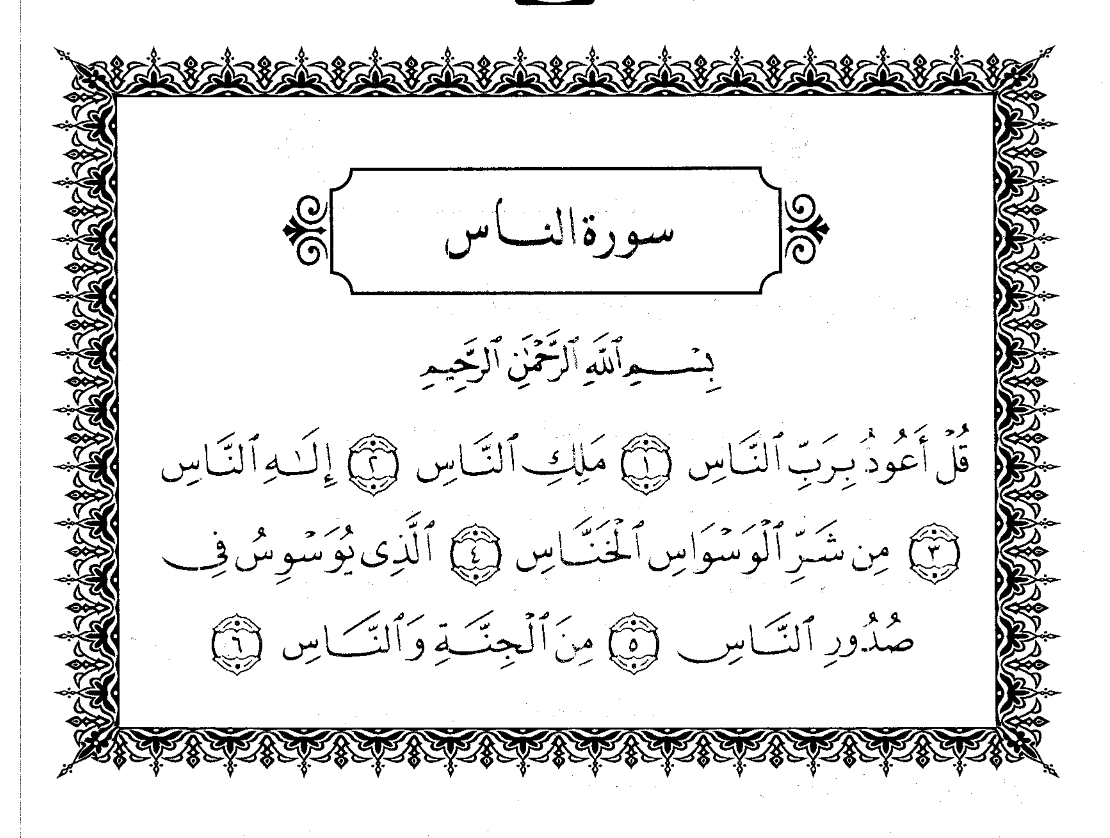
﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: الساحرات اللاتي ينفخن.

﴿ٱلۡعُقَدِ﴾: عقد في خيوط.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلۡعُقَدِ﴾: أي: أعوذ بالله من شر الساحرات اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفخن فيها؛ لكي يضروا بها الناس.

﴿إِذَا حَسَدَ﴾: لأن الحاسد إذا أخفىٰ الحسد ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله لم يضر المحسود.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: أي: أعوذ بالله من شر الحاسد الذي يكره أن يرىٰ نعم الله علىٰ خلقه ويتمنىٰ زوالها ولا يرضىٰ برزقه.



سورة الناس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

آيةٌ للعمل

﴿أَعُوذُ﴾

أحتمي وألتجئ، فالحماية الحقيقية هي حماية الله لعبده؛ فتعود دائمًا أن تحتمي به، وتلجأ إليه ليحميك.

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: أي: ألتجئ وأحتمي بالله رب كل الناس وخالقهم ورازقهم.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: مالك جميع الخلق حاكمين ومحكومين.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: معبودهم الذي لا معبود بحق سواه.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾: أي: الشيطان الذي يوسوس. أي: يوحي إلىٰ الناس في خفاء ومكر فعل الشر.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾: الذي يخنس. أي: يتراجع ويختفي.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: أي: أعوذ بالله من شر الشيطان الذي يوحي للإنسان ويأمره في خفاء وتكرار ليجعله يعصي ربه وإذا ذكر العبد ربه يتراجع ويختفي لأن العبد إذا غفل جثم الشيطان علىٰ قلبه ونفث فيه الوساوس التي هي أصل الشر فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس الشيطان أي تراجع وابتعد.

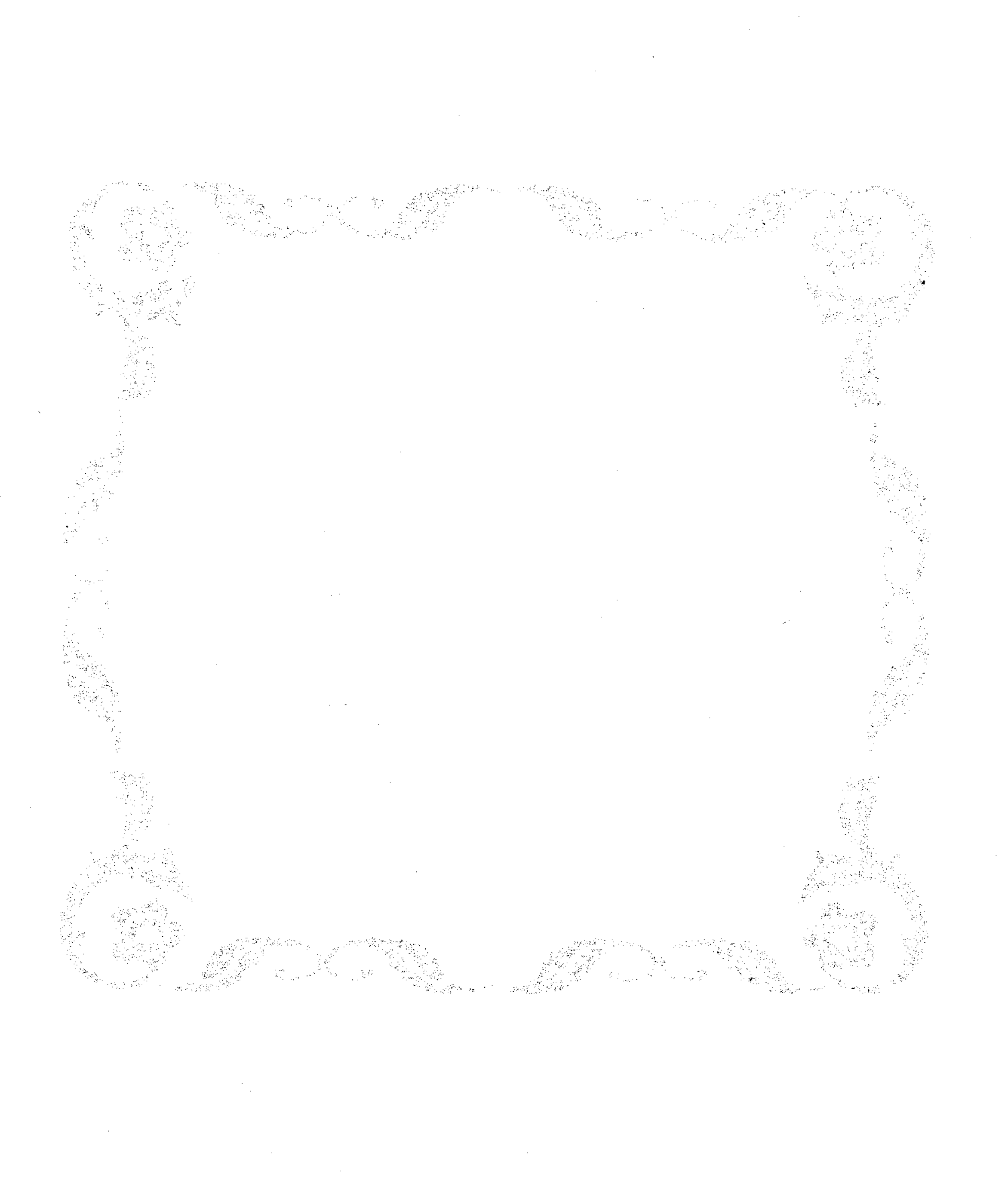
﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: الذي يلقىٰ في قلوب الناس وصدورهم أوهامه.

﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: شياطين الجن.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: أي: من كل الذي يوسوس في صدور الناس ويحثهم علىٰ الشر من شياطين الجن والإنس.

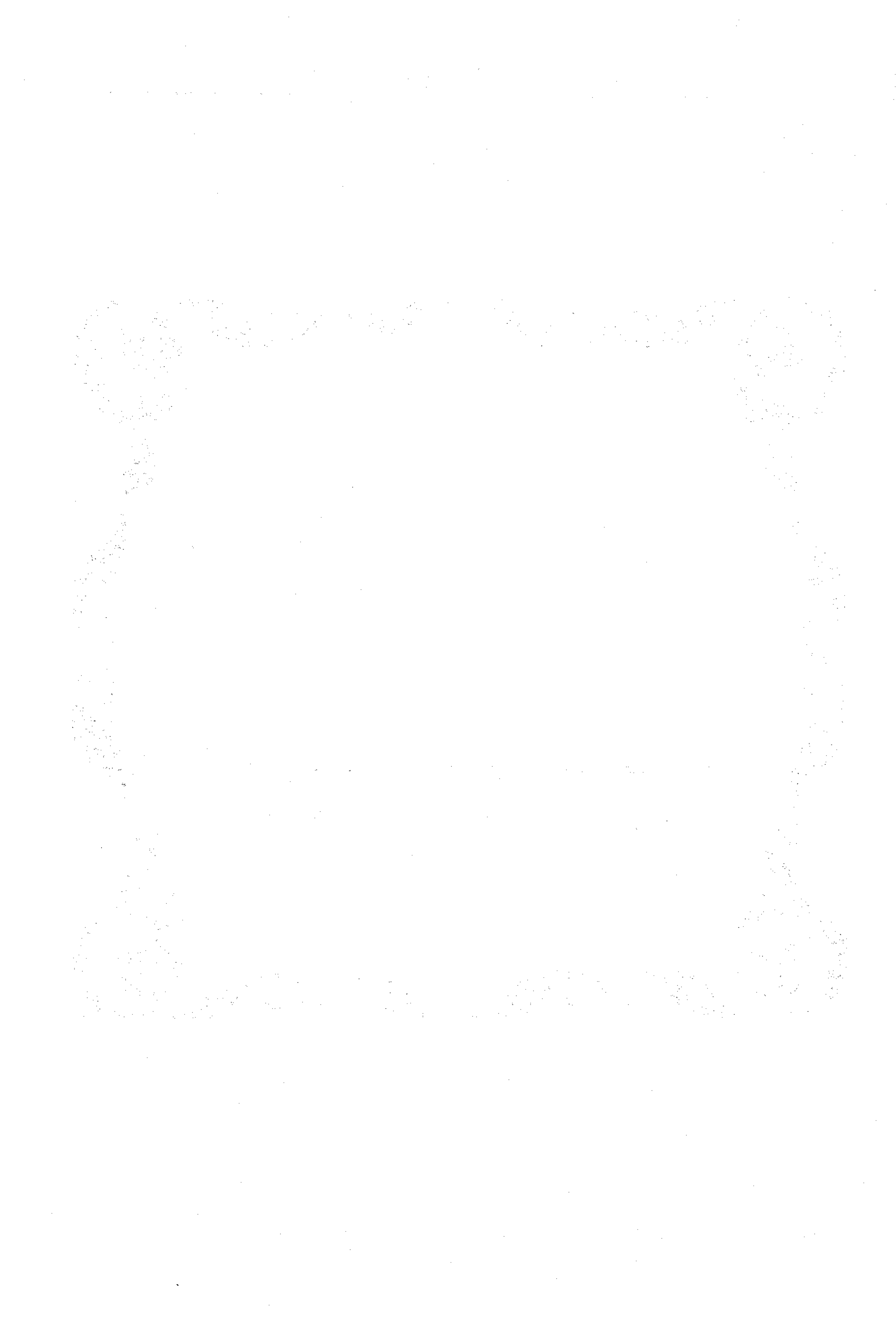


ثانياً:
العقيدة والفقه





مُقَدِّمَة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثـم أما بعد:

حَبِيبِي فِي اللهِ.. ابنَ الإِسْلَامِ..

وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ... إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ..

ابْنِي.. وَحَبِيبِي..

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكَ الصِّدْقَ وَالإِخْلَاصَ، وَالعَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أما بعد:

فَهَذَا الجُزْءُ الثَّانِي من مَنْهَجِ ابنِ الإِسْلَامِ، خَاصٌّ بالعَقِيدَةِ وَالفِقْهِ، وَلِذَا يَجِبُ هُنَا

أَنْ نُنَبِّهَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ اللَّبِيبُ- إِلَىٰ أَهَمِّيَّةِ التَّنْشِئَةِ عَلَىٰ طَلَبِ العِلْمِ، وَحُبِّهِ وَالشَّغَفِ بِهِ.

إِنَّنِي أُرِيدُ لَكَ -يَا ابنَ الإِسْلَامِ- أَنْ تَرْضَعَ العِلْمَ وَتَتَغَذَّىٰ بِهِ غِذَاءً حَقِيقِيًّا؛ لِتَكُونَ ابنَ الإِسْلَامِ حَقًّا، قَالَ الحَسَنُ رضي الله عنه : رَأَيْتُ أَقْوَامًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُونَ: مَنْ عَمِلَ بغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُهُ، وَالعَامِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ.

فَإِذَا أَرَدْنَا بِنَاءَكَ -يَا ابنَ الإِسْلَامِ- بِنَاءً حَقِيقِيًّا عَلَىٰ هُدًىٰ وَبَصِيرَةٍ؛ فَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ الأَسَاسُ العِلْمِيُّ المَتِينُ؛ لِتَنْتَفِعَ بِكَ الأُمَّةُ؛ فَإِنَّ آمَالَ الأُمَّةِ مَعْقُودَةٌ عَلَىٰ هَذَا الجِيلِ كَيْ يُنْتِجَ لَنَا مِنَ العُلَمَاءِ وَالفُقَهَاءِ مَا يُعَوِّضُنَا خَيْرًا عَمَّا افْتَقَدْنَا؛ فَإِنَّ قَبْضَ العُلَمَاءِ نَذِيرُ السَّاعَةِ.

وَهَذِهِ بِدَايَةُ طَرِيقٍ، أَضَعُ قَدَمَكَ عَلَىٰ أَوَّلِهَا، وَإِنَّ مَا أُعْطِيكَ فِي هَذَا الجُزْءِ يُعْتَبَرُ جُرْعَةً تَفْتَقُ بِهَا أَمْعَاءُ ذِهْنِكَ، وَتَسْمُنُ بِهَا عَضَلَاتُ عَقْلِكَ، وَيَشْتَدُّ بِهَا ظَهْرُ فَهْمِكَ، فَخُذْهَا هَنِيئًا مَرِيئًا وَاعْمَلْ، وَاعْلَمْ أَنَّ بِدَايَةَ العَمَلِ النِّيَّةُ.

تَعَالَ -ابنَ الإِسْلَامِ- أُعَلِّمْكَ فِي طَلَبِ هَذَا العِلْمِ.. مَاذَا تُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ طَلَبِهِ؟

١ - طَاعَةَ اللهِ تعالى وَتَنْفِيذًا لِأَمْرِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤] فَطَلَبُكَ مِنَ اللهِ تعالى زِيَادَةَ العِلْمِ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِالسَّعْيِ فِي طَلَبِ زِيَادَتِهِ.

٢- إِرَادَةَ وَجْهِ اللهِ وَالجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ»** [صحيح الترمذي (٢١٥٩)]. اسْلُكِ الطَّرِيقَ تَصِلْ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَلَا تَسْتَطِلِ الطَّرِيقَ فَتَمَلَّ، وَلَا تَسْتَصْعِبِ الطَّرِيقَ؛ فَاللهُ مَعَكَ وَمُعِينُكَ.

٣- وِرَاثَةَ النُّبُوَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؛ إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»** [صحيح مسلم (٢٦٩٩)].

يَا ابنَ الإسْلامِ...

عِنْدَمَا يَتَصَارَعُ النَّاسُ عَلَىٰ وِرَاثَةِ المَنَاصِبِ وَالمَكَاسِبِ وَالأَمْوَالِ، تَمَيَّزْكَ عَنْهُمْ أَنْ تَبْحَثَ أَنْتَ عَنْ مِيرَاثِ النَّبِيِّ ﷺ :

وَهُوَ القُرْآنُ الَّذِي جَاءَ بِهِ..

وَالأَحَادِيثُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنْهُ..

وَسِيرَتُهُ العَطِرَةُ..

فَبِالعِلْمِ يَعْلُو قَدْرَكَ، وَتَكُونُ غَنِيَّ القَلْبِ.

٤- طَلَبَ الخَشْيَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]؛ فَإِنَّ مَنْ خَشِيَ اللهَ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ فِي الدُّنْيَا، جَعَلَ اللهَ كُلَّ شَيْءٍ يَخْشَاهُ، وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَالمِكْيَالُ الأَوْفَىٰ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٧، ٨].

٥- الفِرَارَ مِنَ اللَّعْنَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا»** [صحيح الترمذي (١٨٩١)]. فَكُلُّ مَنْ فِي الدُّنْيَا هَالِكٌ وَإِلَىٰ زَوَالٍ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ اللَّعَنَاتُ، وَالمَرْحُومُ مِنْ ذَلِكَ صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ: أَهْلُ العِلْمِ وَطَلَبَتُهُ، وَالعَابِدُونَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، فَنَجَاتُكَ مِنْ هَذِهِ اللَّعْنَةِ وَهَذَا الطَّرْدِ أَنْ تَدْخُلَ فِي هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ.

٦- أَنْ تَكُونَ مِنَ الأَخْيَارِ، وَتَتَخَلَّصَ مِنْ صِفَاتِ الأَشْرَارِ؛ فَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»** [صحيح البخاري (٧١)].

مَفْهُومُ هَذَا الحَدِيثِ -أَيُّهَا الحَبِيبُ اللَّبِيبُ- أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ قَدْ أُرِيدَ بِهِ شَرٌّ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»** [صحيح البخاري (٤٦٣٩)] فَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الأَخْيَارِ وَتَفِرَّ مِنْ شَرِّ الأَشْرَارِ؟

٧- أَنْ تَدْخُلَ فِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سَيَأْتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ العِلْمَ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَقُولُوا لَهُمْ: مَرْحَبًا مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاقْنُوهُمْ»** [صحيح ابن ماجه (١٨٧)]

قُلْتُ لِلحَكَمِ: مَا اقْنُوهُمْ؟ قَالَ: عَلِّمُوهُمْ. فَاطْلُبِ العِلْمَ تَنَلْ شَرَفَ تِلْكَ الوَصِيَّةِ؛ وَتَكُونُ شَرِيفًا مِمَّنْ أَوْصَىٰ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

٨- رَفْعُ الدَّرَجَةِ عِنْدَ اللهِ. قَالَ اللهُ تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

هَذِهِ دَرَجَاتٌ فِي الدُّنْيَا، وَدَرَجَاتُ الآخِرَةِ أَعْظَمُ؛ فَانْطَلِقْ.. تَصِلْ..

وَاعْلَمْ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- أَنَّهُ لَا يُنَالُ العِلْمُ إِلَّا بِهَجْرِ اللَّذَّاتِ، وَتَطْلِيقِ الرَّاحَةِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الحَرْبِيُّ: أَجْمَعَ عُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ أَنَّ النَّعِيمَ لَا يُدْرَكُ بِالنَّعِيمِ، وَمَنْ آثَرَ الرَّاحَةَ فَاتَتْهُ الرَّاحَةُ، فَمَا لِصَاحِبِ اللَّذَّاتِ وَمَا لِدَرَجَةِ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّ العِلْمَ صِنَاعَةُ القَلْبِ وَشُغْلُهُ، فَمَا لَمْ تَتَفَرَّغْ لِصِنَاعَتِهِ وَشُغْلِهِ لَمْ تَنَلْهَا، وَمَنْ لَمْ يُغَلِّبْ لَذَّةَ إِدْرَاكِهِ العِلْمَ وَشَهْوَتِهِ عَلَىٰ لَذَّةِ جِسْمِهِ وَشَهْوَةِ نَفْسِهِ؛ لَمْ يَنَلْ دَرَجَةَ العِلْمِ أَبَدًا..

ابْنِي.. حَبِيبِي..

إِنَّ وُصُولَ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ إِلَىٰ التَّمْكِينِ لَيْسَ بِالأَمْرِ السَّهْلِ، وَلَكِنَّهُ كَذَلِكَ لَيْسَ بِالأَمْرِ المُسْتَحِيلِ؛ إِذْ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنَ التَّضْيِيقِ الشَّدِيدِ، وَالحَرْبِ الضَّرُوسِ الَّتِي تُشَنُّ عَلَىٰ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ المُسْلِمِينَ يَرَوْنَ أَنَّ التَّمْكِينَ لِدِينِ اللهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ، وَمَهْمَا رَأَىٰ الأَعْدَاءُ أَنَّ التَّمْكِينَ لِلإِسْلَامِ بَعِيدٌ يُشْبِهُ المُسْتَحِيلَ؛ فَإِنَّ المُسْلِمَ وَاثِقٌ بِوَعْدِ اللهِ تعالى وَأَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادُهُ الصَّالِحُونَ، وَهَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ الأَحْلَامِ وَالأُمْنِيَّاتِ، وَلَكِنْ مِنْ بَابِ الثِّقَةِ بِاللهِ تعالى وَاليَقِينِ بِوَعْدِهِ.

إِنَّ الأُمَّةَ فِي أَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَىٰ مَنْ يَرُدَّ إِلَيْهَا ثِقَتَهَا بِرَبِّهَا وَمَنْهَجِهَا، فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ

مَنْ يُوقِظُ الإِيمَانَ فِي قَلْبِهَا وَيُرْشِدُهَا لِلأَخْذِ بِأَسْبَابِ التَّمْكِينِ وَشُرُوطِهِ، وَيُبَيِّنُ لَهَا طَبِيعَةَ الطَّرِيقِ، وَكَيْفِيَّةَ السَّيْرِ فِيهِ، وَيُوَضِّحُ لَهَا المَعَالِمَ؛ لِتَعْرِفَ كَيْفَ تَعْمَلُ، وَإِلَىٰ أَيْنَ تَسِيرُ؟.

☆ إِنَّ أَوَّلَ أَسْبَابِ التَّمْكِينِ إِعْدَادُ وَتَرْبِيَةُ جِيلِ التَّمْكِينِ، أَنْ نَنْشَأَ مُنْذُ الصِّغَرِ عَلَىٰ الِاعْتِزَازِ بِالدِّينِ، وَحُبِّ الدِّينِ، وَالعِلْمِ بِالدِّينِ، وَالعَمَلِ لِلدِّينِ.

☆ أَوَّلُ خُطْوَةٍ فِي هَذَا الإِعْدَادِ: الإِعْدَادُ العِلْمِيُّ..

إِخْوَتِي..

إِلَىٰ مَتَىٰ سَنَظَلُّ نَبْكِي عَلَىٰ أَيَّامِ السَّلَفِ؟! حِينَ كَانَ يُفْتِي الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَهُوَ ابنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ وَالثَّوْرِيُّ وَالأَوْزَاعِيُّ، هَلْ سَنَعِيشُ العُمُرَ نَتَغَنَّىٰ بِأَمْجَادِ المَاضِي، وَنَتَحَسَّرُ وَنَتَبَاكَىٰ عَلَىٰ مَآسِي الحَاضِرِ، وَنَتَمَنَّىٰ وَنَحْلُمُ بِآمَالِ المُسْتَقْبَلِ؟..

أَيْنَ العُلَمَاءُ الرَّبَّانِيُّونَ؟؟

أَيْنَ المُجْتَهِدُونَ المُخْلِصُونَ؟؟

لَابُدَّ -أَيُّهَا الإِخْوَةُ- مِنْ عَزْمٍ وَجِدٍّ، وَيَقِينٍ وَصِدْقٍ فِي إِعْدَادِ أَطْفَالِنَا إِعْدَادًا حَقِيقِيًّا، بِتَأْهِيلٍ عِلْمِيٍّ؛ لِيَكُونُوا قَادَةً وَسَادَةً، وَتَعُودُ لِلأُمَّةِ عَلَىٰ أَيْدِيهِمَا الرِّيَادَةُ.

أَقُولُ هَذَا تَقْدِمَةٌ بَيْنَ يَدَيْ هَذَا المَنْهَجِ فِي العَقِيدَةِ وَالفِقْهِ؛ لِئَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: الكَلَامُ كَبِيرٌ وَعَمِيقٌ، وَالأَسْئِلَةُ صَعْبَةٌ لَا تَتَنَاسَبُ مَعَ الأَطْفَالِ أَوِ المُبْتَدِئِينَ. أَقُولُ: إِنَّنَا بِحَاجَةٍ:

أَوَّلًا: لِتَرْكِ الجِدَالِ وَالعَنْجَهِيَّةِ، وَمُحَاوَلَةِ قَتْلِ الطُّمُوحَاتِ...

وَدَعُونَا نَعْمَلْ.. دَعُونَا نُحَاوِلْ.. دَعُونَا نَجْتَهِدْ..

دَعُونَا نَصْنَعْ وَلَوْ أَفْرَادًا قَلَائِلَ يَكُونُونَ كَالأَعْمِدَةِ تَحْمِلُ البُنْيَانَ.. وَتُعَوِّضُ النَّقْصَ..

وَكَفَانَا هَزِيمَةٌ نَفْسِيَّةٌ، وَيَأْسٌ وَخُمُولٌ، وَإِثَارَةٌ لِلشُّبُهَاتِ مِنَ البَطَّالِينَ الَّذِينَ ضَلُّوا السَّبِيلَ.

السُّؤَالُ الآنَ: كَيْفَ تَرَبَّىٰ عُلَمَاءُ السَّلَفِ الكِبَارُ الَّذِينَ ذَكَرْتُ لَكَ أَسْمَاءَهُمْ؟؟

أَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَسْئِلَةُ -الَّتِي تَرَاهَا فِي هَذَا المَنْهَجِ- فِي مُتَنَاوَلِ أَطْفَالِ الكَتَاتِيبِ أَيَّامَ السَّلَفِ عَلَيْهَا رُبُّوا وَمِنْهَا انْطَلَقُوا؟!

لَا تَقُلْ: المَنْهَجُ صَعْبٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْتَنِعْ بِمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ تَعَلُّمِ أَطْفَالِ السَّلَفِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ بَلْ أَصْعَبُ؛ فَانْظُرِ اليَوْمَ إِلَىٰ عُلُومِ الدُّنْيَا وَكَيْفَ تُدْرَسُ لِلأَطْفَالِ فِي الغَرْبِ لِإِعْدَادِهِمْ عَقْلِيًّا، فِي الكِيمْيَاءِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ، وَاللُّغَاتِ.. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَفَسَادًا، يُنَمُّونَ الطُّمُوحَاتِ، وَيُشَجِّعُونَ المَوَاهِبَ، وَيبتكِرُونَ الأَفْكَارَ..

ثُمَّ دَعْكَ مِنْ هَذَا وَذَاكَ، أَلَيْسَ بَيْنَ أَيْدِينَا اليَوْمَ فِي بِلَادِنَا وَفِي بُيُوتِنَا وَمِنْ أَبْنَائِنَا مَنْ نَبَغُوا لِدَرَجَةٍ مُبْهِرَةٍ فِي الحَاسِبِ الآلِيِّ، وَأَلْعَابِ الجِيمِ وَاللُّغَاتِ؟! لِمَاذَا نَأْتِي عِنْدَ عُلُومِ الدِّينِ وَنَقُولُ:

صَعْبَةٌ.. أَطْفَالٌ.. مُبْتَدِئِينَ؟!!

إِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أُرَبِّيَ رِجَالًا عَلَىٰ عُلُوِّ الهِمَّةِ، وَدِرَاسَةِ أَعْلَىٰ العُلُومِ بِشَغَفٍ وَنَهَمٍ وَرَغْبَةٍ أَكِيدَةٍ، وَمِنَ المَجَالَاتِ المُتَاحَةِ لِي فِي ذَلِكَ تَقْرِيبُ هَذِهِ العُلُومِ إِلَىٰ أَفْهَامِنَا فِي الوَاقِعِ، فَمَثَلًا سَأَتَفَادَىٰ الرُّدُودَ وَالِاخْتِلَافَاتِ وَكَثْرَةَ النُّقُولَاتِ، سَأَتَجَنَّبُ صُعُوبَةَ العِبَارَةِ أَوْ غَرَابَةَ اللَّفْظِ، سَأَشْرَحُ هَذِهِ العُلُومَ وَأُبَيِّنُ المُرَادَ بِأَبْسَطِ عِبَارَةٍ، وَأَلْطَفِ إِشَارَةٍ؛ لِيَكُونَ قَرِيبَ المُتَنَاوَلِ، لَيِّنَ الجَانِبِ، وَأَتَفَادَىٰ الإِطَالَةَ وَالمَلَالَةَ.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَذِّرُونَ النَّاشِئَةَ وَالأَجْيَالَ مِنْ أَنَّ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ صَعْبٌ، وَيُهِيبُونَ النَّاسَ مِنْ كَلِمَةِ الأَدِلَّةِ، بِحُجَّةِ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ المَنَالِ مُسْتَعْصِيَةُ الفَهْمِ، إِلَّا عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ هَؤُلَاءِ قَدْ أَسَاءُوا لِلدِّينِ، وَخَذَلُوا المُسْلِمِينَ، وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَضَيَّعُوا مُسْتَقْبَلَ الأُمَّةِ زَمَنًا طَوِيلًا، فَإِنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلعَوْدَةِ إِلَىٰ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ إِلَّا بَعْدَ إِيجَادِ طَائِفَةِ العُلَمَاءِ، وَتَجْيِيشِ الأُمَّةِ كُلِّهَا لِطَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ النَّافِعِ.

لِمَاذَا يُخَوَّفُ جُمْهُورُ المُسْلِمِينَ مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ؟!!

لِمَاذَا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ -بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَىٰ- أَنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَىٰ أَفْهَامٍ خَارِقَةٍ، وَذَكَاءٍ مُتَوَقِّدٍ، وَجَهَابِذَةٍ لَامِعِينَ؟..

لَا أَدْرِي لِمَاذَا؟!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ...

هَلْ نَزَلَ الوَحْيُ لِأَفْرَادٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ لِعَشَرَاتٍ مِنَ البَشَرِ، أَوْ لِطَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ؟؟

كَلَّا وَاللهِ، الشَّرْعُ لِلمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، خِطَابُ القُرْآنِ لِلكُلِّ، السُّنَّةُ لِلجَمِيعِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَىٰ أَهْلِ ذِكْرٍ وَعَامَّةٍ، وَيَبْقَىٰ التَّمَايُزُ: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران:١٦٣].

لَكِنَّ البُسَطَاءَ فِي الفَهْمِ سَوْفَ يَفْهَمُونَ كَثِيرًا مِنَ النُّصُوصِ، كَمَا فَهِمَهَا الأَعْرَابُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقُولُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [سورة القمر١٧]. وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ بِالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**» [السلسة الصحيحة (٢٩٢٤)].

فَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَ: أَنَّ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ قَرِيبَةُ الفَهْمِ سَهْلَةُ التَّنَاوُلِ يَسِيرَةُ الأَخْذِ، وَيَبْقَىٰ لِأَهْلِ العِلْمِ خَاصِّيَّةُ الاجْتِهَادِ وَالفُتْيَا، وَمِيزَةُ دَقَائِقِ الاسْتِنْبَاطِ.

إِخْوَتِي..

إِنَّ مِنْ سَدَادِ الرَّأْيِ وَنُورِ البَصِيرَةِ وَرَجَاحَةِ العَقْلِ أَنْ نُعِيدَ النَّاسَ إِلَىٰ شَرِيعَتِهِمُ المُطَهَّرَةِ الصَّافِيَةِ بِسُهُولَةِ بَلَاغَتِهَا وَوُضُوحِ مَعَانِيهَا، وَقُرْبِ مَقَاصِدِهَا.

إِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ كُلِّ دَاعِيَةٍ وَعَالِمٍ رَشِيدٍ يَتَبَنَّىٰ إِقْنَاعَ الأُمَّةِ بِيُسْرِ دِينِهَا وَسُهُولَةِ شَرِيعَتِهَا وَسَمَاحَةِ مِلَّتِهَا، وَأَنَّهُ بِاسْتِطَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ جَمْعَاءَ أَنْ تَفْهَمَ، وَأَنْ تَعِيَ، وَأَنْ

تَنْضَبِطَ بِضَوَابِطِ عِلْمِنَا الشَّرْعِيِّ السَّلَفِيِّ الصَّحِيحِ.

لَابُدَّ أَنْ نَعُودَ إِلَىٰ رَأْسِ النَّبْعِ، وَمَصَبِّ النَّهْرِ، وَمَنْبَعِ العَيْنِ جَمِيعًا، عَامَّةً وَخَاصَّةً، لَا طَائِفَةً وَلَا أَفْرَادًا، وَأَمَامَنَا هِمَّةُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ يَوْمًا:

أَيَظُنُّ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرُوا بِهِ دُونَنَا؟ كَلَّا وَاللهِ، لَنُزَاحِمَنَّهُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ رِجَالًا..

إِنَّنَا نُرِيدُ أَنْ نُزَاحِمَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ، وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ نَكُونَ وَرَثَةً حَقِيقِيِّينَ لَهُ، نَعْمَلُ بِهَدْيِ سُنَّتِهِ، وَنَنْهَلُ مِنْ عُلُومِهِ الَّتِي عَلَّمَهَا لَهُ رَبُّهُ سبحانه وتعالى.

فَانْطَلِقْ يَا ابنَ الإِسْلَامِ... عَلَىٰ بَرَكَةِ اللهِ...

بِعِلُوِّ هِمَّةٍ يُنَاسِبُكَ، وَعَوْنٍ مِنَ اللهِ يَحْمِيكَ..

وَصِرَاعِ أَهْلِ البَاطِلِ وَسِبَاقِهِمْ يُحَفِّزُكَ وَيُحَمِّسُكَ..

ابنَ الإِسْلَامِ...

انْطَلِقْ فَأَنْتَ لَهَا...

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾..

أُحِبُّكَ فِي اللهِ..

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَآلِهِ..

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ..

رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ

وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

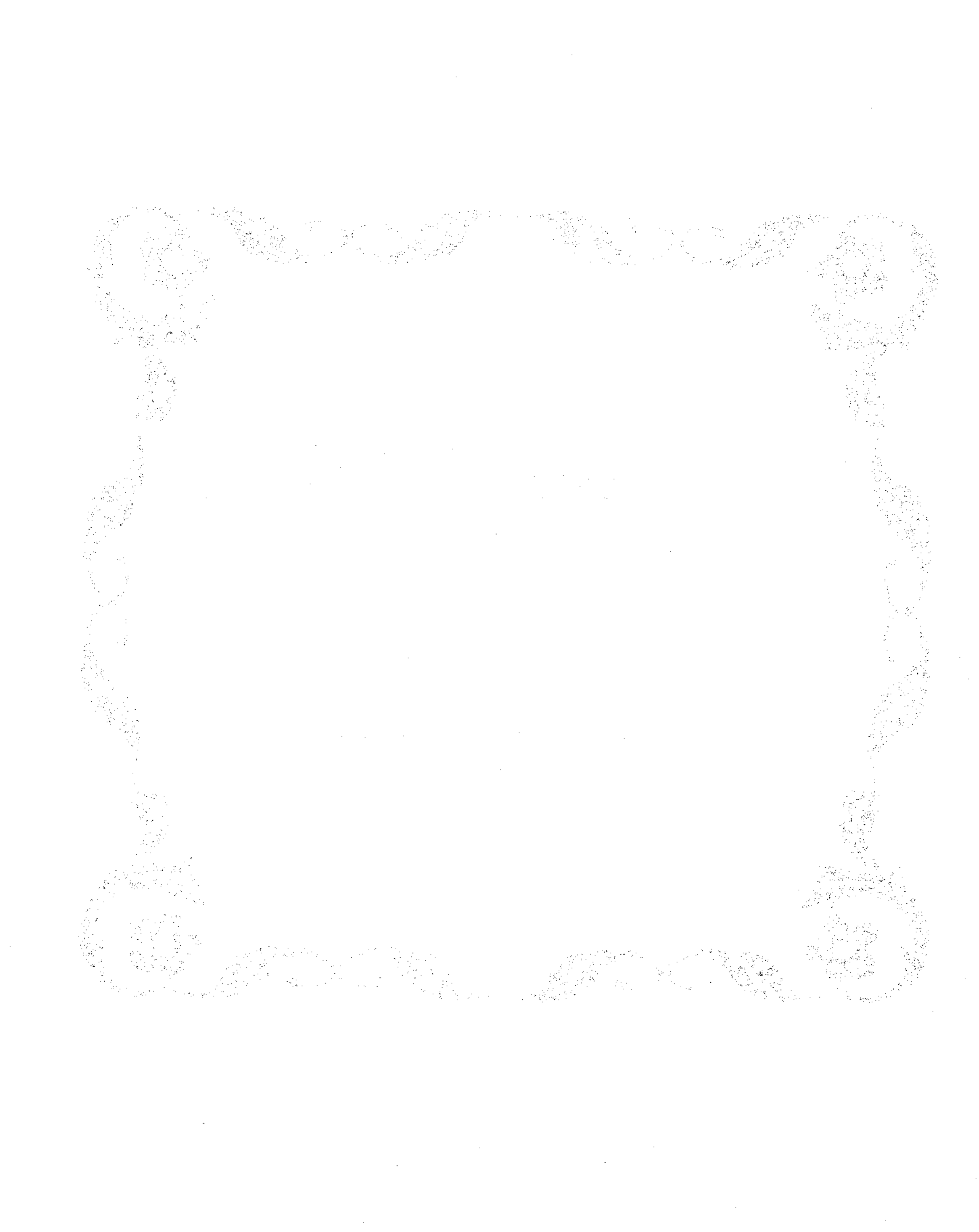
وَالِدُكَ..

محمد بن حسين آل يعقوب

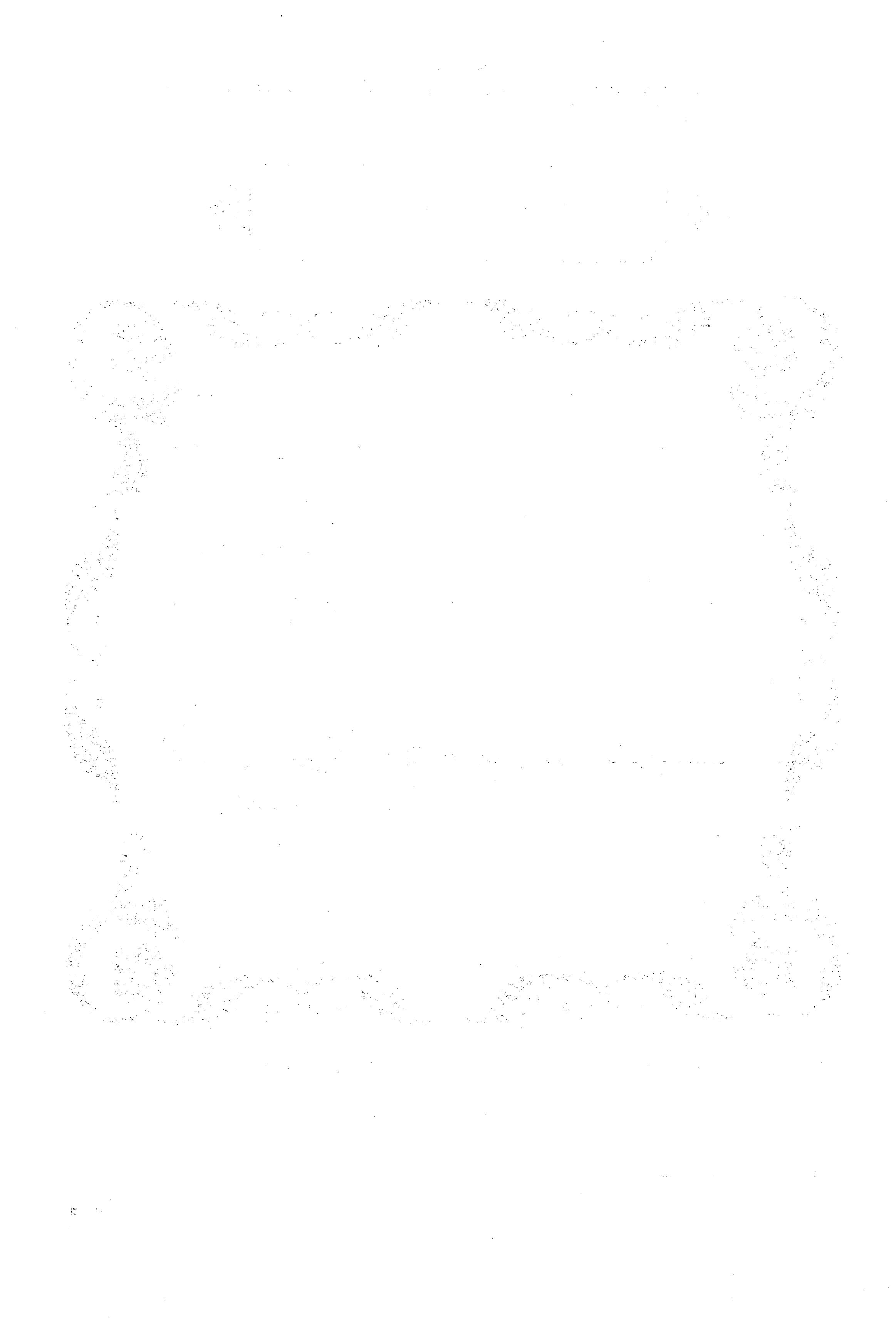


البَابُ الأَوَّلُ

العقيــدة




الفصل الأول
تطهير الجنان والأركان



تطهير الجنان والأركان

١- ما معنى كلمة العقيدة؟

☆ معناها في اللغة: الربط والشد بقوة.

☆ معناها في الشرع: مسائل الإيمان والغيبيات والنبوات والقدر.

٢- ما هي السنة؟

☆ معناها في اللغة: هي الطريقة والسيرة.

☆ معناها في الشرع: التمسك بما كان عليه الرسول ﷺ، وخلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم في الاعتقادات والأقوال والأعمال.

٣- من هم أهل السنة؟

هم أهل الحق، الذين يتمسكون بالكتاب والسنة، ويتبعون السلف بإحسان، ويقتفون أثرهم في الفهم والعمل والاعتقاد.

٤- ما هي قواعد وأصول منهج أهل السنة في العلم؟

☆ الاعتصام بالكتاب والسنة، وحصر التلقي لأحكام الدين منهما.

☆ كل ما صح عن رسول الله ﷺ وجب اعتقاده، وإن كان آحادًا.

☆ الرجوع إلىٰ فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة.

☆ العصمة ثابتة لرسول الله ﷺ والأمة في مجموعها معصومة من الاجتماع علىٰ ضلالة، وأما الأفراد فلا عصمة لأحد منهم.

☆ البدعة لا ترد بالبدعة، ولا يقابل التفريط بالغلو، لكن يجب الالتزام بالمنهج في الرد والاعتقاد.

٥- ما هي البدعة؟

هي طريقة في الدين مخترعة، تُشبه الطريقة الشرعية وليست شرعية.

٦- ما حكم الابتداع في الدين؟

كل بدعة في الدين ضلالة وكل ضلالة في النار.

٧- ما هو أول واجب على المكلف؟

أن يتعلم توحيد الله ﷻ، والدليل قول الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد:١٩]، بوب عليه الإمام البخاري بابًا فقال: (باب: العلم قبل القول والعمل).

٨- ما هو حق الله على العباد؟

أن يعبدوه ويوحدوه، قال رسول الله ﷺ: «**حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». [صحيح البخاري (٢٧٠١)].

٩- لماذا نتعلم التوحيد؟

حتىٰ نعرف الله ﷻ، ونعبده وحده لا شريك له، ونطهر قلوبنا من الشرك؛ لأن التوحيد حق الله ﷻ علىٰ العبيد، وهو سبيل النجاة ودخول الجنة.

١٠- من ربك؟

ربي الله ﷻ الذي خلقني، ورزقني، ورباني، وربىٰ جميع العالمين بنعمته، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البقرة:٢١].

١١- ما دينك؟

ديني الإسلام، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران:١٩].

١٢- ما هو الإسلام؟

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك،

والبراءة من أهله قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [سورة الأنعام:١٦٢- ١٦٣].

١٣- من نبيك؟

نبيي محمد ﷺ قال الله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة محمد: ٢٩].

١٤ من هو محمد ﷺ؟

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

١٥- كيف عرفت ربك؟

عرفت ربي ﷻ بآيات كتابه المنزلة بالوحي على النبي محمد ﷺ، وبآياته الكونية من هذه المخلوقات، وبالفطرة التي فطرني الله ﷻ وفطر الخلق عليها.

١٦- بماذا عرفت ربك؟

عرفت ربي بكل كمال وجلال وتنزيه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ [سورة الإخلاص].

١٧- ما هو التوحيد؟

هو إفراد الله ﷻ بالعبادة، وإفراده بالربوبية، وبالأسماء التي لا مثيل له فيها ولا شبيه قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)﴾ [التوبة:٣١].

١٨- ما أنواعه؟

أنواعه ثلاثة:

☆ توحيد ربوبية: هو توحيد الله ﷻ بأفعال الله، مثل كونه ﷻ ينزل المطر وينبت الزرع، ويحيي ويميت، ويرزق الفقير، ويشفي المريض، ويدبر أمر الكون، فهو القيَّام بكل شئون الخلق.

☆ توحيد ألوهية: هو توحيد الله ﷻ بأفعال العبادة، مثل: الدعاء، والتوكل، والحب، والخوف، والرجاء، وجميع الأعمال القلبية، وجميع الأعمال الظاهرة، وكذلك العبادات المالية، والبدنية، والقولية.

☆ توحيد أسماء وصفات: هو أن نثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من غير أن نزيد فيها أو ننقص منها، ومن غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل.

١٩- ما هي أسماء الله الحسنى؟

هي الأسماء التي سمىٰ الله ﷻ بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ»**. [صحيح، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٩١)].

٢٠- ما هي الأسماء التي تعرفها من الأسماء الحسنى؟

الله الذي لا إله إلا هو.

الرحمن: الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم ﷻ.

الرحيم: خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلىٰ الإيمان، وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع.

الملك: النافذ الأمر في ملكه، والله ﷻ مالك المالكين كلهم وما ملكوا.

القدوس: المبارك المقدس المعظم ﷻ.

السلام: هو السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله ﷻ.

المؤمن: الذي أمن من عذابه من لا يستحقه ﷻ.

المهيمن: الشاهد، الرقيب الحافظ ﷻ.

العزيز: هو الغالب كل شيء، فهو العزيز الذي ذل لعزته كل عزيز ﷻ.

الجبار: عالٍ علىٰ خلقه بصفاته العالية وآياته القاهرة وهو المستحق للعلو والجبروت ﷻ، وهو الذي يجبر الضعيف وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير ويغني الفقير، وييسر كل عسير.

المتكبر: هو ﷻ المتكبر عن السوء والنقص والعيوب؛ لعظمته وكبريائه.

الخالق: الخلق في اسم الله تعالىٰ هو ابتداء تقدير النشء، فالله ﷻ خالق الدنيا ومنشئها وهو متممها ومدبرها؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

البارئ: الذي به انفصلت الصور بعضها من بعض، فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو، وصورة حمار مفارقة لصورة فرس، فتبارك الله خالقًا وبارئًا.

المصوِّر: هو تعالىٰ مصور كل صورة لا علىٰ مثال احتذاه، ولا رسم ارتسمه، تعالىٰ عن ذلك علوًا كبيرًا.

الغفَّار: هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره ويتجاوز عنها ﷻ.

القهَّار: المروِّض المذلِّل، فالله تعالىٰ قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدلالات علىٰ وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سلطانه، وقهر الخلق كلهم بالموت ﷻ.

الوهاب: الله ﷻ يعطي النعم العظيمة كلها بلا قيمة ولا ثمن.

الرزَّاق: الذي يرزق عباده كلهم ﷻ.

الفتَّاح: الله -تعالىٰ ذكره- فتح بين الحق والباطل فأوضح الحق وبينه، وأدحض الباطل وأبطله، فهو الفتاح ﷻ.

العليم: العالم بكل شيء في الدنيا والآخرة، ويعلم الغيب ﷻ.

القابض الباسط: الأدب في هذين الاسمين أن يذكرا معًا؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معًا:

الباسط: هو الذي يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة ﷻ.

القابض: هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات ﷻ.

الرافع الخافض: وكذا من الأدب في هذين الاسمين أن يذكرا معًا، فالله ﷻ يخفض من استحق الخفض من أعدائه، ويرفع من استحق الرفع من أوليائه وكل ذلك حكمة منه وعدلًا ﷻ.

المعز: الله ﷻ يذل طغاة خلقه وعتاتهم.

السميع: هو الذي يسمع السر والعلانية وسامع كل شيء ﷻ.

البصير: الذي يبصر الخلق وأفعالهم ﷻ.

الحكم: فالله ﷻ هو الحاكم، له الحكم في الدنيا والآخرة، وهو الحكم بين الخلق؛ لأنه الحكم في الآخرة ولا حكم غيره.

العدل: الله ﷻ عادل في أحكامه وقضاياه فلا ظلم ولا جور، فأفعاله حسنة.

اللطيف: المحسن إلىٰ عباده في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم أسباب معيشتهم من حيث لا يحتسبون ﷻ.

الخبير: العالم ﷻ.

الحليم: هو الذي لا يعاجل بالعقوبة ﷻ.

العظيم: عظيم الشأن والسلطان ﷻ.

الغفور: الذي يغفر للعباد ﷻ.

الشكور: الشكر من الله ﷻ هو إثابته الشاكر علىٰ شكره، فجعل ثوابه للشكر وقبوله للطاعة شكرًا.

العلي: الله ﷻ عالٍ علىٰ خلقه وهو علي عليم بقدوته وبذاته وصفاته.

الكبير: كبير القدر والقدرة ﷻ.

الحفيظ: الذي يحفظ عباده من كل شر وسوء ﷻ.

المقيت: هو الذي يعطي كل شيء قوته وغذاءه ﷻ.

الحسيب: الكافي ﷻ.

الجليل: جلالة الشأن والمقدار وعظم القدر ﷻ.

الكريم: الكرم سرعة إجابة النفس، وهو تعالىٰ أكرم الأكرمين ﷻ.

الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه ﷻ.

المجيب: هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﷻ.

الواسع: هو الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، ووسع غناه كل فقير ﷻ.

الحكيم: الله تعالىٰ محكم للأشياء متقن لها، ويمنع من الفساد، ويضع كل شيء في موضعه اللائق به ﷻ.

الودود: محبوب مودود عند أوليائه فهو بمعنىٰ مودود ﷻ.

المجيد: الكثير الشرف والله سبحانه أمجد الأمجدين وأكرم الأكرمين.

الباعث: الله تعالىٰ يبعث الخلق كلهم ليوم لا شك فيه فهو يبعثهم من الممات ويبعثهم أيضًا للحساب ﷻ.

الشهيد: الحاضر، العالم ﷻ.

الحق: هو الموجود حقيقة، والمتحقق وجوده وإلهيته، والحق ضد الباطل.

الوكيل: الكفيل، الذي توكل بالقيام بجميع ما خلق، فأمور الخلائق موكولة إليه، فهو سبحانه كافيهم ﷻ.

القوي: الكامل القدرة علىٰ الشيء ﷻ.

المتين: الشديد القوي، الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه تعب ﷻ.

الولي: هو ﷻ ولي عباده بأن يتولىٰ نصرهم وإرشادهم، وهو يتولىٰ يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم.

الحميد: الله ﷻ هو المحمود بكل لسان وعلىٰ كل حال.

المحصي: الله ﷻ محصي كل شيء فلا يفوته شيء من عد وإحصاء.

المبدئ: هو الذي ابتدأ الأشياء كلها -لا عن شيء- فأوجدها ﷻ.

المعيد: هو الذي يعيد الخلائق كلهم ليوم الحساب كما ابتدأهم ﷻ.

المحيي: الله ﷻ أحيا الخلق بأن خلق فيهم الحياة وأحيا الموات بإنزال الحياة.

المميت: الله ﷻ خلق الموت كما أنه خالق الحياة لا خالق سواه استأثر بالبقاء وكتب علىٰ خلقه الموت.

الحي: دائم الوجود والله ﷻ لم يزل موجودًا فلا يفنىٰ ولا يبيد،

القيوم: هو الدائم الذي لا يزول، القائم علىٰ كل شيء، فلا يقوم شيء إلا به ﷻ.

الواجد: هو الغني فلا يفتقر إلىٰ شيء ﷻ.

الماجد: كثير الشرف ﷻ.

الواحد: تفرده بصفاته التي لا يشركه فيها أحد والله ﷻ هو الواحد، لا شريك ولا مثيل ولا نظير له.

الأحد الفرد: المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته تعالىٰ الله علوًا كبيرًا.

الصمد: السيد المقصود الذي يُتوجه إليه في الحوائج ﷻ.

القادر: الله القادر علىٰ ما شاء لا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب، ﷻ.

المقتدر: مبالغة في الوصف بالقدرة ﷻ.

المقدم المؤخر: وهذان الاسمان من الأدب أن يذكرا معًا، فالله هو الذي يقدم ما ينبغي تقديمه من شيء حكمًا وفعلًا على ما أحب وكيف أحب وما قدمه فهو المقدم، وما أخره فهو المؤخر. تعالىٰ الله علوًا كبيرًا.

المؤخر: هو الذي يؤخر ما ينبغي تأخيره والحكمة والصلاح فيما يفعله الله تعالى وإن خفي علينا وجه الحكمة والصلاح فيه.

الأول: هو الذي ليس قبله شيء، هو متقدم للحوادث بأوقات لها، فالأشياء كلها وجدت بعده وقد سبقها كلها، تعالى كان ولا شيء معه.

الآخر: هو الذي ليس بعده شيء فهو المتأخر عن الأشياء كلها ويبقىٰ بعدها تعالى.

الظاهر: هو الذي ليس فوقه شيء، فهو الذي ظهر للعقول بحججه، وبراهين وجوده، وأدلة وجدانيته سبحانه وتعالى.

الباطن: هو الذي ليس دونه شيء فالله سبحانه وتعالى عارف ببواطن الأمور وظواهرها.

الولي: الذي يلي أمر الخلق ويتولىٰ مصالحهم سبحانه وتعالى.

المتعالي: الله تعالىٰ عالٍ ومتعال وعلي سبحانه وتعالى.

البر: الله تعالىٰ بر بخلقه أي إنه يحسن إليهم ويصلح أحوالهم سبحانه وتعالى.

التواب: الله تعالىٰ غافر الذنب وقابل التوب أي: يقبل رجوع عبده إليه تعالى.

ذو انتقام: هو الذي يبالغ في العقوبة لمن يشاء سبحانه وتعالى.

العفو: الله تعالىٰ عفو عن الذنوب وتارك العقوبة عليها لمن يشاء تعالى.

الرءوف: الذي اشتدت رحمته ورأف بعباده سبحانه وتعالى.

مالك الملك: الله تعالى يملك الملك ويعطيه من يشاء وهو مالك الملوك والملاك يصرفهم تحت أمره ونهيه.

ذو الجلال والإكرام: المستحق لأن يجل ويكرم سبحانه وتعالى.

المقسط: العدل تعالى.

الجامع: الله ﷻ يجمع الخلق للحساب.

الغني: هو المغني والمستغني عن الخلق بقدرته وعز سلطانه والخلق فقراء إلىٰ فضله وإحسانه.

المعطي المانع: وهذا الاسمان من الأدب أن يذكرا معًا، فالله ﷻ هو الذي يمنع ما أحبّ منعه ويعطي ما أحب عطاءه فإذا أعطىٰ ﷻ ففضل وصلاح وإذا منع ﷻ فحكمة وإصلاح.

الضار النافع: وهذا الاسمان من الأدب أن يذكرا معًا فالخير والشر بيده وهو ﷻ مسبب كل خير ودافع كل شر وأن الخلق تحت لطفه يرجون كرمه.

النور: هو الذي بنوره ﷻ يبصر ذو العماية، وبهدايته ﷻ يرشد ذو الغواية.

الهادي: هو الذي هدىٰ خلقه إلىٰ معرفته وربوبيته ﷻ وهو الذي هدىٰ عباده إلىٰ صراطه المستقيم.

البديع: المنفرد بخلق السموات والأرض خلقًا بديعًا جميلًا ﷻ.

الباقي: هو الله ﷻ المستأثر بالبقاء وكتب علىٰ خلقه الفناء.

الوارث: الذي يبقىٰ بعد ذهاب كل شيء ﷻ.

الرشيد: الله ﷻ أرشد الخلق كلهم إلىٰ مصالحهم، وأرشد أولياءه خاصة إلىٰ الجنة وطرق الثواب.

الصبور: كثير الصبر ﷻ.

٢١- ما هو التوسل؟

التوسل هو: اتخاذ الوسيلة، والوسيلة كل سبب يوصل إلىٰ المطلوب، والتوسل في دعاء الله تعالىٰ أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببًا في قبول دعائه، قال الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء:٥٧].

٢٢- ما هو التوسل المشروع؟

هو الذي يكون عن طريق طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ بفعل الطاعات واجتناب المحرمات، وعن طريق التقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة وسؤاله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا؛ فهذا هو الطريق الموصل إلىٰ رحمة الله ومرضاته.

٢٣- ما هي أنواع التوسل المشروع؟

- التوسل إلىٰ الله ﷻ باسم من أسمائه الحسنىٰ أو صفه من صفاته العليا.
- التوسل إلىٰ الله ﷻ بعمل صالح قام به الداعي.
- التوسل إلىٰ الله ﷻ بدعاء الرجل الصالح الحي.

٢٤- كيف يكون التوسل إلي الله ﷻ بأسمائه الحسنى؟

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني. دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا هو برجل قد قضىٰ صلاته -وهو يتشهد- وهو يقول: اللهم إني أسالك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم؛ فقال: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ**» ثلاثًا [صحيح. أبو داود (٩٨٥)].

٢٥- كيف يكون التوسل إلى الله ﷻ بالعمل الصالح؟

أن يذكر الداعي عملًا صالحًا خالصًا ذا بال فيه خوفه من الله سبحانه وتقواه إياه وإيثاره رضاه علىٰ كل شيء وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلىٰ ربه في دعائه؛ ليكون أرجىٰ لقبوله وإجابته.

٢٦- كيف يكون التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الحي؟

كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله ﷻ، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلىٰ الله؛ فيذهب إلىٰ رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوىٰ، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو له ربه؛ ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه.

٢٧- ما هو التوسل الغير مشروع؟

التوسل إلىٰ الله عن طريق: الفزع إلىٰ قبور الموتىٰ والطواف حولها، والترامي علىٰ أعتابها وتقديم النذور لأصحابها، لقضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فهذه كلها بدع لا تجوز

٢٨- ما هي أنواع التوسل غير المشروع؟

الغلو في الصالحين، بأن يرفعهم فوق قدرهم البشري، ويظن أنهم يستطيعون أن ينفعوا أو يضروا

عبادة الآلهة والأوثان بقصد التقرب إلىٰ الله ﷻ بها.

طلب المدد والبركة والخير من الموتىٰ، حتىٰ لو كانوا صالحين.

٢٩- ما حكم الذبح لغير الله؟

إن ما يفعله بعض الناس من الذبح للقبور شرك لا يجوز.

٣٠- ما حكم الأخذ بالأسباب؟

الأخذ بالأسباب واجب أمرت به الشريعة ومثاله السعي في تحصيل الرزق، أو التداوي من الأمراض، ونحو ذلك من الأسباب التي تكون سببًا في حصول ما يريده العبد بأمر الله وحده.

٣١- ما هو الأخذ بالأسباب المشروع؟

أن يتعلق بالسبب تعلقًا مجردًا؛ لكونه سببًا فقط، مع اعتماده الأصلي علىٰ الله ﷻ، وأن الله لو شاء قطعه ولو شاء لأبقاه، وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله ﷻ.

٣٢- ما هي أنواع التعلق غير المشروع؟.

ما ينافي التوحيد: وهو تعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير، ويعتمد عليه اعتمادًا كاملًا معرضًا عن الله، مثل تعلق عباد القبور بمن فيها عند حلول المصائب، واعتقادهم أن غير الله يستطيع أن ينفع أو يضر بغير إذن الله تعالىٰ.

أن يعتمد علىٰ سبب صحيح شرعي مع غفلته عن المسبب وهو الله تعالىٰ، وهذا نوع من الشرك ولكنه لا يخرج من الملة.

٣٣- ما حكم من يقول لأخيه المسلم: يا كافر؟

لا يجوز ذلك مطلقًا، قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**» [صحيح مسلم (٦٠)].

٣٤- ما هي نواقض لا إله إلا الله؟

☆ الكفر

☆ الشرك

☆ النفاق الاعتقادي.

٣٥- ما هو الكفر؟

الجحود، والإنكار، ورفض تصديق ما أنزله الله من الآيات والكتب والرسل.

٣٦- ما هو الشرك؟

أن تعبد مع الله إلها آخر، وهو أن تصرف شيئًا مما يحبه الله ويرضاه من عبادته إلىٰ غير الله أيًا كان ذلك.

٣٧- ما هي أنواع الشرك؟

شرك أكبر: وهو الذي ينافي التوحيد بالكلية، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويخلد فاعله في النار أبدًا، قال تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[النساء:٤٨].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[المائدة:٧٢]

شرك أصغر: وهو لا يخرج من الملة ولكنه ينقص من ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب.

٣٨- ما هي أنواع الشرك الأصغر؟

☆ الرياء.

☆ الحلف بغير الله.

☆ الرقىٰ ما ورد في الكتاب والسنة.

☆ التمائم.

٣٩- ما هو الرياء؟

هو أن يريد العبد بعمله التقرب لغير الله ونيل الثناء عليه من المخلوقين، أو أن يقصد بعمله الوصول إلىٰ غرض دنيوي كالجاه والمال.

٤٠- ما حكم الرياء؟

الرياء هو الشرك الأصغر، وهو أن يعمل الإنسان من أجل أن يراه الناس فيحبوه ويمدحوه أو يعطوه ويكرموه، وهو حرام ويحبط العمل.

٤١- ما حكم الحلف بغير الله؟

الحلف بغير الله من الشرك؛ لأن هذا النوع من التعظيم لا يصح إلا لله ﷻ، ومن عظم غير الله بما لا يكن إلا لله فهو شرك، وكفارته أن يقول الإنسان بعدها لا إله إلا الله؛ لقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» [صحيح أبو داود (٣٢٥١)].

٤٢- ما هي أنواع النفاق؟

☆ **نفاق اعتقاد**: وهو ما أنكره الله علىٰ المنافقين في القرآن، وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار، وهو أن يظهر الإيمان، ويبطن الكفر.

☆ **نفاق عمل**: وهو لا يخرج من الملة؛ قال النبي ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [صحيح البخاري (٢٣)]، وقال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ**

فَجَرَ» [صحيح البخاري (٣٤)].

٤٣- ما معنى الولاء والبراء؟

☆ **الولاء**: أن تحب كل مسلم موحد متبع للسنة وتنصره بما تستطيع وتساعده بكل ما تقدر، حتىٰ وإن كان عاصيًا؛ فإن المسلم يجب حبه.

☆ **البراء**: أن تتبرأ من الكفر وأهله، فتبغضهم في الله وتعاديهم.

☆ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَىٰ الإِيمَانِ: المُوَالَاةُ فِي اللهِ، وَالمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالحُبُّ فِي اللهِ، وَالبُغْضُ فِي اللهِ**» [صحيح الجامع (٢٥٣٩)].

٤٤- ما هي أنواع المحبة؟

☆ **حب الله** ﷻ، وهو أصل كل حب ومنبعه.

☆ **محبة شركية، قال تعالىٰ:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٦٥].

☆ **حب النفاق وهو**: حب الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

☆ **محبة طبيعية وهي**: محبة الولد والمال إذا لم تشغل عن طاعة الله ولم تعن علىٰ محارم الله؛ فهذه محبة.

☆ **حبٌّ في الله وهو**: حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك.

٤٥- ما حكم لعن المسلم؟

لعن المسلم لا يجوز، قال رسول الله ﷺ: «**لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**». [صحيح البخاري (٥٧٥٤)].

٤٦- ما حكم تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال؟

تشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال من كبائر الذنوب، والدليل قول رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**

بِالرِّجَالِ» [صحيح الجامع (٥١٠٠)].

٤٧- ما حكم التشبه بالكفار؟

حرام؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» [صحيح أبو داود (٤٠٣١)]، فلا يجوز التشبه بهم، لا في المظهر ولا في الجوهر.

٤٨- ما حكم الاحتفال بأعياد الكفار؟

لا يجوز؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا**» [صحيح البخاري (٩٠٩)]، فلنا عيدان فقط: هما عيد الفطر وعيد الأضحىٰ لا غير.

٤٩- ما هي المعاملات التي تجوز بين المسلمين والكفار؟

☆ البيع.

☆ الشراء.

☆ الهبة، أو الهدية.

٥٠- ما هي المعاملات التي لا تجوز بين المسلمين والكفار؟

☆ لا يجوز تهنئتهم بأعيادهم.

☆ لا يجوز ابتداؤهم بالسلام.

☆ لا يجوز دخولهم المسجد الحرام.

☆ لا يجوز الاحتفال بأعيادهم.

لا يجوز الزواج منهم، **قال تعالىٰ**: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢١].

٥٢- ما هي كلمة النجاة؟

كلمة النجاة هي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، قال

رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**» [صحيح البخاري (٤١٥)].

٥٣- ما معنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟

معنىٰ أشهد: أي أقر وأعترف بقلبي ولساني لله ﷻ بالوحدانية، ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة.

٥٤- ما معنى لا إله إلا الله؟

هي نفي وإثبات:

لا إله: نفي جميع الآلهة، والطواغيت، والأنداد غير الله ﷻ.

إلا الله: إثبات العبودية لله وحده رب العالمين.

٥٥- ما معنى شهادة أن محمدًا رسول الله؟

تصديقه فيما أخبر، طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله ﷻ إلا بما شرع، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[سورة النساء:٨٠].

٥٦- لماذا خلقنا الله؟

خلقنا الله ﷻ لتوحيده وعبادته، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات:٥٦].

٥٧- ما معنى العبادة؟

هي كل ما يحبه الله ويرضاه، من الأفعال، والأقوال الظاهرة والباطنة.

٥٨- ما هي شروط قبول العبادة عند الله؟

☆ **الإخلاص:** أن يكون العمل خالصًا لوجه الله الكريم، ليس فيه شرك ولا رياء، قال الله ﷻ ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[سورة الأنعام:١٦٢- ١٦٣].

☆ **المتابعة:** أن يكون علىٰ سنة النبي ﷺ وكما فعل، وليس بدعة فالعبادات

توقيفية، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [صحيح البخاري (٢٥٥٠)].

٥٦- ما هي مراتب الدين؟

مراتب الدين ثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

٦٠- ما هي أركان الإسلام؟

أركان الإسلام خمسة:

☆ شهادة أن لا إله إلا الله.

☆ وأن محمدًا رسول الله.

☆ وإقام الصلاة.

☆ وإيتاء الزكاة.

☆ وصوم رمضان.

☆ وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

قال رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ،وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» [صحيح البخاري (٨)].

٦١- ما معنى الإسلام؟

هو الانقياد والإذعان، والاستسلام لله ﷻ بالطاعة، ويقصد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته، وأقواله، وأفعاله.

٦٢- ما هو الفهم الصحيح للإسلام؟

الكتاب والسنة، بفهم سلف الأمة.

٦٣- من هم السلف؟

هم القرون الخيرية الثلاثة الأولىٰ، قال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ

يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» [صحيح البخاري (٢٥٠٩)]، فهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

٦٤- ما هي حقيقة الإيمان؟

الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، والدليل على أن الإيمان يزيد قول الله ﷻ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾، والدليل على أنه ينقص قول رسول الله ﷺ: **«لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»** [صحيح البخاري (٢٣٤٣)]، ومتى قبل الزيادة قبل النقص.

والقول قولان:

قول القلب: وهو اعتقاده وتصديقه، وقول اللسان: وهو شهادته ونطقه.

والعمل عملان:

عمل القلب: وهي الأعمال القلبية للإيمان مثل الحب، والخوف، والرجاء واليقين، والتوكل، والرضا.

وعمل الجوارح: مثل الصلاة، والحج، وذكر الله، وتلاوة القرآن، والزكاة وغيرها.

٦٥- ما معنى شعب الإيمان؟

معنى شعب الإيمان: طرقه، وأركانه، وأعماله، ومكملاته.

٦٦- كم عدد شعب الإيمان؟

قال رسول الله ﷺ: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**.

[صحيح أبو داود (٤٦٧٦)].

٦٧- ما هي أركان الإيمان؟

أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان القدر خيره وشره، قال رسول الله ﷺ عندما سأله جبريل عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» [صحيح البخاري (٥٠)].

٦٨- ما هي المراتب التي يتفاضل فيها أهل الإيمان؟

منهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله،قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

٦٩- ما هي مراتب الإحسان؟

مرتبتان:

☆ **الأولىٰ**: أن تعبد الله ﷻ كأنك تراه، وهو أن يعمل العبد علىٰ مقتضىٰ مشاهدته الله ﷻ بقلبه.

☆ **الثانية**: فإن لم تكن تراه؛ فإنه ﷻ يراك، وهو أن يعمل العبد علىٰ استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله ﷻ.

قال رسول الله ﷻ: «**الإِحْسَانُ أَن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» [صحيح البخاري (٥٠)].

٧٠- ما هو أول ما خلقه الله؟

قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمُ**» [صحيح الترمذي (٢١٥٥)].

٧١- من أول البشر؟

أول البشر هو آدم ؑ.

٧٢- مم خلق الله آدم عليه السلام؟

من غير أب وأم، خلقه من تراب، ثم نفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس.

٧٣- كيف تكاثر البشر؟

خلق الله حواء عليها السلام من ضلع آدم عليه السلام، وجعلها زوجه، فأنجب منها أبناء وبنات كثيرين، وكثر الخلق.

٧٤- من هو الشيطان؟

هو إبليس لعنه الله وذريه

٧٥- لماذا لعن إبليس؟

☆ لأنه كفر واستكبر.

☆ وعصىٰ ربه.

☆ وأبىٰ أن يسجد لآدم عليه السلام.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة الحجر: ٢٨ - ٣٥]

٧٦- ما هي مراتب عداوة الشيطان؟

☆ أنه يشغلهم بالعمل المفضول عن الفاضل؛ ليفوته العمل الفاضل.

☆ أو يشغلهم بالتوسع في المباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب.

☆ ثم يحملهم علىٰ فعل الصغائر التي إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها.

☆ ثم يدعوهم إلىٰ ارتكاب الكبائر علىٰ اختلاف أنواعها.

☆ ثم يدعوهم إلىٰ البدعة.

☆ ثم في النهاية يدعو الناس إلىٰ الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله.



الفصل الثاني

أركان الإيمان



١- الإيمان بالله

٧٨- ما معنى الإيمان بالله؟

إيماننا بالله بإلهيته وربوبيته، لا شريك له في الملك، ولا منازع له فيه، ولا إله غيره، ولا رب سواه، واحد، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا يشرك في حكمه أحدا، ولا ضد له ولا ند، ولم يكن له كفوًا أحد سبحانة.

٧٩- أين الله؟

الله ﷻ في السماء فوق السماء السابعة، مستو علىٰ عرشه استواء يليق بجلاله وكماله، بائن من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١]، قال رسول الله ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ لِسَيِّدِهَا: «**أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» [صحيح مسلم (٣٣)].

٨٠ – هل الله معنا؟

الله ﷻ معنا بعلمه، وقدرته، وحوله، وقوته وهو مستو علىٰ عرشه في السماء سبحانه، يسمعنا، ويرانا، ولا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٨١ – هل سنرى ربنا ﷻ؟

نعم سنراه بإذن الله في الجنة، بدليل قول الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة: ٢٢ -٢٣]، وقول النبي ﷺ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» [صحيح البخاري (٥٢٩)].



٢- الإيمان بالملائكة

٨٢ - ما معنى الإيمان بالملائكة؟

الإيمان بالملائكة هو الإيمان بوجودهم، وأنهم خلقوا من نور، يروننا ولا نراهم، وهم عباد الله المكرمون، والسفرة بينه ﷻ وبين رسله عليهم الصلاة والسلام، الكرام خلقًا البررة الطاهرون ذاتًا وصفة وأفعالًا، المطيعون لله ﷻ طاعة مطلقة لا عصيان فيها.

٨٣- من هم الملائكة؟

☆ هم عباد من عباد الله ﷻ، خلقهم الله ﷻ من النور قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**» [صحيح مسلم (٦٠)].

☆ ليسوا بناتًا لله ﷻ، ولا أولادًا

☆ ولا شركاء معه، ولا أندادًا.

٨٤- لماذا خلق الله الملائكة؟

خلق الله ﷻ الملائكة لعبادته، وهم سفراء الله؟إلىٰ رسله وأنبيائه، ولهم وظائف وأعمال أخرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم:٦]

٨٥- اذكر من تعرف من الملائكة وعمله الموكل به؟

☆ الروح الأمين جبريل عليه السلام وهو الموكل بالوحي من الله ﷻ إلىٰ رسله عليهم السلام، وهو أفضل الملائكة، قال تعالىٰ فيه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة التكوير: ١٩ -٢١]

☆ ميكائيل عليه السلام وهو الموكل بالمطر، وتصاريفه إلىٰ حيث أمره الله ﷻ، وله

أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله ﷻ.

☆ إسرافيل عليه السلام وهو الموكل بالنفخ في الصور، والصور: قرن إذا نفخ فيه أخرج صوتًا عظيمًا فتقوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ، وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَىٰ جَبْهَتَهُ، وَانْتَظَرَ إِلَىٰ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ**» [صحيح، الترمذي (٢٤٣١)].

☆ ملك الموت عليه السلام وأعوانه، وهو الموكل بقبض الأرواح، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة:١١]

☆ المعقِّبات، هم الموكلون بحفظ العبد في حله وارتحاله، وفي نومه، ويقظته، وفي كل حالاته، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد:١١]

☆ الكرام الكاتبون، وهم الموكلون بكتابة عمل العبد من خير وشر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الانفطار:١٢]

☆ منكر ونكير وهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العبد في القبر.

☆ خزنة الجنة، ومقدمهم رضوان عليه السلام.

☆ خزنة جهنم -عياذًا بالله منها- قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة غافر:٤٩]

وهم الزبانية، وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [سورة العلق:١٧- ١٨] ورؤساؤهم تسعة عشر، قال الله ﷻ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [سورة المدثر:٣٠]، ومقدمهم مالك عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الزخرف:٧٧].

☆ الموكلون بالنطفة في الرحم، قال رسول ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ**

يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» [صحيح مسلم (٢٦٤٣)].

☆ حملة العرش، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: ٧].

☆ الموكل بالجبال، فقد ثبت في حديث خروج النبي ﷺ إلىٰ بني عبد ياليل وعودته وفيه قول جبريل عليه السلام للنبي محمد ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوهُ عَلَيْكَ**»، وفيه قول ملك الجبال: «**يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ**» فقال ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**» [صحيح مسلم (١٥٩٧)].

☆ الملائكة السياحون الذين يتبعون مجالس الذكر، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، فَضْلًا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ، فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» [صحيح الترمذي (٣٦٠٠)].

☆ ملائكة صفوف، لا يفترون، وقيام لا يركعون، وركع وسجد لا يرفعون.

٨٦- من أفضل الملائكة؟

جبريل عليه السلام، ثم ميكائيل.

٨٧ - ما هو واجبنا تجاه الملائكة؟

الإيمان بهم، وعدم إيذائهم، وحبهم كلهم.

٨٨- كيف يكون إيذاء الملائكة؟

يكون ذلك بأمور، منها:

☆ سبهم أو شتمهم أو بغض أحد منهم.

☆ الذنوب والمعاصي، ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «**لا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ أَوْ كَلْبٌ**» [صحيح البخاري (٣٠٥٥)].

☆ الملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه بنو آدم، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة (كرائحة البصل والثوم والكراث)، والأقذار والأوساخ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَكَلَ البَصَلَ وَالثُّومَ وَالكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ**» [صحيح مسلم (٧٤)].

☆ ويتأذون من البصاق علىٰ اليمين في الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ أَمَامَهُ؛ فَإِنَّهُ مُنَاجٍ للهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا**» [صحيح البخاري (٤٠٦)].

٨٩- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣]**، فما معنى هذه الصلاة؟**

الصلاة من الله ﷻ ثناؤه علىٰ العبد عند ملائكته في الملأ الأعلىٰ، وهي رحمة للعبد، والصلاة من الملائكة هي الدعاء للناس، والاستغفار لهم.

٩٠- من هم الذين تصلي عليهم ملائكة الله؟

☆ معلم الناس الخير قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**». [صحيح الترمذي (٢٦٨٥)].

☆ الذين ينتظرون صلاة الجماعة، قال رسول الله ﷺ: «**المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» [صحيح البخاري (٤٣٤)].

☆ الذين يصلون في الصف الأول، وميامن الصفوف، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصُّفُوفِ الأُوَلِ**» [صحيح أبو داود (٦٦٤)]، وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ مَيَامِنِ الصُّفُوفِ**» [صحيح ابن حبان (٢١٦٠)].

☆ الذين يسدون الفرج بين الصفوف، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ، وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً**» [صحيح ابن ماجه (٩٩٥)].

☆ الذين يتسحرون، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الْمُتَسَحِّرِينَ**» [صحيح ابن حيان (٣٤٦٧)].

☆ الذين يصلون على النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّىٰ عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ**» [حسن، ابن ماجه (٩٠٧)].

☆ الذين يعودون المرضى، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**» [صحيح أبو داود (٣٠٩٨)].

الخريف: البستان.

٩١- ماذا يفعل الملائكة للمؤمنين؟

☆ يحبونهم ويسددونهم، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**» [صحيح البخاري (٣٠٣٧)].

☆ التأمين على دعاء المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**» [صحيح مسلم (٨٧)].

☆ استغفارهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [سورة غافر:٧].

☆ شهودهم مجالس العلم، وحلق الذكر، وحفهم أهلها بأجنحتهم، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، فَضْلًا عَنْ كِتَابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ بُغْيَتِكُمْ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا**» [صحيح الترمذي (٣٦٠٠)].

☆ تسجيل الملائكة للذين يحضرون الجمعة أولًا بأول، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَبْوَابِ المَسْجِدِ، فَيَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ؛ فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ وَقَعَدَ عَلَىٰ المِنْبَرِ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَجَلَسُوا يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ**» [صحيح البخاري (٨٨٧)].

☆ تنزلهم عندما يقرأ المؤمن القرآن، عن البراء بن عازب قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتىٰ النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلقُرْآنِ**» [صحيح البخاري (٤٧٢٤)].

☆ يبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**» [صحيح النسائي (١٢٨٢)].

☆ يقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في حروبهم، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [سورة الأنفال:٩].

☆ حمايتهم، ونصرتهم لصالحي العباد، وتفريج كربهم.

☆ شهود الملائكة لجنائز الصالحين، قال رسول الله ﷺ في سعد بن معاذ: «**هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلَائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ**» [صحيح النسائي (٢٠٥٥)].

☆ إظلالها للشهيد بأجنحتها،عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أصيب أبي يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكىٰ وجعلوا ينهونني ورسول الله ﷺ لا ينهاني قال: وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه فقال رسول الله ﷺ: «**تَبْكِيهِ أَوْ لَا تَبْكِيهِ،**

مَا زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّىٰ رَفَعْتُمُوهُ» [صحيح مسلم (١٢٩)].

☆ حمايتهم للمدينة ومكة من الدجال، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدَّجَّالَ قَالَ: إِنِّي أَنَا المَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الخُرُوجِ فَأَخْرُجُ، فَأَسِيرُ فِي الأَرْضِ، فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا» [صحيح مسلم (١١٩)].

☆ من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَقَالَتِ المَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (٧٤٨)].

٩٢- من هم الذين تلعنهم الملائكة؟

☆ الكفرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٦١].

☆ المرأة التي لا تطيع زوجها، أو تخرج بغير إذنه، أو تبيت وزوجها عليها غضبان، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ» [صحيح مسلم (١٢٠)].

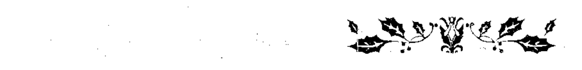
☆ الذي يشير لأخيه بحديدة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ» [صحيح مسلم (١٢٥)].

☆ من سب أصحاب الرسول ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [صحيح الجامع (٦٢٨٥)].

☆ الذين يمنعون إقامة حدود الله، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ عَمْدًا فَقَوَد يديه، فَمَنْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [صحيح أبو داود (٤٥٩١)].

☆ الذي يحمىٰ مبتدعًا، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [صحيح البخاري (١٧٧١)].

☆ المرأة المتبرجة التي لا تلبس الحجاب، وقال رسول الله ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَىٰ سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّجَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ المَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَىٰ رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ العِجَافِ؛ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ**» [صحيح ابن حبان (٥٧٥٣)].



٣- الإيمان بالكتب

الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله، المطهرة من الكذب والزور، ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها.

٩٣- ما معنى الإيمان بالكتب؟

التصديق الجازم بأن الله ﷻ أنزل كتبًا فيها كلامه يأمر فيها وينهى عباده، ويدلهم فيها على أسمائه وصفاته، وما يرضيه وما يسخطه ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

٩٤- ما هي الكتب؟

هي وحي الله إلى رسله؛ ليبلغوه لعباده.

٩٥- ما مصدر تلك الرسالات؟

مصدرها واحد، فهي من عند الله

٩٦- كيف أنزل الله الكتب؟

بالوحي إلى الرسل بواسطة جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ١٠٢].

٩٧- ما هو الوحي؟

هو الإعلام الخفي السريع مهما اختلفت أسبابه.

٩٨- لماذا أنزل الله الكتب؟

ليخرج الله الناس من الظلمات إلى النور، ويدعوهم بها إلى عبادة الله وتوحيده،

قال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ①﴾ [سورة إبراهيم: ١].

٩٩- لماذا تؤمن بجميع الكتب؟

لأن الله ﷻ أمرني بذلك فقال ﷻ ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ⑬⑥﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

١٠٠- ما أنواع الرسالات؟

☆ مكتوبة: كالتوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٥].

☆ تلاوة ومشافهة: كالقرآن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ⑰ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة: ١٧-١٨].

١٠١- ما هي الكتب المنزلة التي أخبرنا الله بها؟

☆ القرآن: وهو الكتاب المنزل من الله علىٰ النبي محمد ﷺ.

☆ التوراة: وهي الكتاب المنزل من الله علىٰ نبي الله موسىٰ عليه السلام.

☆ الإنجيل: وهو الكتاب المنزل من علىٰ نبي الله عيسىٰ عليه السلام.

☆ الزبور: وهو الكتاب المنزل من علىٰ نبي الله داود عليه السلام.

☆ صحف إبراهيم عليه السلام.

١٠٢- لماذا أنزل الله القرآن؟

للعمل به، قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [سورة الأعراف: ٣].

وقال رسول الله ﷺ: **«تَعَلَّمُوا القُرْآنَ، فَإِذَا عَلمْتُمُوهُ فَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ»** [صحيح، مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٤٤)].

١٠٣- ما هي منزلة القرآن بالنسبة للكتب السابقة؟

☆ إنه أفضل الكتب، وآخرها، ومهيمن علىٰ كل الكتب السابقة، وناسخ لها.

☆ إن الله تكفل وتعهد بحفظه، فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويستحيل تحريفه بزيادة أو نقصان، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

١٠٤- ما وجه الإعجاز في القرآن الكريم؟

☆ أنه كلام الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦].

☆ أنه محفوظ من أي تحريف أو تبديل، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [سورة الحجر:٩].

☆ أن فيه أخبار عن أشياء تحدث في زمننا، وستحدث إلىٰ يوم القيامة.

☆ أنه تحدٍّ للكفار والمشركين الذين كذبوا به أن يأتوا بسورة من مثله، ولا حتىٰ بآية واحدة من مثله، قال تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٣]

١٠٥- ما الفرق بين القرآن والحديث؟

القرآن كلام الله تعالىٰ لفظًا ومعنىٰ، نزل من الله وحيًا عن طريق جبريل عليه السلام.

والحديث هو كلام النبي ﷺ وألفاظه، وهو وحي أيضًا، فمعناه وحي، ولفظه من كلام الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣-٤].

١٠٦- ماذا نفعل إذا اختلفنا في أمور ديننا؟

نعود إلىٰ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الصحيحة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [سورة النساء:٥٩]

٤- الإيمان بالرسل

الإيمان برسل الله، وهم كل من أوحىٰ إليه، وأمر بالتبليغ.

١٠٧- ما معنى الإيمان بالرسل؟

التصديق الجازم بأن الله تعالىٰ بعث في كل أمة رسولًا منهم يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له.

١٠٨- لماذا أرسل الله الرسل؟

لكي يدعوا الناس إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

ويخرجونهم من الظلمات إلىٰ النور بإذن ربهم، ويبلغون رسالة الله مبشرين ومنذرين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة الكهف:٥٦].

١٠٩- كيف أرسل الله الرسل؟

بالوحي قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [سورة الشورىٰ:٥١].

١١٠- كيف اختار الله الرسل من الناس؟

اختار الله أطهر البشر قلوبًا، وأزكاهم أخلاقًا، وأجودهم قريحة، وخير الناس نسبًا، أحرارًا، أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وخير الناس خلقة وخلقًا.

١١١- لماذا اختار الله الرسل من البشر؟

اختارهم الله بشرًا؛ لأن في هذا إكرام للبشر، ولأنهم سيكونون علىٰ دراية أكبر

بالبشر؛ لأنهم منهم؛ فيتمكنون من مخاطبتهم، والفقه عنهم، والفهم منهم ويصلحون أن يكونوا قدوة وأسوة لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم:٤].

١١٢- ما الفرق بين النبي والرسول؟

الرسول من أوحي إليه بشرع جديد وأنزل معه كتاب، والنبي مبعوث لتقرير شرع من قبله، وليس معه كتاب.

١١٣- ما الفرق بين الرسالة العامة والرسالة الخاصة؟

☆ **الرسالة الخاصة**: هي الرسالات السماوية السابقة، أنزلت لقوم النبي أو الرسول الذي نزلت عليه الرسالة، مثل قوم صالح، وقوم لوط، وقوم هود.

☆ **الرسالة العامة**: هي الرسالة التي أنزلت علىٰ النبي محمد ﷺ للبشرية كلها، وهذه من خصائصه.

١١٤- كم عدد المرسلين؟

قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**». [صحيح مشكاة المصابيح (٥٧٣٧)].

١١٥- كم عدد الأنبياء؟

قال رسول الله ﷺ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**» [التخريج السابق].

١١٦- ما هي وظائف الرسل ومهماتهم؟

☆ البلاغ المبين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [سورة النور:٥٤].

☆ الدعوة إلىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]

☆ التبشير والإنذار، قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣]

☆ إصلاح النفوس وتزكيتها، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة:٢]

☆ لإقامة الحجة، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٥]

☆ سياسة الأمة، قال تعالىٰ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، قال رسول الله ﷺ: «**كَانَتْ بَنُوا إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ**» [صحيح مسلم (٤٤)].

١١٧- من هم الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن؟

☆ آدم، نوح، إبراهيم، هود، لوط، صالح، شعيب، إسماعيل، إدريس، وذو الكفل، إسحق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسىٰ، هارون، زكريا، يحيىٰ، عيسىٰ، إلياس، اليسع، يونس، وخاتمهم محمد ﷺ .

١١٨- من هم الأنبياء المذكورون في السنة؟

شيث، يوشع بن نون.

١١٩- كم عدد أولي العزم من الرسل؟ ومن هم؟

هم خمسة: محمد ﷺ ، ونوح، و إبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ عليهم صلوات الله وسلامه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [سورة الأحزاب:٧].

١٢٠- لماذا سموا أولوا العزم من الرسل؟

أولوا أي أصحاب، العزم يعني الحزم، والجد، الصبر، وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالىٰ من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل، وأعظم من غيرهم، قال تعالىٰ:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف:٣٥].

١٢١- من هو أول الرسل؟

هو نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [سورة النساء:١٦٣]

١٢٢- من هو آخر الرسل؟

محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]

١٢٣- هل يأتي بعده رسول؟

لا؛ فالنبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي**» [صحيح مسلم (٤٤)].

١٢٤- ما حكم من ادعى النبوة؟

قال النبي ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدِي**» [صحيح الجامع (١٧٧٣)]، فكل مدع بعده كذاب.

١٢٥- لماذا تؤمن بجميع الأنبياء؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٥٠- ١٥٢].

١٢٦- ما هي الأمور التي تفرد بها الأنبياء دون البشر؟

☆ **الوحي**: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ

وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [سورة النساء:١٦٣]

☆ **والعصمة**: فهم لا يعصون الله.

☆ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، عن أنس في حديث الإسراء قال: والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. [صحيح البخاري (٣٣٧٧)].

☆ مخيرون عند الموت، قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» [صحيح البخاري (٤٣١٠)].

☆ لا يقبر النبي إلا حيث يموت، قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ**» [صحيح الجامع (٥٢٠١)].

☆ لا تأكل الأرض أجسادهم، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَىٰ الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**» [صحيح أبو داود (١٠٤٧)].

☆ أحياء في قبورهم.

١٢٧- ما هي دلائل النبوة؟

☆ الآيات والمعجزات.

☆ بشارات الأنبياء الذين سبقوهم.

☆ أحوالهم وصفاتهم الخاصة.

☆ دعوتهم واحدة.

☆ تأييد الله لرسله ونصره لهم.

١٢٨- ما هي المعجزة؟

هي ما خرق العادة من قول أو فعل، مقرونًا بالتحدي، بحيث لا يقدر أحد علىٰ مثلها، ولا علىٰ ما يقاربها.

١٢٩- هل تعرف بعض تلك المعجزات؟

☆ سفينة نوح، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [سورة هود:٤٢].

☆ جعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٦٩- ٧٠]

☆ ناقة صالح، وهي ناقة كبيرة عظيمة، كانت تسقى القرية كلها من لبنها، قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣].

☆ فداء إسماعيل، لما وضع إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل ليذبحه؛ تنفيذًا للرؤيا التي أراه الله إياها، فداه الله بكبش يذبحه بدلًا من إسماعيل، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الصافات:١٠٧].

☆ **آيات نبي الله موسى:**

- العصا، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۝ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ [سورة طه:١٩-٢٠]

- يده التي كان يخرجها من جيبه بيضاء كالثلج من غير سوء، قال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [سورة طه: ٢٢].

- شق البحر وإغراق فرعون، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[سورة الشعراء:٦٣].

- تفجر الماء من الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[سورة البقرة:٦٠].

☆ **آيات نبي الله عيسى:** كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصنع الطيور من الطين، فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، قال تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ

وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[سورة آل عمران:٤٩].

☆ تسخير الريح لنبي الله سليمان تذهب حيث يشاء بأمر الله، قال تعالىٰ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾[سورة ص:٣٦].

☆ تسبيح الجبال والطير مع نبي الله داود قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [سورة ص:١٨ - ١٩].

١٣٠- هل تعرف معجزات النبي محمد ﷺ؟

☆ **القرآن**، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤١ - ٤٢].

☆ **الإسراء والمعراج**، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء:١].

☆ **انشقاق القمر**، قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر:١ - ٢].

☆ **تكثيره الطعام**، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا فانكفأت إلىٰ امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إليَّ جرابًا فيه صاعٌ من شعير ولنا بهيمة داجنٌ فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت إلىٰ فراغي وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلىٰ رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعًا من الشعير كان عندنا فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال: «**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّلَا بِكُمْ**» فقال رسول الله ﷺ: «**لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّىٰ أَجِيءَ**» فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتىٰ جئت امرأتي فقالت: بك وبك، فقلت:

قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك ثم عمد إلىٰ برمتنا فبصق وبارك ثم قال: «**ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا**» وهم ألف فأقسم بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو [صحيح البخاري (٣٨٦٧)].

☆ **نبع الماء من بين أصابع يده،** عن جابر رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها إذ جهش الناس نحوه فقال: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قالوا: يا رسول الله، إنه ليس لنا ماء نشرب منه ولا ماء نتوضأ به إلا ما بين يديك، فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا فقلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف كفانا كنا خمس عشرة مائة [صحيح البخاري (٣٩٢١)].

☆ **كف الأعداء عنه،** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزىٰ لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن علىٰ رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتىٰ رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ علىٰ رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من النار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ المَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**» [صحيح مسلم (٢٧٩٧)].

☆ **إجابة دعوته،** فعن إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» فقال: لا أستطيع قال: «**لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ**» قال: فما رفعها إلىٰ فيه. [صحيح مسلم (٢٠٢١)].

☆ **إبراء المرضىٰ،** عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ**» فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطىٰ فغدوا وكلهم يرجو أن يعطىٰ فقال: «**أَيْنَ عَلِيٌّ؟**» فقيل: يشتكي عينيه فأمر فدُعِي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتىٰ كأنه لم يكن به شيء. [صحيح البخاري (٢٨٤٧)].

☆ حنين الجذع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يخطب إلىٰ جذع فلما اتخذ النبي ﷺ المنبر حن الجذع حتىٰ أتاه فالتزمه فسكن.

☆ **انقياد الشجر له وتسليمه وكلامه له ﷺ.**

☆ **تسليم الحجر عليه ﷺ.**

١٣١- ما معنى الصلاة على النبي ﷺ؟

معنىٰ صلاة الله علىٰ نبيه: ثناؤه عليه عند ملائكته، ومعنىٰ صلاة الملائكة عليه الدعاء له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[سورة الأحزاب:٥٦].

١٣٢- ما حكم طاعة رسول الله ﷺ؟

طاعة الرسول ﷺ فرض؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[سورة الحشر:٧].

١٣٣- بم فضل الله الأنبياء بعضهم على بعض؟

☆ اختص الله آدم بأنه أبو البشر، ففي حديث الشفاعة أن الناس يأتون آدم قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ**» [صحيح البخاري (٣١٦٢)].

☆ وفضل نوحًا بأنه أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وسماه عبدًا شكورًا، ففي حديث الشفاعة أيضًا أنهم يأتون إلىٰ نوح، قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا**».

☆ وفضل إبراهيم باتخاذه خليلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النساء:١٢٥]، جعله للناس إمامًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة:١٢٤].

☆ وفضل موسىٰ برسالاته وبكلامه، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ

عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [سورة الأعراف:١٤٤].

☆ وفضل داود بإعطائه الزبور، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [سورة الإسراء:٥٥].

☆ وفضل عيسىٰ بأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروحٌ منه، وكان يكلم الناس في المهد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء:١٧١].

☆ وفضل يحيىٰ بأنه كان سيدًا وحصورًا ونبيا من الصالحين، قال تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٣٩].

١٣٤- ما هو الفضل الذي فضل الله به النبي محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين؟

☆ سيد الناس يوم القيامة.

☆ بيده لواء الحمد، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائه.

☆ أول من تنشق عنه الأرض.

☆ عندما يشتد الكرب بالناس في ذلك اليوم يستشفعون بالنبي محمد ﷺ فيشفع لهم.

☆ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ عَلَىٰ الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**» [صحيح مسلم (٥)].

٥- الإيمان باليوم الآخر

١٣٥- ما معنى الإيمان باليوم الآخر؟

هو اليقين التام بأننا لابد أن نبعث بعد الموت في يوم يعلمه الله؛ فيحاسب كل إنسان علىٰ عمله، والمصير إلىٰ جنة أو نار، والخلود بعد ذلك في أحدهما.

١٣٦- ما هو اليوم الآخر؟

يوم القيامة، وفيه يحاسب الخلق، فإما إلىٰ جنة، وإما إلىٰ النار.

١٣٧- ماذا يتعلق بالإيمان بالآخرة؟

☆ الإيمان بالموت وهو المفضي بالعبد إلىٰ منازل الآخرة، وهو انقطاع الحياة بعد وجودها.

☆ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

☆ الإيمان بالبعث والجزاء.

١٣٨- ما معنى الإيمان بالموت؟

☆ تحتمه علىٰ من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض، من الإنس، والجن، والملائكة، وغيرهم من المخلوقات، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[سورة الرحمن:٢٦- ٢٧].

☆ أن كل مخلوق له أجل محدود - وأمد معدود ينتهي إليه، لا يتجاوزه، ولا يقتصر عنه.

☆ الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالىٰ

بعلمها عن جميع خلقه، فلا يعلمها إلا هو، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان:٣٤].

☆ ذكر العبد الموت، وجعله علىٰ باله، قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**» [صحيح الترمذي (٢٣٠٧)].

☆ ومنها وهو المقصود الأعظم: التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله؛ إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار.

☆ الإيمان بما بعد الموت والذي كتبه الله علىٰ العباد حتمًا من أحوال الاحتضار، إلىٰ البعث والنشور، إلىٰ أن يقضي الله بين عباده، ويستقر كل من الفريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

١٣٩- ما هي البشرى التي يبشر بها العبد المؤمن عند موته؟

تنزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتىٰ يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان.

١٤٠- كيف تخرج روح العبد المؤمن؟

تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت عل وجه الأرض.

١٤١- ماذا يحدث عندما تصعد روح العبد المؤمن إلى السماء؟

يصعدون بها فلا يمرون يعني بها علىٰ ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتىٰ

ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلىٰ السماء التي تليها حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ السماء السابعة.

١٤٢- أين تذهب روح العبد المؤمن بعد صعودها إلى السماء؟

إذا وصلت إلىٰ السماء السابعة يقول الله عز وحل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلىٰ الأرض؛ فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرىٰ، فتعاد روحه في جسده.

١٤٣- ما هي البشرى التي يبشر بها العبد الكافر عند موته؟

ينزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب.

١٤٤- كيف تخرج روح العبد الكافر من جسده؟

تتفرق في جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت علىٰ وجه الأرض.

١٤٥- ماذا يحدث عندما تصعد روح العبد الكافر إلى السماء؟

يصعدون بها فلا يمرون بها علىٰ ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمىٰ بها في الدنيا حتىٰ ينتهىٰ به إلىٰ السماء فيستفتح له فلا يفتح له قال تعالىٰ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف:٤٠].

١٤٦- أين تذهب روح العبد الكافر بعد غلق أبواب السماء دونها؟

يقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلىٰ فتطرح روحه طرحًا قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى

مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فتعاد روحه في جسده.

١٤٧- ماذا يعني الإيمان بعذاب القبر ونعيمه؟

الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ أن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وهذا من عاجل الجزاء قبل الحساب يوم القيامة.

١٤٨- عم يسأل منكر ونكير العبد في قبره؟

يسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟.

١٤٩- بماذا يرد العبد المؤمن؟

العبد المؤمن يثبته الله فيرد: ربي الله، ديني الإسلام، ونبيي هو محمد رسول الله ﷺ.

١٥٠- إذا ثبت العبد عند سؤال الملكين هل يضمه القبر؟

نعم يضمه، ولكن ضمة خفيفة حانية كضمة الأم لولدها.

١٥١- هل ينعم العبد في قبره؟

نعم فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره.

١٥٢- هل يكون مع العبد في القبر أحد؟

يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب، أقم الساعة حتىٰ أرجع إلىٰ أهلي ومالي.

١٥٣- بماذا يرد العبد الكافر علىٰ سؤال الملكين في القبر؟

يقول: هاه هاه لا أدري.

١٥٤- إذا لم يرد علىٰ سؤال الملكين في القبر هل يضمه القبر؟

نعم، يضمه ضمة تتكسر فيها أضلاعه.

١٥٥- هل يعذب العبد الكافر في قبره؟

نعم فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه.

١٥٦- هل يكون معه أحد في قبره؟

يأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول:أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة.

[أجزاء من حديث البراء بن عازب [صحيح، مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧)]].

١٥٧- هل من الممكن أن يسمع البشر الأحياء عذاب القبر أو يرونه؟

لا يمكن ذلك، بدليل قول النبي ﷺ في عذاب الكافر في قبره: «**يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»، وقوله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا؛ لَسَأَلْتُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ الْقُبُورِ مَا أَسْمَعَنِي**»، فالنبي وحده هو الذي سمع عذاب القبر.

١٥٨- كيف عرفت أن هذه الأشياء سوف تحدث؟

لأن النبي ﷺ أخبرنا في الأحاديث الصحيحة أنها ستحدث، والنبي ﷺ لا ينطق علىٰ الهوىٰ، فكل شيء أبلغنا به إنما هو وحي من الله ﷻ له.

١٥٩- ما الذي تعرفه من علامات الساعة؟

☆ **علامات الساعة الصغرىٰ كثيرة، ومنها:**

- بعثة النبي محمد ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧﴾ [سورة النجم:٥٦- ٥٧].

- انشقاق القمر، قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[سورة القمر:١].

- قال رسول الله ﷺ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ**

الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» [صحيح مسلم (٨)].

☆ **علامات الساعة الكبرىٰ عشرة وهي:** الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسىٰ ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلىٰ محشرهم [صحيح مسلم (٢٩٠١)].

١٦٠- ما هي أركان الإيمان بيوم القيامة؟

☆ لا يعلم متىٰ تقوم القيامة إلا الله.

☆ أنها تأتي بغية.

☆ قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [سورة الأعراف:١٨٧].

☆ أنها قريب، قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٦٣].

١٦١- ماذا يحدث عندما ينفخ في الصور؟

ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولىٰ: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزمر:٦٨].

١٦٢- اذكر شيئًا من أسماء يوم القيامة ومعانيها؟

☆ **يوم الفصل:** يوم يفصل الرحمن بين الخلائق سماه الله تعالىٰ يوم الفصل لذلك، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان:٤٠-٤٢].

☆ **يوم الجمع:** وسمىٰ بذلك؛ لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الشورى:٧].

☆ **يوم القيامة**: وسمىٰ بذلك؛ لأن فيه قيام الخلائق من القبور، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الجاثية:١٧].

☆ **اليوم الآخر**: سمىٰ بذلك؛ لأنه اليوم الذي لا يوم بعده؛ قال الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[سورة البقرة:١٧٧].

☆ **الساعة**: وسمىٰ بذلك؛ لأن القيامة تأتي بغية في الساعة، قال الله ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأنعام:٣١].

☆ **يوم البعث**: ومعنىٰ البعث الإحياء من الله تعالىٰ للموتىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الروم: ٥٥ – ٥٧].

١٦٣- لماذا يبعث الله الناس يوم القيامة؟

لكي يحاسبهم علىٰ أعمالهم التي أمرهم بها في الدنيا ونواهيه التي نهاهم عنها، ويجازيهم علىٰ ذلك، ويجعل الجنة للمطيعين، والنار للعاصين، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [سورة المجادلة:٦].

١٦٤- ما مقدار يوم القيامة؟

خمسون ألف سنة، قال الله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة المعارج:٤].

١٦٥- ما هي صفة الموقف؟

يخلق الله أرضًا أخرىٰ يكون عليها الناس عند عبورهم الجسر وهو الصراط وتدنو الشمس يوم القيامة من الخلق ويصيبهم العرق علىٰ قدر أعمالهم، قال رسول الله ﷺ : «**تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ مِقْدَارَ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا- قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَىٰ فِيهِ-**» [صحيح مسلم (٢٨٦٤)].

١٦٦- أين يقف المؤمنون يوم القيامة؟

يقفون في ظل عرش الرحمن.

١٦٧- من هم الذين يقفون في ظل عرش الرحمن؟

☆ قال رسول الله ﷺ : «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» [صحيح مسلم (١٠٣١)].

☆ من أنظر معسرًا أو وضع له، قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» [صحيح الترمذي (١٣٠٦)].

١٦٨- أين يقف الكفار والعصاة يوم القيامة؟

قال رسول الله ﷺ : «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الجِسْرِ**» [صحيح مسلم (٣١٥)].

١٦٩- ما هو ظل النار؟

ظلٌّ له ثلاث شعب، لا يظل، ولا يحمىٰ من حر النار، ولا يبعد عنهم لهبها، وهي ترميهم بشرر من النار كقدر القصر الكبير، قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة المرسلات:٢٨- ٣٣].

١٧٠- ما هو ترتيب الأحداث في هذا اليوم؟

١) الحشر.

٢) الوقوف في الشمس والعرق، أو في ظل عرش الرحمن.

٣) الحوض.

٤) العرض.

٥) براءة الناس بعضهم من بعض.

٦) تطاير الصحف.

٧) الميزان.

٨) الصراط.

٩) القنطرة.

١٠) الجنة أو النار.

١١) إخراج عصاة الموحدين من النار.

١٧١- ما هو الحوض؟

قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مِنْ عَدَنٍ إِلَىٰ عُمان البَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَكَاوِيبُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ**» [صحيح الترمذي (٢٤٤٤)]، وعنده يلقىٰ المؤمنون النبي ﷺ.

١٧٢- ما هو تطاير الصحف؟

تنشق السماء وتتطاير منها الصحف، وهي الكتب التي كتبت فيها أعمال العباد، فيكتب فيها عمل المؤمن كله سيئاته وحسناته، فأما المؤمن فيأخذ كتابه بيمينه، وأما

الكافر فيأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق:٦- ١٢].

١٧٣- ما هو الميزان؟

الميزان هو الذي يوضع فيه أعمال العبد، له كفتان ولسان، توزن به أعمال العبد حسناته في كفة وسيئاته في كفة، قال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٤٧].

١٧٤- ما هو العرض؟

يقف العبد المؤمن بين يدي الله ﷻ، فيعرض عليه أعماله فيقر ويعترف بها- فيغفرها له سبحانه ويدخله الجنة، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحاقة:١٨]، وقال ﷻ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الصافات:٢٤] وعن النبي ﷺ يقول: «**يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ: تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ -مَرَّتَيْنِ- فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَىٰ صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ أَوِ الكُفَّارُ فَيُنَادَىٰ عَلَىٰ رُءُوسِ الأَشْهَادِ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾» [صحيح البخاري (٤٤٠٨)].

١٧٥- ما هي مناقشة الحساب؟

ذلك يعني أن العبد العاصي أو الكافر إذا عرض الله عليه أعماله وأنكرها، يطلب العبد أن تشهد له أعضاؤه بأعماله، فيختم علىٰ فمه، وتنطق يده وقدمه وعينه وجلده بالمعاصي التي اقترفها، فيعاقب عليها ويعذب بها، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة يس:٦٥] وعن

عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ»، قالت: قلت يا رسول الله، جعلني الله فداءك أليس قد قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾؟ [سورة الانشقاق:٧-٨]، قال: «لَيْسَ ذَاكَ الحِسَابَ، إِنَّمَا ذَاكَ العَرْضُ. مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ عُذِّبَ» [صحيح البخاري (١٠٣)].

١٧٦- هل ينفع الناس بعضهم بعضا يوم القيامة؟

لا، كل الناس يتبرأون من بعضهم، الولد يتبرأ من أبيه وأمه، وزوجته وابنه، وإخوته وكل الناس، فلكل واحد منهم يومئذ شأن يغنيه، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [سورة عبس: ٣٤- ٣٧].

١٧٧- من يشفع للناس يوم القيامة، وما هي أنواع الشفاعة، وشروطها؟

يشفع للناس يوم القيامة بإذن الله النبي محمد ﷺ:

- ☆ بإنهاء الموقف وابتداء الحساب وهي الشفاعة العظمىٰ.
- ☆ أن يدخل معه الجنة من لا حساب عليه ولا عذاب.
- ☆ في رفع درجات المؤمنين في الجنة.
- ☆ في إدخال بعض المؤمنين الجنة وإخراجهم من النار.
- ☆ يشفع النبي ﷺ لاستفتاح باب الجنة، والإذن بدخول المؤمنين إليها.
- ☆ في تخفيف بعض العذاب عن أهل النار كشفاعته في عمه أبي طالب.

والشفاعة مشروطة في كل هذا أن يأذن الله له أن يشفع، ثم يأذن الله أن يشفع، ثم يأذن فيمن يشفع له، ثم يأذن في قدر الشفاعة، قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [سورة الأنبياء:٢٨].

١٧٨- ما هي الوسيلة؟

الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وهو نبينا محمد ﷺ،

وهي أعلىٰ منزلة في الجنة؛ فمن سأل الله للنبي محمد ﷺ الوسيلة حلت له الشفاعة، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**» [صحيح مسلم (٣٨٤)].

١٧٩- من أول من يفتح باب الجنة؟

النبي محمد ﷺ ومعه فقراء المهاجرين، قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**» [صحيح مسلم (١٩٦)].

١٨٠- ما هو الصراط؟

الصراط جسر معلق بين ظهراني جهنم وهو فوقها، يمر عليه الناس، وكل إنسان تكون سرعته بحسب عمله، وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله، قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ جَهَنَّمَ**» قالوا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ**» [صحيح البخاري (٧٠٠١)].

١٨١- كيف يمر الناس علىٰ الصراط؟

منهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتىٰ إن آخرهم مرورًا رجل نوره علىٰ موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**» [صحيح مسلم (١٨٣)].

١٨٢- هل الجنة والنار مخلوقتان؟ وهل هما موجودتان الآن؟

نعم خلقهما الله ﷻ؛ ليجازي الناس علىٰ أعمالهم، وهما موجودتان الآن، قال

رسول الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ. فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» [صحيح البخاري (٥١٢)].

١٨٣- كم عدد درجات الجنة؟

الجنة مائة درجة، كل درجة منها كما بين السماء والأرض، قال رسول الله ﷺ: «فِي الجَنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» [صحيح الترمذي (٢٥٣١)].

١٨٤- لماذا سميت الجنة بالجنة؟

سميت بذلك لأن فيها بساتين مليئة بالأشجار والفواكه الجميلة المنظر، اللذيذة الطعم، فأشجارها كثيرة ملتفة جميلة، وكلمة جنة تعني حديقة.

١٨٥- أين الجنة؟

الجنة في السماء السابعة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم:١٣-١٥] وسقفها العرش، وأعلاها الفردوس، فالفردوس أعلىٰ الجنة، ووسط الجنة وسقفه عرش الرحمن، ومنه تتفجر أنهار الجنة، قال رسول الله ﷺ: «الفِرْدَوْسُ أَعْلَىٰ الجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ» [صحيح البخاري (٦٩٨٧)].

١٨٦- ما هو وصف أول زمرة تدخل الجنة؟

قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ، لا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلا يَتَمَخَّطُونَ، وَلا يَبْزُقُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ، أَخْلاقُهُمْ عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ طُولِ أَبِيهِمْ سِتِّينَ ذِرَاعًا» [صحيح البخاري (٣٠٧٤)].

١٨٧- هل الذي يدخل الجنة يموت أو ينام؟

لا يموت أبدًا، بل يأكل ويشرب، ويرىٰ الأنبياء، والمرسلين، والصديقين، والشهداء، ويسعد للأبد، قال النبي ﷺ: «**يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْت، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْت**» [صحيح البخاري (٦١٧٩)]، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَخَلَهَا يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ وَلا يَمُوتُ، وَلا تُبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ، وَلا يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ**» [صحيح الترمذي (٢٥٢٦)].

١٨٨- كم عدد أبواب الجنة؟

قال رسول الله ﷺ: «**فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ**» [صحيح البخاري (٣٠٨٤)].

١٨٩- ما هي الأسماء التي تعرفها من أسماء أبواب الجنة؟

الريان: باب الصائمين، باب لمن أنفق زوجين، الباب الأيمن لمن لا حساب عليهم قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ**» [صحيح البخاري (١٧٩٨)].

١٩٠- هل تعرف وصف بيوت الجنة وأرضها؟

القصور مبنية طوبة من ذهب وطوبة من فضة، بينهما مسك، والأرض كالفضة الخالصة، لها لون جميل ورائحة طيبة، والحصىٰ فيها الدر والياقوت واللؤلؤ المنثور، سئل رسول الله ﷺ عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «**لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِلَاطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَاليَاقُوتُ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ**» [صحيح الترمذي (٢٥٢٦)].

١٩١- ما هو الكوثر؟

الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، مجراه علىٰ الياقوت والدر، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلىٰ من العسل وأشد بياضًا من الثلج، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَمَا**

أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ فَإِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ﷻ، قَالَ: فَضَرَبْتُ بِيَدِي فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ» [صحيح البخاري (٦٢١٠)].

١٩٢- ما هو أول طعام أهل الجنة؟

قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ» [صحيح البخاري (٤٢١٠)]، وتكون الأرض كقرصة النقي يكفؤها الجبار بيده، عن رسول الله ﷺ قال: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفَؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ، وَإِدَامُهُمْ بَالامٌ وَنُونٌ، قَالُوا: مَا هَذَ؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهَا سَبْعُونَ أَلْفًا» [صحيح مسلم (٢٧٩٢)].

١٩٣- ما هو أول شراب أهل الجنة؟

أول شرابهم شربة من حوض الكوثر في أرض المحشر بيد النبي ﷺ لا يظمأون بعدها أبدًا، قال رسول الله ﷺ: «حَوْضِي مِنْ عَدَنٍ إِلَىٰ عمَّان البَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ، وَأَكَاوِيبُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» [صحيح مسلم (٢٢٩٢)].

١٩٤- ما هو طعام وشراب ولباس أهل الجنة؟

☆ طعامهم فواكه كثيرة، ولحم طير لذيذ، قال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الواقعة: ٢٠- ٢١].

☆ وشرابهم تسنيم، وخمر، وعسل مصفىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الإنسان:١٧- ١٨]، قال تعالىٰ: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة المطففين:٢٥- ٢٧].

☆ ولباسهم حرير، وسندس، واستبرق، قال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [سورة الحج:٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [سورة الإنسان:٢١].

☆ وحليهم وآنيتهم من ذهب وفضة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [سورة الإنسان:٢١]، وقال ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [سورة الحج:٢٣].

١٩٥- ماذا يسمع أهل الجنة؟

يسمعون الحور العين وهن يغنين ويسبحن، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلحُورِ العِينِ، يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ لَمْ يَسْمَعِ الخَلَائِقُ مِثْلَهَا، قَالَ: يَقُلْنَ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا نَبِيدُ، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ، وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ، طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ لَنَا وَكُنَّا لَهُ**» [صحيح الجامع (١٥٦١)].

١٩٦- هل الذي يسمع الأغاني والموسيقى في الدنيا يسمعها في الجنة؟

لا؛ لأن الغناء والموسيقىٰ حرام في الدنيا، والذي يسمعها في الدنيا يحرم منها في الجنة، ومن لم يسمعها في الدنيا يسمعها في الجنة، وكذلك من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومن لبس الحرير من الرجال في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، قال ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَالدِّيبَاجَ؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ**» [صحيح مسلم (٢٠٦٧)].

١٩٧- ما أفضل نعيم أهل الجنة؟

النظر إلىٰ وجه الله الكريم في يوم المزيد، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[سورة القيامة:٢٢-٢٣].

١٩٨- من هم الذين يدخلون الجنة؟

هم الموحدون، من مات وهو لا يشرك بالله شيئًا، قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**» [صحيح البخاري (١١٨٠)].

١٩٩- ما هو سوق الجنة؟

في الجنة سوق يلتقي فيه المؤمنون أهل الجنة كلهم بعضهم مع بعض، قال

رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لأَهْلِ الجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فِيهَا كُثْبَانُ المِسْكِ**» [صحيح ابن حيان (٧٤٢٥)].

٢٠٠- ما هي خيام الجنة؟

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ**» [صحيح مسلم (٢٨٣٨)].

٢٠١- كم عدد أبواب النار؟

سبعة أبواب فوق بعضها، دركات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الحجر:٤٣- ٤٤].

٢٠٢- ما هو وصف حر النار وقعرها؟

☆ حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، لكل جزء منها حره، قال رسول الله ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول قال: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**» [صحيح البخاري (٣٠٩٢)].

☆ ولو أن حجرًا يقذف به في جهنم؛ هوىٰ سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعرها، عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا**» [صحيح مسلم (٢٨٤٤)].

٢٠٣- ما هو وقود النار؟

وقودها الناس والحجارة وهي الأصنام التي كان يعبدها المشركون في الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التحريم:٦].

٢٠٤- ما هو وصف الكافرين في النار؟

عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ**» [صحيح الترمذي (٢٥٧٧)].

٢٠٥- هل تتكلم النار وتنطق؟

قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ**» [صحيح الترمذي (٢٥٧٤)].

٢٠٦- ما هي أسماء أودية النار التي تعرفها؟

☆ **ويلٌ**، قال رسول الله ﷺ: «**الوَيْلُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ**» [مسند الإمام أحمد (٣/ ٧٥)].

☆ **سقر**، قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة المدثر:٢٦- ٣٠].

☆ **الصعود**: وهو جبل من النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفًا ويهوي به كذلك منه أبدًا، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة المدثر:١٦- ١٧].

٢٠٧- من هو أقل أهل النار عذابًا؟

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ**» [صحيح البخاري (٦١٩٣)].

٢٠٨- ما هو طعام أهل النار؟

☆ **طعامهم الغسلين**، قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الحاقة:٣٥- ٣٧].

☆ **الزقوم**، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الدخان:٤٣- ٤٦].

☆ **الضريع**، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾[سورة الغاشية:٦- ٧].

☆ **الغسَّاق**، قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾[سورة النبأ:٢٤- ٢٦].

٢٠٩- ما هو شراب أهل النار؟

☆ **المُهل**، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[سورة الكهف:٢٩].

☆ **الصديد**، قال تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [سورة إبراهيم:١٥- ١٧].

☆ **الحميم**، قال تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة ص:٥٧].

٢١٠- ما هي ملابس أهل النار؟

☆ **سرابيل من قطران**، قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة إبراهيم:٥٠].

☆ **ثياب من نار**، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [سورة الحج:١٩].

٢١١- ما هو فراش أهل النار؟

الفراش من نار والغطاء من نار، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾[سورة الأعراف:٤١].

٢١٢- هل يموت أهل النار؟

لا يموتون، ولا يخفف عنهم من عذابها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة فاطر:٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن

﴿وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [سورة إبراهيم:١٧].

٢١٣- هل يطلب أهل النار الخروج منها؟ ممن يطلبون، وماذا يرد عليهم؟

يطلبون الخروج من الله تعالىٰ يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٠٧]، لكن يأتي الرد شديدًا جدًا، يقول تعالىٰ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٨]، ويطلبون من مالك خازن النار عليه السلام أن يخرجهم أو يقضي الله عليهم بالموت قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ، فيأبىٰ ويقول لهم: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف:٧٧].

٢١٤- من الذي يدخل النار؟

الكافرون، والمشركون، والمتكبرون، والمنافقون، والعاصون إلا من رحم الله منهم وعفا عنه.

٢١٥- هل يخرج أحد من النار؟

يخرج عصاة الموحدين بعد أن يعاقبوا علىٰ ذنوبهم في النار ثم يدخلون الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ سَفعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ**» [صحيح البخاري (٦١٩١)].

٢١٦- ما حكم من مات مصرًا على الكبائر؟

حكمه تحت المشيئة:

☆ إن شاء الله عذبه بذنوبه ثم يدخله الجنة، إن كان قد مات علىٰ التوحيد.

☆ وإن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ابتداءً.



الإيمان بالقدر

٢١٧- ما هو الإيمان بالقدر؟

هو أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنه لا يكون شيء في الكون إلا بقدر الله وقدرته، وأن الله على كل شيء قدير.

٢١٨- ما هي مراتب الإيمان بالقدر؟

الإيمان بالقدر أربع مراتب وهي:

☆ **العلم**: الإيمان بعلم الله ﷻ، المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن ولو كان كيف كان يكون، وليس لعلم الله بداية، ولا يلحق علم الله نسيان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ:٣].

☆ **الكتابة**: الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، كتب الله مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٩].

☆ **المشيئة**: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فلا يكون شيء في الكون إلا إذا شاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الإنسان:٢٩- ٣٠].

☆ **الخلق والإيجاد**: مرتبة الخلق وهي: الإيمان بأن الله ﷻ خالق العباد وأفعالهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يس:٨٢].

٢١٩- هل للعباد قدرة على أفعالهم؟

للعباد قدرة علىٰ أعمالهم مشيئة، وبحسبها كلفوا عليها، يثابون ويعاقبون، ولا تخرج عن مشيئة الله، ولا يقدرون علىٰ شيء إلا بأمر الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الإنسان:٢٩- ٣٠]..

٢٢٠- متى كتب الله مقادير الخلائق؟

قال رسول الله ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» [صحيح مسلم (٢٦٥٣)].

٢٢١- من هو الصحابي؟

الصحابي هو كل من رأىٰ رسول الله ﷺ وآمن به، ومات علىٰ ذلك، وسمع منه ولو حديثًا واحدًا.

٢٢٢- من هم أفضل الصحابة؟

أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم جميعًا، ثم أهل بدر.

٢٢٣- من هم العشرة المبشرون بالجنة؟

قام سعيد بن زيد فقال: أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ**» ولو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا: من

هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: هو سعيد بن زيد [صحيح أبو داود (٤٦٤٩)].

٢٢٤- ما هو واجبنا تجاه الصحابة؟

حبهم وذكرهم بمحاسنهم، والكف عن مساويهم وما شجر بينهم رضي الله عنهم، والدعاء لهم، والترضي عليهم جميعًا.

٢٢٥- من هم التابعون؟

هم القرن الذين تبعوا الصحابة رضوان الله عليهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» [صحيح البخاري (٢٥٠٩)].

٢٢٦- ما هي التوبة النصوح؟

التوبة هي: الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، وتكون نصوحًا بأن تكون خالصة لوجه الله تعالىٰ، شاملة لجميع الذنوب والمعاصي.

٢٢٧- ما هي شروط التوبة النصوح؟

الأول: الإقلاع عن الذنوب.

الثاني: الندم علىٰ ما فعله.

الثالث: العزم علىٰ أن لا يعود فيه.

فإن كان ذلك الذنب حق لآمي؛ لزم استحلاله منه إن أمكن، بمعنىٰ رد المظالم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ؛ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**» [صحيح البخاري (٢٣١٧)].



الباب الثاني

الفقه





الفصل الأول

تعريفات



تعريفـــات

١- ما هو الفقه؟

☆ **الفقه في اللغة هو**: الفهم، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» [صحيح البخاري (٧١)].

☆ **الفقه في الشرع هو**: المعرفة بأحكام الشريعة العملية بأدلتها من القرآن، ومن كلام النبي ﷺ ولا تؤخذ إلا عنه.

٢- ما هي أقسام الفقه؟

يقسم العلماء الفقه إلىٰ أقسام سبعة:

☆ **العبادات**: الأحكام المتعلقة بعبادة الله، مثل الصلاة والصوم.

☆ **الأحوال الشخصية**: أحكام الأسرة، مثل النكاح والطلاق.

☆ **المعاملات**: الأحكام التي تنظم علاقة الناس ببعضهم، مثل البيع والقضاء.

☆ **الأحكام السلطانية**: الأحكام التي تنظم علاقة الحاكم بالرعية.

☆ **العقوبات**: أحكام الحدود، والقصاص، والتعزير.

☆ **الحقوق الدولية**: الأحكام التي تنظم علاقة دولة الإسلام بغيرها من الدول.

☆ **الآداب**: الأحكام المتعلقة بالأخلاق.

٣- ما هي الأحكام العملية؟

هي الأحكام التي محلها الجوارح، والعلم المعنيُّ بها هو الفقه.

٤- ما هي الأحكام الاعتقادية؟

هي الأحكام التي محلها القلب، والعلم المعنيُّ بها هو العقيدة أو التوحيد.

٥- ما هي أقسام الأحكام العملية؟

☆ **تكليفي**: وهو ما اقتضىٰ طلب فعل من المكلف، أو نهيه عن فعل، أو تخييره بين الفعل والكف عنه.

☆ **وضعي**: وهو ما اقتضىٰ وضع شيء سببًا لشيء، أو شرطًا له، أو مانعًا منه.

٦- ما هي أقسام الحكم التكليفي؟

☆ **واجب، مندوب**: وهو ما طلب الشارع فعله من المكلف.

☆ **مباح**: وهو ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه.

☆ **مكروه، حرام**: وهو ما طلب الشارع من المكلف الكف عن فعله.

٧- ما هو الواجب؟

هو الفرض الذي من فعله فله الثواب علىٰ فعله، ومن تركه فهو آثم عليه ذنب، ويجب علىٰ كل مسلم فعله حتمًا، مثل الصيام والصلاة.

٨- ما هو المندوب؟

هو المستحب الذي من فعله فله الثواب علىٰ فعله، ومن تركه لا يأثم، ولا يعاقب علىٰ تركه، مثل صلاة الضحىٰ.

٩- ما هو المباح؟

هو الذي لا يأثم فاعله ولا يثاب تاركه، مثل الأكل والشرب.

١٠- وما هو المكروه؟

هو الذي من تركه بنية التقرب إلىٰ الله ﷻ فله الثواب، ومن فعله فلا يأثم، مثل العبث في الصلاة.

١١- ما هو الحرام؟

هو الذي من فعله يأثم ويعاقب، ومن تركه بنية طاعة الله ﷻ يثاب.

١٢- ما هي أقسام الحكم الوضعي؟

السبب، الشرط، المانع، الرخصة، العزيمة.

١٣- ما هو السبب؟

هو الذي لا تجب العبادة إلا بوجوده، مثل دخول الوقت سبب لوجود الصلاة.

١٤- ما هو الشرط؟

هو ما يتوقف وجود الحكم علىٰ وجوده، مثل الطهارة، واستقبال القبلة في الصلاة.

١٥- ما هو المانع؟

هو الذي يبطل السبب ويمنع السبب ويمنع الحكم، مثل: الحيض، والنفاس، والجنابة، وبمعنىٰ أن الصلاة لا تجب علىٰ الحائض، وإن صلت لا تصح.

١٦- ما هي الرخصة؟

ما شرعه من الأحكام تخفيفًا علىٰ بعض المسلمين في حالات خاصة تقتضي هذا التخفيف، مثل الصلاة قاعدًا للمريض.

١٧- ما هي العزيمة؟

هي ما شرعه الله من الأحكام العامة، التي لا تختص بحال دون حال، ولا بمكلف دون الآخر، مثل فريضة الصلاة، ووجوب الزكاة علىٰ مالك النصاب.

١٨- ما هي شروط الصحة؟

هي ما لا تصح العبادة إلا بوجودها مثل: النية، والإسلام، والعقل.

١٩- ما هي شروط الوجوب؟

هي ما لا تجب العبادة إلا بوجودها مثل: دخول الوقت للصلوات الخمس، وظهور الهلال لصيام رمضان.

٢٠- ما هي الأدلة الشرعية؟

هي النصوص التي يستدل بها علىٰ صحة الحكم، أو عدم صحته وتستنبط منها الأحكام.

٢١- ما هي أقسام الأدلة الشرعية؟

☆ **تفصيلية**: القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهي المتفق عليها.

☆ **إجمالية**: وهي المختلف فيها.

٢٢- ما هي أقسام الأدلة الشرعية التفصيلية؟

☆ **القرآن الكريم**: كلام الله الذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام علىٰ قلب رسول الله ﷺ، بألفاظه العربية، المدون بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر.

☆ **السنة المطهرة**: ما صح عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

☆ **الإجماع**: اتفاق جميع المجتهدين من المسلمين في عصر من عصور بعد وفاة الرسول ﷺ علىٰ حكم شرعي في واقعة ما، ولا يجوز نقضه بعد.

☆ القياس: إلحاق واقعة لا نص علىٰ حكمها بواقعة ورد نص بحكمها لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم.

٢٣- ما هي أقسام الأدلة الشرعية الإجمالية؟

هذه الأدلة الإجمالية، اختلف العلماء في العمل ببعضها، ومن أقسامها:

☆ **الاستحسان.**

☆ **المصلحة المرسلة**: وهي المصلحة التي لم يشرع الشارع حكمًا لتحقيقها، ولم يدل دليل شرعي علىٰ اعتبارها أو إلغائها.

☆ **العرف**: ما تعارف عليه الناس وساروا عليه، من قولٍ أو فعلٍ أو تركٍ ويسمىٰ العادة.

☆ **الاستصحاب**: هو جعل الحكم الذي كان ثابتًا في الماضي باقيًا في الحال حتىٰ يقوم دليل علىٰ تغييره.

☆ **شرع من قبلنا**: ما قصه القرآن أو السنة من الأحكام الشرعية، التي شرعها الله لمن سبقنا من الأمم، علىٰ ألسنة رسلهم.

☆ **مذهب الصحابي**: قول الصحابي الصادر عن رأيه واجتهاده، ولم تتفق عليه كلمة الصحابة رضي الله عنهم .

واعلم هذه الأدلة اختلف العلماء في الاحتجاج ببعضها.

٢٤- ما الفرق بين فرض العين، وفرض الكفاية؟

☆ **فرض العين**: فرض يجب علىٰ كل واحد بعينه أن يقوم مثل الصلوات الخمس.

☆ **فرض الكفاية**: هو الذي إذا فعله بعض المسلمين كفىٰ ذلك عن بقية المسلمين مثل صلاة الجنازة.

٢٥- من هو المكلف؟

هو الذي توفرت فيه الشروط التي أمر الله بوجوب العبادة عندها، مثل: الإسلام، العقل، البلوغ.

٢٦- ما هو سن التكليف؟

هو السن الذي تجب عنده الأحكام، وهو سن البلوغ، ويختلف من شخص إلىٰ شخص، من سن الحادية عشرة إلىٰ الرابعة عشرة.

٢٧- من هم الأئمة الأربعة؟

هم أئمة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، هم:

☆ **الإمام أبو حنيفة**: هو النعمان بن ثابت بن زوطي، من أصل فارسي تركي، ولد بالعراق عام ٨٠هـ، وتوفي بها عام ١٥٠هـ.

☆ **الإمام مالك ابن أنس**: هو مالك ابن أنس بن مالك الأصبحي، ولد في المدينة المنورة عام ٩٣هـ، وتوفي بها عام ١٧٩هـ.

☆ **الإمام الشافعي**: هو محمد بن إدريس الشافعي من قريش، ولد بغزة عام ١٥٠هـ، وتوفي بمصر عام ٢٠٤هـ.

☆ **الإمام أحمد بن حنبل**: وهو أحمد بن حنبل الشيباني، من قبيلة ربيعة العدنانية، ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ، وتوفي بها عام ٢٤١هـ.

٢٨- ما معنى المذاهب:

هي طريقة سلكها إمام في استنباط أحكام، ودونها أتباعه وتلاميذه، وحفظوها، وحققوها، ودعوا إليها، وسار الناس عليها في فهم الدين والعمل بأحكامه بعدهم.

٢٩- ما هي المذاهب الأربعة؟

☆ **الحنفية**، أو يقال: الأحناف، أو المذهب الحنفي.

☆ **المالكية**، أو المذهب المالكي.

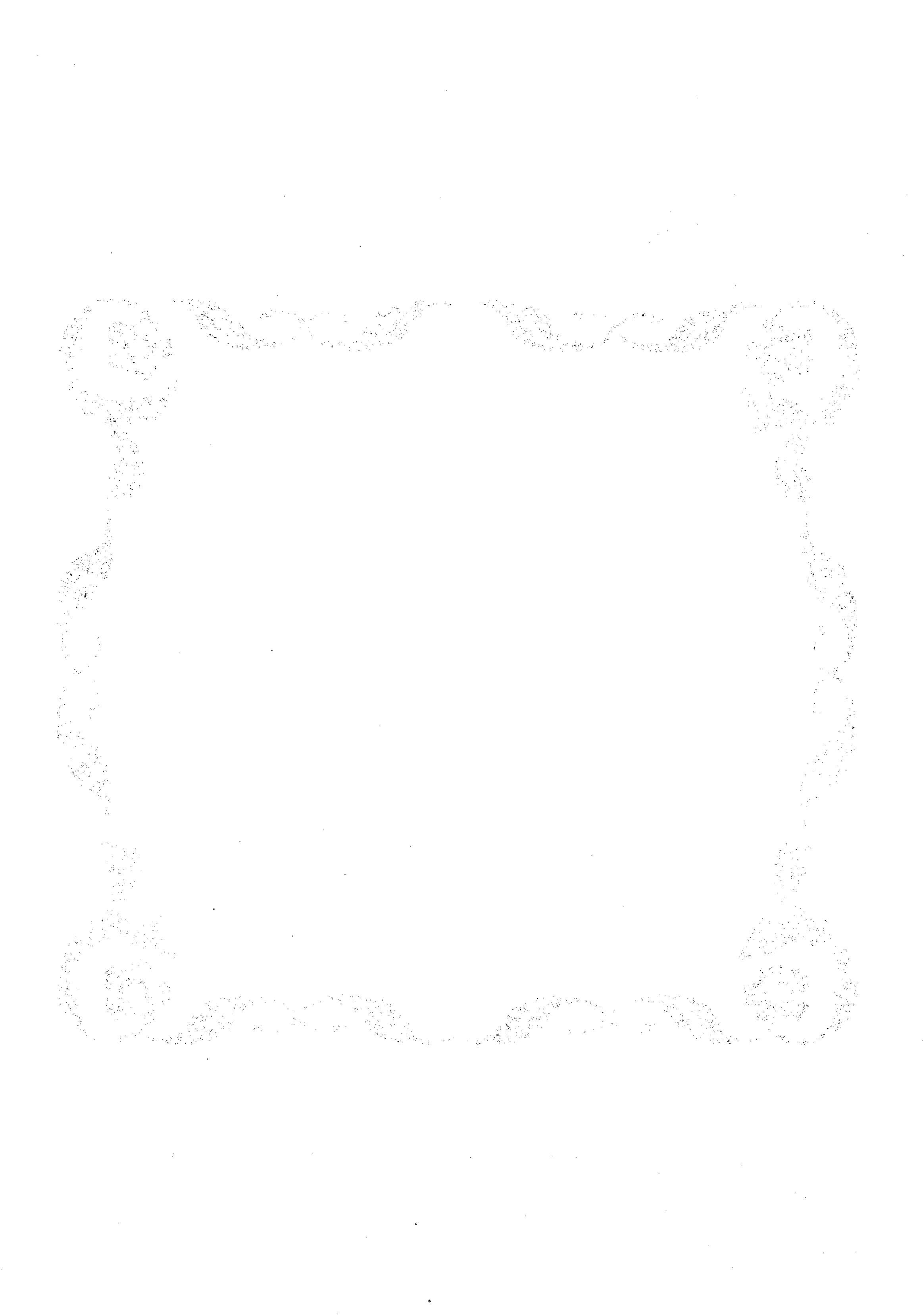
☆ **الشافعية**، أو المذهب الشافعي.

☆ **الحنابلة**، أو المذهب الحنبلي.



الفصل الثاني

الطهارة



الطهارة

٣٠- ما هي الطهارة؟

هي رفع الحدث، وزوال النجس.

٣١- ما هو الحدث؟

هو وصف يقوم بالبدن يمنع من الصلاة مثل قضاء الحاجة.

٣٢- ما أنواع الحدث؟

☆ **حدث أكبر**: هو الذي يوجب الغسل مثل: الجنابة، والحيض، والنفاس.

☆ **حدث أصغر**: هو الذي يوجب الوضوء فقط مثل: التبول والتبرز.

٣٣- بم يرفع الحدث؟

☆ يرفع الحدث الأكبر بالاغتسال، قال الله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [سورة المائدة:٦]، وقال ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾[سورة النساء:٤٣]

☆يرفع الحدث الأصغر بالوضوء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[سورة المائدة:٦].

☆ يرفع كلاهما بالتيمم، لمن لم يجد الماء، أو لمن لا يقدر على استخدامه، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[سورة المائدة:٦].

٣٤- ما هو زوال الخبث؟

الخبث: هو شيء ماديٌّ نجس مثل: الدم، أو البول، أو البراز.

٣٥- بم يزال الخبث؟

بغسله بالماء، أو بأي مزيل يزيل عين النجاسة.

٣٦- ما هي أقسام المياه؟

طهور، وطاهر، ونجس.

٣٧- ما هو الماء الطهور؟

هو الباقي علىٰ أصل خلقته لم يتغير لونه، أو طعمه، أو رائحته.

٣٨- ما حكم استعمال الماء الطهور؟

يرفع الحدث، ويزيل الخبث، بدليل قول الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٤٨]، وقول رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالبَرَدِ وَالمَاءِ البَارِدِ**» [صحيح مسلم (٢٠٤)].

٣٩- ما هو الماء الطاهر؟

هو ما تغير لونه، أو طعمه، أو ريحه بشيء طاهر، مثل ماء الورد أو ماء الكافور.

٤٠- ما حكم استعمال الماء الطاهر؟

يجوز استعماله في غير رفع الحدث وزوال الخبث.

٤١- ما هو الماء النجس؟

هو ما تغيرت إحدىٰ صفاته بنجاسة وقعت فيه.

٤٢- ما حكم استعمال الماء النجس؟

يحرم استعماله، ولا يرفع الحدث، ولا يزيل النجس أو الخبث.

٤٣- ما هي الآداب المستحبة قبل دخول الخلاء؟

☆ تقديم الرجل اليسرىٰ عند الدخول.

☆ قول بسم الله؛ لقول رسول الله ﷺ : «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ» [صحيح ابن ماجه (٢٩٧)].

☆ قول أعوذ بالله من الخبث والخبائث؛ لحديث أنس رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ» [صحيح البخاري (١٤٢)].

٤٤- ما هي الآداب المستحبة أثناء قضاء الحاجة؟

☆ يحرم استقبال القبلة أو استدبارها، قال رسول الله ﷺ : «إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا» [صحيح البخاري (٣٨٦)].

☆ يحرم أن يبول أو يتغوط في الطريق، أو في ظل نافع، أو تحت شجرة عليها ثمر يقصد، قال رسول الله ﷺ : «اتَّقُوا المَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: البِرَازَ فِي المَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ» [حسن، ابن ماجه (٣٢٨)].

☆ يحرم التخلي بين قبور المسلمين، قال رسول الله ﷺ : «وَمَا أُبَالِي أَوْسَطَ القُبُورِ قَضَيْتُ حَاجَتِي أَوْ وَسَطَ السُّوقِ»[1] [صحيح ابن ماجه (١٥٦٧)].

☆ يكره الكلام أثناء قضاء الحاجة، عن عمر رضي الله عنهما : «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَبُولُ، فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ» [صحيح مسلم (١١٥)].

٤٥- ما هي الآداب المستحبة عند الخروج من الخلاء؟

☆ تقديم الرجل اليمنى عند الخروج.

☆ أن تقول: غفرانك؛ لحديث عائشة رضي الله عنها : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الخَلَاءِ قَالَ: غُفْرَانَكَ» [صحيح أبي داود (٢٣)].

٤٦- ما هو الاستنجاء؟

إزالة ما خرج من السبيلين بماء طهور.

---

(١) يعني أن هذا يحرم كهذا.

٤٧- ما هو الاستجمار؟

الاستجمار: إزالة ما خرج من السبيلين بغير الماء من الطاهرات.

٤٨- ما هي مباحات أو مكروهات الاستنجاء؟

✰ يحرم الاستنجاء باليمين؛ لحديث سليمان رضي الله عنه قال: لقد نهانا رسول الله ﷺ أن نستنجي باليمين [صحيح مسلم (٥٧)].

✰ الاستنجاء برجيع أو روث أو بعظم أو طعام؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَسْتَنْجُوا بِالرَّوَثِ أَوْ بِالعِظَامِ؛ فَإِنَّهُ زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ**» [صحيح مسلم (١٥٠)].

✰ يكره استقبال القبلة واستدبارها في الاستنجاء.

٤٩- متى يغسل بالماء؟

✰ يغسل به ثلاثًا إذا وجدت نجاسة على جسم أو بناء أو حائط؛ لأمره ﷺ: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ**» [صحيح البخاري (١٦٠)].

✰ يغسل به مرة البول و الدم على الثوب ونحوه، قال رسول الله ﷺ: «**يُنْضَحُ بَوْلُ الغُلَامِ، وَيُغْسَلُ بَوْلُ الجَارِيَةِ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (١/ ٧٦)].

✰ يغسل بعد الفرك دم الحيض إذا جف على ثوب؛ لقوله ﷺ لأسماء رضي الله عنها في دم الحيض: «**تَحُتُّهُ ثُمَّ تَقْرِصُهُ بِالمَاءِ، وَتَنْضَحُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ**» [صحيح البخاري (٢٢٧)].

٥٠- متى يرش بالماء؟

يرش بالماء من تنجس ببول غلام لم يأكل الطعام بعد، عن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله. [صحيح البخاري (٢٢١)].

٥١- متى يراق الماء؟

على أرض تنجست ببول لقوله ﷺ في بول الأعرابي الذي بال في المسجد: «**دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ**» [صحيح البخاري (٢٢١)].

٥٢- ما هي سنن الفطرة؟

قال رسول الله ﷺ: «**عَشْرٌ مِنْ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ (يَعْنِي: الاسْتِنْجَاءَ)، وَالاخْتِتَانِ**» [صحيح ابن ماجه (٢٩٣)].

٥٣- ما هو غسل البراجم؟

معناه تنظيف المواضع التي يجتمع فيها الوسخ، وأصل البراجم العقد التي تكون في ظهور الأصابع.

٥٤- ما هو حكم إطلاق اللحية؟

يجب إعفاؤها، قال رسول الله ﷺ: «**أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَىٰ**» [صحيح البخاري (٥٥٥٣)].

٥٥- ما حكم حلق شعر الرأس؟

☆ مباح، ويكره القزع، وهو حلق بعض شعر الرأس وترك بعضه؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: نهىٰ النبي ﷺ عن القزع. [صحيح البخاري (٥٥٧٧)].

☆ يسن إكرامه بتسريحه، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ شَعَرٌ فَلْيُكْرِمْهُ**» [صحيح أبي داود (٤١٦٣)].

٥٦- ما حكم استعمال السواك؟

سنة مؤكدة، قال رسول الله ﷺ: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٧)].

٥٧- ما هي المواطن التي يستحب فيها استعماله؟

☆ قبل الوضوء، قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ**» [صحيح الجامع (٩٤٤٨)].

☆ قبل الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي -أَوْ عَلَىٰ النَّاسِ- لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**» [صحيح البخاري (٨٨٧)].

☆ عند الانتباه من النوم؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك. [صحيح البخاري (٢٤٥)].

يشوص يعني: يدلك وينقي.

☆ قبل قراءة القرآن، قال رسول الله ﷺ: «**طَيِّبُوا أَفْوَاهَكُمْ بِالسِّوَاكِ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الْقُرْآنِ**» [صحيح الجامع (٣٩٣٩)].

☆ يوم الجمعة، قال رسول الله ﷺ في جمعة من الجمع: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللهُ عِيدًا فَاغْتَسِلُوا، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلَا يَضُرُّهُ أَنْ يَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ**». [صحيح مشكاة المصابيح (١٣٩٨)].

☆ عند دخول المنزل؛ فعن شريح بن هانئ قال: سألت عائشة رضي الله عنها قلت: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك. [صحيح مسلم (٣٧١)].

☆ عند إطالة السكوت، وصفرة الأسنان وعند تغير رائحة الفم.

٥٨- ما هو الغسل؟

هو تعميم جميع البدن بالماء الطهور علىٰ وجه مخصوص.

٥٩- ماذا يحرم على المحدث حدثًا أكبر؟

☆ الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلَا صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ**» [صحيح مسلم (٢٢٤)].

☆ الطواف، قال رسول الله ﷺ: «**الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَحَلَّ فِيهِ**

المَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فِيهِ فَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِخَيْرٍ» [صحيح الجامع (٣٩٥٤)].

☆ مس المصحف، قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الواقعة:٧٩]، وقال رسول الله ﷺ: «لا يَمَسَّ القُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ» [صحيح الجامع (٧٧٨)].

☆ اللبث في المسجد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ [سورة النساء:٤٣]

٦٠- ماذا يوجب الغسل؟

☆ خروج المني، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَضَخْتَ المَاءَ؛ فَاغْتَسِلْ» [صحيح أبي داود (٢٠٦)].

☆ الجماع، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا جَاوَزَ الخِتَانُ الخِتَانَ؛ فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ» [صحيح مسلم (٨٨)].

☆ إسلام الكافر ولو مرتدًا، عن قيس بن عاصم قال: أتيت النبي ﷺ أريد الإسلام فأمرني أن أغتسل بماء وسدر. [صحيح أبي داود (٣٥٥)].

☆ الحيض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٢].

☆ النفاس، وقد وقع الإجماع من العلماء علىٰ أن النفاس كالحيض في جميع ما يحل ويحرم، ويكره ويندب.

☆ موت المسلم إلا الشهيد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، فقال رسول الله ﷺ «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ». [صحيح البخاري (١٨٥١)].

٦١- ما هي شروط صحة الغسل؟

☆ انقطاع ما يوجبه.

☆ النية، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ» [صحيح البخاري (١)].

☆ الإسلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا رضي الله عنه إلىٰ اليمن فقال: «ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» [صحيح البخاري (١٣٩٥)].

☆ العقل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ المَجْنُونِ المَغْلُوبِ عَلَىٰ عَقْلِهِ حَتَّىٰ يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَحْتَلِمَ» [صحيح أبي داود (٤٣٩٨)].

☆ الماء الطهور المباح.

☆ إزالة ما يمنع وصول الماء.

٦٢- ما هي فروض الغسل؟

تعميم البدن بالماء حتىٰ الأنف والفم، لحديث ميمونة رضي الله عنها: «أَدْنَيْتُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم غُسْلَهُ مِنَ الجَنَابَةِ، فَغَسَلَ كَفَّيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ أَفْرَغَ بِهِ عَلَىٰ فَرْجِهِ وَغَسَلَهُ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ ضَرَبَ بِشِمَالِهِ الأَرْضَ فَدَلَكَهَا دَلْكًا شَدِيدًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفْنَاتٍ مِلْءَ كَفِّهِ، ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ عَنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ فَغَسَلَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بِالمِنْدِيلِ فَرَدَّهُ». [صحيح البخاري (٢٦٦)].

٦٣- ما هي سنن الغسل؟

☆ الوضوء قبله.

☆ إزالة ما لوثه الأذىٰ؛ لحديث ميمونه رضي الله عنها في صفة غسل النبي صلى الله عليه وسلم من الجنابة: «وَغَسَلَ فَرْجَهُ وَمَا أَصَابَهُ مِنَ الأَذَىٰ»

☆ إفراغ الماء علىٰ الرأس ثلاثًا (لحديث ميمونة رضي الله عنها السابق ذكره).

☆ التيامن.

☆ الموالاة.

☆ إمرار اليد علىٰ الجسد

☆ إعادة غسل رجليه بمكان آخر؛ لحديث ميمونة رضي الله عنها: ثم تنحىٰ عن مقامه ذلك فغسل رجليه.

٦٤- ما هي الأغسال المستحبة؟

☆ غسل الجمعة واجب، قال رسول الله ﷺ: «**الغُسْلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ**» [صحيح البخاري (٨٧٩)].

☆ من غسل ميتًا، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ المَيِّتَ فَلْيَغْتَسِلْ**» [صحيح أبي داود (٣١٦١)].

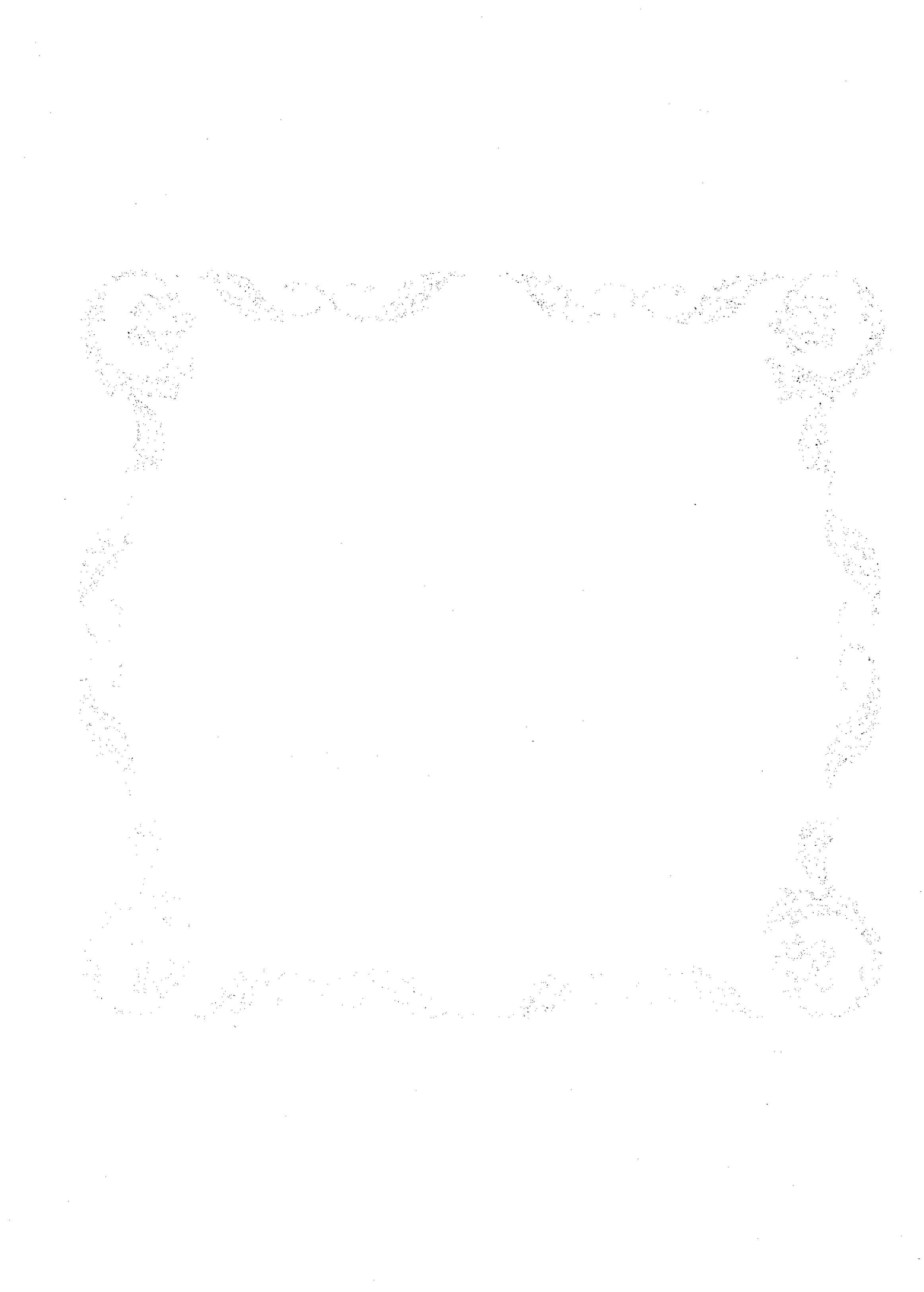
☆ غسل العيدين، الكسوف، والاستسقاء، بعد الإفاقة من الجنون، والإغماء، رمي الجمار، الإحرام، دخول حرم مكة، الوقوف بعرفة، طواف الزيارة، طواف الوداع، المبيت بالمزدلفة، وقد ثبت أن الرسول ﷺ اغتسل لكل هذا.

☆ المستحاضة لكل صلاة، فعن عائشة رضي الله عنها: استحيضت زينب بنت جحش رضي الله عنها؛ فقال لها النبي ﷺ: «**اغْتَسِلِي لِكُلِّ صَلَاةٍ**» [صحيح أبي داود (٢٩٢)].






الفصل الثالث
الوضوء والتيمم



الوضوء

٦٥- ما هو الوضوء؟

هو استعمال ماء طهور في الأعضاء الأربعة: (الوجه، اليدين الرأس، الرجلين) علىٰ صفة مخصوصة.

٦٦- ما هو الإسباغ؟

هو تعميم العضو بالماء.

٦٧- ما هو حكم الوضوء؟

هو شرط من شروط صحة الصلاة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ**» [صحيح مسلم (٢٢٤)].

٦٨- ما هو فضل الوضوء؟

☆ خروج الخطايا والذنوب مع ماء الوضوء، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ؛ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَىٰ المَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ**» [صحيح ابن ماجه (٢٧٨)].

☆ رفع الدرجات في الجنة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَىٰ المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**» [صحيح مسلم (٢٥١)].

☆ نور في الوجه يوم القيامة؛ فعن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ؛ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ؛ فَلْيَفْعَلْ**» [صحيح البخاري: (١٣٦)].

٦٩- ما هي واجبات الوضوء؟

التسمية، قال رسول الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ**» [صحيح أبو داود (١٠١)].

٧٠- ما هي فروض الوضوء؟

☆ غسل الوجه.

☆ غسل اليدين مع المرفقين.

☆ مسح الرأس كله.

☆ غسل الرجلين مع الكعبين.

بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة:٦].

☆ الترتيب؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه دعا بإناء فأفرغ علىٰ كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثًا ويديه إلىٰ المرفقين ثلاث مرار ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلىٰ الكعبين ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [صحيح البخاري (١٥٩)].

☆ الموالاة؛ فعن بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ رأىٰ رجلًا يصلي وفي ظهر قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة [صحيح: مسند الإمام أحمد (٣/ ٤٢٤)] فلو لم تجب الموالاة لأمره النبي ﷺ بغسل اللمعة فقط.

٧١- ما هي سنن الوضوء؟

☆ السواك، سبق إيراد الدليل.

☆ المضمضة والاستنشاق، لحديث عثمان رضي الله عنه السابق ذكره.

☆ تخليل اللحية؛ لحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفًا من ماء فأدخله تحت حنكه؛ فخلل به لحيته وقال: «**هَكَذَا أَمَرَنِي رَبِّي** ﷻ» [صحيح أبو داود (١٤٥)].

☆ التيامن؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله [صحيح البخاري (٤٢٦)].

☆ الغسلة الثانية والثالثة؛ لقول علي رضي الله عنه لابن عباس: ألا أتوضأ لك وضوء رسول الله ﷺ؟ قال: بلىٰ فداك أبي وأمي، قال: فوضع له إناء فغسل يديه ثم مضمض واستنشق واستنثر ثم أخذ بيديه فصك بهما وجهه وألقم إبهامه ما أقبل من أذنيه قال: ثم عاد في مثل ذلك ثلاثًا [صحيح مسند أحمد (١/ ٨٢)].

☆ الذكر بعد الوضوء قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» [صحيح مسلم (١٧)].

☆ تخليل الأصابع؛ فعن عاصم بن لقيط بن صبرة عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء، قال: «**أَسْبِغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**» [صحيح أبو داود (١٤٢)].

☆ غسل الكفين ثلاثًا، لحديث عثمان السابق ذكره.

☆ المبالغة في الاستنشاق والوضوء لغير الصائم قال رسول الله ﷺ: «**وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**».

☆ أخذ ماء جديد للأذنين، عن الربيع بنت معوذ قالت: أتيت النبي ﷺ بميضاة فقال: «**اسْكُبِي**» فسكبت فغسل وجهه وذراعيه وأخذ ماءً جديدًا فمسح به رأسه مقدمه ومؤخره وغسل قدميه ثلاثًا ثلاثًا.

٧٢- ما هي نواقض الوضوء؟

☆ الخارج من السبيلين طاهرًا أو نجسًا قال تعالىٰ: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة:٦] وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفرًا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة ولكن من غائط وبول ونوم [حسن، مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣٩)].

☆ خروج النجاسة من بقية البدن (البول، الغائط مطلقًا، والدم والقيء إلا اليسير) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قاء فأفطر فتوضأ. [صحيح، مسند الإمام أحمد (٦/ ٤٤٣)].

☆ زوال العقل بإغماء، أو نوم أو جنون قال رسول الله ﷺ: «**العَيْنُ وِكَاءُ السَّهْ؛ فَمَنْ نَامَ فَلْيَتَوَضَّأْ**» [صحيح أبو داود (٢٠٣)].

السه: اسم من أسماء الدبر، والوكاء بكسر الواو: الرباط الذي يشد به فم القربة.

☆ مس فرج الآدمي، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ**» [صحح ابن ماجه (٤٧٩)].

☆ أكل لحم الإبل؛ فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أأتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «**إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ**» قال: أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «**نَعَمْ، تَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الإِبِلِ**» [صحيح مسلم (٩٧)].

☆ الردة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة:٥].

٧٣- ما الذي يجب له الوضوء؟

☆ الصلاة.

☆ الطواف.

☆ مس المصحف.

٧٤- ما الذي يستحب له الوضوء؟

قراءة القرآن، وذكر الله تعالىٰ؛ فعن المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه أنه أتىٰ النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتىٰ توضأ ثم اعتذر إليه فقال: «**إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكُرَ اللهَ ﷻ إِلَّا عَلَىٰ طُهْرٍ -أَوْ قَالَ: عَلَىٰ طَهَارَةٍ-**» [صحيح أبو داود (١٧)].

☆ النوم قال النبي ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجعكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ**» [صحيح البخاري (٦٣١١)].

☆ قبل الغسل، عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ» [صحيح البخاري (٢٦٩)].

☆ الجنب إذا أراد الأكل أو النوم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ جُنُبًا فَأَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَنَامَ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ» [صحيح مسلم (٢٢)].

☆ لكل صلاة فعن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ» [صحيح البخاري (٢١١)].

☆ عند كل حدث، قال رسول الله ﷺ: «**يَا بِلَالُ، بِمَا سَبَقْتَنِي إِلَىٰ الجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ قَطُّ إِلا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي**» فقال بلال: يا رسول الله، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عنده ورأيت أن لله علي ركعتين فقال رسول الله ﷺ (بهما) [صحيح الترمذي (٣٦٨٩)].

☆ من حمل الميت، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ المَيِّتَ فَلْيَغْتَسِلْ، وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٥٤)].

٧٥- ما هي شروط الوضوء؟

☆ النية.

☆ الإسلام.

☆ العقل.

☆ التمييز.

☆ الماء المباح الطهور.

☆ إزالة ما يمنع وصول الماء.

☆ الاستجمار أو الاستنجاء بعد قضاء الحاجة.

المسح على الخفين:

٧٦- ما حكم المسح على الخفين؟

سنة، قال جرير: رأيت رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح علىٰ خفيه [صحيح البخاري (٣٧٨)].

٧٧- ما هي شروط المسح على الخفين؟

☆ لبس الخفين بعد كمال الطهارة بالماء؛ لحديث المغيرة: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأهويت لأنزع خفيه فقال: «**دَعْهُمَا؛ فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**» فمسح عليهما. [صحيح البخاري (٢٠٦)].

☆ ستر الخفين محل الفرض من القدمين حتىٰ الكعبين تمامًا.

☆ إمكان المشي بهما.

☆ طهارتهما.

٧٨- ما هي مدة المسح على الخفين؟

☆ للمسافر: ثلاثة أيام بلياليها.

☆ للمقيم: يوم بليلة، عن صفوان بن عسال قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا

كُنَّا سفرًا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ» [حسن. مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣٩)].

٧٩- ما هي نواقض المسح على الخفين؟

☆ ما يوجب الغسل: كالحيض والجنابة [لحديث صفوان بن عسال السابق ذكره].

☆ انقضاء المدة.

☆ نزع الخفين.

٨٠- كيف نمسح على الخفين؟

يجب مسح أكثر أعلىٰ الخف، فتضع يدك علىٰ مقدمة الخف، ثم تمسح إلىٰ ساقك، ولا يسن المسح أسفل الخف ولا يجزئ.

التيمم

٨١- ما هي التيمم؟

ضرب الصعيد الطيب (التراب) باليدين بنية استباحة الصلاة وغيرها.

٨٢- ما هي حكم التيمم؟

التيمم رخصة من الله ﷻ.

☆ ويجوز بالصعيد (التراب)؛ لقول الله ﷻ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

☆ ويجوز بالجدار، قال أبو الجُهَيم الأنصاري: «أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَحْوِ بِئْرِ جمل، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَقْبَلَ عَلَىٰ الجِدَارِ فَمَسَحَ بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ» [صحيح البخاري (٣٤٤)].

٨٣- ما الحكمة في مشروعية التيمم؟

☆ للتيسير علىٰ من لا يجد الماء، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورُ المُسْلِمِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ المَاءَ عَشْرَ سِنِينَ؛ فَإِذَا وَجَدَ المَاءَ فَلْيَمَسَّهُ بَشَرَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ**» [صحيح أبي داود (١٢٤)].

☆ وللتيسير علىٰ من يجد الماء ويعجز عن استخدامه بسبب: المرض؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ [النساء:٤٣] وعن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلًا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟

فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر علىٰ الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا علىٰ النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟ فَإِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ -أَوْ يَعْصِبَ- عَلَىٰ جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ**» [صحيح أبي داود (٣٣٢)].

☆ عند شدة البرد، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال: فلما قدمنا علىٰ رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «**يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟!**» قال قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك وذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا.

☆ لحاجته الماء للشرب وغيره، سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ**» [صحيح أبي داود (٨٣)].

☆ العاجز عن الحركة ولا يجد من يعينه.

٨٤- ما هي شروط التيمم؟

☆ النية.

☆ الإسلام.

☆ العقل.

☆ التمييز.

☆ الاستنجاء أو الاستجمار.

☆ التراب الطهور المباح.

☆ دخول وقت الصلاة.

☆ تعذر استخدام الماء أو فقده قال تعالىٰ: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣]

٨٥- ما هي فرائض التيمم؟

☆ مسح الوجه؛ لقوله ﷺ لعمار: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ هَكَذَا**» وضرب بيديه إلىٰ الأرض فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه [صحيح مسلم (١١٠)].

☆ مسح اليدين إلىٰ الكوعين، والكوع: العظم الناتئ بعد أصبع الإبهام، وما يقابله من ناحية الخنصر يسمىٰ الكرسوع [للحديث السابق ذكره].

☆ الموالاة.

☆ تعيين النية لما تيمم له.

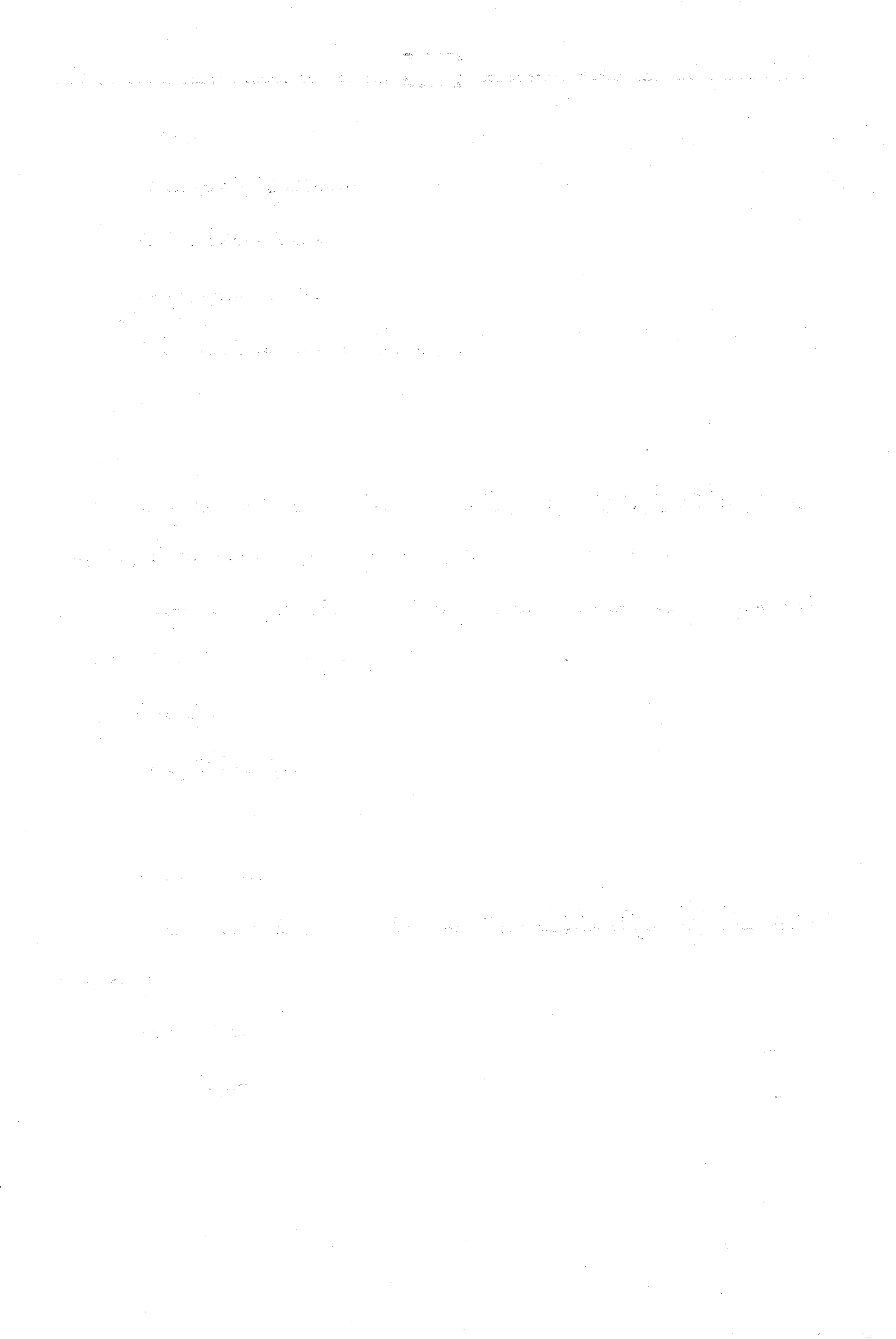
٨٦- ما هي مبطلات التيمم؟

☆ ما يبطل الوضوء.

☆ وجود الماء؛ لقوله ﷺ: «**فَإِذَا وَجَدَ المَاءَ فَلْيَمَسَّهُ بَشَرَتَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ**» [سبق تخريجه].

☆ خروج الوقت.

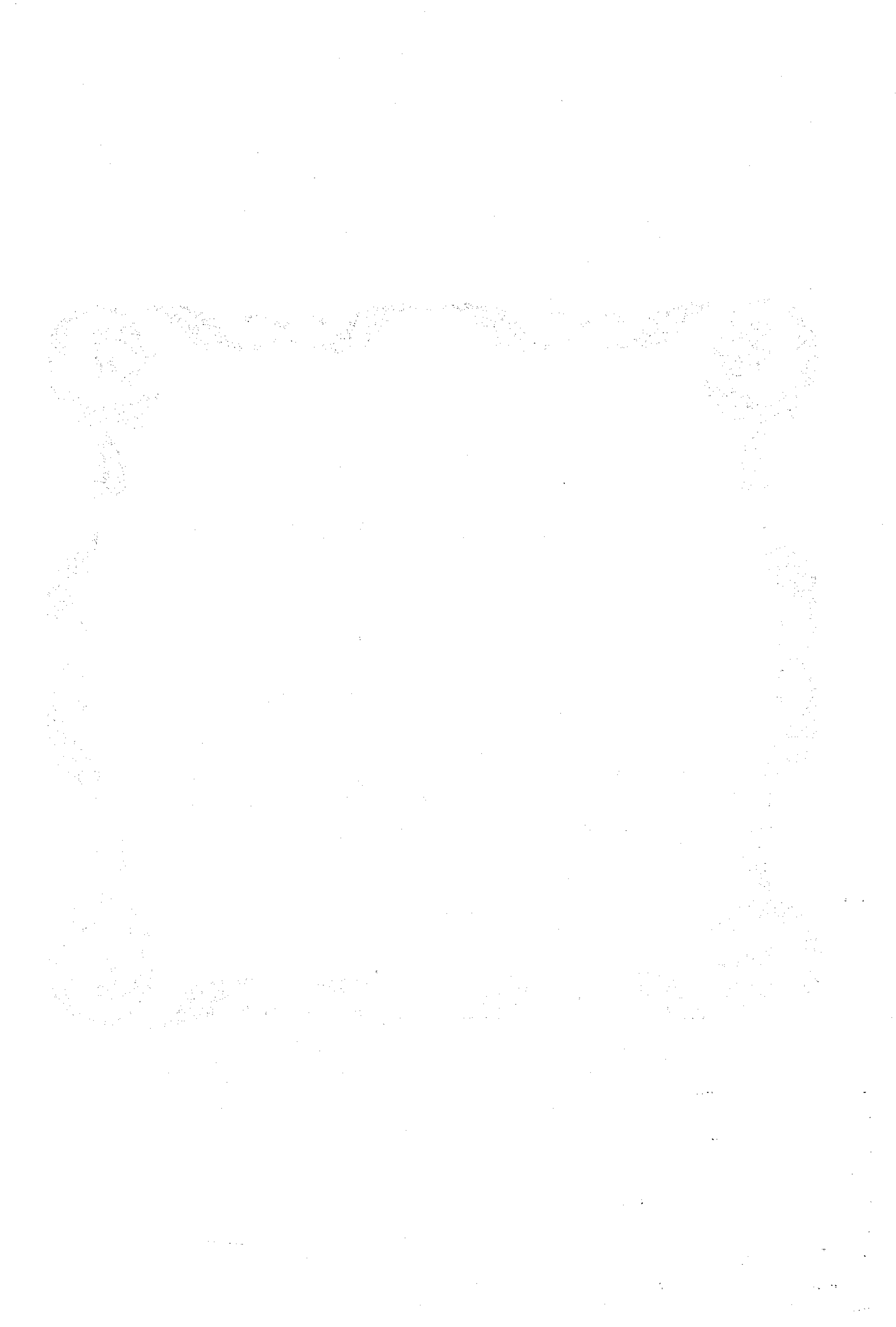
☆ زوال المبيح.





الفصل الرابع

باب الآنية وحكم الميتة



باب الآنية وحكم الميتة

٨٧- ما حكم آنية الذهب والفضة؟

يحرم بيعها أو شراؤها، أو اقتناؤها، أو الأكل والشرب فيها قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا؛ فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَنَا فِي الآخِرَةِ**» [صحيح البخاري (٥٤٢٦)].

٨٨- هل يجوز استخدام آنية الكفار وثيابهم؟

نعم يباح فهي طاهرة؛ لحديث أن النبي ﷺ استعمل مزادة مشركة (هي ظرف أو إناء يحمل فيه الماء) إلا من استحل النجاسات منهم، فما استعملوه فهو نجس، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله، إنا بأرض قوم من أهل الكتاب أفنأكل في آنيتهم؟ قال: «**أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا**» [صحيح البخاري (٥٤٧٨)].

٨٩- ما حكم الميتة؟

الميتة نجسة، قال تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[سورة المائدة: ٣].

٩٠- ما هو الطاهر من الميتة؟

شعرها وصوفها، وريشها إذا كان من ميتة طاهرة في الحياة ولو غير مأكولة كالهر والفأر قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[سورة النحل: ٨٠]

٩١- ما هو النجس من الميتة؟

عظمها، وقرنها، وظفرها وحافرها وعصبها، وجلدها لا يطهر بالدباغ؛ لأن رسول الله ﷺ كتب إلىٰ جهينة قبل موته بشهر أن «**لَا تَنْتَفِعُوا مِنَ المَيْتَةِ بِإِهَابٍ وَلَا عَصَبٍ**» [صحيح أبي دواد (٤١٢٨)].

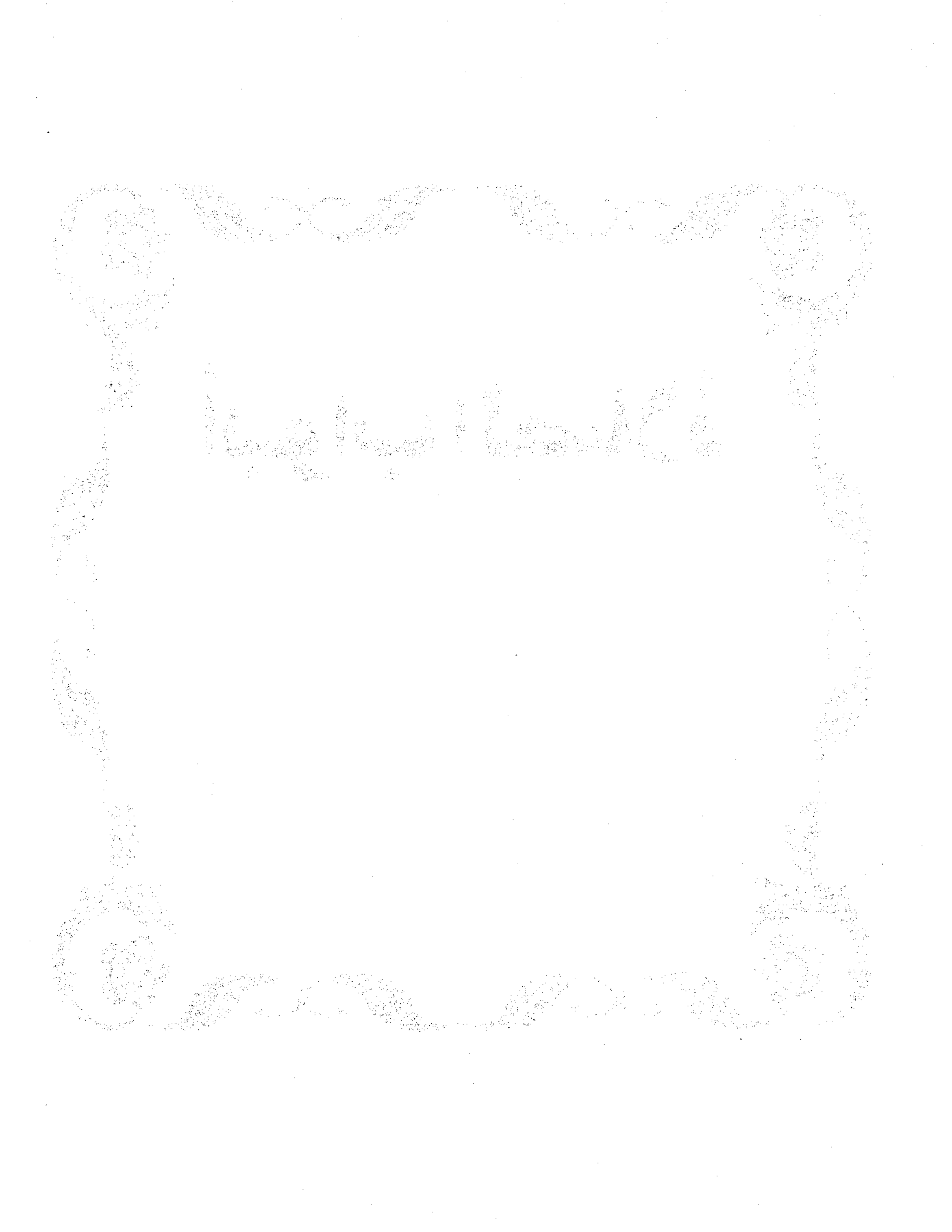




أبواب الصلاة

الفصل الأول

الأذان والإقامة



الأذان والإقامة

٩٠- ما هو الأذان؟

هو الإعلام بدخول وقت الصلاة، وهو خمس عشرة جملة.

٩١- ما هي الإقامة؟

هي الإعلام بالقيام بذكر مخصوص، وهي إحدىٰ عشر جملة.

٩٢- ما حكمها؟

☆ فرض كفاية في الحضر للرجال الأحرار؛ لحديث النبي ﷺ: إذا حضرت الصلاة؛ فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» [صحيح البخاري (٦٠٠٨)].

☆ سنة للمنفرد قال رسول الله ﷺ: «**يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: انْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ**» [صحيح أبي داود (١٢٠٣)].

☆ سنة في السفر؛ فعن مالك بن الحويرث قال: قدمت علىٰ رسول الله ﷺ أنا وابن عم لي فقال لنا: «**إِذَا سَافَرْتُمَا فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا وَلْيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا**» [صحيح البخاري (٦٠٤)].

٩٣- ما هو ركن الأذان؟

رفع الصوت.

٩٤- ما هي شروط صحة الأذان والإقامة؟

☆ الترتيب.

☆ الموالاة.

☆ دخول الوقت؛ لحديث «**إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**» [صحيح البخاري (٦٠٠٨)].

٩٥- ما هي الشروط الواجب توافرها في المؤذن؟

☆ أن يكون ذكرًا.

☆ مسلمًا.

☆ عاقلًا.

☆ مميزًا.

☆ ناطقًا.

☆ عدلًا، قال رسول الله ﷺ : «**الإِمَامُ ضَامِنٌ وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلمُؤَذِّنِينَ**» [صحيح أبي داود (٥١٧)].

٩٦- ما هي صفة الأذان؟

أن يقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

٩٧- ما هي صفة الإقامة؟

أن يقول: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

٩٨- ماذا يسن في المؤذن؟

☆ أن يكون رفيع الصوت.

☆ أمينًا قال رسول الله ﷺ : «**أُمَنَاءُ النَّاسِ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ وَسُحُورِهِمُ المُؤَذِّنُونَ**» [حسن، البيهقي (١/ ٤٢٦)].

☆ عالمًا بالوقت.

☆ متطهرًا.

☆ قائمًا لقوله ﷺ لبلال: «قُمْ فَأَذِّنْ» [صحيح البخاري (٦٦٠٦)].

☆ أن يؤذن أول الوقت.

☆ أن يسترسل في الأذان

☆ أن يكون علىٰ علو؛ لما ورد عن امرأة من بني النجار قالت: «كَانَ بَيْتِي مِنْ أَطْوَلِ بَيْتٍ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَكَانَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُ عَلَيْهِ» [صحيح أبو داود (٥١٩)].

☆ يرفع صوته جاعلًا أصبعيه في أذنيه، عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «رَأَيْتُ بِلَالًا يُؤَذِّنُ وَيَدُورُ وَيَتبعُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، وَأُصْبُعَاهُ فِي أُذُنَيْهِ» [صحيح الترمذي (١٩٧)].

☆ مستقبل القبلة؛ لفعل مؤذني الرسول ﷺ وإجماع الأئمة.

☆ يلتفت يمينًا لحي علىٰ الصلاة ويلتفت يسارًا لحي علىٰ الفلاح؛ لقول أبي جحيفة: «رَأَيْتُ بِلَالًا خَرَجَ إِلَىٰ الأَبْطَحِ فَأَذَّنَ، فَلَمَّا بَلَغَ: حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَىٰ الفَلَاحِ؛ لَوَّىٰ عُنُقَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَمْ يَسْتَدِرْ» [صحيح البخاري (٦٣٤)].

☆ أن يقول: الصلاة خير من النوم مرتين بعد حيعلة أذان الفجر.

☆ أن يتولىٰ الأذان والإقامة واحد ما لم يشق.

☆ علىٰ من جمع أو قضىٰ فوائت أن يؤذن للأولىٰ ويقيم للكل، عن جعفر بن محمد عن أبيه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ الظُّهْرَ وَالعَصْرَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ بِعَرَفَةَ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا، وَإِقَامَتَيْنِ، وَصَلَّىٰ المَغْرِبَ وَالعِشَاءَ بِجَمْعٍ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا» [صحيح مسلم (١٤٧)].

٩٩- ماذا يفعل من يسمع المؤذن؟

يقول كقوله إلا عند قول المؤذن حي علىٰ الصلاة، حي علىٰ الفلاح فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال رسول الله ﷺ : «**إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ؛ فَقَالَ**

أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الفَلَاحِ، قَالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» [صحيح مسلم (١٢)].

١٠٠- ماذا يسن للمؤذن ومن يسمعه بعد انتهاء الآذان؟

☆ أن يقول: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً صَلَّىٰ اللهُ بِهَا عَشْرًا».

☆ أن يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» [صحيح مسلم (٣٨٤)].

☆ ثم يدعو؛ فإن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد.

١٠١- ما هو فضل الأذان؟

☆ قال رسول الله ﷺ: «المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ» [صحيح مسلم (٣٨٧)].

☆ الأذان يطرد الشيطان؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ أَدْبَرَ، فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ» [صحيح البخاري (١١٦٤)].



الفصل الثاني
الصلاة



الصـــلاة

١٠٢- ما هي الصلاة؟

هي التعبد لله تعالىٰ بأقوال وأفعال مخصوصة، في أوقات مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم.

١٠٣- ما حكم الصلاة؟

ركن من أركان الإسلام وفرض عين علىٰ كل مسلم ومسلمة، قال رسول الله ﷺ: **«بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»** [صحيح البخاري (٨٠)].

١٠٤- متى فرضت الصلاة؟

فرضت في ليلة الإسراء والمعراج، كما ورد في حديث الإسراء والمعراج الطويل: قال رسول الله ﷺ: **«فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ»** [صحيح، مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨٠)].

١٠٥- ما هي شروط صحة الصلاة؟

☆ النية.

☆ الإسلام.

☆ العقل.

☆ التمييز؛ لحديث النبي ﷺ: **«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ»** [صحيح أبو داود (٤٩٤)].

☆ الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر لحديث النبي ﷺ: **«لا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ**

طُهُورٍ» [صحيح مسلم (٢٢٤)].

☆ دخول الوقت، قال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الإسراء].

☆ ستر العورة، عن سلمة بن الأكوع قال: قلت: يا رسول الله، إني رجل أصيد أفأصلي في القميص الواحد؟ قال: «نَعَمْ، وَازْرُرْهُ وَلَوْ بِشَوْكَةٍ» [صحيح أبو داود (٦٣١)].

☆ ستر جميع البدن للمرأة حتىٰ أطراف أصابع القدم عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَقْبَلُ اللهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلَّا بِخِمَارٍ» [صحيح أبي داود (٦٤١)].

☆ طهارة البدن من الخبث، قال رسول الله ﷺ : «تَنَزَّهُوا مِنَ البَوْلِ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبْرِ مِنْهُ» [صحيح ابن ماجه (٣٤٨)].

☆ طهارة الثوب من الخبث، قال تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ [سورة المدثر:٤].

☆ طهارة المكان من الخبث لقوله ﷺ في بول الأعرابي الذي بال في المسجد: «أَرِيقُوا عَلَيْهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ» [صحيح البخاري (٢٢١)].

☆ استقبال القبلة، قال تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤].

١٠٦- ما هي النية؟

هي العزم علىٰ فعل العبادة تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ.

١٠٧- ما هي شروط وجوب الصلاة؟

☆ الإسلام.

☆ التكليف.

١٠٨- ما هي الأماكن التي لا تجوز الصلاة فيها؟

☆ المقبرة؛ سدًا لذريعة عبادة القبور، قال رسول الله ﷺ : «الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الحَمَّامَ وَالمَقْبَرَةَ» [صحيح أبي داود (٤٩٢)].

☆ المرحاض لنجاسته.

☆ مبارك الإبل؛ فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ أصلي في مرابض الغنم؟ قال: نعم، قال: أصلي في مبارك الإبل؟ قال: لا، [صحيح مسلم (٣٦٠)] وقال رسول الله ﷺ: **«لَا تُصَلُّوا فِي مَبَارِكِ الإِبِلِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ الشَّيَاطِينِ»** [صحيح أبي داود (١٨٤)].

☆ الحمام، [للحديث السابق ذكره].

☆ المكان المغصوب.

☆ أسطح الأماكن المنهي عن الصلاة فيها.

☆ المجزرة.

☆ المزبلة.

☆ قارعة الطريق.

١٠٩- ما هي أركان الصلاة؟

أركان الصلاة أربعة عشر وهي:

☆ القيام في الفرض قال تعالىٰ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٨] وقال رسول الله ﷺ: **«صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ»** [صحيح البخاري (١١١٥)].

☆ تكبيرة الإحرام قال رسول الله ﷺ: **«تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ»** [صحيح مسلم (٦١٨)].

☆ قراءة الفاتحة مرتبة قال رسول الله ﷺ: **«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»** [صحيح البخاري (٧٥٦)].

☆ الركوع، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [سورة الحج: ٧٧].

☆ الرفع من الركوع.

☆ الاعتدال قائمًا.

☆ السجود ويكون على سبعة أعضاء.

☆ الرفع من السجود.

☆ الجلوس بين السجدتين.

☆ الطمأنينة في كل ركن.

☆ التشهد الأخير، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي ﷺ: **«لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»** [صحيح البخاري (٧٩٧)].

☆ الجلوس للتشهد الأخير.

☆ التسليمتان؛ لقوله ﷺ: **«وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ»** [سبق تخريجه].

☆ ترتيب الأركان السابقة.

١١٠- ما هي أعضاء السجود؟

الجبهة ومعها الأنف، واليدان، والركبتان، والقدمان، عن ابن عباس رضي الله عنهما «أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ، وَلَا يَكُفَّ شَعَرًا وَلَا ثَوْبًا: الجَبْهَةِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ» [صحيح مسلم (٢٢٧)].

ويجمع كل الأحكام السابقة حديث النبي ﷺ للمسيء صلاته: **«إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ**

حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا» [صحيح البخاري (٧٦٠)].

١١١- هل تبطل الصلاة بترك ركن من أركانها؟

نعم.

١١٢- ما هي واجبات الصلاة؟

واجبات الصلاة ستة وهي:

☆ التكبير غير تكبيرة الإحرام، قال ابن مسعود رضي الله عنه : «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ رَفْعٍ وَقِيَامٍ وَخَفْضٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ» [صحيح، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٨٦)].

☆ قول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد للجميع الإمام والمأموم والمنفرد؛ لحديث أبي هريرة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ» [صحيح البخاري (٧٨٩)].

☆ قول سبحان ربىٰ العظيم في الركوع، قول سبحان ربي الأعلىٰ في السجود، قال حذيفة: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ، وَفِي سُجُودِهِ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ» [صحيح أبو داود (٨٧١)].

☆ قول رب اغفر لي بين السجدتين، عن حذيفة أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي» [صحيح ابن ماجه (٩٧)].

☆ التشهد الأول.

☆ الجلوس للتشهد الأول.

١١٣- هل تبطل الصلاة بترك واجب من واجباتها؟

تبطل الصلاة بتركها عمدًا، ولا تبطل سهوًا وجهلًا.

١١٤- ما هي سنن الصلاة القولية؟

سنن الصلاة القولية عشرة وهي:

☆ دعا الاستفتاح وهو بعد تكبيرة الإحرام، عن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» [صحيح مسلم (٥٢)].

☆ التعوذ، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [سورة النحل: ٩٨]، وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يقول قبل القراءة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**» [صحيح، ابن حبان (١٧٧٩)].

☆ البسملة؛ لحديث: أن النبي ﷺ قرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في الصلاة وعدها آية [صحيح أبي داود (٤٠٠١)].

☆ قول آمين بعد قراءة الفاتحة، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [صحيح البخاري (٧٨٠)].

☆ قراءة السورة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين.

☆ جهر الإمام بالقراءة فجرًا وجمعة والأوليين في المغرب والعشاء.

☆ الذكر المأثور بعد قول: سمع الله لمن حمده؛ لحديث ابن أبي أوفىٰ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» [صحيح مسلم (١٩٤)].

☆ ما زاد علىٰ المرة في تسبيح الركوع والسجود ورب اغفر لي.

☆ الصلاة في التشهد الأخير علىٰ آل الرسول ﷺ والبركة عليهم، عن كعب قال: لما نزلت ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا**

بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» [صحيح البخاري (٦٣٥٧)].

☆ الدعاء بعد التشهد الأخير، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» [صحيح مسلم (١٢٨)].

١١٥- ما هي سنن الصلاة الفعلية حال الوقوف؟

☆ رفع اليدين مع تكبيرة الإحرام؛ لأن مالك بن الحويرث كان إذا صلىٰ كبر ورفع يديه وإذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه وحدث أن رسول الله ﷺ صنع هكذا [صحيح البخاري (٧٣٧)].

☆ وضع اليمين علىٰ الشمال علىٰ صدره؛ لحديث وائل بن حجر، وفيه: ثم وضع يده اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ [صحيح مسلم (٥٤)].

☆ نظره إلىٰ موضع سجوده.

☆ تفرقته بين قدميه قائمًا.

١١٦- ما هي سنن الصلاة الفعلية حال الركوع؟

☆ رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه؛ [لحديث مالك بن الحويرث السابق كره].

☆ قبض ركبتيه بيديه مفرجتي الأصابع في ركوعه.

☆ مد ظهره فيه.

☆ جعل رأسه حيال ظهره (يعني في مستواه).

١١٧- ما هي سنن الصلاة الفعلية حال السجود؟

☆ البداءة في سجوده بوضع يديه ثم ركبتيه ثم جبهته وأنفه.

☆ تمكين أعضاء السجود من الأرض ومباشرتها لمحل السجود.

☆ مجافاة عضديه عن جنبيه، عن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَجَدَ خَوَّىٰ بِيَدَيْهِ -يَعْنِي جَنَّحَ- حَتَّىٰ يُرَىٰ وَضَحُ إِبِطَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ».

☆ مجافاة بطنه عن فخذيه، وفخذيه عن ساقيه، وتفريقه بين ركبتيه.

☆ إقامة قدميه، وجعل بطون أصابعهما علىٰ الأرض مفرقة.

☆ وضع يديه حذو منكبيه مبسوطة مضمومة الأصابع.

١١٨- ما هي سنن الصلاة الفعلية حال القيام من ركعة والبدء في ركعة أخرى؟

☆ رفع يديه أولًا.

☆ قيامه علىٰ صدور قدميه.

☆ اعتماده علىٰ ركبتيه بيديه.

١١٩- ما هي سنن الصلاة الفعلية حال الجلوس بين السجدتين وفي التشهد؟

☆ الافتراش؛ لحديث أبي حميد: ثم ثنىٰ رجله اليسرىٰ وقعد عليها. [صحيح أبي داود (٧٣١)].

☆ كذا في التشهد إلا أنه يقبض من اليمنىٰ الخنصر والبنصر، ويحلق إبهامها مع الوسطىٰ، ويشير بسبابتها عند ذكر الله، عن ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الْيُمْنَىٰ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ فَدَعَا بِهَا، وَيَدُهُ الْيُسْرَىٰ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ الْيُسْرَىٰ بَاسِطَهَا عَلَيْهَا» [صحيح مسلم (١١٤)].

☆ التورك في التشهد الثاني؛ لحديث أبي حميد: «إِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَىٰ وَنَصَبَ الأُخْرَىٰ وَقَعَدَ عَلَىٰ مِقْعَدَتِهِ» [صحيح أبو داود (٧٣١)].

☆ التفاته يمينًا وشمالًا في تسليمه، وينوي به الخروج من الصلاة، عن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله حتىٰ يبدو بياض خده الأيمن وعن يساره بمثل ذلك.

١٢٠- كيف تكون جلسة التشهد؟

أن يثني رجله اليسرىٰ ويجلس عليها، وينصب الرجل اليمنىٰ بأن يوجه أصابعها تجاه القبلة، ويكون في الجلسة بين السجدتين وحال التشهد الأول.

١٢١- ما هو التورك؟

أن يخرج رجل اليسرىٰ، ويجلس متوركًا علىٰ شقه الأيسر، ويقعد علىٰ مقعدته، ويكون في التشهد الثاني.

١٢٢- هل تبطل الصلاة بترك أحد سننها؟

لا تبطل الصلاة بترك سنة من السنن ولو عمدًا، ويباح سجود السهو عنها.

١٢٣- ما هي مكروهات الصلاة؟

☆ اقتصاره علىٰ الفاتحة، أو تكرارها.

☆ الالتفات في الصلاة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ**» [صحيح البخاري (٧٥١)].

☆ تغميض عينيه، ورفع بصره إلىٰ السماء، قال رسول الله صلىٰ عليه وسلم: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ قَالَ: لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتَخطَّفَنَّ أَبْصَارُهُمْ**» [صحيح البخاري (٧١٧)].

☆ حمل مشغل له يشغله عن الخشوع في الصلاة

☆ افتراش ذراعيه ساجدًا، قال رسول الله ﷺ : «**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْسُطَنَّ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ فِي الصَّلَاةِ بَسْطَ الكَلْبِ**» [صحيح البخاري (٨٢٢)].

☆ العبث.

☆ التخصر، وهو أن يضع يده علىٰ خاصرته وهي وسط الجسد؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : «نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُتَخَصِّرًا» [صحيح البخاري (١٢٢٠)].

☆ التمطي.

☆ فتح فيه، ووضعه فيه شيئًا؛ لأنه يذهب الخشوع.

☆ استقبال متحدث أو نائم، أو استقبال ما يلهيه، أو استقبال نار؛ فإن النبي ﷺ

نهىٰ عن الصلاة إلىٰ النائم والمتحدث. [حسن، أبي داود (٦٩٤)].

☆ مس الحصىٰ وتسوية التراب بلا عذر.

☆ فرقعة أصابعه وتشبيكها؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما في الذي يصلىٰ وهو مشبك يديه: «تِلْكَ صَلَاةُ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» [صحيح أبي داود (٩٩٣)].

☆ مس لحيته؛ لأنه من العبث.

☆ كف ثوبه (أن يجمع ثوبه إذا أراد الركوع أو السجود)؛ لحديث: «**وَلَا يَكُفَّ شَعَرًا وَلَا ثَوْبًا**» [صحيح البخاري (١٤٦)].

☆ أن يخص جبهته بما يسجد عليه.

☆ أن يمسح فيها أثر سجوده، عن أبىٰ هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنَ الجَفَاءِ أَنْ يُكْثِرَ الرَّجُلُ مَسْحَ جَبْهَتِهِ قَبْلَ الفَرَاغِ مِنْ صَلَاتِهِ**» [صحيح الترمذي (١٨)].

☆ أن يستند بلا حاجة.

☆ حمده إذا عطس أو وجد ما يسره.

☆ استرجاعه إذا وجد ما يغمه.

١٢٤- ما هي مبطلات الصلاة؟

☆ يبطلها ما أبطل الطهارة.

☆ كشف العورة عمدًا.

☆ استدبار القبلة.

☆ العمل الكثير عادة.

☆ الاستناد قويًا لغير عذر.

☆ تعمد زيادة ركن فعلي.

☆ تعمد تقديم بعض الأركان علىٰ بعض.

☆ بفسخ النية وبالتردد في الفسخ وبالعزم عليه.

☆ بشكه: هل نوىٰ.

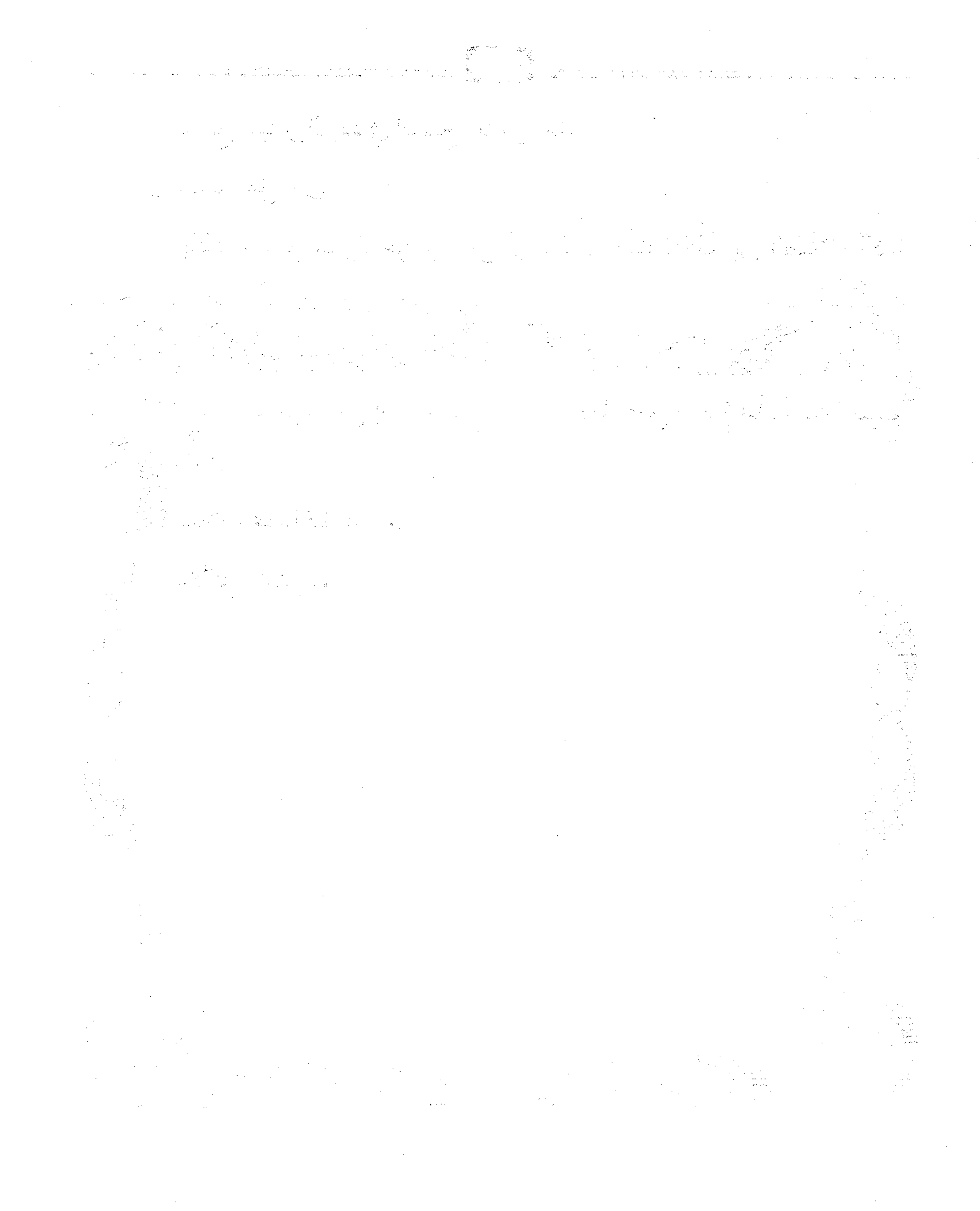
☆ بالكلام ولو سهوًا، عن زيد بن أرقم قال: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِهِ حَتَّىٰ نَزَلَتْ ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ وَنُهِينَا عَنِ الكَلَامِ» [صحيح البخاري (٤٥٣٤)].

☆ بتقدم المأموم علىٰ إمامه، لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**» [صحيح البخاري (٨٠٥)].

☆ بسلامه عمدًا قبل إمامه.

☆ بالأكل والشرب.

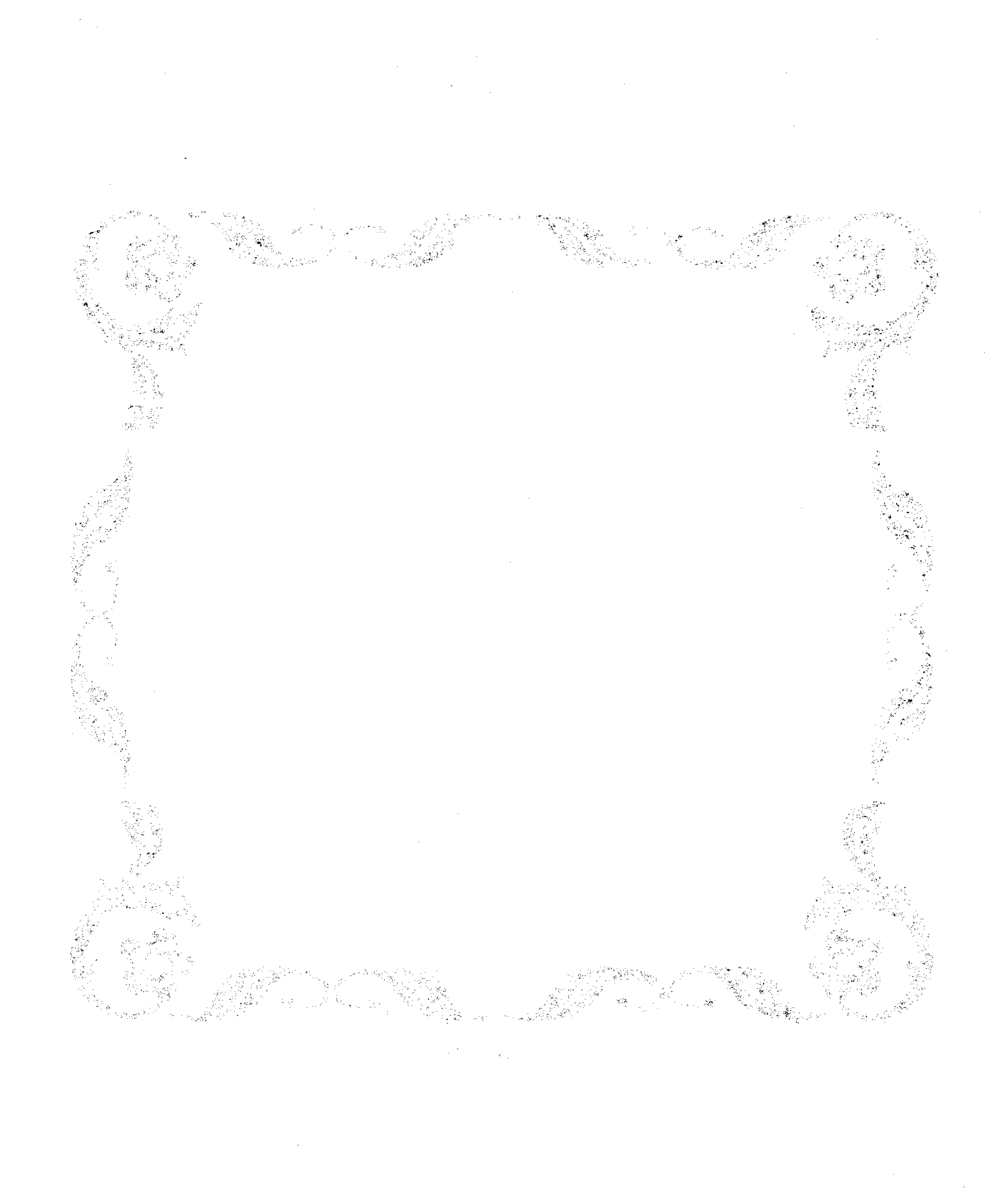






الفصل الثالث

صلاة الجماعة



صلاة الجماعة

١٢٥- ما حكم صلاة الجماعة؟

فرض عين على كل مسلم، قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حِزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**» [صحيح البخاري (٦٥٧)].

١٢٦- ما هي شروط وجوب صلاة الجماعة؟

☆ رجل، مسلم، حر، قادر، مقيم.

☆ يسمع النداء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ**» قال: نعم، قال: «**فَأَجِبْ**» [صحيح مسلم (٢٥٥)].

١٢٧- ما هو أقل عدد لأفراد الجماعة؟

أقلها إمام ومأموم ولو أنثى؛ لقوله ﷺ لمالك بن الحويرث رضي الله عنه: «**إِذَا سَافَرْتُمَا فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا، وَلْيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا**» [صحيح البخاري (٦٠٤)].

١٢٨- ما هي سنن صلاة الجماعة؟

☆ تسن في المسجد.

☆ أفضل صفوف الرجال أولها، قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**» [صحيح مسلم (١٣٢)].

☆ تسن للنساء منفردات عن الرجال؛ لحديث النبي ﷺ أمر أم ورقة أن تؤم أهل بيتها، وكان لها مؤذن. [حسن. أبي داود (٥٩٢)].

☆ يسن التخفيف مع الإتمام، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الحَاجَةِ**» [صحيح البخاري (٧٠٣)].

☆ يسن انتظار داخل.

☆ يحرم أن يؤم بمسجد له إمام راتب، ولا تصح إلا بإذنه.

١٢٩- هل تصلي المرأة في المسجد؟

إذا استأذنت من زوجها يكره له أن يمنعها، وصلاتها في بيتها أفضل، قال رسول الله ﷺ: «**لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ المَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**» [صحيح أبو داود (٥٦٥)].

١٣٠- بم يدرك المرء الصلاة إذا جاء متأخرًا؟

☆ من أدرك قبل تسليمة الإمام الأولىٰ أدرك الجماعة.

☆ من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَ الرُّكُوعَ فَقَدْ أَدْرَكَ الرَّكْعَةَ**» [صحيح أبي داود (٨٩٣)].

١٣١- هل تصح صلاة من يسبق إمامه؟

من ركع أو سجد أو رفع قبل إمامه؛ لزمه أن يرجع ليأتي به مع إمامه، فإن أبي عالمًا عامدًا بطلت صلاته، أما الناسي والجاهل فلا تبطل صلاتهما بذلك وإذا كبر تكبيرة الإحرام قبله لم تنعقد صلاته، قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلا بِالسُّجُودِ وَلا بِالقِيَامِ وَلا بِالِانْصِرَافِ**» [صحيح مسلم (١١٢)].

١٣٢- ماذا يفعل من صلى فرضًا ثم أقيمت الجماعة لذلك الفرض؟

يسن له أن يصلي معهم، وتكتب له الثانية نفلًا، قال رسول الله ﷺ: «**صَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً**» [صحيح مسلم (٢٤٤)].

١٣٣- من لا تصح إمامته؟

☆ الفاسق، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة السجدة: ١٨].

☆ العاجز عن شرط أو ركن إلا بمثله، أو إمام مسجد راتب يصلي من قعودٍ لعذرٍ ويقعدون خلفه، ويصح قيامهم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: صلىٰ رسول الله ﷺ في بيته وهو شاكٍ فصلىٰ جالسًا وصلىٰ وراءه قوم قيامًا فأشار إليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا، وَإِذَا صَلَّىٰ جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا**» [صحيح البخاري (٦٨٨)].

☆ المرأة بالرجل.

☆ المميزة بالبالغ في الفرض.

١٣٤-من تصح إمامته؟

من صحت صلاته لنفسه.

١٣٥-أين يقف الإمام؟

☆ متقدمًا عن المأمومين، ويقف المأمومون خلفه؛ لحديث أن جابرًا وجبارًا وقفا أحدهما عن يمين رسول الله ﷺ والآخر عن يساره فأخذ بأيديهما حتىٰ أقامهما خلفه» [صحيح مسلم (٢٣٠٥)].

☆ متوسطًا لهم؛ لأن ابن مسعود رضي الله عنه صلىٰ بين علقمة والأسود وقال: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَفْعَلُ» [صحيح أبي داود (٦١٣)].

☆ إذا كان يؤم رجلًا واحدًا وقف الرجل عن يمينه؛ لأنه ﷺ أدار ابن عباس وجابرًا إلىٰ يمينه لما وقفا عن يساره. [صحيح البخاري (١٨٣)].

☆ تقف المرأة خلف الإمام عن أنس رضي الله عنه قال: «صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ وَبِي، فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ وَصَلَّتِ المَرْأَةُ خَلْفَنَا» [صحيح البخاري (٨٦٠)].

☆ يكره علو الإمام عن المأموم ولا يكره العكس.

١٣٦-ما هي الأحكام التي تعرفها من أحكام الإمامة؟

☆ تصح صلاة المتنفل خلف المفترض؛ لحديث محجن بن الأدرع: «**اجْعَلُوا**

صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً» [سبق تخريجه].

☆ يصح المفترض خلف المتنفل عن جابر رضي الله عنه قال: كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي فيؤم قومه فهو قد صلى الفرض مع رسول الله ﷺ وصلى مع قومه نافلة وأمهم فيها.

☆ تصح الصلاة المقضية خلف الحاضرة وتصح الحاضرة خلف المقضية.

☆ يكره لمن أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا أو فجلًا حضور المسجد، قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَكَلَ البَصَلَ وَالثُّومَ وَالكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ»** [صحيح مسلم (٧٤)].

١٣٧- ما الفرق بين الفرض والتطوع؟

الفرض له أوقات معينة يصلي فيها وإذا لم يصلها في وقتها يأثم، أما التطوع فيمكن أن يصليه في أي وقت ويؤجر عليه وإذا تركه لا يأثم.

١٣٨- ما هي الصلوات المفروضة؟

خمس: الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء.

١٣٩- ما هو وقت صلاة الفجر؟

تبدأ من طلوع الفجر الصادق وهو الخط من النور المستطير في الأفق، ويمتد وقتها حتىٰ طلوع الشمس.

١٤٠- ما هو وقت صلاة الظهر؟

من بعد الزوال وهو ميل الشمس جهة الغروب وحتىٰ يصير ظل كل شيء مثله.

١٤١- ما هو وقت صلاة العصر؟

من نهاية وقت الظهر وحتىٰ غروب الشمس.

١٤٢- ما هو وقت صلاة المغرب؟

من غروب الشمس وحتىٰ غياب الشفق الأحمر.

١٤٣- ما هو وقت صلاة العشاء؟

من غياب الشفق الأحمر، وحتىٰ منتصف الليل ثم وقت الضرورة من منتصف الليل حتىٰ طلوع الفجر.

بدليل قول رسول الله ﷺ: «**أَمَّنِي جِبْرِيلُ** عليه السلام **عِنْدَ البَيْتِ مَرَّتَيْنِ فَصَلَّىٰ الظُّهْرَ فِي الأُولَىٰ مِنْهُمَا حِينَ كَانَ الفَيْءُ مِثْلَ الشِّرَاكِ، ثُمَّ صَلَّىٰ العَصْرَ حِينَ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَ ظِلِّهِ، ثُمَّ صَلَّىٰ المَغْرِبَ حِينَ وجَبَتِ الشَّمْسُ وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّىٰ العِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّىٰ الفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الفَجْرُ وَحَرُمَ الطَّعَامُ عَلَىٰ الصَّائِمِ، وَصَلَّىٰ المَرَّةَ الثَّانِيَةَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ لِوَقْتِ العَصْرِ بِالأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّىٰ العَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّىٰ المَغْرِبَ لِوَقْتِهِ الأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّىٰ العِشَاءَ الآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ صَلَّىٰ الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَتِ الأَرْضُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الوَقْتَيْنِ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٣٣)].

١٤٤- ما هي الأوقات المنهي عن الصلاة فيها؟

☆ من بعد صلاة الفجر حتىٰ بعد طلوع الشمس بثلث ساعة قال رسول الله ﷺ: «**لا صَلاَةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ**» [صحيح البخاري (١٩٩١)].

☆ من بداية الزوال حتىٰ وقت الظهر (قبل صلاة الظهر بقليل) لحديث عقبة بن عامر الجهني يقول: ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتىٰ ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتىٰ تميل الشمس وحين تضيف الشمس للغروب حتىٰ تغرب [صحيح مسلم (٢٩٣)].

☆ من بعد صلاة العصر حتىٰ أذان المغرب، قال رسول الله ﷺ: «**لا صَلاَةَ بَعْدَ العَصْرِ حَتَّىٰ تَغِيبَ الشَّمْسُ**» [صحيح البخاري (١٩٩١)].

١٤٥- ما حكم النهي عن الصلاة في هذه الأوقات؟

تحرم صلاة التطوع، ولا تنعقد، ولو جاهلًا للوقت والتحريم.

١٤٦- ماذا يستثنى من صلاة التطوع في هذه الأوقات؟

☆ سنة الفجر القبلية، عن حفصة قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ لَا يُصَلِّي إِلَّا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ» [صحيح أبي داود (١٢٧٨)].

☆ ركعتي الطواف، قال رسول الله ﷺ: «**يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا تَمْنَعُوا أَحَدًا طَافَ بِهَذَا البَيْتِ وَصَلَّىٰ أَيَّةَ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ**» [صحيح الترمذي (٨٦٨)].

☆ إعادة جماعة أقيمت وهو بالمسجد قال رسول الله ﷺ: «**صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ مَعَهُمْ فَصَلِّ وَلَا تَقُلْ: إِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ فَلَا أُصَلِّي**» [صحيح مسلم (٤٤٨)].

☆ قضاء الفرائض، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ صَلَاةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا**» [صحيح البخاري (٥٩٧)].

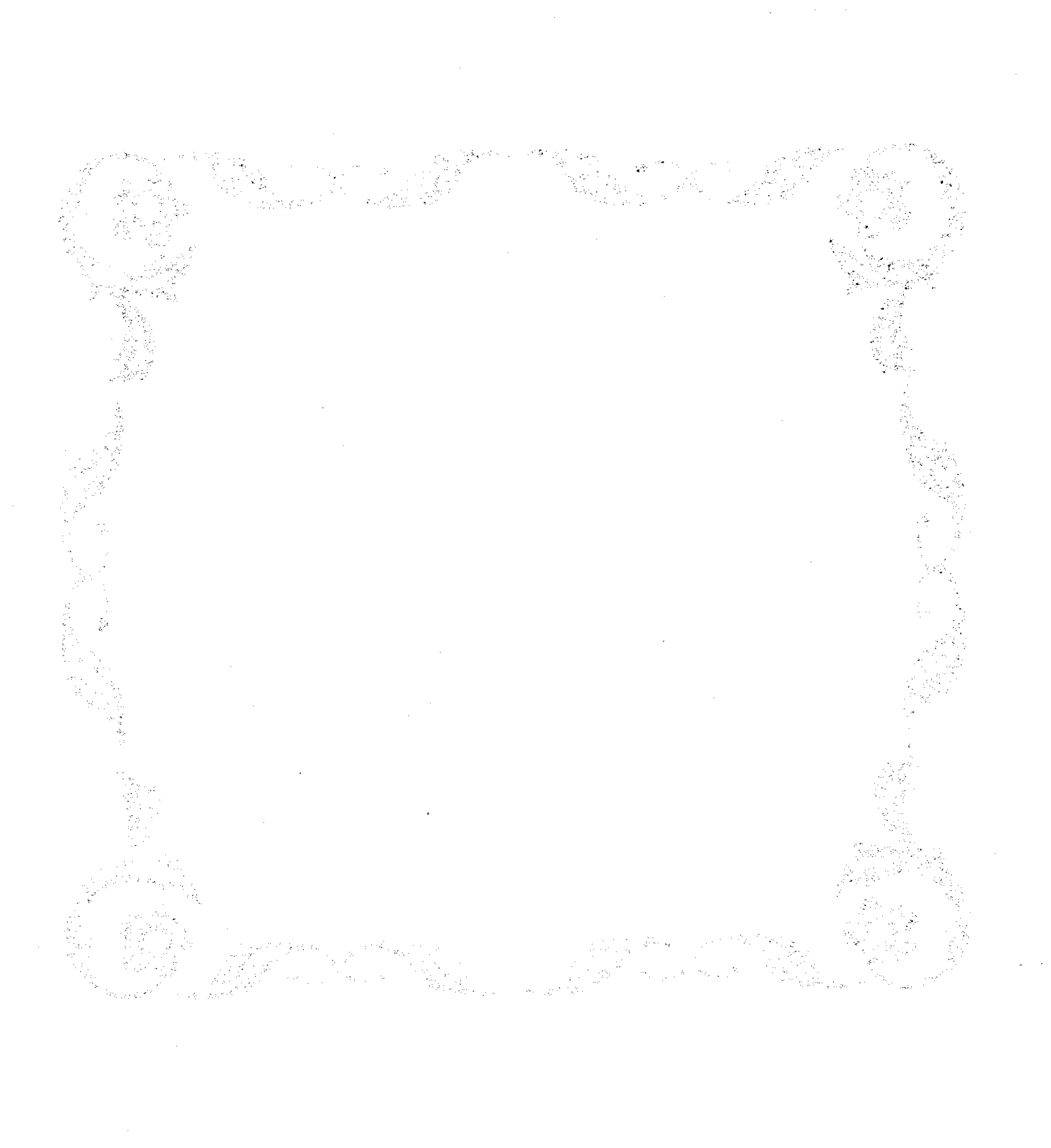
☆ فعل المنذورة؛ لأنها واجبة أشبهت الفرائض.

☆ تحية المسجد، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ**» [صحيح البخاري (٤٤٤)].



الفصل الرابع

صلاة التطوع



صلاة التطوع

١٤٧- ما هو فضل صلاة التطوع؟

هي أفضل الأعمال عند الله بعد الجهاد وطلب العلم وبذله، قال رسول الله ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ**» [صحيح ابن ماجه (٢٧٧)].

١٤٨- ما هي صلاة التطوع؟

الكسوف، الاستسقاء، التراويح، الوتر، قيام الليل، الضحىٰ، السنن الراتبة، تحية المسجد، سنة الوضوء، إحياء ما بين المغرب والعشاء.

١٤٩- ما أفضل صلاة التطوع؟

☆ آكدها الكسوف؛ لأن النبي ﷺ فعلها وأمر بها.

☆ ثم الاستسقاء؛ لأن النبي ﷺ استسقىٰ تارة وترك أخرىٰ.

☆ ثم التراويح؛ لأنها تسن لها الجماعة قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» [صحيح البخاري (٢٠٠٩)].

☆ ثم الوتر، قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا؛ فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**» [صحيح أبي داود (١٤١٦)].

☆ ثم ركعتي الفجر؛ فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «**لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا**» [صحيح مسلم (٩٧)].

☆ صلاة الليل أفضل من صلاة النهار، قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ**» [صحيح مسلم (٢٠٢)].

☆ صلاة النصف الثاني من الليل أفضل من الأول، قال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ**

رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» [صحيح مسلم (١٦٨)].

١٥٠- كم عدد ركعات الوتر؟

أقل ركعاته واحدة، وأكثرها إحدىٰ عشرة ركعة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي بالليل إحدىٰ عشرة ركعة يوتر منها بواحدة. [صحيح البخاري (١١٤٠)].

١٥١- ما هو وقت صلاة الوتر؟

وقت الوتر من بعد صلاة فريضة العشاء حتىٰ أذان الفجر قال رسول الله ﷺ: «أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا» [صحيح مسلم (١٦٠)].

١٥٢- ما حكم القنوت في الوتر؟

مندوب بعد الركوع؛ لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقنت بعد الركوع [صحيح ابن ماجه (١١٨٢)].

١٥٣- ما هي صفات قنوت الوتر؟

يدعو بالمأثور، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» [صحيح الترمذي (٤٦٤)] ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ ويؤمن المأموم.

١٥٤- ما هو فضل صلاة التراويح؟

يغفر لمصليها ما تقدم من ذنبه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [صحيح البخاري (٢٠٠٩)].

١٥٥- ما هو وقت صلاة التراويح؟

ما بين العشاء والوتر في رمضان، قال رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ

بِاللَّيْلِ وِتْرًا» [صحيح البخاري (٩٩٨)].

١٥٦- ما هو عدد ركعات صلاة التراويح؟

لا حد له على الراجح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى**» [صحيح البخاري (٩٩٠)] والأفضل أحد عشرة ركعة لحديث عائشة رضي الله عنها: **ما كان رسول الله** ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة [صحيح البخاري (١١٤٧)].

١٥٧ - ما هو فضل قيام الليل؟

قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمُكَفِّرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ**» وقال ﷺ: «**رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

١٥٨- ما هي سنن قيام الليل؟

☆ افتتاحه بركعتين خفيفتين، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ؛ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ**» [صحيح مسلم (١٩٨)].

☆ أن ينوي القيام عند النوم، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ**» [صحيح ابن ماجه (١٣٤٤)].

☆ استعمال السواك فقد كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتين يشوص فاه بالسواك.

☆ إطالة القراءة لقول رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ**».

☆ أجر القاعد غير المعذور نصف أجر القائم، قال رسول الله ﷺ: «**إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَهُوَ أَفْضَلُ، وَمَنْ صَلَّى قَاعِدًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ، وَمَنْ صَلَّى نَائِمًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَاعِدِ**» [صحيح البخاري (١٠٦٤)].

١٥٩- ما هو فضل صلاة الضحى؟

عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ**

صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ». [صحيح مسلم (٨٤)].

١٦٠- ما حكم صلاة الضحى؟

مندوبة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ». [صحيح مسلم (٧٢١)].

١٦١- ما هو عدد ركعات صلاة الضحى؟

☆ تصلىٰ ركعتين؛ (لحديث أبي هريرة السابق ذكره)

☆ تصلىٰ أربعًا؛ لحديث جابر رضي الله عنهما وصلاها صلى الله عليه وسلم أربعًا. [صحيح مسند الإمام أحمد (٦/ ٩٥)].

☆ وتصلىٰ ستًا؛ لحديث جابر رضي الله عنه وصلاها ستًا. [صحيح الطبراني في الأوسط (١٠٦٦)].

☆ وتصلىٰ ثمان ركعات؛ لحديث أم هانئ أن النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح صلىٰ ثماني ركعات سبحة الضحىٰ. [صحيح البخاري (٢٨٠)].

١٦٢- ما هو وقت صلاة الضحى؟

من خروج وقت النهي بعد شروق الشمس إلىٰ قبيل الزوال، أفضل وقتها إذا اشتد الحر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال: «ابنَ آدَمَ، ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ؛ أَكْفِكَ آخِرَهُ» [صحيح الترمذي (٤٧٥)].

١٦٣- ما هي السنن الرواتب؟

☆ أربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعدها.

☆ ركعتان بعد المغرب

☆ ركعتان بعد العشاء.

☆ ركعتان قبل الفجر وهي أفضلها.

☆ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح، وكانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها حدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلى ركعتين» [صحيح البخاري (٩٣٧)].

١٦٤- ما حكم قضاء الرواتب؟

مندوب؛ لحديث أن النبي ﷺ لما فاتته صلاة الفجر صلى سنتها قبلها. [صحيح، مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٢٨)] وقضى الركعتين اللتين بعد الظهر بعد العصر [صحيح البخاري (١٢٢٣)].

١٦٥- أيهما أفضل: أن تصلي النوافل في البيت أم في المسجد؟

تصلى في البيت أفضل، قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ**» [صحيح البخاري (٦٨٦٠)].

١٦٦- ما حكم سجود السهو؟

تبطل الصلاة بترك سجود السهو الواجب.

١٦٧- متى يقع سجود السهو؟

☆ يصح قبل السلام

☆ يصح بعد السلام، قال رسول الله ﷺ: «**فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ**» [صحيح مسلم (٥٧٢)].

١٦٨- متى يجب على المصلي أن يسجد سجود السهو؟

☆ إذا زاد ركوعًا، أو سجودًا، أو قيامًا، أو قعودًا، [الحديث السابق ذكره].

☆ إذا سلم قبل إتمام الصلاة؛ فعن عمران بن الحصين قال: «سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ مِنَ الْعَصْرِ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ، فَقَامَ رَجُلٌ بَسِيطُ الْيَدَيْنِ فَقَالَ: أَقُصِرَتِ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَخَرَجَ فَصَلَّى الرَّكْعَةَ الَّتِي كَانَ تَرَكَ، ثُمَّ

سَلَّمَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ، ثُمَّ سَلَّمَ» [صحيح مسلم (١٠٢)].

☆ أو إذا ترك واجبًا، عن عبد الله ابن بحينة الأسدي أن رسول الله ﷺ قام في صلاة الظهر وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين فكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس. [صحيح البخاري (١١٧٣)].

☆ إذا شك في زيادة وقت فعلها، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ؛ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ثُمَّ لِيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ**» [صحيح البخاري (٤٠١)].

١٦٩- متى يستحب سجود السهو؟

إذا أتىٰ بقول مشروع في غير محله، أو ترك سنة من سنن الصلاة يستحب أن يسجد سجدتين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ خمسًا فلما انفتل توشوش القوم بينهم فقال: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قالوا: يا رسول الله، هل زيد في الصلاة؟ قال: «لَا» قالوا: فإنك قد صليت خمسًا فانفتل ثم سجد سجدتين ثم سلم ثم قال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ؛ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ**» [صحيح مسلم (٥٧٢)].

١٧٠- ما هو سجود التلاوة؟

هو سجود مندوب للقارئ والمستمع عند تلاوة آيات محددة من القرآن الكريم فإن لم يسجد القارئ لم يسجد السامع، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ السَّجْدَةَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَيَسْجُدُ وَنَسْجُدُ مَعَهُ، فَنَزْدَحِمُ حَتَّىٰ مَا يَجِدُ أَحَدُنَا لِجَبْهَتِهِ مَوْضِعًا يَسْجُدُ عَلَيْهِ». [صحيح البخاري (١٠٧٥)].

١٧١- ما هي مواضع سجود التلاوة في القرآن؟

١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦].

٢- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ (١٥)﴾ [الرعد:١٥].

٣- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾ [النحل:٤٩-٥٠].

٤- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

٥- ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨)﴾ [مريم:٥٨].

٦- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨)﴾ [الحج:١٨].

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾ [الحج:٧٧].

٨- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾ [الفرقان:٦٠].

٩- ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦)﴾ [النمل:٢٦].

١٠- ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥)﴾ [السجدة:١٥].

١١- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ (٣٨)﴾ [فصلت: ٣٧-٣٨].

١٢ - ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢].

١٣ - ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق: ٢٠ - ٢١].

١٤ - ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق:١٩].

١٧٢- كيف نسجد سجود التلاوة؟

يكبر إذا أراد السجود، ثم يسجد ويكبر عند الرفع من السجود ثم يجلس.

١٧٣- متى نسجد سجود الشكر؟

عند تجدد النعم، أو اندفاع النقم.

١٧٤- ما حكم سجود الشكر؟

مندوب؛ لحديث أبي بكرة أنه ﷺ كان إذا جاءه أمر سرور أو بشر به خر ساجدًا شاكرًا لله [حسن: أبي داود (٢٧٧٤)].

١٧٥- ما صفة سجود الشكر؟

كسجود التلاوة.





الفصل الخامس

صلاة أهل الأعذار



صلاة أهل الأعذار

١٧٦- ما هي الأعذار التي تتغير بها الصلاة؟

☆ السفر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء:١٠١].

وكان النبي ﷺ إذا سافر يصلي ركعتين [صحيح البخاري (١١٠٢)].

☆ المرض؛ لأن النبي ﷺ أمر المستحاضة بالجمع بين الصلاتين [حسن، أبي داود (٢٨٤)].

☆ الخوف، يجوز للخائف أن يغير في صفة الصلاة وشروطها لا عدد ركعاتها.

☆ المطر الشديد.

١٧٧- ما هي الأعذار التي تبيح ترك الجمعة والجماعة؟

☆ المرض.

☆ مدافعة الأخبثين.

☆ السفر.

☆ الخوف.

☆ المطر الشديد.

١٧٨- ما هو قصر الصلاة؟

القصر رخصة للمسافر أن يصلي الصلاة الرباعية ركعتين فقط.

١٧٩- ما هي شروط قصر الصلاة؟

☆ السفر لمسافة أبعد من ٨٠ كيلو متر.

☆ أن يفارق بيوت قريته التي يعيش فيها؛ لحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا خرج صلىٰ ركعتين. [صحيح البخاري (١٠٨٩)].

☆ أن يكون سفره لمدة لا تزيد عن أربعة أيام.

١٨٠- ما هي الحالات التي يتم فيها المسافر صلاته؟

☆ إن دخل وقت الصلاة وهو في الحضر؛ لأن النبي ﷺ صلىٰ الظهر بالمدينة أربعًا وصلىٰ بذي الحليفة ركعتين. [صحيح البخاري (١٠٨٩)].

☆ إن صلىٰ خلف من يتم سئل ابن عباس: ما بال المسافر يصلي ركعتين حال الانفراد وأربعًا إذا أئتم بمقيم؟!، فقال: تلك السنة. [صحيح مسند الإمام أحمد (١/ ٢١٦)].

☆ إن لم ينو القصر عند بداية الصلاة.

☆ إن نوىٰ إقامة مطلقة.

☆ إن نوىٰ إقامة أكثر من أربعة أيام.

١٨١- ماذا يفعل من أقام لحاجته بلا نية الإقامة فوق الأربعة أيام؟

يقصر حتىٰ يسافر، فإن النبي ﷺ أقام بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة [صحيح، مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٩٥)].

١٨٢- ما هو الجمع بين الصلوات؟

أن يجمع بين الظهر والعصر، أو بين المغرب والعشاء لظروف معينة.

١٨٣- ما أنواع جمع الصلاة؟

☆ جمع تقديم: فيصلي الظهر والعصر في وقت الظهر، والمغرب والعشاء في وقت المغرب.

☆ جمع تأخير: فيصلي الظهر والعصر في وقت العصر، والمغرب والعشاء في وقت العشاء.

١٨٤- ما هي الظروف التي تبيح جمع الصلوات؟

☆ للمسافر سفر قصر، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتىٰ يجمعها إلىٰ العصر، فيصليهما جميعًا وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلىٰ الظهر والعصر جميعًا، ثم سار وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتىٰ يصليها مع العشاء، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب. [صحيح أبي داود (١٢٢٠)].

☆ عند المطر الشديد.

١٨٥- ما هي شروط جمع التقديم؟

☆ نيته عند إحرام الأولىٰ.

☆ ألا يفرق بينهما بنحو نافلة، بل بقدر إقامة ووضوء خفيف.

☆ أن يوجد العذر عند افتتاحها، وأن يستمر إلىٰ فراغ الثانية.

١٨٦- ما هي شروط جمع التأخير؟

☆ نية الجمع بوقت الأولىٰ قبل أن يضيق وقتها عنها.

☆ بقاء العذر إلىٰ دخول وقت الثانية

☆ لا يشترط لصحة الجمع اتحاد الإمام والمأموم.

١٨٧- كيف يصلي المريض؟

☆ يصلي المكتوبة قائمًا ولو مستندًا عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**» [صحيح مسلم (٤١٢)].

☆ إن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلىٰ جنبه والجنب الأيمن أفضل، لقوله ﷺ لعمران بن حصين: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**» [صحيح البخاري (١٠٦٦)].

☆ فإن عجز أومأ بطرفه واستحضر الفعل بقلبه وكذلك القول إن عجز عنه بلسانه.

١٨٨- هل تسقط الصلاة عن المريض؟

لا تسقط الصلاة عن المريض ما دام عقله ثابتًا وله أجره كاملًا، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**» [صحيح البخاري (٢٩٩٦)].

١٨٩- هل تصح الصلاة على الراحلة؟

لا تصح صلاة الفريضة على الراحلة مطلقًا، وتصح النافلة، قال ابن عمر رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قبل أي وجه توجه ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة.

١٩٠- كيف يصلي على الراحلة؟

صلاة النوافل على الراحلة أينما توجهت ويومئ بالركوع والسجود، ويكون سجوده أخفض من ركوعه.

١٩١- ما هي صلاة الخوف؟

هي صلاة الفرائض أثناء القتال مع الأعداء وتصح صلاة الخوف إن مكان القتال مباحًا حضرًا وسفرًا قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

١٩٢- هل تؤثر صلاة الخوف على عدد ركعات الصلاة؟

لا أثر للخوف في تغيير عدد ركعات الصلاة، بل في صفتها وبعض شروطها.

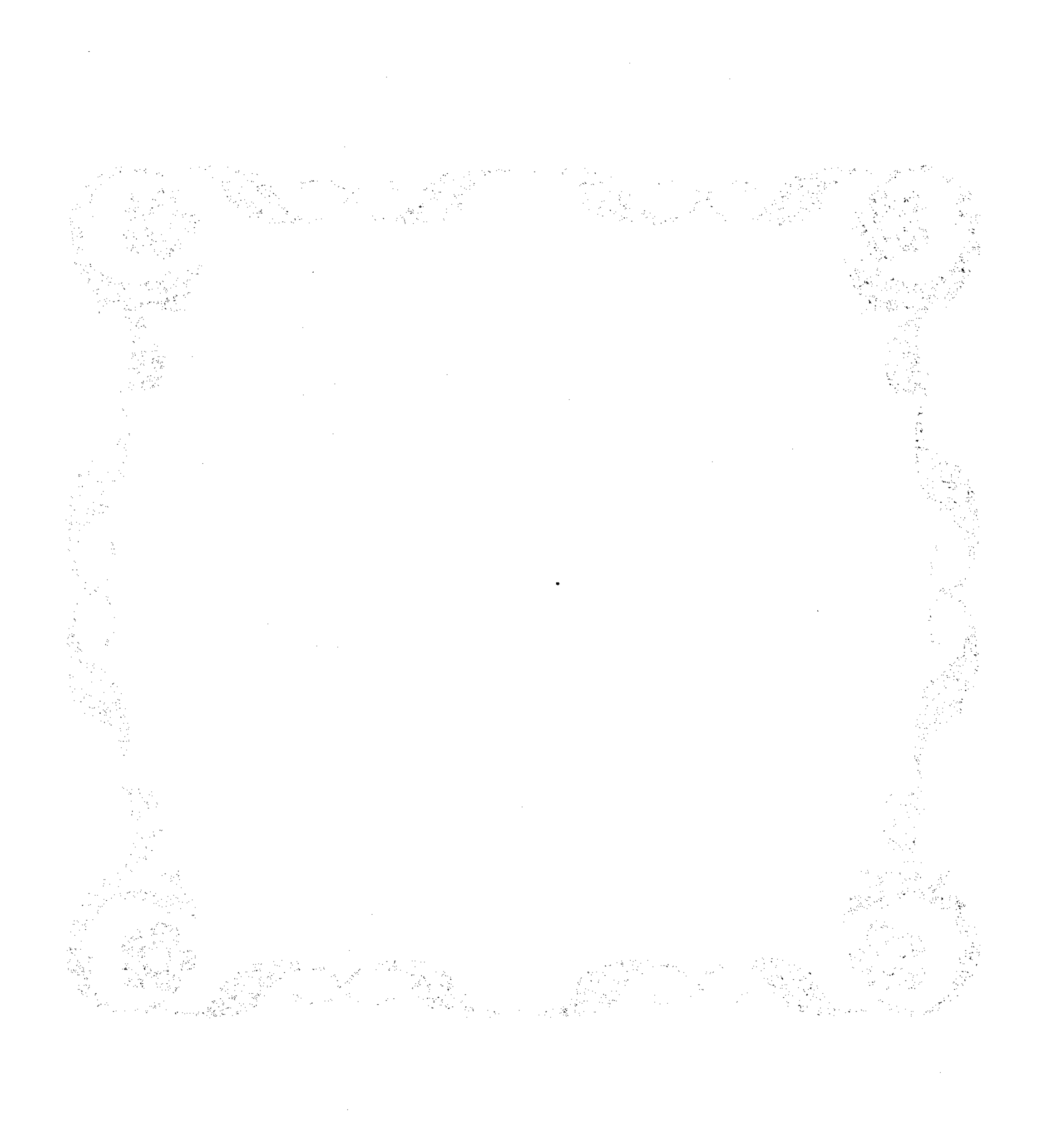
١٩٣- متى تصح صلاة الخوف؟

إذا اشتد الخوف صلوا رجالًا وركبانًا للقبلة وغيرها أثناء الحرب.



الفصل السادس

صلاة الجمعة والعيدين



صلاة الجمعة

١٩٤- ما هو فضل صلاة الجمعة؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَىٰ الجُمُعَةَ فَصَلَّىٰ مَا قُدِّرَ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ الإِمَامُ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ، وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**» [صحيح مسلم (٨٥٧)] وقال ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**» [صحيح أبي داود (٣٤٥)].

١٩٥- ما هي شروط وجوب صلاة الجمعة؟

هي واجبة علىٰ كل:

☆ ذكر.

☆ مسلم.

☆ مكلف.

☆ حر.

☆ لا عذر له.

لحديث النبي ﷺ: «**الجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوِ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ**» [صحيح أبي داود (١٠٦٧)].

☆ مقيم غير مسافر قال الإمام مالك: لا جمعة علىٰ مسافر.

☆ يسمع النداء؛ لقوله ﷺ: «**الجُمُعَةُ عَلَىٰ مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ**» [حسن أبي داود (١٠٥٦)].

١٩٦- ما هي شروط صحة الجمعة؟

وقتها: تجوز قبل الزوال وتجب بالزوال وبعد الزوال أفضل؛ لحديث جابر رضي الله عنهما: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الجُمُعَةَ ثُمَّ نَذْهَبُ إِلَىٰ جِمَالِنَا فَنُرِيحُهَا حِينَ تَزُولُ الشَّمْسُ» [صحيح مسلم (٢٩)].

☆ أن تكون بقرية.

☆ حضور أربعين؛ لقول كعب بن مالك رضي الله عنه: كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّىٰ بِنَا صَلَاةَ الجُمُعَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ فِي نَقِيعِ الْخَضَمَاتِ فِي هَزْمٍ مِنْ حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ قِيلَ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعِينَ رَجُلًا [صحيح أبي داود (١٠٦٩)].

☆ تقدم خطبتين؛ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا جَلْسَةً [صحيح البخاري (٩٢٨)].

١٩٧- ما هي شروط الخطبتين؟

☆ الوقت.

☆ النية.

☆ وقوعها حضرًا.

☆ حضور أربعين.

☆ أن تكونا ممن تصلح إمامته في الصلاة باللغة العربية.

١٩٨- ما هي أركان الخطبتين؟

☆ حمد الله تعالىٰ، قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالحَمْدِ للهِ فَهُوَ أَجْذَمُ**» [حسن: أبي داود (٤٨٤)]، وقال جابر رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ» [صحيح مسلم (٤٥)].

☆ الصلاة علىٰ رسوله ﷺ.

☆ قراءة آية؛ لحديث جابر رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا ويَجْلِسُ بَيْنَ الخُطْبَتَيْنِ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ، وَيذمرُ النَّاس» [صحيح مسلم (٣٤)].

☆ الوصية بتقوىٰ الله.

☆ موالاتها مع الصلاة.

☆ الجهر بصوته؛ لحديث جابر رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ» [صحيح مسلم (٤٣)].

١٩٩- ما هي سنن الخطبتين؟

☆ الطهارة.

☆ ستر العورة.

☆ إزالة النجاسة.

☆ الدعاء للمسلمين.

☆ أن يتولاهما مع الصلاة واحد.

☆ رفع الصوت فيهما حسب الطاقة.

☆ أن يخطب قائمًا، قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١]، وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيّ ﷺ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَجْلِسُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ قَائِمًا فَمَنْ نَبَّأَكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ جَالِسًا، فَقَدْ كَذَبَ، فَقَدْ -وَاللهِ- صَلَّيْتُ مَعَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ صَلاةٍ» [صحيح مسلم (٣٥)].

☆ أن يكون علىٰ مرتفع.

☆ أن يعتمد علىٰ سيف أو عصا.

☆ أن يجلس بينهما قليلًا لقول ابن عمر: كان النبي ﷺ يخطب خطبتين وهو قائم يفصل بينهما بجلوس [صحيح البخاري (٩٢٨)].

☆ إن لم يجلس أو خطب جالسًا سكت بينهما.

☆ قصر الخطبتين والخطبة الثانية أقصر من الأولىٰ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا» [صحيح مسلم (٤٧)].



صلاة العيدين

٢٠٠- ما حكم صلاة العيدين؟

فرض كفاية.

٢٠١- ما هي شروط صلاة العيدين؟

شروطها كالجمعة عدا الخطبتين، تكونان بعد الصلاة، عن عبد الله بن السائب قال: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فلما قضىٰ الصلاة قال: «**إِنَّا نَخْطُبُ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْلِسَ لِلخُطْبَةِ فَلْيَجْلِسْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَذْهَبَ فَلْيَذْهَبْ**» [صحيح أبي داود (١١٥٥)].

٢٠٢- ما هو وقت صلاة العيدين؟

وقتها كوقت صلاة الضحىٰ، من بعد شروق الشمس بثلث ساعة إلىٰ الزوال.

٢٠٣- ما هي صفة صلاة العيدين؟

☆ هي ركعتان قال عمر رضي الله عنه: الْعِيدُ رَكْعَتَانِ تَمَامٌ غَيْرُ قَصْرٍ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ. [صحيح، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧)].

☆ يكبر فيها بعد تكبيرة الإحرام وقبل التعوذ في الركعة الأولىٰ ستًا، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُكَبِّرُ فِي العِيدَيْنِ سَبْعًا فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ وَخَمْسًا فِي الآخِرَةِ سِوَىٰ تَكْبِيرَتَيْ الرُّكُوعِ. [صحيح أبي داود (١١٤٩)].

☆ يكبر في الثانية قبل القراءة خمسًا. [للحديث السابق ذكره].

☆ يرفع يديه مع كل تكبيرة لحديث وائل بن حجر أنه ﷺ كان يرفع يديه مع التكبير. [حسن، مسند الإمام أحمد (٤/ ٣١٦)].

☆ ثم يستعيذ ويقرأ الفاتحة

☆ يقرأ في الركعة الأولىٰ سورة الأعلىٰ، وفي الركعة الثانية سورة الغاشية ويمكن أن يقر بأي سورة غيرها؛ لقول سمرة: كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾. [صحيح، مسند الإمام أحمد (٥/ ٧)].

☆ بعد التسليم يخطب خطبتين أحكامهما كخطبتي الجمعة؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر عثمان يصلون العيد قبل الخطبة. [صحيح البخاري (٩٦٢)].

٢٠٤- ما هي سنن صلاة العيدين؟

☆ تبكير المأموم.

☆ تأخر الإمام إلىٰ وقت الصلاة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالأَضْحَىٰ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ فَأَوْلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةُ. [صحيح البخاري (٩١٣)].

☆ مخالفة الطريق، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي الْعِيدَ مَاشِيًا وَيَرْجِعُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيهِ. [حسن، ابن حبان (٢٨١٥)].

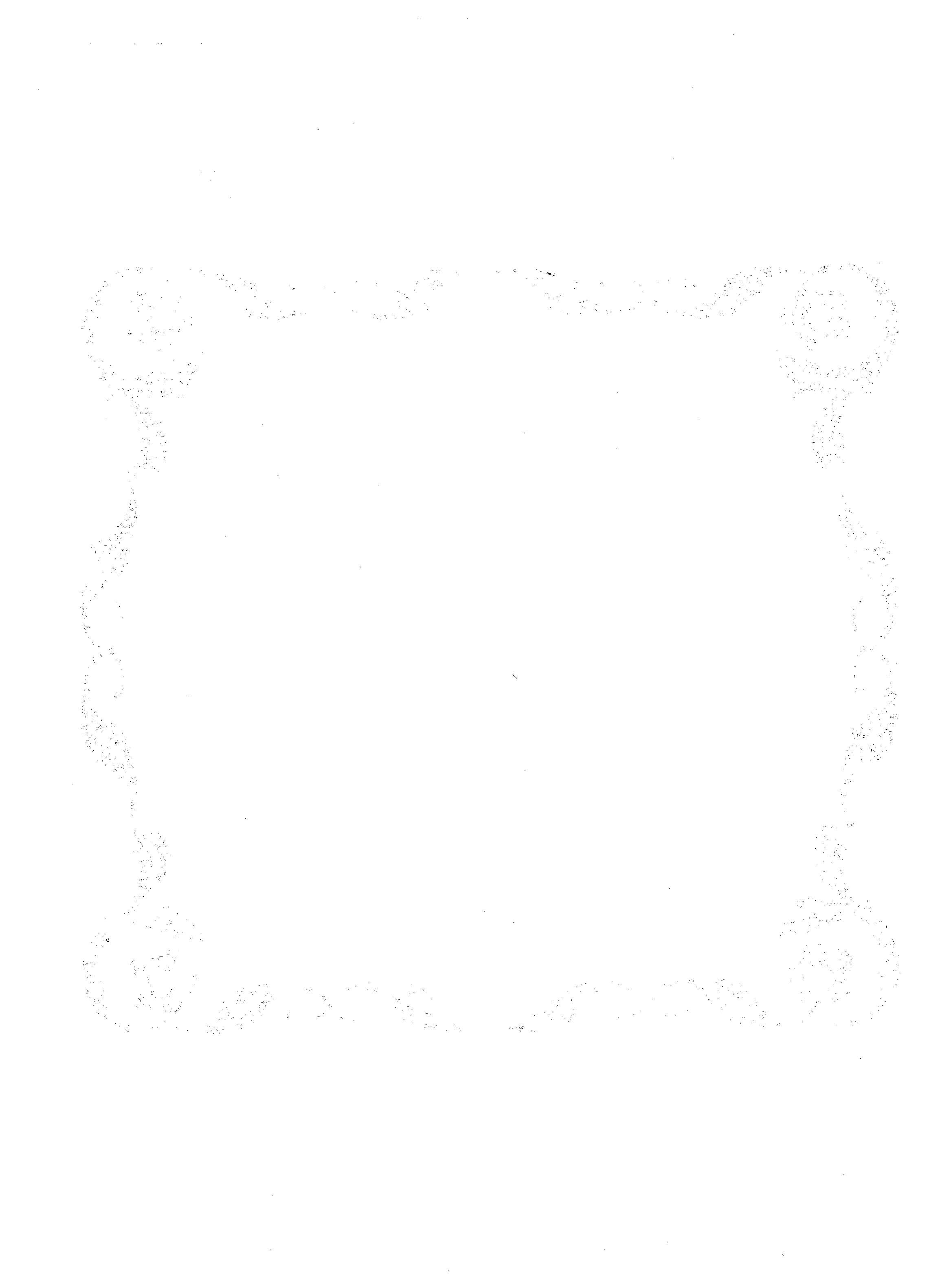
☆ السنة لمن فاتته الصلاة قضاؤها، ولو بعد الزوال.





الفصل السابع

صلاة الجنازة وصلاة الكسوف



صلاة الجنازة

٢٠٥- ما حكم صلاة الجنازة؟

فرض كفاية؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا؛ إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»** [صحيح مسلم (٩٤٨)].

٢٠٦- ما هي شروط الجنازة؟

☆ النية.

☆ التكليف.

☆ استقبال القبلة.

☆ ستر العورة.

☆ اجتناب النجاسة.

☆ حضور الميت إن كان بالبلد.

☆ إسلام المصلي والمصلي عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة: ٨٤]

☆ طهارتهما ولو بتراب لعذر.

٢٠٧- ما هي أركان صلاة الجنازة؟

☆ القيام.

☆ التكبيرات الأربع، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نَعَىٰ لِلنَّاسِ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعَ

تَكْبِيرَاتٍ. [صحيح البخاري (١٢٦٨)].

☆ قراءة الفاتحة، قال رسول الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**» [صحيح البخاري (٧٢٣)].

☆ الصلاة علىٰ الرسول ﷺ.

☆ الدعاء للميت لقوله ﷺ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَىٰ المَيِّتِ؛ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**» [حسن أبي داود (٣١٩٩)].

☆ التسليم؛ لقوله ﷺ: «**تَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (١/ ١٢٩)].

☆ الترتيب.

٢٠٨- ما هي صفة صلاة الجنازة؟

☆ القيام.

☆ التكبيرة الأولىٰ.

☆ قراءة الفاتحة

☆ التكبيرة الثانية.

☆ الصلاة علىٰ الرسول ﷺ والأفضل أن يصلي علىٰ النبي ﷺ الصلاة الإبراهيمية التي يقولها في التشهد الأخير من الصلاة.

☆ التكبيرة الثالثة.

☆ الدعاء للميت، وفيه يقول: اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، أكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد ونَقِّه من الذنوب والخطايا كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الدنس، اللهم أبدله بالحسنات إحسانًا وبالسيئات عفوًا وغفرانًا، اللهم ارحمنا إذا صرنا إلىٰ ما صار إليه، اللهم وُسِّع له في قبره ونور له فيه، واجعل جليسه العمل الصالح، وثبته عند سؤال الملكين.

☆ التكبيرة الرابعة.

☆ يسن أن يدعو لنفسه وللمسلمين بعدها فيقول: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم لا تفتنا بعدهم، ولا تحرمنا أجرهم، واغفر اللهم لنا ولهم.

☆ التسليم.

٢٠٩- ما هي سنن صلاة الجنازة؟

☆ تكثير العدد ما أمكن.

☆ أن يكونوا من الموحدين.

☆ أن يخلصوا له الدعاء لقوله ﷺ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَىٰ المَيِّتِ؛ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**» [سبق تخريجه].

☆ تكثير الصفوف.



صلاة الكسوف

٢١٠- ما هي صلاة الكسوف والخسوف؟

هي صلاة ركعتين علىٰ صفة مخصوصة في وقت مخصوص عند الخسوف والكسوف.

الكسوف: هو انحجاب ضوء الشمس أو بعضه نهارًا.

الخسوف: هو ذهاب ضوء القمر أو بعضه ليلًا.

٢١١- ما هي وقت صلاة الكسوف والخسوف؟

من ابتداء الكسوف أو الخسوف إلىٰ ذهابه.

٢١٢- ما هو حكم صلاة الكسوف؟

مندوبة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قال: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَعَثَ مُنَادِيًا يُنَادِي: الصَّلَاة جَامِعَة، وَخَرَجَ إِلَىٰ المَسْجِدِ، فَصَفَّ النَّاسُ وَرَاءَهُ، وَصَلَّىٰ أَرْبَعَ رَكعَاتٍ فِي رَكْعَتَيْنِ وَأَرْبَع سَجَدَاتٍ» [صحيح البخاري (٩٩٧)].

٢١٣- ما هو عدد ركعات صلاة الكسوف؟

- ركعتان بأربعة ركوعات وأربع سجدات.
- أو ركعتان بستة ركوعات وأربع سجدات.
- أو ركعتان بثمانية ركوعات وأربع سجدات

٢١٤- ما هي صفة صلاة الكسوف؟

- لا أذان لها ولا إقامة.
- ينادىٰ لها ليلًا أو نهارًا بلفظ الصلاة جامعة مرة أو أكثر.

☆ إذا كانت بأربعة ركوعات في ركعتين تصلي كما يلي: يقرأ جهرًا سورة الفاتحة وسورة طويلة، ثم يركع طويلًا ثم يرفع فيسمع ويحمد ولا يسجد، ثم يقرأ سورة الفاتحة وسورة أقصر من الأولىٰ ويركع أقل من الركوع الأول، ثم يرفع ثم يسجد سجدتين طويلتين الأولىٰ أطول من الثانية ثم يصلي الركعة الثانية كهيئة الأولىٰ لكنها أخف، ثم يتشهد ويسلم.



صلاة الاستسقاء

٢١٥- ما هي صلاة الاستسقاء؟

هي صلاة ركعتين علىٰ صفة مخصوصة؛ لطلب السقيا من الله.

٢١٦- ما حكم صلاة الاستسقاء؟

مندوبة.

٢١٧- متى تشرع صلاة الاستسقاء؟

عند تأخر نزول المطر، وانقطاع الماء.

٢١٨- ما هي صفة صلاة الاستسقاء؟

كصلاة العيد.

٢١٩- ما هي سنن صلاة الاستسقاء؟

☆ إذا أراد الإمام الخروج لها وعظ الناس، وأمرهم بالتوبة والخروج من المظالم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الأعراف:٩٦].

☆ أن يتنظف الإمام للصلاة ولا يتطيب، ويخرج متواضعًا متذللًا متضرعًا ويستصحب أهل الدين والصلاح والشيوخ.

☆ يصلي ركعتين ثم يخطب خطبة واحدة.

☆ يدعو بدعاء النبي ﷺ ويرفع يديه بشدة وظهورهما نحو السماء ويؤمن المأموم كالقنوت.

☆ يستقبل القبلة أثناء الخطبة ويدعوا.

☆ يحول رداء ظهرًا لبطن والأيمن علىٰ الأيسر، وبالعكس والناس معه.

☆ العودة للصلاة مرة أخرىٰ إن لم يسقوا

☆ الوقوف في أول المطر والوضوء والاغتسال منه، وإخراج رحله وثيابه ليصيبها المطر.

☆ إذا كثر المطر حتىٰ خيف منه يدعوا بدعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَىٰ الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»

☆ أن يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته.

٢٢٠- ما هي أدعية الاستسقاء؟

☆ اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا هنيئًا مريئًا غدقًا مجللًا سحًا عامًا طبقًا دائمًا.

☆ اللهم علىٰ الظراب، ومنابت الشجر، وبطون الأودية، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا فأرسل السماء علينا مدرارًا اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، واسقنا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الأرض، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا البلاء ما لا يكشفه غيرك.

☆ اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريًا سريعًا نافعًا غير ضار عاجلًا غير آجل.

☆ اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت.

☆ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلىٰ حين.

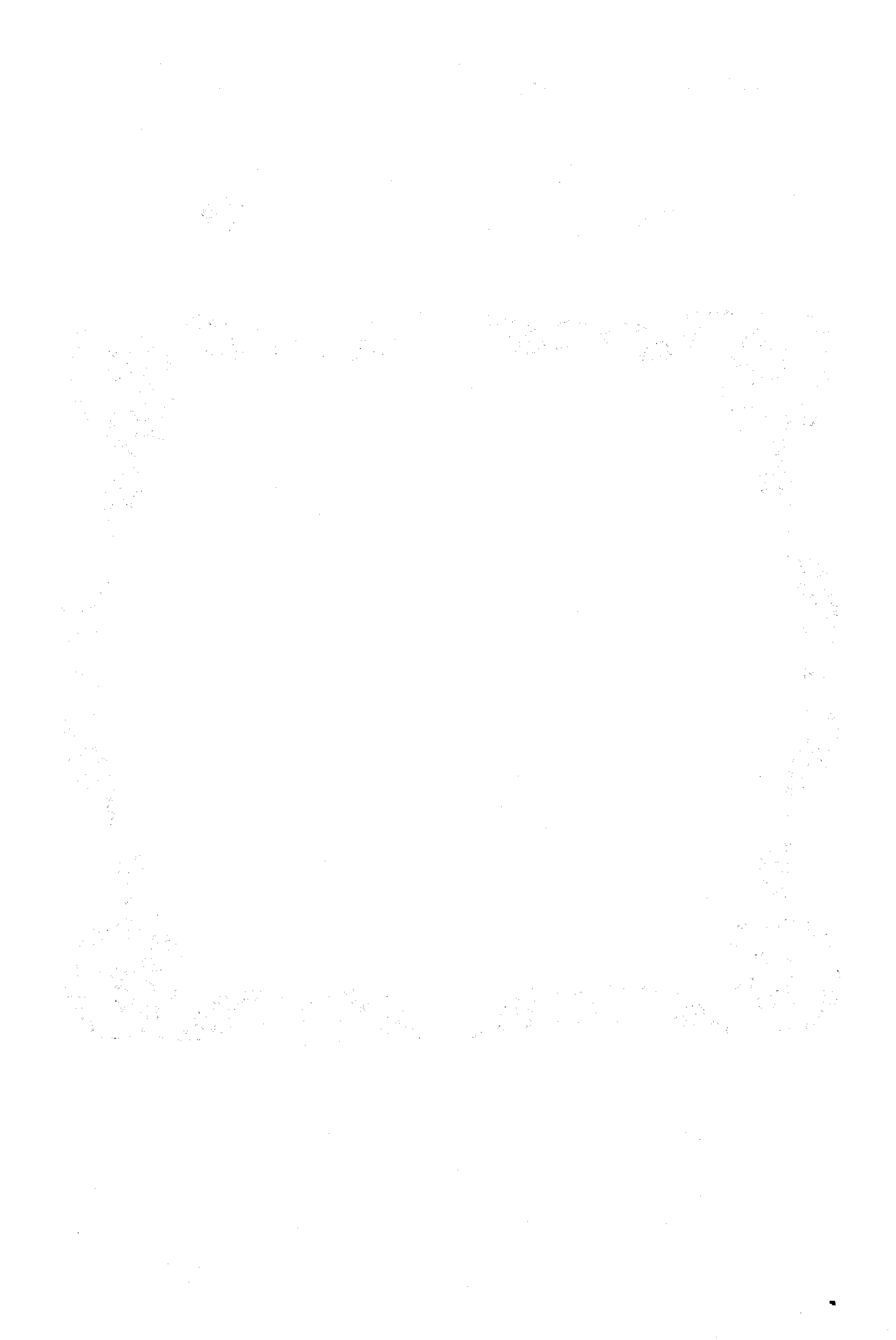
☆ اللهم أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك وقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا، اللهم امنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقيانا وسعة رزقنا.





البَابُ الثَّالِث

صفة الوضوء والصلاة



الوضوء

١- احرص علىٰ نظافة جسمك وثيابك من أي نجاسة مثل:

البول، الدم، الغائط، الأذىٰ، القذر، ولا تغفل عن لُبِّك الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم علىٰ ما فرطت وتصميم العزم علىٰ الترك في المستقبل فطهر بها باطنك؛ فإنها موضع نظر معبودك.

٢- الوضوء شرط من شروط صحة الصلاة، ولا تصح إلا به.

٣- إذا أردت أن تتوضأ تنوي الوضوء بقلبك ولا تنطق بالنية، تنوي رفع الحدث الأصغر.

٤- النيات:

☆ الطهور شطر الإيمان، فتنوي أنك تأتي بشطر الإيمان.

☆ أن تنوي مغفرة ذنوبك، فإن الذنوب تتساقط مع آخر قطر الماء.

☆ أن تكون ذنوبك؛ فإن الذنوب تتساقط مع آخر قطر الماء.

☆ أن تكون من الغر المحجلين يوم القيامة من أثر الوضوء.

☆ تحصيل صفة الإيمان؛ فإنه لا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن.

☆ بالذكر بعد الوضوء تفتح لك أبواب الجنة الثمانية، تدخل من أيها شئت.

٥- ثم تقول: بسم الله.

٦- ثم تغسل كفيك ثلاث مرات، وتبدأ بيدك اليمنىٰ وتخلل أصابعك وتغسل البراجم.

٧- ثم تتمضمض ببعض الماء، أي: تضع بعض الماء في فمك وتديره ثم

تخرجه، تفعل ذلك ثلاث مرات، وتتسوك بالسواك أو بأصابعك.

٨- **ثم تستنشق ببعض الماء**، أي: تجذب الماء بنفس من أنفك، ثم تستنثر أي: تخرجه من أنفك، تفعل ذلك ثلاث مرات.

٩- **ثم تغسل وجهك ثلاثًا** من منبت شعر رأسك إلىٰ أسفل ذقنك طولًا، ومن الأذن إلىٰ الأذن عرضًا.

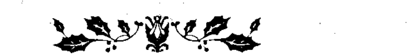
١٠- **ثم تغسل يديك إلىٰ المرفقين ثلاث مرات**، حتىٰ تشرع في العضد.

١١- **ثم تمسح رأسك مع الأذنين مرة واحدة**، تبدأ من مقدمة رأسك ثم تذهب بيديك إلىٰ مؤخرة رأسك، ثم تعود إلىٰ مقدمة رأسك مرة أخرىٰ.

١٢- **ثم تمسح أذنيك بما بقي علىٰ يديك من ماء الرأس.**

١٣- **تغسل رجليك مع الكعبين**، وهما العظم البارز في جانب قدمك، ولا تنس مؤخرة قدمك.

١٤- **تقول الذكر بعد الوضوء**: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين.



التيمم

إذا لم تجد الماء أو عجزت عن استعماله، وخشيت فوات وقت الصلاة؛ جاز لك التيمم وهو أن:

١- تنوي بالتيمم رفع الحدث؛ لأن النية أصل في كل عمل.

٢- تضرب بيديك الأرض ضربة واحدة.

٣- تمسح ظاهر يدك اليمنىٰ بباطن اليسرىٰ

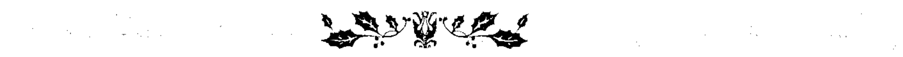
٤- تمسح ظاهر كفك اليسرىٰ بباطن كفك اليمنىٰ.

٥- تمسح وجهك.

٦- إذا مسحت وجهك قبل يديك فلا بأس بذلك.

٧- إذا أخذت ضربة من الأرض لكفيك، وضربة لوجهك فلا بأس بلك.

٨- التيمم يكون مرة واحدة وليس ثلاث مرات مثل الوضوء.



الصــــلاة

١- إذا قمت إلىٰ الصلاة فأسبغ الوضوء.

٢- **ستر العورة**، وهو تغطية بدنك، واعلم أن سرائرك وعورات باطنك لا يطلع عليها إلا ربك ﷻ، فأحضر تلك القبائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله ﷻ ساتر؛ وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف، فتستفيد بإحضارها في قبلك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانهما، فتذل بها نفسك، ويستكين تحت الخجل قلبك، وتقوم بين يدي الله ﷻ قيام العبد المسيء الآبق، الذي ندم فرجع إلىٰ مولاه ناسكًا رأسه من الحياء والخوف.

٣- **توجه إلىٰ القبلة (الكعبة) بهدوء بجميع بدنك**، واستشعر أنك باستقبال القبلة تصرف وجهك عن سائر الجهات إلىٰ جهة بيت الله تعالىٰ، أفترىٰ أن صرف القلب عن سائر الأمور إلىٰ الله ﷻ ليس مطلوبًا منك؟؟؟ فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلىٰ جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فإنه لا ينصرف القلب إلىٰ الله ﷻ إلا بالتفرغ عما سواه.

٤- **تعتدل قائمًا**: وهذا هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله ﷻ فليكن رأسك - الذي هو أرفع أعضائك - مطرقًا مطأطئًا متنكسًا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه، تنبيهًا علىٰ إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التكبر، وليكن علىٰ بالك خطر القيام بين يدي الله تعالىٰ في هول المطلع عند العرض للسؤال، واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله ﷻ وهو مطلع عليك، وعاتب نفسك وقل لها: أتدعين معرفة الله وحبه، أفلا تستحين من استجرائك عليه، مع توقيرك عبدًا من عباده؟ أوتخشين الناس ولا تخشينه، وهو أحق أن يخشىٰ؟ فلم جعلته أهون الناظرين إليك؟

٥-**النية:** أن تقصد بقلبك فعل الصلاة التي تريدها من فريضة أو نافلة تحديدًا.

٦-**استحضر بعض النيات في قلبك قبل أن تبدأ الصلاة:**

☆ اعزم علىٰ إجابة الله ﷻ في امتثال أمره بالصلاة، وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها.

☆ إخلاص النية لوجه الله سبحانه، رجاء لثوابه، وخوفًا من عقابه، وطلبًا للقرب منه.

☆ التحبب إلىٰ الله تعالىٰ بما افترض عليك، قال تعالىٰ في الحديث القدسي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**» [صحيح البخاري (٦١٣٧)].

☆ قال رسول الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَىٰ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ؛ كَانَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ؛ فَلَيْسَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**» [صحيح أبي داود (٤٢٥)].

☆ قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرْ مِنَ السُّجُودِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ يَسْجُدُ للهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِهَا دَرَجَةً**» [صحيح مسلم (٢٢٥)].

☆ وقال ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أُتِيَ بِذُنُوبِهِ كُلِّهَا، فَوُضِعَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ وَعَاتِقَيْهِ، فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ**» [صحيح ابن حبان (١٧٣٤)].

☆ وقال ﷺ: «**صَلَاةٌ عَلَىٰ إِثْرِ صَلَاةٍ لا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ**» [حسن أبي داود (٥٥٨)].

☆ وقال ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**» [صحيح البخاري (٥٠٤)].

☆ وقال ﷺ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**» [صحيح النسائي (٣٩٣٩)].

٧- **لا تنطق النية بلسانك؛** لأن النطق باللسان لم يرد عن النبي ﷺ.

٨- **تكبر تكبيرة الإحرام فتقول:** الله أكبر ناظرًا ببصرك إلىٰ محل سجودك وإذا

نطقت بالتكبير بلسانك فينبغي ألا يكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقًا، فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله ﷻ؛ فأنت أطوع له منك لله تعالىٰ، فيوشك أن يكون قولك: الله أكبر، كلامًا باللسان المجرد، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالىٰ وعفوه.

٩- ترفع يديك عند التكبير إلىٰ حذو منكبيك أو أذنيك.

١٠- تضع يدك علىٰ صدرك: كفك اليمنىٰ علىٰ كفك اليسرىٰ، أو كفك اليمنىٰ علىٰ الرسغ والساعد.

١١- **ثم تقرأ دعاء الاستفتاح:**

✯ سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالىٰ جدك ولا إله غيرك.

✯ اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد.

✯ وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.

فتوجه بقلبك إلىٰ فاطر السماوات، ولا تتوجه إلىٰ أمانيك وهمك في البيت والسوق والمذاكرة ولا تتبع الشهوات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق، فاجتهد في الحال في صرف القلب إلىٰ الله، وإن عجزت عنه علىٰ الدوام؛ فليكن قولك في الحال صادقًا.

١٢- **تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم:** أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه، واعلم أن الشيطان عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله ﷻ، حسدًا لك علىٰ مناجاتك مع الله ﷻ وسجودك له، مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة

تركها، وأن استعاذتك بالله سبحانه بترك ما يحبه الشيطان وتبديله بما يحب الله ﷻ لا بمجرد قولك.

١٣- تقرأ سورة الفاتحة، وتقول بعدها: آمين، جهرًا في الصلاة الجهرية، وسرًا في الصلاة السرية، وتدبر:

☆ الفاتحة أم القرآن، هي السبع المثاني والقرآن العظيم.

☆ أن أفضل القرآن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

☆ قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ**» [صحيح الترمذي (٢٨٧٥)].

☆ قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» [صحيح مسلم (٣٩٥)].

☆ هذه السورة نزل بفضلها ملك لم ينزل إلىٰ الأرض قبلها قط، وقال لرسول الله ﷺ: «**أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتِهِمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَمْ تَقْرَأْ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**» [صحيح مسلم (٢٥٤)].

☆ التأمين الذي يحسدنا عليه اليهود، والذي إذا وافق تأمين الملائكة يغفر لك ما تقدم من ذنبك.

١٤- ثم تقرأ ما تيسر لك من القرآن.

١٥- احرص علىٰ حراسة رأسك وعينيك عن الالتفات في الصلاة إلىٰ أي جهة

أخرىٰ سوىٰ محل سجودك، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ**» [صحيح البخاري (٧٥١)] فإذا كان التفات طرفك إلىٰ ما سوىٰ الله اختلاس من الشيطان؛ فكيف التفات قلبك إلىٰ ما سوىٰ الله؟ هذا أعظم نصيب للشيطان من العبودية.

١٦- تركع مكبرًا رافعًا يديك إلىٰ حذو منكبيك أو أذنيك.

١٧- تضع يديك علىٰ ركبتيك وتفرق بين أصابعك وتقبض علىٰ ركبتيك وتمد ظهرك وعنقك إلىٰ الأمام، وتطمئن في ركوعك وتقول: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، والسنة عشر مرات.

١٨- يستحب أن تقول مع ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي.

١٩- وينبغي أن تجدد عند ركوعك ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله ﷻ من عقابه بتجديد النية متبعًا سنة نبيك ﷺ وكأنك تستأنف له ذلًا وتواضعًا بركوعك، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذُلَّكَ، وعِز مولاك واتضاعك له وعلو ربك، وتستعين علىٰ تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة، وأنه أعظم من كل عظيم، وتكرر ذلك علىٰ قلبك؛ لتؤكد له بالتكرار.

٢٠- من أذكار الركوع:

☆ سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي.

☆ اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي، وما استقلت به قدمي لله رب العالمين.

☆ سبوح قدوس، رب الملائكة والروح.

☆ سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة.

٢١- ثم ترفع من الركوع، رافعًا يديك حذو منكبيك راجيًا أنه راحم لك، ومؤكدًا

للرجاء في نفسك بقولك: (سمع الله لمن حمده) ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول: (ربنا لك الحمد) وتكثر الحمد فتقول: (ربنا لك الحمد حمدًا طيبًا مباركًا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد).

٢٢- تهوي إلىٰ السجود مكبرًا واضعًا يديك قبل ركبتيك، والسجود هو أعلىٰ درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك ألا تجعل بينهما حائلًا فتسجد علىٰ الأرض فافعل؛ فإنه أجلب للخشوع وأدل علىٰ الذل.

٢٣- يديك مضمومة مبسوطة علىٰ الأرض، وتستقبل بأصابع يديك وأصابع قدميك القبلة.

٢٤- تسجد علىٰ مواضع السجود السبعة: الجبهة مع الأنف واليدين والركبتين والقدمين.

٢٥- جدد علىٰ قلبك عظمة الله وقل: سبحان ربي الأعلىٰ ثلاث مرات أو أكثر والسنة عشر مرات وأكده بالتكرار.

٢٦- أكثر من الدعاء وأنت ساجد، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فإن رق قلبك وظهر ذلك؛ فليصدق رجاؤك في رحمة الله؛ فإن رحمته تتسارع عند الضعف والذل.

٢٧- أبعد ذراعيك عن جنبيك، وبطنك عن فخذيك، وفخذيك عن ساقيك وارفع مرفقيك عن الأرض.

٢٨- ترفع رأسك مكبرًا وتجلس، وتضع يديك علىٰ فخذيك وركبتيك سائلًا حاجتك: رب اغفر لي.. رب اغفر لي.. رب اغفر لي.. وارحمني، واهدني، واجبرني وارزقني، وتكررها مؤكدًا تلح في الطلب.

٢٩- تطمئن في هذا الجلوس حتىٰ يرجع كل فقار في ظهرك إلىٰ مكانه وتطيله.

٣٠- تسجد السجدة الثانية مكبرًا وتفعل فيها كما فعلت في الأولىٰ.

٣١- ترفع رأسك مكبرًا وتجلس جلسة خفيفة مثل جلوسك بين السجدتين (جلسة الاستراحة)

٣٢- تنهض قائمًا إلىٰ الركعة الثانية معتمدًا علىٰ الأرض بيديك.

٣٣- تقرأ الفاتحة، وما تيسر من القرآن بعدها كما سبق في الركعة الأولىٰ.

٣٤- إذا كانت الصلاة ركعتين مثل صلاة الفجر والجمعة والعيدين تجلس بعد رفعك من السجدة الثانية وتضع يدك اليمنىٰ علىٰ فخذك اليمنىٰ وتجمع أصابعك كلها إلا السبابة، فتشير بها إلىٰ التوحيد وتحركها، وتضع يدك اليسرىٰ علىٰ فخذك اليسرىٰ وركبتك.

٣٥- فإذا جلست للتشهد فاجلس متأدبًا، وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات الطيبات أي من الصفات الطاهرة لله، وكذلك الملك لله، وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وليصدق أملك في أن السلام يبلغه ثم تسلم علىٰ نفسك وعلىٰ جميع عباد الله الصالحين، ثم تشهد له تعالىٰ بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة.

٣٦- ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين.

٣٧- ثم تسلم عن يمينك وعن شمالك قائلًا: السلام عليكم ورحمة الله، وانو بالتسليم ختم الصلاة.

٣٨- إن كانت الصلاة ثلاث ركعات مثل المغرب أو أربع ركعات مثل الظهر أو العصر أو العشاء؛ تقرأ التشهد والصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد الركعة الثانية ثم تنهض.

٣٩- ترفع يديك حذو منكبيك قائلا: الله أكبر، وتضع يديك علىٰ صدرك، وتقرأ الفاتحة فقط.

٤٠- بعد رفعك من السجدة الثانية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب، أو الركعة الرابعة من صلاة الظهر والعصر والعشاء تقرأ التشهد ثم الصلاة علىٰ النبي ﷺ ثم تستعيذ من الأربع السابق ذكرها.

٤١- تسلم عن يمينك وعن يسارك قائلًا: السلام عليكم ورحمة الله.

☆ راجع كتاب الأذكار؛ لتحفظ أذكار الصلاة وما بعد الصلاة.

☆ احرص علىٰ الأذكار بعد الصلاة؛ فإنها مهمة.

٤٢- استشعر شكر الله -سبحانه- علىٰ توفيقه إتمام هذه الطاعة، وتوهم أنك مودع بصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها.

٤٣- ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف ألا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا بذنب ظاهر أو باطن، وترجو مع ذلك أن يقبلها الله بكرمه وفضله.

لما سئل حاتم الأصم عن صلاته قال: أقوم إلىٰ صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، أظنها آخر صلاتي..



نيات أو محفزات لعلو الهمة في الوضوء والصلاة

١- التسوك وإسباغ الوضوء، ومشابهة وضوء النبي ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ؛ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** [صحيح الجامع (٦١٧٥)].

٢- المحافظة علىٰ الصلاة في أول وقتها:

قال رسول الله ﷺ : **«أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ الصَّلاَةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا»** [صحيح البخاري (٥٠٤)].

٣- المشي إلىٰ المساجد متوضئًا:

قال رسول الله ﷺ : **«مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَىٰ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الحَاجِّ المُحْرِمِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَىٰ تَسْبِيحِ الضُّحَىٰ لا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ المُعْتَمِرِ، وَصَلاَةٌ عَلَىٰ إِثْرِ صَلاَةٍ لا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ»** [صحيح الجامع (٦٢٢٨)].

٤- الحرص علىٰ صلاة الجماعة في الصف الأول خلف الإمام وإدراك التكبيرة الأولىٰ:

قال رسول الله ﷺ : **«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»** [صحيح البخاري (٥٩٠)].

٥- تعلق القلب بالمسجد:

قال رسول الله ﷺ : **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ،**

وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [صحيح مسلم (١٠٣١)].

٦- الحرص علىٰ الصلاة الوسطىٰ في جماعة:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ عُرِضَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا، فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلا صَلَاةَ بَعْدَهَا حَتَّىٰ يَطْلُعَ الشَّاهِدُ» [صحيح مسلم (٨٣٠)].

٧- المحافظة علىٰ صلاة العشاء والصبح في جماعة:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّىٰ العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ» [صحيح أبي داود (٥٥٥)].

٨- مصلي الفجر في جماعة في ذمة الله:

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» [صحيح مسلم (١٠٥٠)].

٩- مصلي الفجر في جماعة له أجر حجة وعمرة إذا قعد يذكر الله حتىٰ تطلع الشمس ثم صلىٰ ركعتين: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ». [صحيح الترمذي (٥٨٦)].

١٠- انتظار الصلاة بعد الصلاة رباط في سبيل الله:

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَىٰ المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ» [صحيح مسلم (٢٥١)].

١١-الصلاة في الصفوف المتقدمة:

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ**» [صحيح أبي داود (٦٦٤)].

١٢-الصلاة في ميامن الصفوف:

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ**» [صحيح ابن حبان (٢١٦٠)].

١٣-صلة الصفوف ولين المناكب:

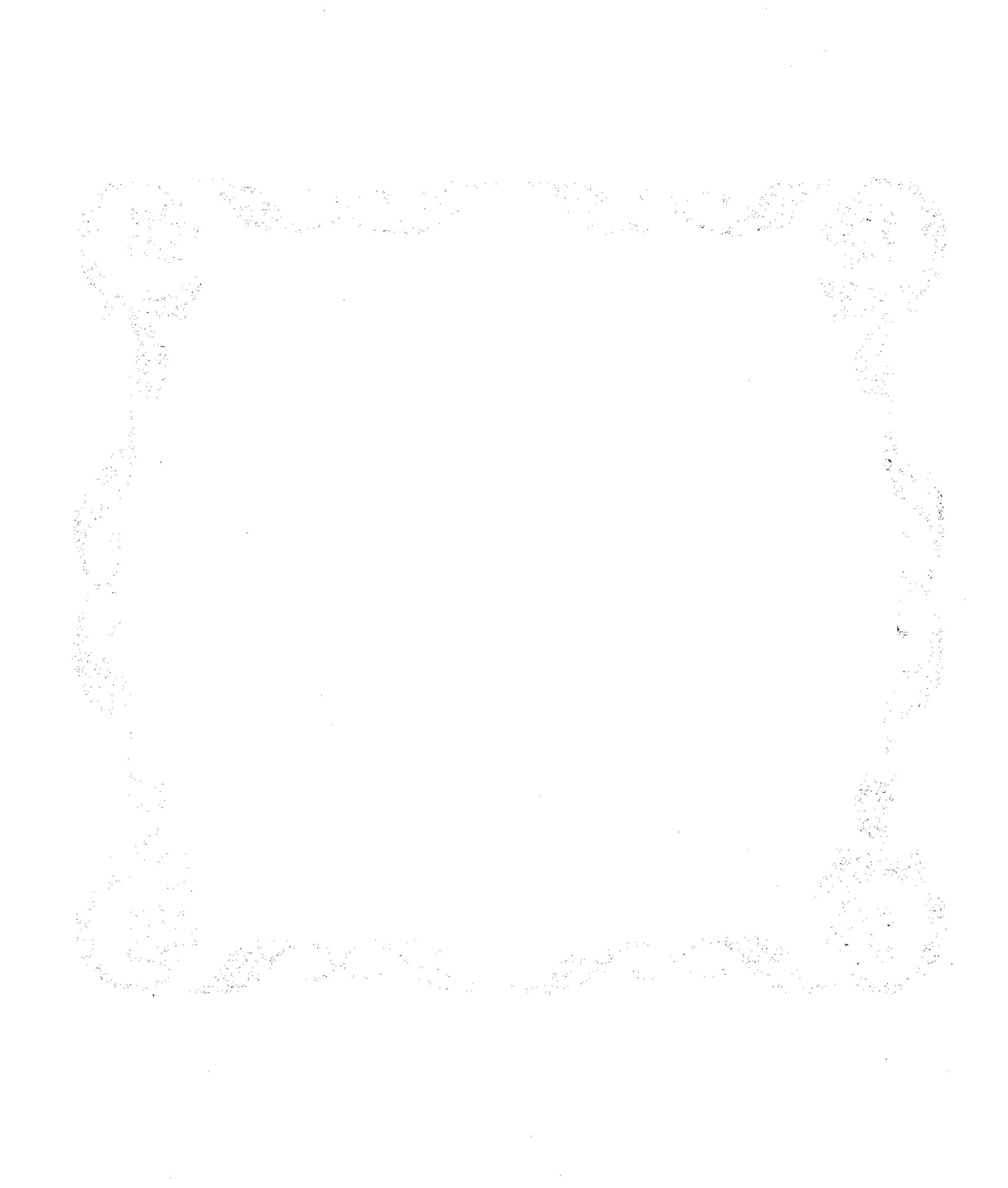
قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ، وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً**» [صحيح ابن ماجه (٩٩٠)].





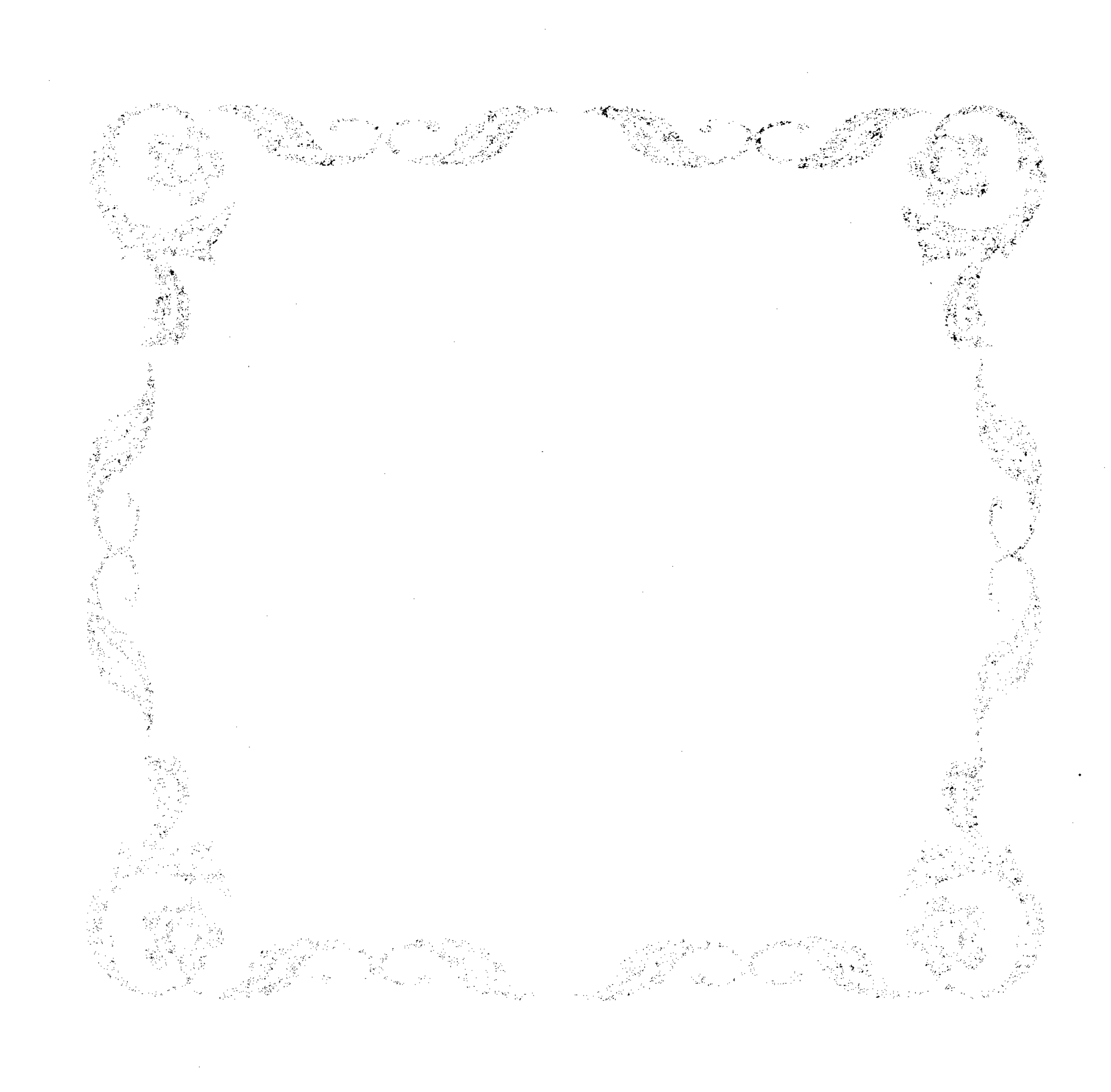
ثالثًا:

قصص الأنبياء





مُقَدِّمَة



بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَإِنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثم أما بعد:

حَبِيبِي فِي اللهِ.. ابنَ الإِسْلَامِ..

وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ... إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ..

وَأَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَجْمَعَنَا بِهَذَا الحُبِّ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلَنَا كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ فِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرَكَ شَيْئًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥-١٠٨].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ كَلِمَةَ الإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللهُ ﷻ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهَا»** [صحيح، مسند الإمام أحمد (٦/ ٤)].

وَقَالَ ﷺ: **«لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»** [صحيح مسلم (١٩٢٠)].

تُشِيرُ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ السَّابِقَةُ إِلَىٰ قَضِيَّةٍ غَايَةٍ فِي الخُطُورَةِ وَالأَهَمِّيَّةِ، وَهِيَ أَنَّ المُسْتَقْبَلَ لِهَذَا الدِّينِ، وَأَنَّ النَّصْرَ آتٍ وَالتَّمْكِينَ، وَهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالنِّسْبَةِ لِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ يَقِينًا، وَحِينَ تَكُونُ هَذِهِ القَضِيَّةُ عَقَدِيَّةً؛ بِمَعْنَىٰ: أَنْ تَكُونَ عَقِيدَةً عَنْ ثِقَةٍ وَيَقِينٍ، فَلَابُدَّ إِذًا مِنَ العَمَلِ لَهَا وَالسَّعْيِ لِتَحْقِيقِهَا، وَهَذَا دَأْبُ العَقَائِدِ عِنْدَ المُؤْمِنِينَ بِهَا، أَنْ تَجْعَلَهُمْ مُتَحَرِّكِينَ مُتَحَرِّقِينَ شَوْقًا لِرُؤْيَةِ عَقَائِدِ القُلُوبِ حَقِيقَةً مُتَحَقِّقَةً فِي الوَاقِعِ تَلْمَسُهَا الأَيْدِي وَتَرَاهَا العُيُونُ. وَهُنَا جَاءَ دَوْرُكَ يَا ابنَ الإِسْلَامِ؛ لِحَمْلِ هَذِهِ القَضِيَّةِ بَعْدَ الإِيمَانِ بِهَا، وَالعَمَلِ لِلتَّمْكِينِ بِعَقِيدَةٍ وَيَقِينٍ..

يَا ابنَ الإِسْلَامِ..

إِنَّ أُمَّتَكَ أُمَّةَ الإِسْلَامِ أُمَّةٌ خُلِقَتْ لِتَبْقَىٰ، لَيْسَتْ أُمَّةً زَائِلَةً أَوْ مُؤَقَّتَةً، كَلَّا وَاللهِ.. لَا وَاللهِ مَا هِيَ بِأُمَّةٍ خُلِقَتْ لِتُؤَدِّيَ دَوْرًا ثُمَّ تَنْتَهِي، وَتُصْبِحَ تَارِيخًا كَمَا هُوَ حَالُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ إِنَّمَا هِيَ أُمَّةٌ أَخْرَجَهَا اللهُ لِتَكُونَ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ، وَشَاهِدَةً عَلَىٰ الأُمَمِ السَّابِقَةِ.

أُمَّةٌ خُلِقَتْ لِتَحْمِلَ الرَّايَةَ وَتَعِيشَ عَزِيزَةً مُمَكَّنَةً إِلَىٰ آخِرِ الزَّمَانِ، إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان:٥١- ٥٢].

أَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْبِيَاءَ تَسُوسُ أُمَّةَ الإِسْلَامِ، كَمَا كَانَ الأَمْرُ قَبْلَ ذَلِكَ، كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ تَسُوسُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كُلَّمَا مَاتَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ.

وَلَكِنْ شَاءَ رَبُّنَا ﷻ؛ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا هُوَ ﷻ أَنْ يَحْمِلَ هَذَا الدِّينَ وَيَسُوسَ الدُّنْيَا رِجَالٌ مِنَ الأُمَّةِ، يَحْمِلُونَ القُرْآنَ، يَقُودُونَ بِهِ العَالَمَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٠].

فَأَمَرَنَا رَبُّنَا ﷻ فِي آيَةِ الفُرْقَانِ السَّابِقَةِ بِالجِهَادِ بِالقُرْآنِ..

وَهُوَ جِهَادُ الحُجَّةِ وَالبَيَانِ.

وَالقُرْآنُ العَظِيمُ مُعْجِزَةُ الإِسْلَامِ، وَهُوَ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ مُعْجِزَةٌ خَالِدَةٌ، فَلَا يَزَالُ ذُخْرًا لِلأُمَّةِ، وَنُورًا وَحَبْلًا مَتِينًا، وَفِيهِ تَرْبِيَةُ الأُمَّةِ، قَالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

فَالقُرْآنُ العَظِيمُ فِيهِ مِنْ عَوَامِلِ القُوَّةِ وَالإِصْلَاحِ فِي النُّفُوسِ البَشَرِيَّةِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ تَسْيِيرِ الجِبَالِ، وَتَقْطِيعِ الأَرْضِ، وَتَكْلِيمِ المَوْتَىٰ.

وَلِذَلِكَ إِذَا أَرَدْنَا رِجَالًا يَحْمِلُونَ هَذَا الدِّينَ، وَيَعْمَلُونَ عَلَىٰ نَشْرِهِ وَالتَّمْكِينِ لَهُ إِلَىٰ آخِرِ الزَّمَانِ، فَلَابُدَّ لِهَؤُلَاءِ الرِّجَالِ أَنْ يَحْمِلُوا القُرْآنَ بِكُلِّ مَا فِيهِ، جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الرِّجَالَ لَابُدَّ لَهُمْ مِنْ خِبْرَةٍ وَعِلْمٍ:

الخِبْرَةُ بِعَالَمِ الحَيَاةِ وَالمَخْلُوقَاتِ وَالبَشَرِ.

الخِبْرَةُ بِمَكْنُونَاتِ النُّفُوسِ وَدَفَائِنِ القُلُوبِ، وَدَسَائِسِ الخَوَاطِرِ.

الخِبْرَةُ بِأَخْلَاقِ البَشَرِ وَطَبَائِعِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ.

الخِبْرَةُ بعقْليَّاتِ المُخَالِفِينَ، وطَرِيقَةِ تفْكِيرِهِمْ، وَاحْتِمَالاتِ رُدُودِ أَفْعَالِهِمْ.

الخِبْرَةُ بِأَفْكَارِ الكِبَارِ وَالصِّغَارِ، العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَالأَتْبَاعِ وَالمَتْبُوعِينَ.

الخِبْرَةُ بِخَبَثِ اللِّئَامِ، وَمَكْرِ الخُبَثَاءِ، وَدَهَاءِ المُنَافِقِينَ.

الخِبْرَةُ بِتَأْثِيرِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا عَلَىٰ النُّفُوسِ، وَأَثَرِ مَلَذَّاتِهَا وَفِتْنَتِهَا عَلَىٰ القُلُوبِ.

الخِبْرَةُ بِمَدَاخِلِ القُلُوبِ، وَتَغْيِيرِ الأَفْكَارِ، وَتَدَاوُلِ الأَيَّامِ.

الخِبْرَةُ بِكَظْمِ الغَيْظِ، وَتَعَلُّمِ العَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَتَجَرُّعِ مَرَارَةِ الصَّبْرِ، وَمُعَانَاةِ الحِرْمَانِ.

لَابُدَّ لِلقَادَةِ وَحَمَلَةِ الرَّايَةِ مِنْ مَجْمُوعَةِ خِبْرَاتٍ خَطِيرَةٍ؛ لِيَسْتَطِيعُوا بِهَذِهِ الخِبْرَةِ أَنْ يُوَجِّهُوا الدَّفَّةَ فِي خِضَمِّ أَمْوَاجِ الأَحْدَاثِ الخَطِيرَةِ؛ كَيْ لَا تَغْرَقَ السَّفِينَةُ.

وَأَنَّى لَهُمْ؟!

إِنَّ اكْتِسَابَ الخِبْرَةِ وَالمَهَارَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الخَلْقِ لِقِيَادَةِ أُمَّةٍ وَإِرْسَاءِ قَوَاعِدَ وَسُلُوكِ سُبُلٍ لَا يُكْتَفَىٰ فِيهِ وَلَا يَكْفِي التَّعَامُلُ مَعَ مَجْمُوعَةٍ مَحْدُودَةٍ مِنَ البَشَرِ لِفَتْرَةٍ مَحْدُودَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، لَابُدَّ -لِيَحْصُلَ العُمْقُ العَمَلِيُّ الوَاقِعِيُّ- مِنَ اكْتِسَابِ الخِبْرَةِ مِنْ أَنْ يُكْسِبَكَ هَذِهِ الخِبْرَةَ:

- خَبِيرٌ بَصِيرٌ، عَلِيمٌ عَظِيمٌ، غَنِيٌّ حَكَمٌ عَدْلٌ.
- وَلَابُدَّ أَيْضًا مِنْ تَوَالِي الدُّهُورِ وَتَكْرَارِ العُصُورِ، وَتَدَاوُلِ الأَيَّامِ.
- وَلَابُدَّ أَيْضًا مِنَ البَصِيرَةِ بِخَبَايَا النُّفُوسِ وَتَلَوُّنَاتِ الأَفْكَارِ.
- وَلَابُدَّ كَذَلِكَ مِنَ الإِحَاطَةِ بِالأَمْرِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، وَرُؤْيَتِهِ رُؤْيَةً شَامِلَةً مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ.
- وَلَابُدَّ كَذَلِكَ مِنَ العِلْمِ بِالدَّوَافِعِ وَالعِلْمِ أَيْضًا بِالعَوَاقِبِ.

وَهَذِهِ كُلُّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ ﷻ ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر: ١٤].

وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ اللهِ ﷻ وَحْدَهُ، وَمَا وَجَدْنَاهُ إِلَّا فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ كُلَّ مَنْ حَمَلَ القُرْآنَ بِعِلْمٍ، وَدَرَسَ القُرْآنَ بِوَعْيٍ، وَتَعَلَّمَ القُرْآنَ

بِفَهْمٍ، وَأَدْرَكَ المَعَانِيَ، وَغَاصَ مَعَ اللَّآلِئِ وَالدُّرَرِ فِي المَغَازِي؛ خَرَجَ بِخِبْرَةِ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُضَيِّعُونَ أَوْقَاتَهُمْ وَجُهْدَهُمْ، وَيَسْتَسْلِمُونَ لِأَفْكَارٍ بَشَرِيَّةٍ، وَيَنْبَهِرُونَ بِأُطْرُوحَاتٍ عَقْلِيَّةٍ قَاصِرَةٍ، يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَظْلِمُونَ هَذَا الدِّينَ إِنْ كَانُوا مِنْ أَتْبَاعِهِ.

إِنْ أَرَدْتَ -يَا ابنَ الإِسْلَامِ- الحَقَّ صِرْفًا، وَالعِلْمَ نَاصِعًا، وَالخِبْرَةَ مُحْكَمَةً:

* فَعَلَيْكَ بِالقُرْآنِ وَلَابُدَّ لَكَ مِنْهُ *

إِنْ أَرَدْتَ -يَا ابنَ الإِسْلَامِ- أَنْ تَكُونَ ابنَ الإِسْلَامِ حَقًّا، رَضَعْتَ عُلُومَهُ، وَتَغَذَّيْتَ عَلَىٰ أَفْكَارِهِ، وَنَبَتَّ عَلَىٰ شَوَاطِئِ أَنْهَارِهِ، وَقَوِيَ ظَهْرُكَ، وَاسْتَوَىٰ عُودُكَ عَلَىٰ عَقَائِدِهِ، فَارْجِعْ إِلَىٰ القُرْآنِ؛ لِيَكُونَ زَادُكَ نِعْمَ الزَّادِ.

وَإِذَا أَرَدْتَ الخِبْرَةَ -الَّتِي ذَكَرْتُ لَكَ وَلَابُدَّ لَكَ مِنْهَا- شَرْطًا فِي فَهْمِ الحَيَاةِ وَفَهْمِ النَّاسِ، وَفَهْمِ الوَاقِعِ، وَيَكُونُ تَبْصِرَةً لِلْمُسْتَقْبَلِ؛ فَارْجِعْ إِلَىٰ قَصَصِ القُرْآنِ وَأَمْثَالِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦].

إِنَّنَا إِذَا أَرَدْنَا -أَيُّهَا الجِيلُ الجَدِيدُ- خُرُوجًا مِنْ حَالَةِ الغُثَائِيَّةِ وَالتِّيهِ الَّتِي تُعَانِي مِنْهَا الأُمَّةُ هَذِهِ الأَيَّامَ، فَلَابُدَّ مِنْ هَذِهِ الخِبْرَةِ بِتَارِيخِ الإِنْسَانِيَّةِ وَأَحْوَالِ البَشَرِيَّةِ، وَمُعَانَاةِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَالدُّعَاةِ المُصْلِحِينَ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ؛ لِتَكُونَ نِبْرَاسًا يُضِيءُ لَنَا الطَّرِيقَ لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذَا النَّفَقِ المُظْلِمِ الَّذِي أَدْخَلَتْ فِيهِ الأُمَّةُ نَفْسَهَا.

وَلَابُدَّ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، بَعِيدًا عَنِ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالمُدَاخَلَاتِ وَالبَحْثِ وَالتَّفَاصِيلِ الغَيْرِ مُفِيدَةٍ الَّتِي أَبْهَمَهَا القُرْآنُ عَمْدًا؛ لِتَكُونَ الفَائِدَةُ هِيَ الهَدَفَ، وَالخِبْرَةُ هِيَ المَقْصِدَ، وَالعَمَلُ هُوَ المَطْلُوبَ.

وَلِذَا كَانَ هَذَا الكِتَابُ فِي ذِكْرِ قَصَصِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ؛ لِنَكْتَسِبَ هَذِهِ الخِبْرَةَ، وَنَسْتَخْلِفَ هَذَا النُّمُوذَجَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [سورة فصلت: ٤٣].

ثَمَّةَ أَمْرٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ اللهَ جَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

فَكَيْفَ تَكُونُ الشَّهَادَةُ إِذًا عَلَىٰ سَائِرِ الخَلْقِ إِلَّا إِذَا عَلِمْنَا بِحِكَايَتِهِمْ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ شَرْطَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَكُونَ قَدْ رَأَيْتَ، كَيْفَ تَشْهَدُ لِنُوحٍ أَنَّهُ بَلَّغَ وَلِمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عليهما السلام بِأَنَّهُمَا قَدْ بَلَّغَا؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ اللهُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ»** [صحيح البخاري (٣١٦١)].

لَنْ تَسْتَطِيعَ الشَّهَادَةَ إِلَّا إِذَا عَرَفْتَ سِيرَةَ هَؤُلَاءِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ، وَاعْتَقَدْتَهَا بِيَقِينٍ، وَاليَقِينُ شَهَادَةٌ كَأَنَّكَ رَأَيْتَ، فَلَابُدَّ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الجَادَّةِ.

يَا ابنَ الإِسْلَامِ..

إِنَّ دِرَاسَةَ القُرْآنِ دِرَاسَةً مَنْهَجِيَّةً جَادَّةً، وَاسْتِخْلَاصَ مَا فِيهِ مِنْ عِظَاتٍ وَعِبَرٍ وَدُرُوسٍ، سَبِيلٌ لِتَحْقِيقِ حُلْمِ صِنَاعَةِ الرِّجَالِ، فَأَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ، وَخُذْ مَا أَتَاكَ رَبُّكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، تَعَلَّمْ وَتَفَقَّهْ وَتَدَبَّرْ وَاسْتَفِدْ وَلَا تُجَرِّبْ.

* لا تَشُكَّ.. لا تَتَرَدَّدْ *

هَذِهِ قَصَصُ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، سَتَجِدُ فِيهَا بُغْيَتَكَ إِنْ أَرَدْتَ السِّيَادَةَ وَالقِيَادَةَ، وَالهِدَايَةَ وَالرِّيَادَةَ، سَتَجِدُ أَنَّ كُلَّ مَا تُعَانِيهِ الأُمَّةُ اليَوْمَ مِنْ فَوَاجِعَ وَمَوَاجِعَ، وَكُلَّ مَا يَصْدِمُهَا مِنْ نَكَبَاتٍ وَإِحْبَاطَاتٍ، وَكُلَّ مَا يُكَادُ لَهَا مِنْ خَبَائِثَ وَمُؤَامَرَاتٍ؛ قَدْ مَرَّ مِثْلُهُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِالأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ عَشَرَاتِ الأَضْعَافِ وَأَكْثَرَ مِنْ أَمْثَالِهَا وَأَخْطَرَ.

ادْرُسْ وَتَفَكَّرْ، وَانْظُرْ وَتَدَبَّرْ كَيْفَ وَاجَهُوا المُؤَامَرَاتِ، وَكَيْفَ رَدُّوا عَلَىٰ الاعْتِرَاضَاتِ، وَكَيْفَ رَوَّضُوا ثَعَالِبَ البَشَرِيَّةِ وَذِئَابَ العَالَمِ، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُمْ مُسْتَأْنِسِينَ يَلِينُونَ فِي كَفِّ الأَنْبِيَاءِ، مُخْبِتِينَ مُطِيعِينَ بِإِذْنِ اللهِ الرَّحِيمِ وَعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَهُوَ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ.

إِنَّ مِنَ الظُّلْمِ لِلتَّارِيخِ أَنْ نَظُنَّ أَنَّنَا نُوَاجِهُ مَا لَمْ يُوَاجِهْهُ أَحَدٌ، وَنُصَادِفُ مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، وَمِنَ الإِجْحَافِ وَالتَّطَاوُلِ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّنَا نَصْنَعُ مَا لَمْ يَصْنَعْهُ قَبْلَنَا أَحَدٌ وَنُصْلِحُ مَا لَمْ يُصْلِحْهُ أَحَدٌ.

إِنَّ فِي سِيرَةِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام مَا يَجْعَلُنَا نَنْكَسِرُ بَعْدَ أَنْ نَنْبَهِرَ بِتَوَاضُعِهِمُ الجَمِّ، وَبَذْلِهِمُ الضَّخْمِ، وَجِهَادِهِمُ الحَقِّ، وَصِدْقِهِمْ وَتَفَانِيهِمْ وَتَجَرُّدِهِمْ وَتَضْحِيَتِهِمْ.

ابنَ الإِسْلَامِ..

فِي قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام عِلْمٌ وَخِبْرَةٌ وَيَقِينٌ وَبَصِيرَةٌ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تَقْرَأَهَا لِلتَّسْلِيَةِ، أَوْ لِلثَّقَافَةِ وَالمَعْرِفَةِ المُجَرَّدَةِ، إِنِّي أَنْصَحُكَ حِينَ تَدْخُلُ لِقِرَاءَةِ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، أَنْ تَتَصَوَّرَ أَنَّكَ تُدْخِلُ عَقْلَكَ كَمَادَّةٍ خَامٍ إِلَىٰ مَصْنَعٍ لِصِنَاعَةِ الرِّجَالِ، فَيَدْخُلُ عَقْلُكَ وَقَلْبُكَ وَفُؤَادُكَ كَمَادَّةٍ خَامٍ؛ لِيُصْنَعَ كَمَا صَنَعَ اللهُ هَؤُلَاءِ الأَنْبِيَاءَ.

احْذَرْ أَنْ تَتَلَهَّىٰ بِهَذِهِ القَصَصِ، أَوْ أَنْ تَنْشَغِلَ بِغَيْرِ فَوَائِدِهَا، أَوْ أَنْ تَتَبَّعَ غَيْرَ حَلْقَاتِهَا؛ لِتَفْهَمَ دِينَكَ وَتَعْرِفَ أَصْلَكَ وَفَصْلَكَ، وَيَسْتَنِيرَ بِهَا طَرِيقُكَ، وَيَشْتَدَّ بِهَا عُودُكَ؛ لِتَكُونَ ابنَ الإِسْلَامِ حَقًّا، لِتَصْنَعَ لَهُ حَاضِرَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ، فِيكَ الأَمَلُ وَفِي اللهِ الرَّجَاءُ، اسْأَلُ اللهَ أَلَّا يُخَيِّبَ فِيهِ رَجَاءَنَا: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: ٨٨].

فَعَرَفْتَ -أَيُّهَا الابنُ الكَرِيمُ- أَنَّ لِهَذَا الجُزْءِ مِنَ المَنْهَجِ أَهْدَافًا مُحَدَّدَةً:

الأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام؛ لِتَكُونَ شَاهِدًا مِنَ الشُّهَدَاءِ عَلَىٰ النَّاسِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٣]. وَقَالَ اللهُ عز وجل: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا

مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة المائدة: ٨٣-٨٦].

الثَّانِي: مَعْرِفَةُ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام لِاكْتِسَابِ الخِبْرَةِ الحَقِيقِيَّةِ فِي مُعَامَلَةِ البَشَرِ، وَحَمْلِ الأَمَانَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام لِلتَّثْبِيتِ عَلَىٰ هَذَا الدِّينِ؛ لِتَعْرِفَ أَنَّ أَصْلَكَ أَصِيلٌ، وَجُذُورَكَ ضَارِبَةٌ فِي عُمْقِ الزَّمَنِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة هود: ١٢٠].

اسْمَعْ يَا ابنَ الإِسْلامِ..

أَنْتَ عَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ، كُلُّهُ حَقَائِقُ، لَا يَعْرِفُ الأَوْهَامَ؛ لِأَنَّهُ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى، كُلُّهُ: كِتَابًا وَسُنَّةً: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [سورة فاطر: ١٤].

فَأَنْتَ تَعْرِفُ جَيِّدًا لِمَاذَا خُلِقْتَ، وَلِمَاذَا جِئْتَ إِلَىٰ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَمَا دَوْرُكَ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ، وَأَيْضًا وَبِكُلِّ يَقِينٍ تَعْرِفُ نِهَايَةَ هَذِهِ الحَيَاةِ وَمَا بَعْدَ هَذِهِ النِّهَايَةِ.

كُلُّ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ لَهَا إِجَابَاتٌ..

وَكُلُّ الإِجَابَاتِ حَقَائِقُ يُصَدِّقُهَا العَقْلُ وَيَقْبَلُهَا المَنْطِقُ، وَيَرْضَىٰ بِهَا المُؤْمِنُ.

وَهَذَا المَنْهَجُ المُتَكَامِلُ فِي الشَّرِيعَةِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؛ إِنَّمَا وَضَعْنَاهُ لِتَعْرِفَ الحَقِيقَةَ كَامِلَةً:

فَفِي بَابِ العَقِيدَةِ عَرَفْتَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ خَلَقَ اللهُ إِلَىٰ نِهَايَةِ الأَبَدِ فِي الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ. مُرُورًا بِالإِيمَانِ وَالمَوْتِ وَعَلَامَاتِ السَّاعَةِ وَأَهْوَالِ القِيَامَةِ.

ثُمَّ فِي هَذَا الجُزْءِ تَعْرِفُ التَّارِيخَ.

التَّارِيخُ الحَقِيقِيُّ لِلإِنْسَانِيَّةِ..

التَّارِيخُ الَّذِي أَخْبَرَنَا اللهُ بِهِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَكَلامِهِ ﷻ.

فَهِيَ الحَقِيقَةُ الكَامِلَةُ المُجَرَّدَةُ لِتَارِيخِ الإِنْسَانِيَّةِ، بَعِيدًا عَنْ إِرْجَافِ المُرْجِفِينَ، وَأَكَاذِيبِ المُنَافِقِينَ، وَتَهْوِيلِ أَصْحَابِ المَصَالِحِ الوُصُولِيِّينَ، حَقَائِقُ كَلَامِ اللهِ ﷻ، وَهِيَ شَافِيَةٌ كَافِيَةٌ لَا نَحْتَاجُ مَعَهَا لِكَلَامِ أَحَدٍ، وَلَا تَفْصِيلَاتٍ مِنْ غَيْرِ كَلَامِ اللهِ ﷻ وَرَسُولِهِ ﷺ.

وَفِي النِّهَايَةِ لَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْ نَقُولَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

أُحِبُّكَ فِي اللهِ..

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَآلِهِ..

رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ.

وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وَكَتَبَ

أَبُو العَلَاءِ

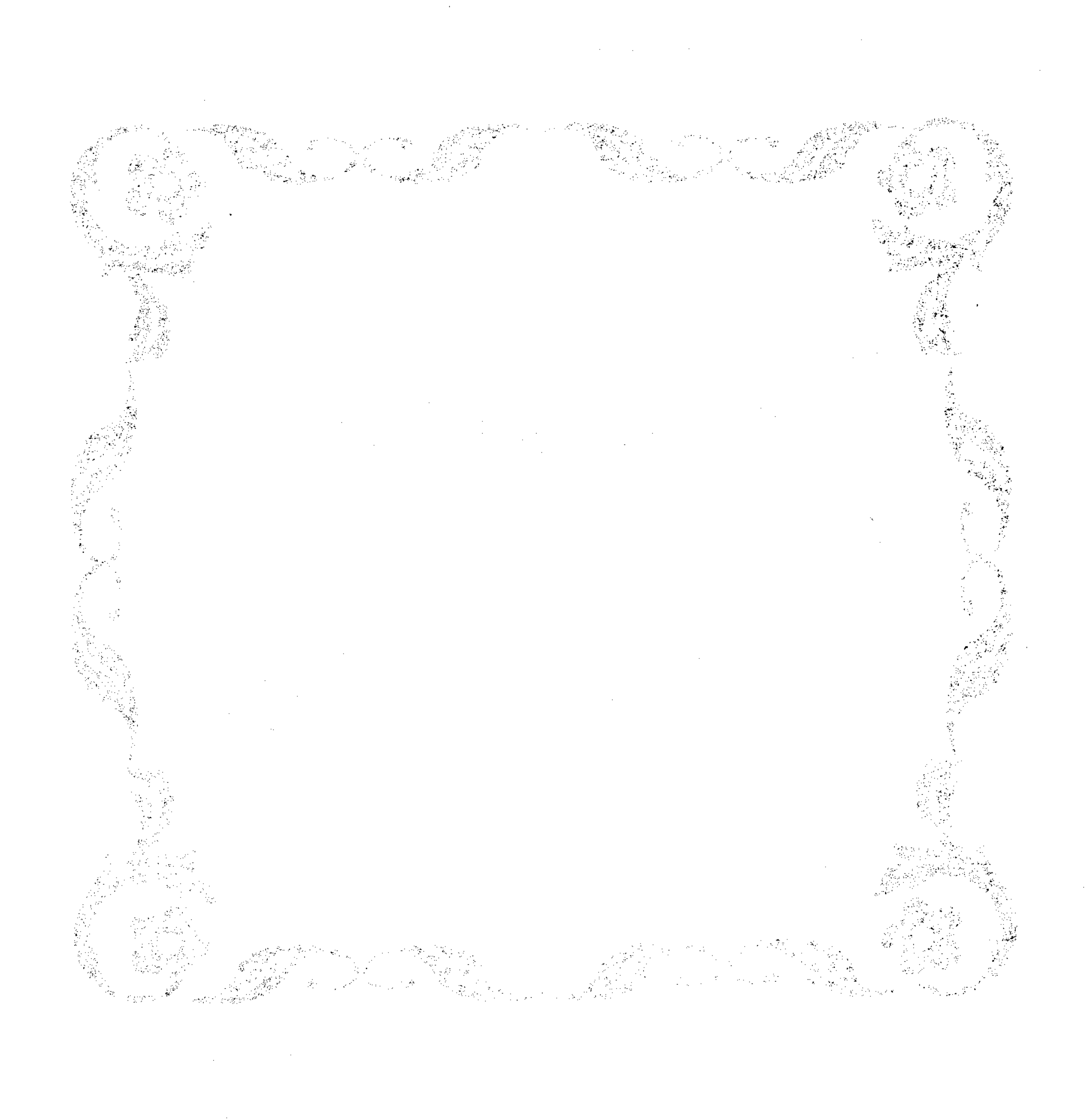
مُحَمَّد حُسَيْن يَعْقُوب

عَفَا اللهُ عَنْهُ، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَالمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ



تَمهيد :

يَاابْنَ الإِسْلامِ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: رب يسر، وأعن، وتمم بخير يا كريم.

حبيبي في الله.. ابن الإسلام..

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة.. إني أحبك في الله..

ابني.. وحبيبي..

أسأل الله أن يرزقنا وإياك الصدق والإخلاص، والعفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة.

أما بعد..

يقول الله ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف: ٣].

☆ فلابد أن تعلم -يرحمك الله- أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ؛ ليكون منهاجًا لهذه الأمة الخاتمة، تسير على نهجه وترسم خطاه؛ وليكون دستورًا لها تحتكم إليه في كل شؤونها، فتجد الهداية والرشاد، وتستروح في ظله الطمأنينة القلبية، والراحة النفسية.

☆ واعلم -رزقني الله وإياك العلم والفهم- أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ، وهو الزاد الروحي للمؤمنين، والفيض الذي لا ينقطع مدده للربانيين والصالحين، حيث يمدهم بالطاقات التي تؤهلهم لحمل الرسالة، ويزودهم بالحجج والبراهين التي تمكنهم من الثبات على هذا الدين، ومحاجة المجادلين، حتى تكون دائمًا كلمة الله هي العليا.

☆ واعلم -رزقني الله وإياك الهدىٰ والهداية- أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ الذي يأوي إليه المؤمن؛ لينهل من معينه الصافي اليقين الذي يثبت قلبه، والهدىٰ الذي يطمئن نفسه، والبراهين التي تثلج صدره.

☆ ثم اعلم -فتح الله مغاليق قلبي وقلبك لفهم كتابه- أن القرآن الكريم كلام الله تعالىٰ ترىٰ فيه الإثارة النفسية عند الإخبار، حتىٰ تتشوف النفس لما سيلقىٰ عليها منه، وتتهيأ لقبوله، مثل قوله ﷻ مثلًا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة إبراهيم: ٩].

☆ واعلم -يسر الله لي ولك الخير، وصرف عني وعنك الشر والبلاء- أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ ترىٰ فيه تعزية النفس وتسليتها عما ينزل بها من البلاء، حيث يبشر بالخير، فيسوق البشارة بين يدي البلاء؛ لتطمئن النفس ويهدأ القلب، ويتقبل العبد المصيبة بالصبر والرضا، مثل قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ٣٤].

☆ واعلم -رزقني الله وإياك الصدق والصواب- أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ ترىٰ فيه أنه يتناول الأمور العقدية بواقعية تتناسب مع الفطرة الإنسانية، وتتلائم مع يسر العقيدة وسماحتها، انظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النمل: ٥٩- ٦٠]. وانظر إلىٰ الآيات التي بعدها.

☆ واعلم -استعملني الله وإياك في مرضاته- أن القرآن الكريم كلام الله ﷻ يعالج المشكلات الاجتماعية بحلول مناسبة للظروف التي وقعت فيها، وهو يتولىٰ تربية جيل سيؤول إليه أمر الحياة، انظر إلىٰ قول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ

وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢].

☆ ثم انتبه -أكرمني الله إياك بالهمة العالية والبصيرة النافذة- أن من أبرز أساليب القرآن كلام الله ﷻ لمعالجة مشكلات النفوس وأدوائها، ومشكلات التعامل مع الخلق وخطورتها، وخصوصًا إذا كان الأمر دعوة إلىٰ الله ﷻ --ذكر قصص الأنبياء.

يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة يوسف: ١١١].

أهمية هذه القصص:

١- هي دليل علىٰ نبوة النبي محمد ﷺ قال تعالىٰ في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٢]، وقال ﷻ في قصة زكريا ويحيىٰ وعيسىٰ ومريم عليهم السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران: ٤٤]، وقال ﷻ في قصة موسىٰ عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة القصص: ٤٤ - ٤٥].

وفي زماننا جرىٰ التطاول مع شديد الأسف علىٰ النبي محمد ﷺ ، وهنا يأتيك هذا القصص من القرآن معجزة النبي ﷺ الخالدة؛ ليثبت يقينك، ويكمل تصديقك، ويعلو تعظيمك لحبيبك ونبيك محمد ﷺ .

٢- دليل علىٰ أن كل ما في هذا القرآن حق وصدق، وأن ما خلافه كذب وزور وباطل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [سورة آل عمران: ٦٢].

فقصص الأنبياء في القرآن هو القصص الحقيقي لحياة الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم،

فكل ما ورد في القرآن من القصص فهو حق، سواء كان موضوعه عقيدة، أو دعوة، أو تشريعًا، أو توجيهًا، وكل ما خالف القرآن مما تسمعه وتقرؤه من كتب التاريخ والإسرائيليات باطل قطعًا، كذب بغير شك.

٣- تظهر أهمية هذه القصص حين تعلم أنه كلام الله تعالىٰ قصه ﷻ علىٰ رسوله ﷺ، وجاء الأمر صريحًا إلىٰ الرسول ﷺ أن يقص هذا القصص علىٰ الناس، قال ﷻ: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦].

فنحن نقص عليك هذه القصص استجابة لنفس الأمر، وتحقيقًا لنفس الأمر، وتحقيقًا لنفس الغرض والغاية والهدف؛ لغرض التفكر والاتعاظ والاعتبار والعمل؛ فإن هذه القصص تحتاج فعلًا إلىٰ التفكر؛ لتحصل لك الدهشة في مواقف، والعجب في مواقف، بل والضحك والاستغراب في مواقف، والبكاء والألم في مواقف أخر، إنها قصص حية من واقع حقيقي.

٤- في زمن كثرت فيه القصص وكثر القصاصون، وذاع الباطل بين الناس ما بين روايات مكتوبة مكذوبة، ومسلسلات في الجرائد والإذاعات المسموعة والمرئية مسفة مملة، ورضي الناس بالدون من نقل قصص الشائهين، نحتاج إلىٰ قصص جاد هادف لا غنىٰ لنا عنه، إنه قصص الأنبياء في القرآن، يقول ربنا ﷻ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فقد جمعت هذه القصص الحسن كله كما أخبر الله ﷻ.

فالقصة أسلوب أخاذ يستحوذ علىٰ القلوب، ويسيطر علىٰ النفوس، ويهيئ العقول لحسن التلقي، فتذعن له في يقين، وتسلم بالنتائج في رضا وثقة، حتىٰ إنك وأنت تقرأ القصة أو تستمع إليها يخيل إليك أنها تعالج واقعًا تعيش فيه، ويعيش معك فيه المجتمع الذي أنت جزء منه، ذلك لأن مشكلات العالم مهما تباينت الأزمنة ومهما اختلفت البيئات، ومهما تغيرت الظروف تكاد تكون واحدة، غير أنها تتكرر في صور شتىٰ؛ لتعطي المشكلة حجمها الطبيعي في البيئة وفي الظروف التي تتكرر فيها، ومن هنا كانت قصص الأنبياء للعبرة لا للتسلية.

والقصة في القرآن من أبلغ أساليبه تأثيرًا في النفوس، وأعظمها إخضاعًا للقلوب: فأسلوبها الأخَّاذ، وعرضها الشيق، وعبرها البليغة، وحبكتها المؤثرة، وما تثيره في العقول عادة من حب الاستزادة والبحث وراء النتائج، كل ذلك كان له دوره في تقوية تأثيرها، وتعظيم موقعها من القلوب.

ولابد هنا من أن أُحَدِّد الهدف من هذه القصص تحديدًا واضحًا فأقول: إن الهدف من قصص الأنبياء عليهم السلام عمومًا:

أولًا: التفكر والاتعاظ، فهذا القرآن، كلام الله تعالى، وقد أمرنا بالتدبر، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة ص: ٢٩]، فلابد أن نفتح عقولنا وقلوبنا لما نسمع من آيات الله، وأن نعتبر ونتعظ، وأن نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق ومعان وأنماط من أخبار الأنبياء عليهم السلام وما أصابهم وأصاب قومهم، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة يوسف: ١١١].

لم ترد قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن لمجرد الترفيه والتسلية، ولذلك كانت وظيفتها الحقيقية تحتم عليها أن تكون أعظم من أن تسرد سردًا مسليًّا، أو تعرض عرضًا ممتعًا فقط، إن قصص الأنبياء في القرآن؛ إنما أخذت منزلتها بين آياته لما توحيه من العبرة التي تحملها بين أحداثها، ولقوة تأثيرها علىٰ العقول حتىٰ تخضعها لما تحمله من هذه العبر.

نعم.. إن في قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن عبرة تنفذ إلىٰ القلوب فتهزها هزًّا يردها إلىٰ الصواب، ويعيدها إلىٰ الحق ويثبتها عليه.

ثانيًا: في قصص الأنبياء عليهم السلام بيان لسنن الله تعالى في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد، وهي سنن جرت علىٰ الماضين، وتجري علىٰ اللاحقين؛ ليعتبرها المؤمنون، فلابد لنا من أن ندرس ونفهم ونتأمل هذه السنن الربانية في النصر

والتمكين، وفي الصبر والبلاء، وفي العافية والانتقام، متىٰ يكون كل ذلك؟ قال ﷻ: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [سورة فاطر: ٤٣].

ثالثًا: في قصص الأنبياء عليهم السلام بيان لمناهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، والتزامهم بها وصبرهم عليها، وقد أمرنا الله ﷻ بالتأسي بهم فيها، فقال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠]. وقال ﷻ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ [سورة فصلت: ٤٣]، وقال ﷻ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

رابعًا: في قصص الأنبياء عليهم السلام نماذج للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين الصابرين، الثابتين علىٰ الحق، ففي هذا تعزية لحال النبي ﷺ ومن يأتي بعده من أتباعه، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الأنعام: ٣٤].

خامسًا: في قصص الأنبياء عليهم السلام بيان لسلوك المعاندين وأفعالهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض، وعلاقتهم مع الشياطين، وكيف نواجه ذلك قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة الأنعام: ١١٢- ١١٧].

سادسًا: في قصص الأنبياء عليهم السلام تثبيت للأفئدة، وتعميق لعقيدة أن العاقبة للمتقين، وأن النصر للمؤمنين: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ

وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة هود: ١٢٠].

سابعًا: في قصص الأنبياء عليهم السلام تدريب وافٍ علىٰ الجدال بالتي هي أحسن وتوجيه إلىٰ كيفية إظهار الحق، والإلزام بالحجة، وتفويت الفرصة علىٰ المجادل الذي يريد العنت وتشويه الحقيقة.

ثم في النهاية لابد من الإشارة إلى أنه:

☆ قد تتكرر القصة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد، في كل منها فائدة لا توجد في الأخرىٰ، حاولنا تجميع أطرافها؛ لتتسق في نسق واحد، مع تجميع الفوائد في نهاية القصة.

☆ وقد شملت قصص الأنبياء عليهم السلام مساحة كبيرة من القرآن بحيث لا تكاد تخلو منه سورة، وبعض السور استغرق القصص آياتها، كسورة القصص وسورة يوسف عليه السلام، فنجتزئ منها سياق الأحداث فقط؛ فإن كل اعتمادنا في القصص علىٰ القرآن الكريم وحده.

☆ ذكر الله لنا قصص بعض الأنبياء، ولم يذكر لنا قصصهم كلهم، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [سورة النساء: ١٦٤]، فعدد الرسل كثير جدًا؛ وإنما اكتفينا بالقصص الوارد في القرآن فحسب، وسبحان الملك! تجد أن عدد الأنبياء المذكورين في القرآن ستة وعشرون نبيًا، ومن قص علينا القرآن قصتهم هو هذا العدد تحديدًا، ولذلك تجد في هذا الكتاب قصة هؤلاء الأنبياء تحديدًا ستة وعشرين قصة؛ لأن الإيمان بهم تفصيلًا واجب شرعي، والإيمان بمن لم تذكر قصته ولم يذكر اسمه إيمان إجمالي بكل أنبياء الله ورسله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾.

☆ ومن ثم فإن من لم يذكر الله سبحانه وتعالى قصصهم من الأنبياء أضعاف أضعاف من ذكرهم، بل إن الأنبياء المذكورين في القرآن لم تذكر قصصهم مفصلة، بل المذكور جزء يسير من قصصهم، ومشاهد مختارة من حياتهم؛ إنما ذكرت ليتحقق منها الهدف

الذي هو الاتعاظ والعبرة.

☆ سميت بعض السور بأسماء بعض الأنبياء الذين وردت قصتهم في القرآن، وهي سور: يونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، ومحمد، ونوح عليهم السلام.

☆ قصص بعض الأنبياء مطولة، كقصة إبراهيم، وقصة موسىٰ، وقصة يوسف عليهم السلام.

☆ وقصص بعض الأنبياء متوسطة في الطول، لا هي قصيرة ولا هي مطولة، كقصة يونس، وقصة سليمان، وقصة داود، وقصة لوط عليهم السلام.

☆ وقصص بعض الأنبياء قصيرة كقصة إسماعيل وقصة إسحاق عليهم السلام.

☆ وهناك بعض الأنبياء لا نعرف عنه في القرآن إلا اسمه، مثل إلياس واليسع وذا الكفل عليهم السلام.

☆ هناك قصص لا نجزم بأن أصحابها أنبياء، كقصة لقمان.

☆ وهناك قصص متصلة مع قصص الأنبياء، كقصة أم موسىٰ، وقصة مريم عليها السلام.

☆ قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن ليس هدفها العرض الشامل الدقيق، ولا متابعة كل الوقائع بالتفصيل الدقيق الطويل، ولا السرد التاريخي المنظم، لذلك سنجد حلقات مفقودة لا يجب علينا ولا يلزمنا تحديدها أو تعيينها، فهي مبهمات مقصودة، خصوصًا فيما يتعلق بتحديد زمان أو مكان أو أسماء أشخاص أو بلدان، علينا أن نبقيها علىٰ إبهامها؛ لأن هناك غيب يجب أن نستسلم له، فلا يجب أن نبحث أو نلهث وراء الإسرائيليات والتفاصيل، بل نكتفي بما أفاد الله سبحانه وتعالى ونستفيد منه بالقدر الممكن.

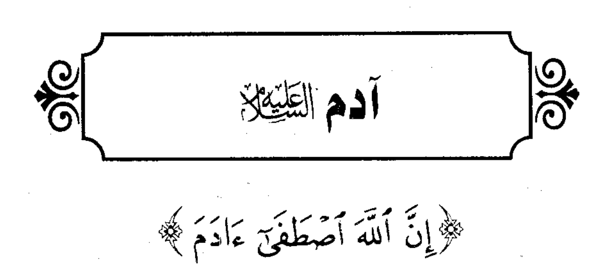
يـا ابن الإسـلام

** أنـا أحبك في الله **



قَصَصُ الأَنْبِيَاءِ





آدم عليه السلام

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾

بداية الخليقة:

ولدي الحبيب، يا ابن الإسلام. . .

إذا أردت البداية فتعال لأحكي لك القصة من البداية، قال رسول الله ﷺ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**» [صحيح البخاري (٣٠١٩)].

في البداية الأولي كان الله ولا شيء مع الله، ولا شيء سوي الله تعالى فهو الأول، ليس قبله شيء، وله وحده العظمة والجلال، وله وحده الكبرياء والجمال.

قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**» [صحيح مسلم (٢٧١٣)].

ثم أراد الله سبحانه وتعالى بحكمته، وفضله، ورحمته، وعظمته أن يخلق الكون...

أراد أن يخلق الأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب...

أراد أن يخلق البحار، والرياح، والزهور، والفراش، والأسماك، والطيور، والحيوانات...

أراد أن يخلق البشر، الإنس والجن، والملائكة والعالمين...

أراد أن يخلق كل شيء.

وعندما يريد الله شيئًا؛ فإنه يأمره بأن يوجد؛ يقول له: كن. فيكون على الفور، سبحانه وتعالى، هو القادر على كل شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يس:٨٢]، وهكذا أمر الله السماوات والأرض وما بينهما أن تتكون أو تكون في ستة أيام، وهذه الأيام الستة من أيام الله لا تشبه أيامنا التي نعيشها الآن على الأرض؛

لأننا نحسب اليوم بدورة الأرض مرة حول نفسها أمام الشمس، وهنالك لم تكن هناك شمس ولا أرض، فالحساب إذًا يختلف، هذا غيب لا نعرف عنه إلا ما حدثنا به الله، والغيب هو الشيء الذي يغيب عن عقولنا فلا ندركه، وكل ما غاب عنا، وحدثنا عنه الله، فهو الصدق و اليقين، ولذلك فلن أحكي لك إلا ما أخبرنا الله به، وقصه علينا في القرآن، ونقف عند حدودنا، ونكتفي بما أخبرنا الله به، ونقنع ونرضىٰ، ولا نبحث عن غيب أخفاه الله ﷻ عنا.

أخبرنا ﷻ أنه خلق الأرض في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، ثم استوىٰ إلىٰ السماء وهىٰ دخان فسواهن سبع سموات في يومين، وأوحىٰ في كل سماء أمرها، وزين السماء الدنيا بمصابيح تنيرها وتزينها، وجعلها رجومًا للشياطين وحفظًا للسماء، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمىٰ، ثم استوىٰ علىٰ العرش استواء يليق بجلاله وكماله ﷻ.

وعندها خضع له كل شيء، وسجد له كل شيء، وقدَّسه كل شيء، واحتاج إليه كل شيء، والله هو الغني الذي لا يحتاج إلىٰ أحد، ويحتاج إليه كل أحد. ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورىٰ:١١].

عاشت في السماء كائنات خلقها الله من النور وسماها الملائكة، وقال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**» [صحيح مسلم (٦٠)]، والملائكة جنود الله، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يعبدون الله الليل والنهار لا يفترون ولا يسأمون.

وبعد الخلق عاشت بين السماء والأرض مخلوقات خلقها الله ﷻ من النار وسماها الجن، والجن مخلوقات لا يراهم أحد، منهم الطيب ومنهم الفاسد.

ويبدو -والله أعلم- أنه عاشت علىٰ الأرض مخلوقات أخرىٰ كانت تفسد فيها وتحارب وتسفك الدماء.

وقضىٰ الله ﷻ وأراد جل شأنه أن يخلق البشر فقال ﷻ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

ويوحي قول الملائكة هذا بأنه كان لديهم من تجارب سابقة في الأرض، أو من إلهام البصيرة، ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حياته علىٰ الأرض؛ ما يجعلهم يعرفون أو يتوقعون أنه سيفسد في الأرض، وأنه سيسفك الدماء، ثم هم بفطرة الملائكة البريئة التي لا تتصور إلا الخير المطلق، وإلا السلام الشامل يرون التسبيح بحمد الله والتقديس له، هو وحده الغاية من الوجود، ويظنون أن العبادة فقط هي مراد الله من خلق الخلق، وإذا كان الأمر كذلك فهو متحقق بوجودهم، فهم يسبحون بحمد الله ويقدسون له، ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته.

وسبحان الملك! فالملائكة رغم قربهم من الله، وعبادتهم له، وتكريمه لهم، لا يزيدون عن كونهم عبيدًا لله، لا يشتركون معه في علمه، ولا يعرفون حكمته الخافية علىٰ المخلوقين، وغيبه المستور الذي لا يعلمه إلا هو، وتدبيره ﷻ، لقد خفيت عليهم الحكمة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنميه الحياة و تنويعها، علي يد خليفة الله في أرضه، هذا الذي قد يفسد أحيانًا، وقد يسفك الدماء أحيانًا، عندئذٍ قال الله سبحانه العليم بكل شيء، والخبير بمصائر الأمور: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أدركت الملائكة حينذاك أن الله ﷻ سيجعل في الأرض خليفة، وقضىٰ الله ﷻ أمره إليهم تفصيلًا، فقال: إنه سيخلق بشرًا من طين، فإذا سواه ونفخ فيه من روحه؛ فيجب علي الملائكة أن تسجد له.

قال الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

خلق آدم من تراب:

وهذا الخليفة هو آدم ﷺ أبو البشر، وأول مخلوق من البشر، وينسب إليه البشر خلقه الله ﷻ في البداية من تراب، قال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [سورة آل عمران: ٥٩] وقال رسول الله ﷺ: **«أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»** [حسن، أبي داود (٥١١٦)].

وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ»** [صحيح أبي داود (٤٦٩٣)]، فالتراب الذي خلق منه آدم ﷺ جمع ألوان التراب المختلفة وصفاته المتعددة، وهذا سر اختلاف الناس في ألوانهم لاختلاف ألوان تراب الأرض، وسر اختلاف الناس في نفسياتهم وطبائعهم ومشاعرهم؛ لاختلاف طبيعة تراب الأرض، فانظر -أيها الحبيب اللبيب- من أي تراب الأرض خلقت؟!

ثم عجنت هذه القبضة من التراب بالماء؛ فصارت طينًا، ثم جفَّ ويبس حتىٰ صار كالفخار، وكان آدم ﷺ، في هذه المراحل جسدًا، مجرد جسد بلا روح ولا حياة، فبعد أن خلقه الله من الطين، صوَّره سوَّاه وجعله تمثالًا كجسمه علىٰ صورة إنسان، وتركه في الجنة مدة من الزمن لا يعلمها إلا الله، قال الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [سورة الإنسان:١].

ولما كان آدم في هذه الفترة كان إبليس وهو وقتها من أكابر الجن ينظر إليه ويتعجب، يدور حول هذا الجسد ينظر إليه فاحصًا متعجبًا، قال رسول الله ﷺ: **«لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الجَنَّةِ تَرَكَهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ؛ عَرَفَ أَنَّهُ خَلْقٌ لا يَتَمَالَكُ»** [صحيح مسلم (٢٦١١)] ثم نفخ الله فيه من روحه في آخر ساعة من يوم الجمعة.

متى خلق آدم؟

قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَ آدَمُ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَىٰ اللَّيْلِ**» [صحيح مسلم (٢٧٨٩)]، ولما نفخ الله الروح في جسد آدم عطس فشمته الله، قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللهُ يَا آدَمُ**» [صحيح الترمذي (٣٠٠٢)].

وتحرك جسد آدم ودبت فيه الحياة، وصار إنسانًا يتنفس، فتح آدم عينيه فرأىٰ الملائكة كلهم ساجدين له ماعدا واحدًا يقف هناك، قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾[سورة ص:٧٥ - ٧٦].

إنه الحسد ينضح من هذا الرد، وهذه خطورة مرض الحسد -عافانا الله وإياك منه- حسد إبليس اللعين آدم ﷺ، حسده علىٰ تفضيل الله له وتكريمه له، ونتيجة الحسد أن عصىٰ إبليس ربه، ورفض السجود، ورد الأمر، ونتيجة الكبر والغرور ورؤية النفس قال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾، مع العلم أنه لا فضل للنار علىٰ الطين مطلقًا، فكلها من مخلوقات الله، ولا سبيل إلي التفضيل إلا ما فضله الله.

هنا قضىٰ الله ﷻ بطرد هذا المخلوق المتمرد القبيح: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾.

هو الطرد واللعنة والغضب جزاء التمرد والتجرؤ علىٰ أمر الله الكريم.

هنا تحول الحسد إلىٰ حقد، وإلىٰ تصميم علىٰ الانتقام في نفس إبليس: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

وأراد الله ﷻ للحكمة المقدرة في علمه أن يجيبه إلي ما طلب، وأن يمنحه الفرصة التي أراد: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾ وكشف

الشيطان عن هدفه الذي ينفق فيه حقده: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

إنه يقسم بعزة الله ليغوين جميع الآدميين، لا يستثني إلا من ليس له عليهم سلطان، وهم عباد الله المخلصون -جعلنا الله منهم- لا تطوعًا منه ولكن عجزًا عن بلوغ غايته فيهم، وبهذا يكشف عن الحاجز بينه وبين الناجين من غوايته وكيده، والعاصم الذي يحول بينهم وبينه؛ إنه عبادة الله التي تخلصهم لله، هذا هو طوق النجاة، وحبل الحياة، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

هي المعركة إذًا بين الشيطان وأبناء آدم، يخوضونها علىٰ علم، والعاقبة مكشوفة لهم في وعد الله الصادق الواضح المبين، وعليهم تبعة ما يختارون لأنفسهم بعد هذا البيان، وقد شاء الله برحمته ألا يدعهم جاهلين ولا غافلين، فأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين.

كان آدم يتابع ما يحدث حوله ويحس بالحب والرهبة والدهشة:

حب عميق لله الذي خلقه، وكرمه، وأسجد له الملائكة..

ورهبة شديدة من غضب الخالق حين طرد إبليس من رحمته بسبب معصيته..

ودهشة من هذا المخلوق الذي يكرهه، ويتصور أنه أفضل منه، ويتمنىٰ له الضرر..

❊ ومنذ اللحظة الأولى أدرك آدم أن إبليس عدوه ❊

سجود تكريم لسمو الروح:

انتبه -أيها الابن اللبيب- إلىٰ هذه المرحلة، وهي أمر الله ﷻ للملائكة بالسجود لآدم، وهي سجدة تكريم واحتفاء بالمخلوق الجديد.

ويجب عليك أن تنتبه إلىٰ أن آدم عليه السلام لم ينل ذلك الشرف الرفيع إلا بعد أن نفخ

الله فيه الروح، هذا دليل واضح علىٰ أن الإنسان لا ترتفع مكانته ولا يعلو شأنه في الدنيا أو في الآخرة إلا عن طريق السمو الروحي، فمن سما بروحه وأعطاها حقها من الطاعة والعبادة؛ سخر الله له الملائكة أيضًا يستغفرون له ويدعون له: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» [صحيح البخاري (٤٣٤)]، فإذا سموت بروحك وأطعت مولاك أكرمك بأن سخر لك ملائكته، يستغفرون لك ويدعون الله لك.

فضل العلم:

ثم تأتي المرحلة الحاسمة بتأهيل آدم عليه السلام للحياة، بتلك الخاصية التي خوَّلته أن يكون خليفة في الأرض، وهيأته لأن يكون جديرًا بفرض سلطانه وبسط نفوذه في جنباتها وهي العلم، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، يعني: عرفه أسماء الكائنات كلها، وكان مما علمه له السلام، قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تعالىٰ: يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَىٰ أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَىٰ مَلإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكُ، وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ**» [صحيح الترمذي (٣٠٠٢)].

ثم ألزم الله تعالىٰ الملائكة أن يتعلموا من آدم، اعترافًا بفضله وتقديرًا لعلمه: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ سألهم الله عن أسماء الكائنات؛ كي يستبين لهم عجزهم، ويظهر لهم قصور علمهم فلما أرادوا الرجوع إلىٰ سابق علمهم لم يجدوا إلىٰ الجواب سبيلًا، فأقروا بجهلهم فقالوا: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ ولما كان آدم قد علمه الله بفضله وأكرمه من علمه تعالىٰ وهو بكل شيء عليم، أمره الله أن ينبئهم بما عجزوا عن معرفته،

ويخبرهم بما قصرت عنه مداركهم بيانًا لفضله، وإظهارًا لحكمة استخلافه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ فناداهم ربهم: ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ وهكذا علا شأن آدم في أعين الملائكة بعدما اكتشفوا أنه يعلم ما لا يعلمون فأذعنوا، وصار دائمًا علو المكانة للآدمي بهاتين: أن يكون متعلمًا معلمًا، قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» [صحيح البخاري (٤٦٣٩)]، وقال ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْر اللهِ وَمَا وَالاهُ وَعَالِم أَوْ مُتَعَلِّم**» [صحيح الترمذي (١٨٩١)].

بهذه الميزات التي خص الله بها آدم أبا البشر عليه السلام استحق أن يكون في منزلة تليق بمكانته وعلو شأنه، فأسكنه الجنة دار الكرامة والخلود، وهكذا حظي آدم عليه السلام بأربع تشريفات:

☆ خلقه الله تعالى بيده الكريمة.

☆ نفخ فيه تعالى من روحه.

☆ أمر جل جلاله الملائكة بالسجود له.

☆ تعليمه أسماء كل شيء.

كيف خلقت حواء؟

ثم خلق الله حواء..

كان من زيادة إكرام الله تعالى لآدم عليه السلام أن خلق الله له زوجًا يسكن إليها، وخلقها من جنسه حتىٰ تنسجم معه ولا تنفر من طبعه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ خلق الله حواء من ضلع من أضلاع آدم؛ لتكون جزءًا من لا يستغني عنه، وكانت من ضلعه الأيسر؛ لتكون أقرب إلىٰ قلبه وأحب إلىٰ نفسه..

ثم جاء أمر ربنا العلي تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [سورة البقرة: ٣٥].

ليزيد في سعادته بذكر زوجته، وأنها سترافقه في نعيمه ولن ينفرد فيه وحده.

وسكن آدم الجنة، وسار يتمتع فيها هو وزوجه من كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فقد أطلق الله ﷻ لهما العنان في اجتناء ما يريدان من ثمارها وعدًا حقًا، قال ﷻ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾.

ونهاه ربنا عن شجرة واحدة حددها سبحانه وأشار إليها تعيينًا لها، بل وأكد التحذير تمامًا بعدم الاقتراب: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثم حذره ﷻ كيد عدوه اللدود الذي أفصح عن عداوته بعدم السجود، قال ﷻ: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧﴾.

إن أعدىٰ أعدائك حقيقة هو من يستخف بك، ويحتقر أصلك الذي خلقت منه، ولا يقف عند هذا الحد، بل يتبعه بالوعيد والتهديد، ويظل يتحين الفرص؛ لينفذ التهديد والوعيد.

ولذلك أكد الله ﷻ علىٰ آدم في كتبه المنزلة، وعلىٰ لسان أنبيائه ورسله بعداوه الشيطان لآدم وذريته، وخطورته والتحذير منه، ومع ذلك يأتي من بني البشر من يطيع الشيطان ويواليه في معصية الله سبحانه، ومن هذا يعجب ربنا، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ [سورة الكهف:٥٠].

الخطيئة: متابعة العدو:

فحز في نفس إبليس، وعز عليه أن ينعم آدم وزوجه بالجنة وهو مطرود من رحمة الله، مبعد عن جنته، وعزم علىٰ الثأر لنفسه.

فهم آدم وحواء عليهما السلام أنهما ممنوعان من الأكل من هذه الشجرة، غير أن آدم إنسان، والإنسان ينسي، وقلبه يتقلب، وعزمه ضعيف: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ۝١١٥﴾.

واستغل إبليس إنسانية آدم وجمع كل حقده في صدره، واستغل تكوين آدم النفسي، وراح يثير في نفسه، ويوهمه أنه صادق الود، مخلص في النصح: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾.

ثم راح يوسوس إليه يومًا بعد يوم بكلام معسول، وتزيين أرجي للقبول: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾. ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

ونسي آدم عليه السلام أن الله حذره من الاقتراب منها، نسي أن إبليس عدوه القديم، وأكل آدم وحواء من الشجرة المحرمة: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.

لم يكد آدم ينتهي من الأكل حتىٰ أحس بالألم والحزن والخجل، وبدت له عورته وكان الله قد سترها عنه فلم يرها، وبدأ هو وزوجته يقطعان أوراق الشجر؛ لكي يغطي بهما كل واحد منهما جسده العاري: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾.

وندم آدم علىٰ ما اقترف؛ فعلمه الله تعالى كلمات يقولها ليتوب عليه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

وهذه الكلمات هي التي ذكرها ربنا تعالى بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

قال رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ آدَمَ** عليه السلام **كَانَ رَجُلًا طِوَالًا، كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ، كَثِيرَ شَعَرِ الرَّأْسِ، فَلَمَّا وَقَعَ بِمَا وَقَعَ بِهِ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ، وَكَانَ لا يَرَاهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا، فَأَخَذَتْ بِرَأْسِهِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهَا: أَرْسِلِينِي، قَالَتْ: لَسْتُ مُرْسِلَتَكَ، قَالَ: فَنَادَاهُ رَبُّهُ** عز وجل: **أَمِنِّي تَفِرُّ؟ قَالَ: أَيْ رَبِّ لا؛ أَسْتَحِييكَ، قَالَ: فَنَادَاهُ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِي رَبَّهُ** عز وجل **مِنَ الذَّنْبِ إِذَا وَقَعَ بِهِ، ثُمَّ يَعْلَمُ بِحَمْدِ اللهِ أَيْنَ الْمَخْرَجُ، يَعْلَمُ أَنَّ الْمَخْرَجَ فِي الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ إِلَي اللهِ** عز وجل» [أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ في الفتح (٦/ ٣٦٧)].

الهبوط إلى الأرض:

أخطأ آدم وأكل من الشجرة المحرمة، ثم ندم وتاب الله عليه، وكان في بقائه في الجنة مدة فترة إعداد وتربية وتعليم وتدريب، تدريب علىٰ طاعة الأمر، واجتناب النهي، ومقاومة الشهوة، والحذر من العدو.

كانت فترة تدريب مهمة قبل النزول إلىٰ الأرض التي خلقه الله لها وهيأه وهيأها للعيش فيها، فلما تمت الحكمة من وجوده في الجنة، أمره الله بالهبوط إلىٰ الأرض هو وزوجته، و معهما إبليس وقبيله.

قال ﷻ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾.

وهبط آدم وحواء إلىٰ الأرض، ونهض آدم من عثرته، بما ركب في فطرته، وأدركته رحمة ربه التي تدركه دائمًا عندما يثوب إليها ويلوذ بها، وأخبرهما الله أن الأرض هي مكانهما الأصلي، يعيشان فيها، ويموتان عليها، ويخرجان منها يوم البعث. ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

وهنا انتهت فترة التدريب، وتعلم آدم عليه السلام الدرس، وعرف عدوه وعرف حبيبه، وعلم أين المخرج، وأمره الله ﷻ أن ينزل إلىٰ الأرض مذكرًا هذا الدرس دائمًا لنفسه ولأولاده بمعرفة العدو وسبب الطرد، وقال ﷻ: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الأعراف:٢٧].

من فوائد القصة:

١ – للإنسان عدو خطير هو إبليس وأعوانه من الشياطين، يريدون لبني آدم معصية ربهم؛ ليغضب عليهم ويدخلهم النار مع الشياطين، فلا تطع الشيطان إن وسوس لك بمعصية ربك ﷻ.

٢- لابد أن تعلم أن الخطأ والنسيان من طبيعة الإنسان، والمخرج في التوبة والاستغفار.

٣- كانت فترة وجود آدم ﷺ في الجنة للتدريب على الأمر والنهي: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وللتعليم بالتحذير والإنذار: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾، ولأن الإنسان من طبعه النسيان فقد جعل الله ﷻ مثل ذلك كل سنة فترة تدريب للإنسان؛ كي لا ينسى القضية التي خلق من أجلها، ولا يوالي عدوه في معصية مولاه، وهي فترة صيام شهر رمضان، يحرم عليه الحلال نهارًا ويباح له ليلًا؛ لتقوية عزيمته، وشحذ همته، وتذكيره بقضيته؛ فافهم.

٤- الخطيئة شؤم على صاحبها تحرمه من خير كثير، فجاهد ألا تخطئ، ومتى أخطأت فتب.

٥- إن إبليس يتخذ نفس الطريقة في إغواء بني آدم وهي التزيين؛ فاحذر منه ولا تصدقه.

٦- إن الحسد من أخطر الأمراض التي تورط صاحبها في السيئات والموبقات؛ فلا تحسد أحدًا، وسل الله من فضله.

٧- إن تكريم الله للإنسان يكون بقدر علمه وعمله، وقيمه كل امرئٍ ما يحسن؛ فتعلم يكرمك ربك ويشرفك.

الصراع على ظهر الأرض:

بدأت حياة آدم ﷺ على الأرض، خرج من الجنة مهاجرًا إلى الأرض، واستن بذلك لأبنائه وأحفاده من الأنبياء سنة الخروج والهجرة، قال ﷺ: «**الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**» [صحيح البخاري (١٠)].

ولكن هنا في الأرض كان عليه أن يواجه شقاءً وصراعًا لا ينتهي أحدهما إلا ليبدأ الآخر، وكان عليه أن يشقي ليأكل، وكان عليه أن يحمي نفسه بالملابس وغيرها،

ويحمي زوجته وأطفاله من الحيوانات والوحوش التي تعيش في الأرض، وكان عليه قبل هذا كله وبعده أن يستمر في صراعه مع روح الشر، إن الشيطان هو سبب خروجه من الجنة وهو في الأرض يوسوس له ولأولاده؛ ليدخلهم الجحيم، والمعركة بين الخير والشر لا تتوقف، ومن يتبع هدىٰ الله؛ فلا خوف عليه ولا يحزن أبدًا، ومن يعص الله، ويتبع إبليس فهو معه في النار يعذب فيها أبدًا.

لقد خلقنا الإنسان في كبد:

لما نزل آدم وحواء عليهما السلام إلي الأرض، بدأ نظام الحياة علىٰ الأرض يكتمل؛ لأنهما خلقا لها، فتهيأت حواء لتستقبل أولادها، وبهم تأنس وتسعد مع زوجها آدم عليه السلام قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٨٩]، وكان آدم حفيًا بأولاده، وحواء مستبشرة بقدومهم، رغم ما قاست من أهوال وآلام، وهكذا الأم دائمًا تنتشي برخاء العطف والحنان مع الأب والأولاد، فإذا هي قريرة العين باردة الفؤاد.

وكانت حواء تلد في البطن الواحدة ابنًا وبنتًا، وكبر أبناء آدم عليه السلام وتزوجوا، وملأوا الأرض نسلًا، ودعاهم آدم إلىٰ الله تعالى.

ولقد وضعت السيدة حواء في حملها الأول توأمًا: ذكرًا وأنثىٰ، وبعد فترة وجيزة وضعت حمله الثاني وكان أيضًا ذكرًا وأنثىٰ، وسمىٰ سيدنا آدم ابنه الأول قابيل، وابنه الثاني هابيل، وقد وضع الله تعالى لآدم قانونًا خاصًا للزواج بين أبنائه الذكور والإناث، فلا يجوز أن يتزوج أخ من أخته التي ولدت معه في نفس المرة.

وفي يوم جاء هابيل وطلب من أبية أن يتزوج أخت قابيل، فوافق آدم عليه السلام، ولكن قابيل رفض، فقد كان يريد أن يتزوج توأمه، وأخذ إبليس يتدخل ويزرع الحقد والحسد في نفس قابيل.

فأمرهما آدم عليه السلام أن يقدما قربانًا إلي الله تعالى، والقربان الذي يتقبله الله يتزوج

صاحبه أخت قابيل، وكان قابيل مزارعًا، أما هابيل فكان يملك بعض الأغنام.

وأسرع هابيل إلي غنمه واختار أفضل واحدة؛ ليقدمها قربانًا إلىٰ الله ﷻ بينما سار قابيل إلىٰ زرعه وأخذ بعض الأعواد من أسوأ الأنواع وقدمها قربانًا لله، ووقفا ينتظران في لهفة وترقب، وهبطت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، لقد تقبل الله قربان هابيل؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

غضب قابيل غضبًا شديدًا؛ لأن الله تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه، وهو يعلم أنه السبب ولكن امتلأت نفسه بالحقد وقرر أن يقتل أخاه، وكان هابيل قويًا شديدًا ويمكنه أن يدافع عن نفسه، ولكنه كان يخاف الله ويدرك أنه لو قتل أخاه سيرتكب معصية كبيرة.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٢٧-٢٨]. وأراد هابيل أن ينبه أخاه إلىٰ أن جزاء من يقتل أخاه النار، فقال له: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وهذا دليل علىٰ أن آدم عليه السلام كان رسولًا، وأنه دعا بنيه، وعرفهم بالآخرة والجنة والنار، وحذرهم من الظلم.

وقدر لآدم عليه السلام أن يشهد أول إنحياز من أحد أبنائه لروح الشر إبليس، ووقعت أول جريمة قتل علىٰ الأرض، قتل قابيل هابيل، قتل الشرير أخاه الطيب، مرتكبًا أول جريمة قتل في البشرية، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتْلَ**» [صحيح البخاري (٣١٥٧)].

ولكنها النفس الإنسانية حين تطغىٰ وتنسىٰ، فلا تذكر إلا شهوتها، ويستولىٰ عليها عدوها الشيطان، فتستهين بالأصول وتتجاوز الحدود: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

أول جريمة على الأرض:

وقتل قابيل هابيل، ثم جلس القاتل أمام شقيقه المضرج في دمه، ماذا يقول لأبيه لو سأل عنه؟! لقد شاهدهما يخرجان معًا؛ فكيف يعود وحده؟! ولو أنكر أمام أبيه أنه قتل شقيقه؛ فأين يخفي جثته؟! أين يذهب بها؟! كان هذا الأخ القتيل أول من يموت علىٰ الأرض، ولم يكن دفن الموتىٰ شيئًا قد عُرف بعد، وحمل الأخ جثة شقيقة وراح يمشي بها يطوف في الأرض.

وسبحان الملك الرحيم سبحانه، أرحم بالإنسان من نفسه، عطف الله عليه ولطف به، فبينما هو غارق في حيرته أرسل الله غرابين يقتتلان، فقتل أحدهما الآخر، ثم حفر الغراب حفرة في الأرض، ووضع فيها الغراب المقتول ثم غطاه بالتراب، وهكذا علمه الله كيف يتصرف في جثة أخيه: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾﴾.

فندم قابيل ندمًا شديدًا: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ وحفر حفرة في الأرض ودفن أخاه وهو يبكي نادمًا.

نقص أبناء آدم عليه السلام واحدًا وكسب الشيطان واحدًا من أبناء آدم، وحزن آدم حزنًا شديدًا علىٰ خسارته في ولديه، مات أحدهما، وكسب الشيطان الثاني.

وعاد آدم عليه السلام إلىٰ حياته علىٰ الأرض: إنسانًا يعمل ويشقي ليصنع خبزه، ونبيًا يعظ أبناءه وأحفاده ويحدثهم عن الله ويدعوهم إليه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الأنبياء أول؟ قال: «**آدَمُ**» قلت: أونبيًّا كان؟ قال: «**نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**» [صحيح مشكاة المصابيح (٥٧٣٧)]، وكان آدم عليه السلام يحكي لهم عن إبليس ويحذرهم منه، ويروىٰ لهم قصته هو نفسه معه، ويقص لهم قصته مع ابنه الذي دفعه لقتل شقيقه.

كان يوم الجمعة يومًا حاسمًا في حياه آدم عليه السلام، ففي هذا اليوم خلق، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه أيضًا توفي آدم عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ**

أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ قُبِضَ» [صحيح أبي داود (١٠٧٤)].

وفاة آدم عليه السلام:

وعندما حضرته الوفاة، استدعىٰ سيدنا آدم عليه السلام ابنه شيث، ولقنه العلوم والعبادات التي عرفها، حتىٰ يواصل شيث رسالة سيدنا آدم التي بدأها.

قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ قَالَ لَهُ -وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ-: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَا رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ ﷻ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ، قَالَ: يَا رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمَرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ، قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، قَالَ: فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالكِتَابِ وَالشُّهُودِ» [صحيح الترمذي (٣٠٠٢)].

ورحل آدم عليه السلام؛ ليلقىٰ ربه بعد أن أدىٰ رسالته، وبعد أن انتشر أبناؤه في أرجاء الأرض ليعمروا الكون.

فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر من بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيًا: ومعنىٰ شيث: هبة الله، وسمياه بذلك؛ لأنهما رزقا ه بعد أن قتل هابيل.

مرت الأيام..

وتوالت السنون..

وتتابعت الأحداث.. حتىٰ بعث الله تعالىٰ نبيه إدريس عليه السلام.

من فوائد القصة:

١- العدو لا يكف عن إثاره الشر عليك، ويجتهد في أن ينزغ بينك وبين إخوتك؛ فلا تطع الشيطان، وأظهر حبك لإخوانك.

٢- الطمع والحسد والأنانية شر ما يبتلىٰ به الإنسان، وهما طريق كل سيئة.

٣- الله رحيم كريم ودود، لاينسىٰ عبده ولا يطرده وإن عصاه، بل هو سبحانه الصبور؛ فاحمد ربك أن هداك للإسلام، واذكره واشكره ولا تعصه.



إدريس عليه السلام

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

إدريس عليه السلام هو أحد الرسل الكرام الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز، وممن يجب الإيمان بهم تفصيلًا، أي: يجب اعتقاد نبوته ورسالته علىٰ سبيل القطع والجزم؛ لأن القرآن قد ذكره باسمه وحدث عن شخصه فوصفه بالنبوة والصديقية.

كان صديقًا نبيًا ومن الصابرين، أول نبي بعث في الأرض بعد آدم عليه السلام علىٰ ما نعلم من القرآن، وهو أبو جد نوح عليه السلام، أنزلت عليه ثلاثون صحيفة، ودعا إلىٰ وحدانية الله تعالى، وآمن به ألف إنسان، وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبسها، وأول من نظر في علم النجوم وسيرها، وسمي إدريس لكثرة دراسته ومذاكرته لصحف آدم عليه السلام.

إدريس عليه السلام هو أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام، وذكر ابن إسحاق أنه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام ثلاثمائة وثمان سنوات؛ لآن أدم عليه السلام عمر طويلًا زهاء ألف سنة.

وقد ولد إدريس عليه السلام ببابل، وقد أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم، ولما كبر آتاه الله النبوة فنهىٰ المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث عليهما السلام فأطاعه نفر قليل، وخالفه جمع غفير، فنوىٰ الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك، فخرج وخرجوا حتىٰ وصلوا إلي أرض مصر، وأقام إدريس عليه السلام ومن معه بمصر يدعو الناس إلىٰ الله وإلىٰ مكارم الأخلاق.

وكانت له مواعظ وآداب فقد دعا الله إلىٰ دين الله، وإلىٰ عبادة الخالق جل وعلا، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض علىٰ الزهد

في هذه الدنيا الفانية الزائلة، وأمرهم بالصلاة والصيام والزكاة وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة، وحرم المسكر من كل شيء من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد.

وهو أول من علم السياسة المدنية، ورسم لقومه قواعد تمدين المدن، فبنت كل فرقة من الأمم مدنًا في أرضها وأنشئت في زمانه مائة وثمانون مدينة وقد اشتهر بالحكمة فمن حكمة:

☆ قوله ﷺ: (خير الدنيا حسرة، وشرها ندم).

☆ وقوله ﷺ: (السعيد من نظر إلىٰ نفسه، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة).

☆ وقوله ﷺ: (الصبر مع الإيمان يورث الظفر).

وكان ﷺ يرفع له في كل يوم عمل جميع بني آدم من أهل زمانه، ولذلك رفع مكانًا عليًا، ثم مات إدريس ﷺ، ورفعه الله مكانًا عليًا في السماء الرابعة، كما رأىٰ النبي ﷺ في رحلة المعراج.

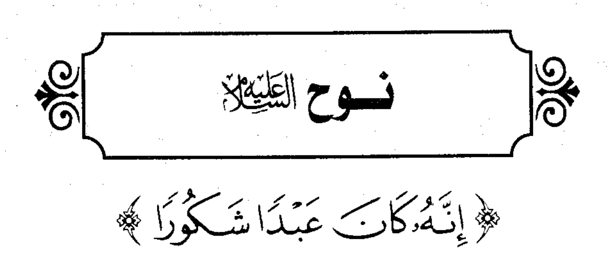
من فوائد القصة:

١- المكانة العلية والرتبة السنية لمن كان لله أعبد وبه أعلم؛ فكن لله كما يريد يكن لك فوق ما تريد، وإذا أردت العليا من الجنة؛ فعليك بالعليا من الأعمال في هذه الدنيا.

٢- العلم هو ميراث الأنبياء، ولابد لكل عالم من جذر يستقي منه علمه، ومكانة التلميذ من مكانة شيخه، فاقترب من العظماء؛ تكن عظيمًا، وتأس بالصادقين؛ تكن صادقًا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة التوبة:١١٩].

٣- الرحلة لتبليغ الدعوة ونشر الهدىٰ سنة لا تنقطع وسبيل لا يزول.

٤- العلم يورث الحكمة والسداد، ويجلب لصاحبه سعادة الدارين.



بداية الانحراف:

بعد موت نبي الله إدريس عليه السلام مضىٰ زمان الله أعلم به، وكان الناس لا يزالون علىٰ فطرتهم علىٰ التوحيد، وإن كانت انتشرت بينهم المعاصي والذنوب بتسويل الشيطان الرجيم، ثم تطاول الزمان حتىٰ بدأ الناس يعبدون الأصنام.

تعال معي؛ لتعرف قصة الأصنام والتماثيل من البداية، وكيف عبد الناس هذه الأصنام وكيف عبد الناس هذه الأحجار؟

ولد نوح عليه السلام بعد وفاة آدم عليه السلام بأكثر من ألف سنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَىٰ الإِسْلَامِ**» [السلسلة الصحيحة (٣٢٨٩)]، ونوح عليه السلام هو أول رسول إلىٰ أهل الأرض، وهو أحد أولي العزم من الرسل.

قبل أن يولد نوح عليه السلام عاش خمسة رجال صالحون من أجداد قوم نوح، عاشوا زمنًا ثم ماتوا كانت أسماء الرجال الخمسة هي (ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر)، كان هؤلاء الرجال يعلمون من حولهم دين الله الحق، ويدعونهم إلىٰ عبادة الله، ويساعدون المحتاج، ويعطفون علىٰ الفقير، حتىٰ أحبهم قومهم واقتدوا بهم، وعندما مات الرجال الخمسة حزن أصحابهم وأتباعهم أشد الحزن.

بعد موتهم صنع الناس لهم تماثيل علىٰ سبيل الذكرىٰ والتكريم، ومضىٰ الوقت، ومات الذين نحتوا التماثيل، وجاء أبناؤهم، وبعد أن مات الأبناء جاء أبناء الأبناء، نسجت قصص وحكايات حول التماثيل تعزو لها قوة خاصة، واستغل إبليس

فرصته وهي تمر إلىٰ جواره، وأوهم الناس أن هذه التماثيل آلهة تملك وتقدر علىٰ الضرر، وبدأ الناس يعبدون هذه التماثيل بتسويل الشيطان، وتهويل بني آدم زعموا أنهم جربوا ذلك فوجدوها تنفع، وهنا.. يبعث الأنبياء ويرسل الرسل، فالله العظيم يغار علىٰ جناب التوحيد، ويغضب حين يعبد غيره: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

نوح عليه السلام والدعوة إلى التوحيد:

كان نوح عليه السلام يعيش وسط هؤلاء القوم، وكان بمقياس العظمة أعظم إنسان في عصره لم يكن ملكًا في قومه، ولا رئيسًا عليهم، ولم يكن أغنىٰ رجل فيهم، فالعظمة الحقيقة ليست في الملك أو الرئاسة أو الغنىٰ كما يعتقد البعض الآن؛ إنما توجد العظمة في خضوع القلب لله ونقائه، وطهارة الضمير، وقيمة الأفكار التي يحملها العقل، وقدرة هذا العقل علىٰ تغيير الحياة حوله، وكان عند نوح عليه السلام هذا كله وأكثر.

كان علىٰ الفطرة مؤمنًا بالله تعالى، قبل بعثته إلىٰ الناس، وكل الأنبياء مؤمنون بالله تعالى قبل بعثتهم، وهناك سبب آخر لعظمة نوح عليه السلام، قال الله تعالى عن نوح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، كان يشكر ربه علىٰ كل نعمه، ويشكره ويحمده في السراء والضراء.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

واختار الله عبده الشاكر وأرسله نبيًا إلىٰ قومه، وخرج نوح عليه السلام علىٰ قومه فبدأ دعوته قائلًا: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

بهذه الجملة الموجزة وضع نوح عليه السلام قومه أمام حقيقة الألوهية، وحقيقة البعث، هناك إله خالق وحده الذي يستحق العبادة، وهناك موت ثم بعث ثم يوم للقيامة، يوم عظيم، فيه عذاب عظيم.

شرح نوح عليه السلام لقومه أنه يستحيل أن يكون هناك غير إله واحد هو الخالق،

أفهمهم أن الشيطان قد خدعهم زمنًا طويلًا، وأن الوقت قد جاء ليتوقف هذا الخداع، حدثهم نوح عليه السلام عن تكريم الله للإنسان، كيف خلقه ومنحه الرزق، وأعطاه نعمه العقل، وليست عبادة الأصنام إلا ظلم خانق للعقل، وأخبرهم بقصة هذه التماثيل، وأنها مصنوعة، صنعها بشر مثلهم، وأنه لا يملك هو نفسه ولا أحد ولا شيء من خلق الله نفعًا ولا ضرًا لأحد.

صراع بين الحق والباطل:

تحرك قوم نوح في اتجاهين بعد دعوته، لمست الدعوة قلوب الضعفاء والفقراء والبؤساء، وانحنت علىٰ جراحهم وآلامهم بالرحمة، أما الأغنياء و الأقوياء والكبراء، تأملوا الدعوة بعين الشك، ولما كانوا يستفيدون من بقاء الأوضاع علىٰ ما هي عليه، فقد بدأوا حربهم ضد نوح عليه السلام.

في البداية اتهموا نوحًا بأنه بشر مثلهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ رغم أن نوحًا عليه السلام لم يقل غير ذلك، وأكد أنه مجرد بشر، والله يرسل إلىٰ الأرض رسولًا من البشر؛ لأن الأرض يسكنها البشر، ولو كانت الأرض تسكنها الملائكة لأرسل الله رسولًا من الملائكة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

وهكذا دائمًا ستجد مع كل الأنبياء، يعترضون علىٰ شخص النبي، وهي حيلة للتهرب من الحق، فإن كل الأنبياء لا يطالبون الناس بعبادتهم؛ إنما يقولون: نحن بشر، ونحن رسل، ونحن مبلغون، ونحن لا نملك، ولكنها عقلية من يريد أن يرفض.

واستمرت الحرب بين الكافرين ونوح عليه السلام...

في البداية تصور الكفرة يومها أن دعوة نوح لا تلبث أن تنطفئ وحدها، فلما وجدوا الدعوة تجتذب الفقراء والضعفاء وأهل الصناعات البسيطة، وهم دائمًا أتباع الأنبياء، والمسارعون إلىٰ الحق، فبدأوا الهجوم علىٰ نوح عليه السلام من هذه الناحية، هاجموه في أتباعه، وقالوا له: لم يتبعك غير الفقراء والضعفاء والأراذل: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ

اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

هكذا اندلع الصراع بين نوح ﷺ ورؤساء قومه، ولجأ الذين كفروا إلىٰ المساومة، قالوا لنوح ﷺ: اسمع يا نوح، إذا أردت أن نؤمن لك؛ فاطرد الذين آمنوا بك، إنهم ضعفاء فقراء، ونحن سادة القوم وأغنياؤهم، ويستحيل أن تضمنا دعوة واحدة مع هؤلاء.

واستمع نوح ﷺ إلىٰ كفار قومه وأدرك أنهم يعاندون، ورغم ذلك كان طيبًا في رده، أفهم قومه بكل وضوح أنه علىٰ حق لم يعلموه، ولا يستطيع أن يكرههم عليه، ولا يطلب أجرًا ولا مالًا علىٰ دعوته، ولا يستطيع أن يطرد المؤمنين؛ لأنهم أولًا ليسوا ضيوفه؛ إنما هم ضيوف الله، ثم إن الرحمة ليست بيته الذي يدخل فيه من شاء أو يطرد منه من يشاء؛ إنما الرحمة بيت الله الذي يكرم به من يشاء: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

[سورة هود:٢٨- ٣١].

وعاد نوح ﷺ يقول لهم: إنه لا يدعي لنفسه أكثر مما له من حق، أخبرهم بتذلّله وتواضعه لله ﷻ، فهو لا يدعي لنفسه ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه علىٰ من يشاء من عباده، وهو لا يعلم الغيب؛ لأن الغيب علم اختص الله ﷻ وحده به، أخبرهم أيضًا أنه ليس ملكًا، بمعنىٰ أن منزلته ليست بمنزلة الملائكة، قال لهم نوح ﷺ: إن هؤلاء المؤمنين الذين تحتقرونهم لن تبطل أجورهم وتضيع مكانتهم لاحتقاركم لهم، الله أعلم بما في أنفسهم، هو الذي يجازيهم عليه ويؤاخذهم به، وأكون قد ظلمت نفسي لو قلت: إن الله لن يؤتيهم خيرًا.

وسئم الملأ يومها من مناقشة نوح عليه السلام لهم: ﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

قالوا: قد ضجرنا من مناقشتك؛ فأرسل علينا العذاب، وهذه حجة المفلس إذا أعيا ولم يستطع مواجهة الحق.

قال نوح عليه السلام: أنا لا أستطيع أن أعذبكم أو آتيكم بالعذاب؛ إنما أنا عبد مثلكم، وأمري وأمركم إلىٰ الله القدير علىٰ كل شيء.

وتستمر المعركة وتطول المناقشة بين الكافرين من قوم نوح عليه السلام وبينه، حتىٰ إذا انهارت كل حجج الكافرين، ولم يعد لديهم ما يقال؛ بدأوا يخرجون عن حدود الأدب ويسبون نبي الله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

صبر وثبات وحسن خلق:

ورد عليهم نوح عليه السلام بأدب الأنبياء العظيم: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

قال: أنا أعلم بمصلحتكم، وحريص علىٰ أن أنفعكم، وعلمني ربي ما ليس عندكم، فأطيعوني؛ تفلحوا وتنجحوا.

ويستمر نوح عليه السلام في دعوة قومه إلىٰ الله، ساعة بعد ساعة، ويومًا بعد يوم، وعامًا بعد عام، ومرت الأعوام ونوح يدعو قومه، كان يدعوهم ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهرًا، يضرب لهم الأمثال، يشرح لهم الآيات ويبين لهم قدرة الله في الكائنات، وكلما دعاهم إلىٰ الله فروا منه، وكلما دعاهم ليغفر الله لهم؛ جعلوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا عن سماع الحق، حكىٰ الله تعالىٰ ما لقيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ

ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة نوح: ٥-١٢].

وعد ووعيد، وترغيب وتهديد، ولكن صدئت القلوب، وأظلمت العقول، رفضوا الفهم: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

هكذا يطلب منهم أن يفتحوا أعينهم علىٰ السماء والأرض؛ ليعرفوا الخالق العظيم، ويعبدوه ولكن كانت عقولهم أظلم ووقلوبهم أقسىٰ من أن تلتفت عن عبادة الأصنام.

موقف قوم نوح من دعوته:

ماذا كان جواب قومه بعد هذا كله؟

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة نوح: ٢١-٢٤].

كان رد قوم نوح المكر والخداع، والمناورة والأذىٰ، والإصرار علىٰ الشرك، والتواصي به، والدعوة إليه، والحث عليه.

وصبر نوح عليه السلام طويلًا واستمر يدعو قومه إلىٰ الله ألف سنة إلا خمسين عامًا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وكان يلاحظ أن عدد المؤمنين لا يزيد، بينما يزيد عدد الكافرين، وظل نوح عليه السلام يدعو قومه ويجادلهم، وظل قومه علىٰ الكبرياء والكفر، وحزن نوح علىٰ قومه، لكنه

لم يبلغ درجة اليأس ولم يفقد الأمل، بل ظل محتفظًا بالأمل طوال تسعمائة وخمسين سنة.

وجاء يوم أوحىٰ الله إليه، أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، أوحىٰ الله إليه ألا يحزن عليهم: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ساعتها دعا نوح علىٰ الكافرين بالهلاك: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة نوح: ٢٦- ٢٧].

انتهي الأمر وجاء قضاء الله ﷻ، قضىٰ الملك حكمه علىٰ الكافرين: أن يغرقهم بالماء، وهكذا كلما لم تنفعهم النعمة؛ فلتقتلهم النعمة: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾.

وهنا.. أمر الله ﷻ عبده ورسوله نوح أن يصنع الفلك، يعني سفينة ضخمة كبيرة، وتعجب نوح عليه السلام في نفسه: سفينة لماذا؟ وكيف؟ وهو لم يكن نجارًا من قبل، والله يعلم ما يدور في النفوس، وما يخطر علىٰ القلوب، فطمأنه ﷻ بقوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ أي: بعلم الله وتعليمه، وعلىٰ مرأىٰ منه ﷻ وطبقًا لتوجيهاته ومساعدة الملائكة له، وقال الله ﷻ لنوح عليه السلام: ﴿وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ يغرق الله ﷻ الذين ظلموا مهما كانت أهميتهم أو قرابتهم للنبي، وينهىٰ الله نبيه أن يخاطبه أو يتوسط لهم.

وبدأ نوح يغرس الشجر ويزرعه؛ ليصنع منه السفينة، انتظر سنوات، ثم قطع ما زرعه، وبدأ نجارته، كانت سفينة عظيمة الطول والارتفاع والمتانة.

بناء سفينة النجاة:

بدأ نوح يبني السفينة ويمر عليه الكفار فيرونه منهمكًا في صنع السفينة، والجفاف سائد، وليست هناك أنهار قريبة أو بحار، كيف ستجري هذه السفينة إذن يا نوح؟! هل ستجري علىٰ الأرض؟! أين الماء الذي يمكن أن تسبح فيه سفينتك؟!

قالوا: لقد جن نوح، وترتفع ضحكات الكافرين، وتزداد سخريتهم من نوح، وكانوا يسخرون منه قائلين: صرت نجارًا بعد أن كنت نبيًا!!

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

انتهىٰ صنع السفينة، وجلس نوح عليه السلام ينتظر أمر الله تعالى، وأوحىٰ الله جل جلاله إلىٰ نوح أنه إذا فار التنور؛ فهذه علامة علىٰ بدء الطوفان، (التنور: الفرن الذي يخبز فيه الخبز). ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾.

وجاء اليوم الرهيب، فار التنور، وأسرع نوح يفتح سفينته ويدعو المؤمنين به، وهبط جبريل عليه السلام إلىٰ الأرض، وأمر الله نوحًا عليه السلام أن يأخذ معه في السفينة ذكرًا وأنثىٰ من كل كائن حي: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾.

فحمل نوح إلىٰ السفينة من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين، بقرة وثورًا، فيلًا وفيلة، عصفورًا وعصفورة، نمرًا ونمرة، إلىٰ آخر المخلوقات؛ لضمان بقاء نوع الحيوان والطير علىٰ الأرض، وبدأ بصعود السفينة، فوضع نوح في الدور الأسفل من السفينة الحيوانات والوحوش، واستقر هو والمؤمنون في الدور الأوسط، أما الطيور فقد استقرت في الدور الثلث، وكان عدد المؤمنين قليلًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

هكذا فلتكن الموالاة:

لم تكن زوجة نوح مؤمنة بالله فلم تصعد معه إلىٰ السفينة، وكان أحد أبنائه يخفي كفره ويبدي الإيمان أمام أبيه نوح عليه السلام، فلم يصعد هو الآخر، وكانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرىٰ، فلم تصعد، وصعد المؤمنون، قال ابن عباس رضي الله عنه: آمن من قوم نوح ثمانون إنسانًا.

ارتفعت المياه من فتحات الأرض، وانهمرت من السماء أمطار غزيرة بكميات

لم تر مثلها الأرض، فالتقت أمطار السماء بمياه الأرض، وصارت ترتفع ساعة بعد ساعة، فقدت البحار هدوءها، وانفجرت أمواجها تجور علىٰ اليابسة، وتكتسح الأرض، وغرقت الكرة الأرضية للمرة الأولىٰ في المياه، كانت أثناء الطوفان هي الكرة المائية، لم تعد كرة أرضية، قال ﷻ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ (دسر: يعني مسامير).

ارتفعت المياه أعلي من الناس، تجاوزت قمم الأشجار، وقمم الجبال، وغطت سطح الأرض كله، وسارت السفينة: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾.

فقال نوح عليه السلام: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

وخاف سيدنا نوح عليه السلام علىٰ ابنه، وفي بداية الطوفان نادىٰ نوح ابنه، كان ابنه يقف بمعزل منه، ويحكي لنا المولىٰ ﷻ الحوار القصير الذي دار بين نوح عليه السلام وابنه قبل أن يحول بينهما الموج فجأة:

نادىٰ نوح ابنه قائلًا: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ورد الابن عليه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾.

عاد نوح يخاطبه: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾.

وانتهىٰ الحوار بين نوح وابنه: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾: أنهىٰ الموج حوارهما فجأة، نظر نوح فلم يجد ابنه، لم يجد غير جبال الموج التي ترتفع وترفع معها السفينة، وتفقدها رؤية كل شيء إلا المياه، وشاء الله أن يغرق الابن بعيدًا عن عين الأب، رحمة منه بالأب، واعتقد نوح أن ابنه مؤمن، وتصور ابنه أن الجبل سيعصمه من الماء، فغرق ولم يعرف أنه من الكافرين.

واستمر الطوفان، استمر يحمل سفينة نوح، وبعد ساعات من بدايته، كانت كل عين تطرف علىٰ الأرض قد هلكت غرقًا، لم يعد باقيًا من الحياة والأحياء غير هذا

الجزء الخشبي من سفينة نوح، وهو ينطوي علىٰ الخلاصة المؤمنة من أهل الأرض، وأنواع الحيوانات والطيور التي اختيرت بعناية.

نهاية الطوفان:

استمر طوفان نوح زمنًا لا نعرف مقداره، ثم أمر الله السماء أن تكف عن الأمطار، وأمر الأرض أن تستقر وتبلع الماء: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾.

وأوحىٰ إلىٰ أخشاب السفينة أن ترسو علىٰ الجودي، وهو اسم مكان قديم يقال: إنه جبل في العراق، طهر الطوفان الأرض وغسلها، ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ بمعني نقص الماء وانصرف عائدًا إلي فتحات الأرض، قال الله ﷻ: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدًا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ بمعنىٰ أنه أحكم وفرغ منه، يعني: هلك الكافرون من قوم نوح تمامًا، ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ بمعني: رست عليه، ﴿وَقِيلَ بُعۡدًا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: هلاكًا لهم، طهر الطوفان الأرض منهم وغسلها، ذهب الهول بذهاب الطوفان، وانتقل الصراع من الموج إلىٰ نفس نوح عليه السلام، تذكر ابنه الذي غرق وحزن عليه.

لم يكن نوح يعرف حتىٰ هذه اللحظة أن ابنه كافر، كان يتصور أنه مؤمن عنيد، آثر النجاة باللجوء إلىٰ جبل، وكان الموج قد أنهىٰ حوارهما قبل أن يتم، فلم يعرف نوح حظ ابنه من الإيمان، تحركت في قلب الأب عاطفة الأبوة: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾.

أراد نوح عليه السلام أن يقول لله ﷻ: إن ابنه من أهله المؤمنين وقد وعده الله بنجاة أهله المؤمنين، قال الله ﷻ - مطلعًا نوحًا علىٰ حقيقة ابنه-: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

وثمة درس مهم تنطوي عليه الآيات الكريمة التي تحكي قصة نوح عليه السلام وابنه، أراد الله ﷻ أن يقول لنبيه الكريم: إن ابنه ليس من أهله؛ لأنه لم يؤمن بالله، وليس الدم

هو الصلة الحقيقية بين الناس، ابن النبي هو ابنه في العقيدة، ابن النبي هو من يطيع الله رب النبي، وليس ابنه من يكفر به ولو كان من صلبه، هنا ينبغي أن يتبرأ المؤمن من غير المؤمن، وهنا أيضًا ينبغي أن تتصل بين المؤمنين صلات العقيدة فحسب، لا اعتبارات الدم أو الجنس أو اللون أو الأرض.

واستغفر نوح ربه وتاب إليه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فعفا الله عنه ورحمه، وأمره ﷻ أن يهبط من السفينة محاطًا ببركة الله ورعايته: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾.

وصية نوح لأولاده:

وهبط نوح عليه السلام من سفينته، أطلق سراح الطيور والوحوش فتفرقت في الأرض، نزل المؤمنون بعد ذلك، لتبدأ حياة جديدة فوق أرض جديدة، بعد زوال الكفر والطغيان، حياة يملؤها النور ويملؤها الإيمان.

ولا ندري كيف استكمل نوح عليه السلام حياته علىٰ الأرض، ولكنه عاش نبيًا رسولًا، يعلم من نجا معه من المؤمنين ويربيهم ويعظهم، حتىٰ أتاه الموت، وكانت وصيته الخاتمة: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَاضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ رَجَحَتْ بِهِنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ..**

وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الخَلْقُ..

وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ، وَالكِبْرِ» [صحيح، رواه أحمد (٦٨٠٤)].

وهكذا انقضت حياة نوح عليه السلام، بدأها بالدعوة إلىٰ توحيد عبادة الله ﷻ، وعاش عمره كله كذلك، وانتهت حياته علىٰ ما عاش عليه، فكانت آخر كلماته الدعوة إلىٰ

التوحيد أيضًا، فأوصىٰ به، وحث عليه، ورغب فيه، ومات عليه، ونعمت الوصية هي!!

من فوائد القصة:

١- الغلو في الصالحين ذريعة تقود إلىٰ الشرك بالله.

٢- الرفق واللين وحسن الخلق مفاتيح لقلوب الناس.

٣- أساس كل دعوة وأصل كل رسالة توحيد الله ﷻ والأمر بعبادته وحده.

٤- لابد لكل من يدعو الناس إلىٰ الخير أن يحصل له نوع من الإيذاء، سواء بالسخرية أو الاستهزاء أو غير ذلك من أساليب أهل الباطل، ولكن لا تهزم دعوة الحق أبدًا بالأذىٰ.

٥- الكون كله مسخر لأمر الله، مذعن لحكمه، ولا يشذ مخلوق أبدًا عن تدبيره سبحانه.

٦- أتباع الأنبياء هم الأقلون عددًا، الأضعف حالًا، لكنهم عند الله أعلىٰ الخلق قدرًا وأشرفهم مكانة، وهم الناجون، وسواهم هالكون معذبون.

٧- أوثق الأواصر والصلات في الإسلام هي الولاء في الله، فأحق الناس بالحب والموالاه أكثرهم بالحق تمسكًا، وأحقهم بالبغض من كفر بالله، ولو كان ابنًا أو زوجة.

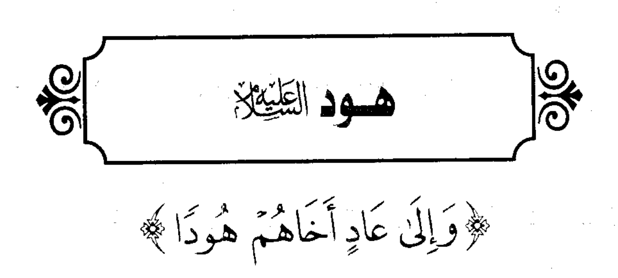
٨- كل امرئ حجيج نفسه، رهين عمله، لا يفيده نسبه وأصله إن فقد الإيمان: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَلَمُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» [صحيح مسلم (٢٦٩٩)]، نوح عليه السلام لم تنتفع به زوجته ولا ولده، إبراهيم عليه السلام لم ينتفع أبوه بقرابته، محمد ﷺ لم ينتفع أبو طالب بقرابته.

٩- عاقبة الصبر الفرج والنصر من الله، وعلىٰ قدر الصبر يرتفع الأجر.

١٠- خطورة الصور والتماثيل، ومن أجل ذلك حرمها الله تعالىٰ، ولا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة.

ومرت السنون والدهور، وسنة الله في خلقه أن يرسل في كل أمة رسولًا بشيرًا ونذيرًا يذكرهم حكم الله وقضاءه، وأوامره ونواهيه، ويعلمهم عبادته، فكان بعد نوح عليه السلام...





﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾

عودة الشرك إلى الأرض:

بعد أن نجىٰ الله من آمن مع نوح ﷺ، عمروا الأرض بعد أن ذهبت المياه، فكان كل من علىٰ الأرض في ذلك الوقت من المؤمنين، لم يكن بينهم كافر واحد، فبدأت حياة جديدة بعد الطوفان، وعاش الذين نجوا من الطوفان في إيمان بقدرة الله ﷻ، يشكرونه علىٰ فضله ونعمته، ويشرحون تعاليم الدين للأبناء والأحفاد، ويقصون ما حدث للكافرين، وكيف غرقوا مع الطوفان.

ومرت سنوات وسنوات، وأتىٰ موعد تحقيق وعد الله لنوح ﷺ: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

مات الآباء والأبناء وجاء أبناء الأبناء، ونسي الناس وصية نوح ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**جَحَدَ آدَمُ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**» [صحيح، سبق تخريجه]، ثم بعد تطاول الزمان وكثرة المعاصي، تفاقم الأمر حتىٰ عاد الناس إلىٰ الشرك، وعادت عبادة الأصنام انحرف الناس عن عبادة الله وحده، وتم الأمر بنفس الخدعة القديمة، أنساهم الشيطان ذكر الله، وانحرفت النفوس الأثيمة عن طريق الحق والنور، قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

قال أحفاد قوم نوح ﷺ: لا نريد أن ننسي آباءنا الذين نجاهم الله من الطوفان وصنعوا للناجين تماثيل ليذكروهم بها.

وتطور هذا التعظيم جيلًا بعد جيل، فإذا الأمر ينقلب إلىٰ العبادة، وإذا بالتماثيل تتحول بمكر من الشيطان إلي آلهة تعبد مع الله، وعادت الأرض تشكو من الظلام مرة

ثانية، والله ﷻ قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الليل:١٢-١٣].

فأرسل الله سيدنا هودًا عليه السلام إلىٰ قومه يهديهم إلىٰ الله ﷻ.

وتلك عاد قوم هود:

كان هود عليه السلام من قبيلة اسمها عاد، وكانت هذه القبيلة تسكن مكانًا يسمىٰ الأحقاف في اليمن، بين عمان وحضرموت، وهيٰ صحراء تمتلئ بالرمال، وتطل علىٰ البحر، أما مساكنهم فكانت خيامًا كبيرة لها أعمدة شديدة الضخامة والارتفاع، وكان قوم عاد أقوىٰ أهل زمانهم في ضخامة الأجسام، والطول والشدة، وكانوا عمالقة وأقوياء، فكانوا يتفاخرون بقوتهم، كما حكي الله ﷻ عنهم: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ لم يكن في زمانهم أحد في قوتهم، ورغم ضخامة أجسامهم، كانت لهم عقول مظلمة، كانوا يعبدون الأصنام، ويدافعون عنها، ويحاربون من أجلها، ويتهمون نبيهم ويسخرون منه، وكان المفروض، ما داموا قد اعترفوا أنهم أشد الناس قوة، أن يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، غير أنهم كانوا لا يبصرون غير كبريائهم وغطرستهم.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة فصلت: ١٥].

هود عليه السلام داعية التوحيد:

قال لهم هود عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

نفس الكلمة التي يقولها كل رسول، لا تتغير ولا تنقص ولا تتردد ولا تختلف ولا تتراجع، كلمة واحدة من الشجاعة كلها، وهيٰ الحق وحده: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

ولكن قومه عاندوه ورفضوا دعوته وكذبوها قائلين: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وكان الرد الجميل والأدب الجم: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ ﴾ .

فقط ودون تعقيب: أنا لست بسفيه.

وسأله قومه: هل تريد أن تكون سيدًا علينا بدعوتك؟ وأي أجر تريده؟

أفهمهم هود عليه السلام أن أجره على الله، إنه لا يريد منهم شيئًا غير أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، حدثهم عن نعمه الله عليهم، كيف جعلهم خلفاء لقوم نوح عليه السلام ، كيف أعطاهم بسطة في الجسم، وشدة في البأس، كيف أسكنهم الأرض التي تمنح الخير والزرع، كيف أرسل عليهم المطر الذي تحيا به الأرض: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ والآلاء: هي النعم العظيمة.

كفر عاد وتكذيبهم:

وتلفت هود حولهم فوجدوا أنهم أقوى من على الأرض، وأصابهم الكبرياء وزادوا في العناد، قالوا لهود عليه السلام : ﴿مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ .

قال هود عليه السلام : ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ .

حدثهم هود عليه السلام بهذا كله فاستمعوا إليه وكذبوه: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:٣٣-٣٧].

هكذا كذب قوم هود نبيهم، قالوا له: هيهات هيهات، واستغربوا أن يبعث الله من في القبور، استغربوا أن يعيد الله خلق الإنسان بعد تحوله إلي التراب، رغم أنه خلقه من قبل من تراب.

أعداء الرسل هم الملأ المترفون:

لنتدبر قليلًا في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾، الملأ هم الرؤساء، ستري هؤلاء الملأ في كل قصص الأنبياء، سنرىٰ رؤساء القوم وأغنياءهم ومترفيهم يقفون ضد الأنبياء، يصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من مواقع الثراء والغني والترف يولد الحرص علىٰ استمرار المصالح الخاصة، ومن مواقع الثراء والغنىٰ والترف والرياسة؛ يولد الكبرياء.

ويلتفت الرؤساء في القوم إلىٰ أنفسهم ويتساءلون: أليس هذا النبي بشرًا مثلنا، يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب؟ بل لعله بفقره يأكل أقل مما نأكل، ويشرب في أكواب صدئة، ونحن نشرب في أكواب الذهب والفضة، كيف يدعي أنه علىٰ الحق ونحن علىٰ الباطل؟! هذا بشر، كيف نطيع بشرًا مثلنا؟! ثم، لماذا اختار الله بشرًا من بيننا ليوحي إليه؟!

تساءل هود عليه السلام: ما الغريب في ذلك؟ إن الله الرحيم بكم قد أرسلني إليكم لأحذركم، وقصة نوح عليه السلام ليست ببعيدة عنكم، تنسوا ما حدث، لقد هلك الذين كفروا بالله، وسيهلك الذين يكفرون بالله دائمًا، مهما كانوا أقوياء.

قال رؤساء قوم هود: من الذي سيهلكنا يا هود؟

قال هود: الله ﷻ.

قال الكافرون من قوم هود: ستنجينا آلهتنا.

وأفهمهم هود أن هذه الآلهة التي يعبدونها لتقربهم من الله، هي نفسها التي تبعدهم عن الله، أن الله هو وحده الذي ينجي الناس، وأن أي قوة أخرىٰ في الأرض لا تستطيع أن تضر أو تنفع.

واستمر الصراع بين هود وقومه، وكلما استمر الصراع ومرت الأيام، زاد قوم هود استكبارًا وعنادًا وطغيانًا وتكذيبًا لنبيهم، وبدأوا يتهمون هودًا عليه السلام بأنه سفيه مجنون.

قالوا له يومًا: لقد فهمنا الآن سر جنونك، إنك تسب آلهتنا وقد غضبت آلهتنا

عليك، وآذتك وأصابك بمرض الجنون: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة هود:٥٣-٥٤].

انظروا للسذاجة التي وصل إليها تفكيرهم، إنهم يظنون أن هذه الحجارة لها سلطان علىٰ من صنعها، لها تأثير علىٰ الإنسان مع أنها لا تسمع ولا ترىٰ ولا تنطق، والإنسان هو الذي صنعها بيديه، ونحتها بيديه، ما أعجز الإنسان! وما أضل العقل إذا كفر بالله!

ثقة هود عليه السلام بربه:

لم يتوقف هود عليه السلام عند هذيانهم، ولم يغضبه أن يظنوا به الجنون والهذيان، ولكنه توقف عند قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بعد هذا التحدي لم يبق لهود إلا التحدي، ولم يبق إلا التوجه إلىٰ الله تعالى، وحده لم يبق أمامه إلا إنذار أخير ينطوي علىٰ وعيد للمكذبين وتهديد لهم، وتحدي هود عليه السلام قومه فقال: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة هود:٥٤-٥٧].

رجل واحد يواجه قومًا غلاظًا شدادًا وحمقىٰ، يتصورون أن أصنام الحجارة تستطيع الإيذاء، إنسان بمفرده يقف ضد جبارين فيسفه عقيدتهم، ويتبرأ منهم ومن آلهتهم..

بل ويتحداهم أن يكيدوا له بغير إبطاء أو إهمال، فهو علىٰ استعداد لتلقي كيدهم، وهو علىٰ استعداد لحربهم فقد توكل علىٰ الله، والله تعالى هو القوي بحق، وهو الآخذ بناصية كل دابة في الأرض، سواء الدواب من الناس أو دواب الوحوش أو الحيوان، لا شيء يعجز الله تعالى.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٦﴾ بهذا الإيمان بالله، والثقة بوعده، والاطمئنان إلى نصره، يخاطب هود عليه السلام الذين كفروا من قومه، وهو يفعل ذلك رغم وحدته وضعفه؛ لأنه يقف مع الحق، ويبلغ عن الله تعالى، وهو في حديثه يفهم قومه أنه أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، فإن كفروا فسوف يستخلف الله قومًا غيرهم، سوف يستبدل بهم قومًا آخرين، وهذا معناه أن عليهم أن ينتظروا العذاب.

وهكذا أعلن هود عليه السلام لهم براءته منهم ومن آلهتهم، وتوكل على الله الذي خلقه، وأدرك أن العذاب واقع بمن كفر من قومه، هذا قانون من قوانين الحياة، يعذب الله عز وجل الذين كفروا، مهما كانوا أقوياء، أو أغنياء، أو جبابرة، أو عمالقة.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾.

عاقبة الكافرين ونهاية المستكبرين:

انتظر هود عليه السلام وانتظر قومه وعد الله تعالى، وبدأ الجفاف في الأرض، لم تعد السماء تمطر قطرة واحدة، وهرع قوم هود إليه، ما هذا الجفاف يا هود؟ قال هود عليه السلام: إن الله عليكم غضبان، وإذا آمنتم واستغفرتم الله سبحانه وتبتم إليه، ورجعتم عن عبادة الأصنام إلي عبادة الله وحده؛ فسوف يرضى الله عنكم ويرسل المطر فيزيدكم قوة إلى قوتكم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ۝٥٢﴾.

وسخر قوم هود عليه السلام منه وزادوا في العناد والسخرية والكفر، وزاد الجفاف، واصفرت الأشجار الخضراء ومات الزرع، وجاء يوم فإذا سحاب عظيم يملأ السماء، وفرح قوم هود وخرجوا من بيوتهم يقولون: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾.

فقال هود عليه السلام: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

تغير الجو فجأة، من الجفاف الشديد والحر إلى البرد الشديد القارص، بدأت الرياح تهب، اهتز كل شيء، اهتزت وتزلزلت الأشجار والنباتات والرجال والنساء والخيام، واستمرت الريح ليلة بعد ليلة، ويومًا بعد يوم، كل ساعة كانت برودتها

تزداد، وبدأ قوم هود يفرون، أسرعوا إلىٰ الخيام واختبئوا داخلها، اشتد هبوب الرياح واقتلعت الخيام، واختبئوا تحت الأغطية، فاشتد هبوب الرياح وتطايرت الأغطية، كانت الرياح تمزق الملابس وتمزق الجلد وتنفذ من فتحات الجسم وتدمره، لا تكاد الريح تمس شيئًا إلا قتلته ودمرته، وجعلته كالرميم.

استمرت الرياح مسلطة عليهم سبع ليال وثمانية أيام لم تر الدنيا مثلها قط، ثم توقفت الريح بإذن ربها، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأحقاف: ٢٤-٢٥].

وقال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة القمر: ١٨-٢٠].

لم يعد باقيًا من قوم هود إلا ما يبقىٰ من النخل الميت، مجرد غلاف خارجي لا تكاد تضع يدك عليه حتىٰ يتطاير ذرات في الهواء.

قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾.

نجاة هود والمؤمنين:

نجا هود ﷺ ومن آمن معه وهلك الجبابرة، وهذه نهاية عادلة لمن يتحدىٰ الله ﷻ ويستكبر عن عبادته.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

هكذا دومًا للمتكبرين العذاب والطرد في الدنيا والآخرة، ودومًا وعد الله المؤمنين يتحقق بالنجاة والنصر في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.

من فوائد القصة:

١- إذا غابت الدعوة غاب العلم، وإذا غاب العلماء غلبت المعاصي والبدع والشرك، ولولا أصحاب المحابر لخطب الزنادقة علىٰ المنابر، فإذا تعطلت الدعوة في مكان نبتت فيه حشائش وآفات العصيان، فلا تغفل عن الدعوة إلىٰ الله ﷻ لحظة.

٢- ميزان الرجولة: الإيمان والفهم، لا بحجم وقوة الجسم، أخبر ﷻ عن المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[سورة المنافقون: ٤] فاغنم الإيمان وحصل الفهم؛ تكن رجلًا.

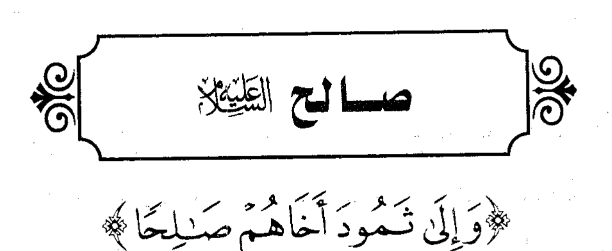
٣- الكبر يتولد من مواقع الترف والغنىٰ والرياسة، وهو طاغوت يصد عن الحق، ويصرف عن الهدىٰ والعلم، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر؛ فإياك أن تتكبر.

٤- القضية الأولىٰ في حياة كل إنسان وفي حياة البشر هي التوحيد، وهو أول دعوة الرسل وأصل رسالتهم.

٥- من وثق بربه زاده الله ثقة وسدده ونصره؛ فاحفظ الله تجده تجاهك.

٦- عاقبة الذنوب وخيمة، وآثارها مؤلمة عظيمة، والله يمهل ولا يهمل، فإذا عذب فإنه عزيز ذو انتقام، سريع الحساب، شديد العقاب، وإذا رحم كانت رحمته خيرًا للعبد من كل شيء.

٧- الله ينجي أولياءه ويحفظهم، ولا يكلهم أبدًا لأعدائه؛ فكن لله وليًا؛ تكن بالله عزيزًا قويًا.



صالح عليه السلام

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾

قوم ثمود: وصف ديارهم، وحالهم:

مرت أيام وأيام، وتعاقبت الشهور والسنوات، وجاء بعد قوم عاد قوم ثمود في شمال الجزيرة العربية بين الحجاز وتبوك، اتخذت قبيلة ثمود وطنًا لها في منطقة تسمىٰ: الحجر وأنعم الله علىٰ قبيلة ثمود بالكثير من النعم والخيرات، فعاشوا في مكان يظلله النخيل والأشجار، ظهرت فيه الكثير من العيون، فأصبحوا في ترف ونعيم، فأقاموا القصور الفخمة في السهول، ونحتوا البيوت الفارهة في الجبال.

كان يمكن لقوم ثمود العيش في سعادة لا حدود لها لولا أمر واحد: كانت ثمود قبيلة تعبد الأصنام هي الأخرىٰ، لقد كفروا بالنعم الغالية التي منحها الله لهم، وضلوا عن الحق، فأرسل الله سيدنا صالحًا إليهم.

صالح يدعو قومه إلى التوحيد:

كان سيدنا صالح عليه السلام رجلًا معروفًا في قومه بالحكمة والعقل والطهر والنقاء، وكان قومه يحبونه ويحترمونه، وكذلك دائمًا تجد كل الأنبياء، فقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

نفس الكلمة التي يقولها كل نبي، لا تتبدل ولا تتغير، كما أن الحق لا يتبدل ولا يتغير، فوجئ الكبار من قوم صالح بما يقوله، إنه يتهم آلهتهم بأنها بلا قيمة، وهو ينهاهم عن عبادتها ويأمرهم بعبادة الله وحده، وأحدثت دعوته هزة كبيرة في المجتمع، وكان صالح عليه السلام معروفًا بالحكمة والطيبة والخير، كان قومه يحترمونه قبل أن يوحىٰ الله إليه ويرسله بالدعوة إليهم.

وقال قوم صالح له: ﴿قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾.

تأمل وجهة نظر الكافرين من قوم صالح، إنهم يدلفون إليه من باب شخصي بحت، لقد كان لنا رجاء فيك، كنت مرجوًا فينا لعلمك وعقلك وصدقك وحسن تدبيرك، ثم خاب رجاؤنا فيك، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟! يا للكارثة!! كل شيء يا صالح إلا هذا، ما كنا نتوقع منك أن تعيب آلهتنا التي وجدنا آباءنا عاكفين عليها!! وهكذا يعجب القوم مما يدعو إليه، ويستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون أن يدعوهم أخوهم صالح إلي عبادة الله وحده، لماذا؟ ما كان ذلك كله إلا لأن آباءهم كانوا يعبدون هذه الآلهة من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

المشركون المعاندون يتهمونه بالجنون:

واستمر صالح في دعوته بثبات ووضوح في الحجة، فآمن مع سيدنا صالح عليه السلام عدد قليل من الضعفاء، وأبى بقية قوم ثمود من المستكبرين الاستسلام للحق، وبدأوا يمكرون به، ويتهمونه بالسحر والجنون، وواصل صالح عليه السلام دعوته في صبر وإيمان.

ورغم نصاعة دعوة صالح عليه السلام، فقد بدا واضحًا أن قومه لن يصدقوه، كانوا يشكون في دعوته، واعتقدوا أنه مسحور، وطالبوه بمعجزة تثبت أنه رسول من الله إليهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾.

وحينذاك طلب صالح عليه السلام من الله عز وجل أن يؤيده بمعجزة؛ فأخبره الله بمعجزة الناقة، وأنها سوف تخرج أمام أعينهم من بطن الجبل، ستنشق الصخرة وتخرج منها الناقة أمام أعين القوم جميعاً. وعندما رأوا الناقة قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾[سورة هود: ٦٤].

واعلم -أيها الابن الحبيب- أن هؤلاء الناس حين يطلبون دليلًا أو معجزة، فهم يطلبونه فقط للتعجيز، أو الاستهزاء، أو لتضييع الوقت، و إلا فالكلام الذي يناسب الفطرة لا يحتاج إلي معجزات، فانظر حين رأوا هذه المعجزة المبهرة كيف كان تصرفهم؟ هل آمنوا؟.. أبدًا... إنها المراوغة.

معجزة نبي الله صالح ﷺ:

والآية هي المعجزة، والناقة كانت معجزة لماذا؟

☆ لأن صخرة بالجبل انشقت يومًا وخرجت منها الناقة أمام أعينهم، ها هي ولدت من غير الطريق المعروف للولادة، معجزة؛ لأن الله أخرجها من الصخرة فلم تولد كبقية النوق.

☆ وكانت معجزة؛ لأنها كانت تشرب المياه الموجودة في الآبار في يوم فلا تقترب بقيه الحيوانات من المياه في هذا اليوم.

☆ وكانت معجزة؛ لأنها كانت تدر لبنًا يكفي لشرب الناس جميعًا في هذا اليوم الذي تشرب فيه الماء فلا يبقىٰ شيء للناس من الماء، ويشربون بدلًا منه اللبن الذي تدره لهم.

كانت هذه الناقة معجزة فعلًا، وصفها الله ﷻ بقوله: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أضافها لنفسه ﷻ إضافة تشريف، بمعني أنها ليست ناقة عادية؛ وإنما هيٰ معجزة من الله ﷻ، وأوحىٰ الله ﷻ إلىٰ صالح ﷺ أن يأمر قومه بعدم المساس بالناقة أو إيذائها أو قتلها، أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله، وألا يمسوها بسوء، وحذرهم أنهم إذا مدوا أيديهم بالأذىٰ للناقة فسوف يأخذهم عذاب قريب، إنه تحذير شديد: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾، ووعيد أكيد: ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

في البداية تعاظمت دهشة ثمود حين ولدت الناقة من صخور الجبل، كانت ناقة مباركة، كان لبنها يكفي آلاف الرجال والنساء والأطفال، كان واضحًا أنها ليست مجرد ناقة عادية؛ وإنما هي آية من الله، وعاشت الناقة بين قوم صالح، آمن منهم من

آمن وبقي أغلبهم علىٰ العناد والكفر، وذلك لأن الكفار عندما يطلبون من نبيهم آية، فلا يكون ذلك لأنهم يريدون التأكد من صدقه والإيمان به؛ وإنما لتحديه وإظهار عجزه أمام البشر، لكن الله كان يخذلهم بتأييد أنبيائه بمعجزات من عنده، ومع ذلك لا يؤمنون!!

تكذيب ثمود وإعراضهم:

وتحولت الكراهية عن سيدنا صالح عليه السلام إلي الناقة المباركة، تركزت عليها الكراهية، وبدأت تنسج خيوطها ضد الناقة، كره الكافرون هذه الآية العظيمة، ودبروا في أنفسهم أمرًا.

إن صالحًا عليه السلام يحدث قومه برفق وحب، وهو يدعوهم إلي عبادة الله وحده، وينبههم إلي أن الله قد أخرج لهم معجزة هي الناقة، دليلًا علىٰ صدقه وبينة علىٰ دعوته، وهو يرجو منهم أن يتركوا الناقة تأكل في أرض الله، وكل الأرض أرض الله، وهو يحذرهم أن يمسوها بسوء خشية وقوع عذاب الله عليهم، كما ذكرهم بإنعام الله عليهم: بأنه جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، وأنعم عليهم بالقصور، والجبال المنحوتة والنعيم، والرزق، والقوة، لكن قومه تجاوزوا كلماته وتركوه، واتجهوا إلىٰ الذين آمنوا بصالح يسألونهم سؤال استخفاف وازدراء: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟!

قالت الفئة الضعيفة التي آمنت بصالح: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

فأخذت الذين كفروا العزة بالإثم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾، هكذا باحتقار واستعلاء وغضب، يظهرون حقيقة امتناعهم عن الإيمان، إنهم كفروا عنادًا فيمن آمن، واحتقارًا لمن آمن: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

مؤتمر للمكر بالدعوة:

وفي إحدىٰ الليالي، انعقدت جلسة لكبار القوم، ودار حوار بينهم: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا

مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة القمر:٢٤-٢٥].

وهم يتحدثون ويتشاورون، أمرهم واحد منهم بالسكوت، وقال ليس هناك غير حل واحد، يجب أن نقتل الناقة وبعدها نقتله هو.

لكن أحدهم قال: حذرنا صالح من المساس بالناقة، وهددنا بالعذاب القريب، فقال أحدهم سريعًا قبل أن يؤثر كلام من سبقه علىٰ القوم: أعرف من يجرؤ علىٰ قتل الناقة.

تناقلوا الأمر بينهم في سرور واضح، ذلك جبار من جبابرة المدينة، رجل يعيث فسادًا في الأرض، الويل لمن يعترضه، تساءلوا: من يساعده علىٰ القتل؟ فقيل: إن له زملاء في المدينة: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٖ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة النمل:٤٨].

إنهم عصابة الفساد والإفساد، ورفض الصلاح والإصلاح، وتولىٰ المفسدون في الأرض المهمة.

تنفيذ جريمة ذبح الناقة:

اتفقوا علىٰ موعد الجريمة، ومكان التنفيذ، وفي الليلة المحددة، وبينما كانت الناقة المباركة تنام في سلام، انتهىٰ المجرمون التسعة من إعداد أسلحتهم وسيوفهم وسهامهم، لارتكاب الجريمة.

﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ .

وانطلق الرجال التسعة الأشرار في مهمتهم، وبحثوا عن الناقة حتىٰ وجدوها قادمة من البئر، فرماها أحدهم بسهم أصاب ساقها، وهلَّل الجميع في حماس، وهجم عليها رجل آخر بسيفه، فسقطت الناقة أرضًا، فانقض عليها وذبحها، امتدت الأيدي الآثمة القاتلة إلىٰ الناقة، وسالت دماء الناقة علىٰ الأرض؛ فحق علىٰ أهل الأرض العذاب.

سفاهة ثمود:

علم النبي صالح عليه السلام بما حدث فخرج غاضبًا علىٰ قومه قائلًا لهم:

ألم أحذركم من أن تمسوا الناقة؟

ولكنهم سخروا منه، وتهكموا عليه، ولم يقصدوا العذاب الذي ينتظرهم، وتمادوا في جرأتهم فقالوا: قتلناها فأتنا بالعذاب واستعجله ألم تقل: إنك من المرسلين؟ ﴿وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾.

نزول العذاب على الكافرين:

بعدها غادر صالح عليه السلام قومه، تركهم ومضىٰ، انتهىٰ الأمر ووعده الله بهلاكهم بعد ثلاثة أيام، ثلاثة أيام ويأتي عقاب الله تعالى، العقاب الهائل.

أخبر صالح عليه السلام قومه ببعض علامات العذاب الذي ينتظرهم، ثم خرج و من آمن معه وغادروا القرية الظالمة، ومرت ثلاثة أيام علىٰ الكافرين من قوم صالح وهم يهزءون من العذاب وينتظرون وقوعه، وفي اليوم الأول اصفرت الوجوه، وفي اليوم الثاني احمرت الوجوه، وفي اليوم الثالث اسودت الوجوه، واشتد هلع قبيلة ثمود، ها هي العلامات التي حدثهم عنها صالح عليه السلام قد تحققت.

جلس القوم في صباح اليوم الرابع ينتظرون العذاب في خوف ورعب، وارتجفت قلوبهم وهم يديرون رؤوسهم في كل اتجاه ويفكرون: ترىٰ من أين يأتيهم العذاب؟ وكيف؟

وفجأة... انشقت السماء عن صيحة جبارة واحدة، انقضت الصيحة علىٰ الجبال والأرض والسهول والوديان، فهلك فيها كل شيء حي، هي صرخة واحدة، لم يكد أولها يبدأ وآخرها يجيء حتىٰ كان كفار قوم صالح قد صعقوا جميعًا صعقة واحدة، تمزقت قلوبهم في صدورهم من هول الصيحة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ۝٣١﴾.

هلكوا جميعًا قبل أن يدركوا ما حدث، وسارت مساكنهم خاوية لا حياة فيها، ونالوا العقاب الذي يستحقونه؛ لأنهم كانوا كما قال عنهم سيدنا صالح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

أما الذين آمنوا بسيدنا صالح، فكانوا قد غادروا المكان مع نبيهم ونجوا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة هود: ٦٦-٦٨].

نعم... جاءهم الخزي والعذاب، وانتصر الله سبحانه لنبيه علىٰ الأعداء الكافرين وهكذا دومًا.. الخزي والبعد والعذاب لمن خذل دين الله، واتبع هواه، والنصر والعز لمن آمن بالرسل، وصدق الله، فكن صالحًا؛ تكن عزيزًا..

من فوائد القصة:

١- بالشكر تزيد النعم وتكثر، وبالكفر تمحق وتذهب.

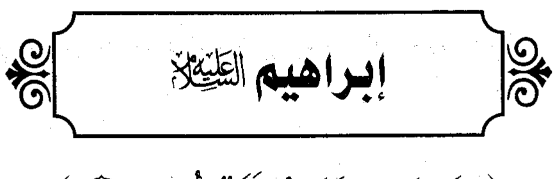
٢- الاتهامات الفارغة هي حيلة أعداء الرسل والأنبياء في كل وقت، فإن لم توجد عندهم الحجة لجأوا إلىٰ الاتهامات الساذجة الكاذبة.

٣- الله يؤيد رسله بمعجزات تثبتهم وتكبت أعداءهم، وهذا دليل علىٰ أن الله علىٰ كل شيء قدير.

٤- من رضي بالمعصية فهو عاصٍ، ومن أمر بالجريمة فهو شريك فيها.

٥- للشيطان جنود وأعوان يتآمرون بالباطل، يوحىٰ إليهم الشيطان بحيله، ويلقي عليهم خططه؛ لينفذوها ويصدوا عن سبيل الله.

٦- إياك والغرور والكبر!! اسمع وأطع والتزم الحق وإن جاءك من أقل الناس.



إبراهيم عليه السلام

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾

إبـراهيـم الخليـل:

هو أحد أولي العزم الخمسة الكبار الذين أخذ الله منهم ميثاقًا غليظًا، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد عليهم السلام، بترتيب بعثهم، وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين، كان البلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب، ورغم حدة الشدة، وعظمة البلاء، كان إبراهيم عليه السلام هو العبد الذي وفَّىٰ، وزاد علىٰ الوفاء بالإحسان.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾.

هو خليل الله، اصطفاه الله برسالته وفضله علىٰ كثير من خلقه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

قال رسول الله ﷺ: **«تُحْشَرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ»** [صحيح البخاري (٤٤٦)].

فضل إبـراهيم عليه السلام:

ولو مضينا نبحث في فضل إبراهيم عليه السلام وتكريم الله له فسوف نمتلئ بالدهشة:

- ☆ نحن أمام بشر جاء ربه بقلب سليم.
- ☆ إنسان لم يكد الله تعالى يقول له: ﴿أَسْلِمْ﴾ حتىٰ قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
- ☆ نبي هو أول من سمَّانا المسلمين.

☆ نبي أثمرت دعوته المستجابة عن بعث نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

☆ نبي كان جدًا وأبًا لكل أنبياء الله الذين جاءوا بعده.

☆ نبي هادئ متسامح حليم أواه منيب، قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

وقال ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾.

يذكر لنا ربنا ذو الجلال والإكرام أمرًا آخر أفضل من كل ما سبق، فيقول الله ﷻ في محكم آياته: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾.

لم يرد في كتاب الله ذكر لنبي، اتخذه الله خليلًا غير إبراهيم ﷺ، وإن كان نبينا محمد ﷺ قد أخبر أنه خليل الله أيضًا، قال العلماء: الخلة هي أشد المحبة.

فوق هذه القمة الشامخة يجلس إبراهيم ﷺ، إن منتهىٰ أمل السالكين، وغاية هدف المحققين، أن يحبوا الله ﷻ، أما أن يحلم أحدهم أن يحبه الله، أن يفرده بالحب، أن يختصه بالخلة وهي شدة المحبة، فذلك شيء وراء آفاق التصور، كان إبراهيم ﷺ هو هذا العبد الرباني الذي استحق أن يتخذه الله ﷻ خليلًا.

مولد الحنيفية وطفولة الخليل:

إنه إبراهيم ﷺ الذي يصل نسبه إلىٰ سام بن نوح ﷺ، ولد سيدنا إبراهيم ﷺ في بابل بين دجلة والفرات بالعراق، وشب سيدنا إبراهيم ﷺ بين قوم يعبدون الأصنام، لهم ملك ظالم متكبر جبار اسمه النمرود، وكان هذا الملك يدعي أنه إله.

كان والد سيدنا إبراهيم ﷺ يسمىٰ آزر، وكان نجارًا، وكان ممن يصنعون الأصنام ويعبدونها، وكان كل من حوله ينحني ويسجد لهذه الأحجار والأخشاب، ولكن سيدنا إبراهيم لم يقتنع أبدًا أنها آلهة، لقد رفض عقله الراجح أيصدق هذه الخرافات، وينقاد وراء الجهل والفساد، فمقت هذه العبادة الزائفة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

ومرت الأيام، وكبر إبراهيم عليه السلام، كان قلبه يمتلأ منذ طفولته بكراهية صادقة لهذه التماثيل التي يصنعها والده، لم يكن يفهم كيف يمكن لإنسان عاقل أن يصنع بيديه تمثالًا، ثم يسجد بعد ذلك لما صنع بيديه!! لاحظ إبراهيم عليه السلام أن هذه التماثيل لا تشرب ولا تأكل ولا تتكلم ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد علىٰ جنبه، كيف يتصور الناس أن هذه التماثيل تضر وتنفع؟!

عذبت هذه الفكرة إبراهيم عليه السلام طويلًا، هل يمكن أن يكون كل قومه علىٰ خطأ، وهو وحده علىٰ حق؟ أليس هذا شيئًا مدهشًا؟

كان لقوم إبراهيم معبد كبير يمتلئ بالتماثيل، وكان في وسط المعبد محراب توضع فيه تماثيل أكبر الآلهة، وكانت الآلهة أنواعًا وأصنافًا وأشكالًا، وكان إبراهيم يزور المعبد مع والده وهو طفل، كان يحس باحتقار عظيم لكل هذه الأخشاب والحجارة. وبدأت نبوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال له الله عز وجل: ﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾[سورة البقرة:١٣١].

وأجاب إبراهيم عليه السلام دعوة ربه: ﴿أَسْلِمْ﴾..

وفكر سيدنا إبراهيم في أقرب إنسان إليه يدعوه إلىٰ عبادة الله الواحد القهار أ إنه والده، فاتجه إليه ليبدأ جهاده في سبيل الله.

بداية الدعوة:

وقف سيدنا إبراهيم عليه السلام أمام أبيه يحاوره في لطف ولين، محاولًا إقناعه بالتخلي عن عبادة الأصنام، قال له: يا أبت، انظر إلي هذه الأصنام ألا ترىٰ أنها لا تسمع النداء ولا تجيب الدعاء ولا ترانا؛ لأنها جماد، حجارة وأخشاب؟!

واسترسل سيدنا إبراهيم محاولًا إقناع أبيه قائلًا: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾.

أنه سؤال فطري صريح بمنتهىٰ البساطة: لماذا.. لماذا تعبد هذه الأصنام؟ ولا تجد ردًا عند الأصنام عن هذا السؤال، كلما وجه إليهم هذا السؤال الصريح: لماذا

تعبدون الأصنام؟ تجد الجواب دائمًا الهروب والالتواء؛ لأن هذا السؤال سيثير غضب الوالد أراد إبراهيم ﷺ أن يستثير عاطفة الأبوة للفرح بمنزلة ولده.

وأوضح سيدنا إبراهيم لأبيه أن الله ﷻ اختاره للنبوة وللرسالة قائلًا: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾.

وحذره إبراهيم ﷺ من الشيطان، فهو الذي يزين لهم هذا الباطل فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾.

تأمل قول إبراهيم ﷺ كيف كان في غاية الأدب والتوقير للأب: يا أبت.. يا أبت.. يا أبت. ولكن إبراهيم في واد والأب في واد آخر، فليست عنده أجوبة صحيحة لهذه الأسئلة الصريحة، فلم يكن إلا أن ثار الأب لجرأة إبراهيم علىٰ آلهته وقال: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟!

وهدده الأب وتوعده بالرميٰ بالحجارة والطرد من المنزل قائلًا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾.

ولكن سيدنا إبراهيم الابن البار بوالده قال له علىٰ الرغم من عناده وكفره في أدب جم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

وأعلن براءته من عبادة الأصنام، وإخلاصه في عبادة رب العالمين قائلًا: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

واستغفر سيدنا إبراهيم ﷺ لوالده أملًا أن يغفر الله له ذنوبه، ولكن عندما تبين له أن والده عدو لله تبرأ منه؛ فاستحق ثناء الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

ثم انطلق في دعوته، ووقف سيدنا إبراهيم أمام قومه، وقد أغضبه أنهم ينحنون للأصنام ويدعونها في ضراعة، فسألهم عن الأصنام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؟!

لماذا تعبدونها من دون الله؟!

فردوا في غباء: ﴿قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

إن دليلهم على ألوهية الأصنام أن آباءهم كانوا يعبدونها!!

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام موضحًا لهم الضلال الذي هم فيه: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾.

سألوه في شك وهم يظنون أنه يتسلى بهم ويضيع وقتهم: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾.

فرد عليهم سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

موقف الكافرين، وثبات إبراهيم عليه السلام:

سخر قومه منه، واستنكروا أن يكون للكون إله غير هذه الأصنام، قال إبراهيم عليه السلام لقومه في صبر محاولًا إقناعهم وهو يشير إلي هذه الأصنام: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾؟!

واستمر قومه في عنادهم الأعمى وقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾!!

وأعلن سيدنا إبراهيم عليه السلام عداوته للأصنام وحربه عليها وإيمانه بالله قائلًا: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الشعراء:٧٥-٧٧].

ثم بين لهم سيدنا إبراهيم عليه السلام سبب إيمانه بالله خالق الكون قائلًا: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الشعراء:٧٨-٨٢].

هكذا بين لهم الحقيقة بوضوح وجلاء: من ربه، وكيف يفعل تعالى كل هذه الأشياء، فماذا تفعل آلهتهم؟ ولم يجيبوه، فصبر.. وصبر، وراح إبراهيم عليه السلام يدعو قومه، ويحاورهم مرات ومرات، دون أن ينجح في إقناعهم، فتوعد الأصنام في غضب قائلًا: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

أي: سأكسر هذه الأصنام؛ لأريكم أنها لا تستطيع الدفاع حتىٰ عن نفسها، وانصرف قومه وهو لا يصدقونه أنه يمكن أن يحطم آلهتهم.

تحطيم الأصنام:

كان لأهل المدينة احتفال سنوي يقام فيه مهرجان ضخم بمناسبة أحد أعيادهم، وفي يوم الاحتفال، قال سيدنا إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، أي: مريض، حتىٰ لايذهب معهم.

وذهب أهل المدينة إلي الاحتفال، وخلا الطريق إلىٰ المعبد، فأسرع سيدنا إبراهيم عليه السلام إلىٰ المعبد وهو حريص علىٰ ألا يراه أحد، وأمسك فأسًا ووقف أمام الأصنام.

لاحظ سيدنا إبراهيم وجود طعام كثير يقدمه أهل المدينة قربانًا للأصنام فسألهم في سخرية: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟؟

أنه يعلم أنها أخشاب لا تأكل ولا تشرب، ولكنه سؤال المغتاظ: كلوا.. لماذا لا تأكلون؟!!

ثم عاد في غيظ وحنق أشد: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾؟؟

لماذا لا تأكلون؟!!.. لماذا لا تردون علي؟!!.. لماذا لا تدافعون عن أنفسكم وتنفعونها إن كان لكم أية فائدة، هيا.. هيا..

وأمسك الفأس وضرب بها علىٰ أحد الأصنام فحطمه، وراح يضرب الأصنام بقوة، حتىٰ حطمها جميعًا، ماعدا صنمًا كبيرًا: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

كان هذا الصنم أكبر الأصنام حجمًا، وأعلاها شأنًا عند أهل المدينة، فوضع سيدنا إبراهيم الفأس عليه ثم انصرف في حذر إلي منزله، وهو يأمل أن يرىٰ أهل المدينة الدليل الساطع الذي قدمه لهم، ويفهمونه، ويدركون أن الأصنام لا تملك

حتىٰ الدفاع عن نفسها، وانتهىٰ الاحتفال، وعاد أهل المدينة ودخلوا المعبد، وفوجئوا بالأصنام محطمة.. ولك أن تتخيل المشهد: يدخل العباد الضآلون معابدهم، فإذا بالآلهة محطمة قطعًا صغيرة..

إبراهيم عليه السلام يثبت عجز الأصنام:

وسيطر عليهم الغضب وتساءلوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟؟

ثم تذكروا دعوة إبراهيم عليه السلام لهم، وتحديه وتوعده بأصنامهم فقالوا: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾.

سمعنا فتي يتكلم عن هذه الأصنام أنه يعيبها ويستهزئ بها، أي: يذكرها بالسوء، وأصدروا الأمر بإحضار إبراهيم عليه السلام علىٰ الفور قائلين للجنود: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

وأحضر الجنود إبراهيم عليه السلام إلىٰ المعبد، ونظروا إليه في غضب وانفعال وسألوه: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟؟

فهم ما يزالون يصرون علىٰ أنها آلهة!! حتىٰ وهىٰ جذاذ مهشمة محطمة أمام أعينهم، فأشار إبراهيم عليه السلام إلىٰ الصنم الكبير الذي لم يحطم، وإلي الفأس المعلقة به، وهو يحاول إقناعهم أنها ليست آلهة كما يعتقدون فقال لهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾.

وفكر القوم لقد تحطمت الآلهة، وكبيرهم لا يستطيع الدفاع عنهم، إنها أحجار لا تنطق ولا تبصر، ولا تملك القدرة علىٰ الدفاع حتىٰ عن نفسها، فكيف يعبدونها إذاً؟! لقد ظلموا أنفسهم بعبادة هذه الأحجار: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

اعترفوا عندما فاجأهم إبراهيم عليه السلام بالدليل القاطع، ولكنهم سرعان ما ارتدوا إلي الضلال، استكبروا أن يكونوا من المخطئين، وهذا الفتىٰ قد يكون صادقًا، لم

تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلىٰ الخمود.

تكبروا وتملكهم العناد، لم يعترفوا بتفاهة عقولهم وضيق أفقهم، فقالوا له في إصرار: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

فغضب سيدنا إبراهيم وقال لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

قال: إذا كنتم تعلمون وأعلم أنهم لا يسمعون ولا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون، بدليل أنهم لم يدافعوا عن أنفسهم، فلماذا تعبدونهم؟! أين عقولكم؟!.. أين عقولكم؟!

الكيد لنبي الله وإلقاؤه في النار:

وثار القوم، وراحوا يفكرون في وسيلة لعقاب إبراهيم ﵇، حتىٰ اهتدوا إلىٰ شيء رهيب، أرادوا أن يحرقوه في النار، وصدر الحكم القاسي الظالم بذلك: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.

وبدأوا يستعدون لإحراق سيدنا إبراهيم ﵇..

انتشر النبأ في المملكة كلها، وجاء الناس من القرىٰ والجبال والمدن؛ ليشهدوا عقاب الذي تجرأ علىٰ الآلهة وحطمها واعترف بذلك وسخر من الكهنة، وحفروا حفرةً عظيمة ملؤوها بالحطب والخشب والأشجار، وأشعلوا فيها النار، وأحضروا المنجنيق وهو آله جبارة؛ ليقذفوا إبراهيم فيه ليسقط في حفرة النار ووضعوا إبراهيم بعد أن قيدوا يديه وقدميه في المنجنيق، واشتعلت النار في الحفرة وتصاعد اللهب إلىٰ السماء، وكان الناس يقفون بعيدًا عن الحفرة من فرط الحرارة اللاهبة، وأصدر كبير الكهنة أمره بإسقاط إبراهيم في النار.

جاء جبريل ﵇ ووقف عند رأس إبراهيم ﵇ وسأله: يا إبراهيم، ألك حاجة؟

قال إبراهيم ﵇ : أما إليك فلا.

قال له جبريل ﷺ: فاسأل ربك.

فرد عليه سيدنا إبراهيم ﷺ: الله يعلم حالي.

لم يقل إبراهيم ﷺ سوىٰ كلمة واحدة عظيمة وهو يلقىٰ به في النيران: حسبنا الله ونعم الوكيل.

إنجاء الله وحفظه له:

انطلق المنجنيق ملقيًا إبراهيم ﷺ في حفرة النار، كانت النار موجودة في مكانها، ولكنها لم تكن تمارس وظيفتها في الإحراق، فقد أمر الله ﷻ النار: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾.

أطاعت النار ربها فكانت ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وأحرقت قيوده فقط، وجلس إبراهيم ﷺ وسطها كأنه يجلس وسط حديقة، كان يسبح بحمد ربه ويمجده، لم يكن في قلبه مكان خال يمكن أن يمتلئ بالخوف أو الرهبة أو الجزع، كان القلب مليئًا بالحب وحده، ومات الخوف، وتلاشت الرهبة، واستحالت النار إلي سلام بارد يلطف عنه حرارة الجو.

وظلت النار تشتعل فترة طويلة حتىٰ ظن الكافرون أنها لن تنطفئ أبداً، فلما انطفأت فوجئوا بإبراهيم يخرج من الحفرة سليمًا كما دخل!!

وجوههم مسودة من دخان الحريق، ووجهه يتلألأ بالنور والجلال!!

ثيابهم احترق نصفها بسبب ما تساقط عليها من الأخشاب الملتهبة، وثيابه كما هي لم تحترق!!

ثيابهم عليها أثر الدخان والحريق، وثيابه ليس عليها أي أثر للدخان أو الحريق!!

سبحان الملك!!

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

وخسر الكفار معركتهم ضد إبراهيم ﷺ..

جولة أخرى مع الكفر:

خسر الكفار معركتهم، ولكن لم تنته المعركة بعدُ، فقد بدأت جولة أخرىٰ مع ملكهم، تعال لنعرف قصته أيضًا:

كان يحكم أرض بابل بالعراق في ذلك الزمان ظالم متكبرًا اسمه النمرود، وكان يدعي أنه إله، وخاف الملك من دعوة سيدنا إبراهيم ﵇ إلىٰ الله، وأراد أن يثبت لإبراهيم ﵇ أنه هو الله!!

ووقف سيدنا إبراهيم ﵇ بصدقه ورسالته الطاهرة، أمام نمرود الجبار بقوته وجبروته وظلمه، يحاول إبراهيم ﵇ أن يخترق ظلمات نفسه، ويرفضون طغيان كبره.

قال النمرود: ما الذي يفعله ربك يا إبراهيم ولا أستطيع أنا القيام به؟

أجاب إبراهيم ﵇: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

ونظر النمرود في جهل وكبر إلي إبراهيم ﵇، وقال الطاغية: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾.

وعلىٰ الفور أصدر النمرود أوامره، فجئ برجل كاد أن يعدم، وأمر بالعفو عنه، وقال في جهل: أنا أحييت هذا الرجل بعد أن كاد يموت!!

ثم جاء برجل آخر وأمر بقتله قائلًا: وأنا الذي أمت هذا الرجل!

وكان هذا من النمرود كذب وغرور؛ فإنه يعلم أن هذا ليس هو المقصود.

لما رأىٰ إبراهيم غباءه وتحايله جاءه بما يذهله، فقال له إبراهيم في إيمان بقدرة الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾.

فبهت الذي كفر، وأحس بالعجز، ولم يستطع أن يجيب..

لقد أثبت له إبراهيم إنه كاذب، قال له:إن الله ﷻ يأتي بالشمس من المشرق فهل تستطيع أن تعكس الأمر وتأتي بها من المغرب؟!

فمهما حاول ذلك المتكبر ومهما استخدم من قوة لن يستطيع أبدًا أن يتحكم في

حركة الشمس، وأدرك الملك أنه خسر التحدي، ساعتها أحس النمرود بالعجز، وأخرسه التحدي، ولم يعرف ماذا يقول، ولا كيف يتصرف، انصرف إبراهيم من قصر الملك، بعد أن بهت الذي كفر، نعم بهت: كيف يفلت منها، وكيف يتحايل عليها، وكيف يجيب؟! نعم بهت.. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

الهجرة من أجل الدعوة:

استمر سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعوته إلي الله، ومرت سنوات وسنوات وهو يدعو قومه في صبر وإيمان، ولكن لم يؤمن به سوىٰ اثنين فقط هما زوجته سارة، وابن أخيه لوط عليه السلام .

وأدرك سيدنا إبراهيم أن قومه لن يؤمنوا بالله، وقرر الهجرة من أرض بابل، وهكذا كتبت الهجرة دائمًا علىٰ أهل الحق، وهاجر إلي أرض الكنعانيين، وهىٰ بلاد بيت المقدس في فلسطين، وكان أهلها يعبدون الكواكب.

جولة ثالثة مع الكفر:

واستقر في مدينة تسمي حاران، وأينما ذهب لابد من الدعوة إلي الله، والعمل لنشر دين الله، ودعا إبراهيم عليه السلام الناس إلي عبادة الله، وترك عبادة الكواكب، وبدأت الجولة الثالثة في حياة إبراهيم عليه السلام ، وأراد أن يثبت لهم أن الكواكب هي مخلوقات لله عز وجل ، وراح يحاورهم، وذات يوم عندما غربت الشمس وساد الظلام خرج معهم إلىٰ الفضاء، وعندما رأىٰ في السماء كوكبًا مضيئًا، أشار إليه قائلًا: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ .

وسعد أهل المدينة، وظنوا أنه سيعبد الكواكب مثلهم، ولكن في الصباح اختفي الكوكب وانطفأ نوره، فقال إبراهيم عليه السلام : ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ .

وفي الليلة الثانية عندما ظهر القمر وبزغ نوره؛ قال سيدنا إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ .

واختفىٰ القمر في الصباح، فقال إبراهيم عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ .

وراح يشرح لقومه أنه لن يعبد إلهًا يظهر ثم يختفي، يضيء ثم ينطفيء، هذا لا يمكن أن يكون إلهًا، وفي الصباح رأىٰ الشمس ساطعة، فأشار إليها قائلًا: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾.

ولم يدرك قومه غرضه إلا بعد أن غربت الشمس وتوارت وراء الأفق، فقال سيدنا إبراهيم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٧٨-٧٩].

أعلن لقومه أن هذه الكواكب مجرد مخلوقات أبدعها الخالقﷻ ، ودعاهم إلىٰ عبادة الله ﷻ بعد أن أثبت لهم أن الكواكب ليست آلهة، هدده عبدة النجوم والكواكب، وحاولوا بث الخوف في قلبه.

قالوا له: إن آلهتهم ستنتقم منه وتؤذيه، ولكنه وقف يدافع عن الحق قائلًا: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٠-٨١].

أنتم الذين يجب أن تخافوا؛ لأنكم أشركتم بالله، أما أنا فلن يصيبني شئ إلا بأمر اللهﷻ ، واستمر إبراهيمعليه السلام في دعوته إلىٰ الله، ثم لما لم يجد آذانًا صاغية لدعوته قرر الهجرة إلىٰ مصر؛ لعله يهتدي به أحد من أهلها.

وصل سيدنا إبراهيمعليه السلام إلىٰ مصر، ومعه زوجته السيدة سارة وسرعان ما وصلت الأخبار لملك مصر بوصول رجل إلىٰ مصر معه امرأة هي أجمل نساء الأرض، فطمع بها وأرسل جنوده؛ ليأتوه بهذه المرأة، وأمرهم بأن يسألوا عن الرجل الذي معها، فإن كان زوجها فليقتلوه، وجاء الوحي لإبراهيمعليه السلام بذلك، فقال إبراهيمعليه السلام لسارة: إن سألوك عني فأنت أختي -أي: أخته في الله، وقال لها: ما علىٰ هذه الأرض مؤمن غيري وغيرك- فكل أهل مصر كانوا في هذا الوقت يعبدون

فرعون، ليس فيها موحد لله ﷻ، فجاء الجنود وسألوا إبراهيم: ما تكون هذه منك؟ قال: أختي.

لما عرفت السيدة سارة أن ملك مصر فاجر و يريدها له أخذت تدعوا الله قائلة: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا علي زوجي فلا تسلط علي الكافر.

فلما أدخلوها عليه، مد إليها يده ليلمسها؛ فشُلَّ وتجمدت يده في مكانها، فبدأ بالصراخ؛ لأنه لم يعد يستطيع تحريكها، وجاء أعوانه لإنقاذه لكنهم لم يستطيعوا فعل شيء، فخافت سارة علىٰ نفسها أن يقتلوها بسبب ما فعلته بالملك وقالت: يارب اتركه لا يقتلوني به، فاستجاب الله لدعائها.

لكن الملك لم يتب وظن أن ما حدث كان أمرًا عابرًا وانتهىٰ، فهجم عليها مرة أخرىٰ، فشل مرة ثانية، فقال: فكيني وأطلقك وأكرمك، فدعت الله تعالىٰ ففكه، فصرخ الملك بأعوانه: أبعدوها عني؛ فإنكم لم تأتوني بإنسان بل أتيتموني بشيطان، فأطلقها وأعطاها أمة أسماها هاجر، ثم بعد فترة لما لم يجد إبراهيم عليه السلام آذانًا صاغية، أو قلوبًا واعية؛ أخذ إبراهيم عليه السلام عائلته ورجعوا جميعًا إلىٰ بيت المقدس.

وكانت السيدة سارة لا تلد، كان سيدنا إبراهيم يتمنىٰ أن يرزقه الله بولد، فدعا الله قائلًا: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ .

وعندما أدركت السيدة سارة رغبة زوجها في إنجاب طفل، عرضت له السيدة سارة أن يتزوج جاريتها هاجر، ووافق إبراهيم عليه السلام، وتم الزواج وأنجب سيدنا إبراهيم ابنه الأول إسماعيل عليه السلام .

من فوائد القصة:

١- تفاهة مبادئ الكفر وسقوطها، وأنه ليس علىٰ الأرض دين يرتضيه الله إلا الإسلام، الذي هو دين كل أنبياء الله ورسله، والذي أصله وأساسه عبادة الله وحده، ونبذ ما يعبد من دون الله.

٢- الأدب مع الوالدين حتىٰ ولو كانا كافرين بالله، مع الحرص كل الحرص علىٰ هدايتهما ودعوتهما إلىٰ الله تعالىٰ؛ فهما أحق الناس بذلك.

٣- الأدب في الحوار يستجلب مودة الخصم، ويذهب حرارة العناد.

٤- لابد من الثبات وعدم التردد لحظة واحدة، فمهما علا الباطل فهو زاهق زائل ومهما ضعف الحق فهو منصور.

٥- من مبادئ الدعوة تعرية الباطل وفضح الشرك وأهله حتىٰ يحذره الناس، ولا بد من بيان أنه لا يملك النفع والضر إلا الله وحده، ومن ادعىٰ غير ذلك فهو مفتر كاذب.

٦- كل من دعا إلىٰ استقامة لابد أن يجد الكيد من أهل الزيغ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغضونها عوجًا، ولكن كيد الكائدين يزول بحفظ الله لأوليائه.

٧- لا يملك الإحياء والإماتة إلا الله، ولا يملك الإتيان بالشمس من المشرق أو المغرب إلا هو وحده، فهو يتصرف في ملكه كيف شاء.

٨- علىٰ كل إنسان أن يعمل ولا ينتظر النتائج، فهذا شأن صاحب العمل وليس شأن الأجير، ولا ينبغي أن يبتئس بقلة من استجاب للحق واتبعه، بل يكفيه أن يؤدي ما أمره الله به.

٩- علامة الحب لله الغيرة لمحارمه، وهيجان القلب وثورانه عند رؤية المنكرات، وعدم السكوت عند رؤية المنكر بحال.

إبراهيم عليه السلام يمضي بزوجته وولده إلى مكة:

عاش إبراهيم عليه السلام وهو يسبح الله ويدعو الناس إليه، حتىٰ جاء يوم أمر زوجته هاجر أن تحمل ابنها الرضيع إسماعيل لتسافر معه.

سار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع هاجر وإسماعيل طويلًا حتىٰ تجاوز العمران، ووصلوا إلىٰ صحراء واسعة مترامية الأطراف خالية من الزرع والماء هي صحراء

الجزيرة العربية، وهناك في مكة ترك سيدنا إبراهيم زوجته وطفله الرضيع، ووضع بجوارهما بعض الطعام والماء، وسار مبتعدًا، أسرعت خلفه زوجته وهيٰ تقول له: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه شي ء؟!

لم يرد عليها سيدنا إبراهيم، وظل يسير، عادت تقول له ما قالته وهو صامت لا يرد ولا يجيب، أخيرًا فهمت أنه لا يتصرف هكذا من نفسه، أدركت أن الله أمره بذلك وسألته: هل الله أمرك بهذا؟ قال إبراهيم ﵇: نعم، قالت: إذًا لن يضيعنا الله.

قالت زوجته المؤمنة العظيمة: لن نضيع ما دام الله معنا وهو الذي أمرك بهذا، وسار إبراهيم ﵇ حتىٰ إذا أخفاه جبل عنهما وقف ورفع يديه الكريمتين إلىٰ السماء وراح يدعو الله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [سورة إبراهيم:٣٧].

ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع في صحراء مكة وسار راجعًا إلىٰ كفاحه في الدعوة إلىٰ الله ﷻ.

زمـــزم:

أرضعت أم إسماعيل ابنها وأحست بالعطش، كانت الشمس ملتهبة وساخنة وتثير الإحساس بالعطش، بعد يومين انتهىٰ الماء تمامًا، وجف لبن الأم، وأحست هاجر وإسماعيل بالعطش، كان الطعام قد انتهىٰ هو الآخر، بدأ إسماعيل يبكي من العطش، وتركته أمه وانطلقت تبحث عن ماء.

راحت تمشي مسرعة حتىٰ وصلت إلىٰ جبل اسمه الصفا، فصعدت إليه وراحت تنظر هنا وهناك، تبحث عن بئر أو إنسان أو قافلة وتطيل النظر، وترفع رأسها إلىٰ أقصي ما ترىٰ العينان، ولكن لم يكن هناك شيء، ونزلت مسرعة من الصفا حتىٰ إذا وصلت إلىٰ الوادي راحت تسعىٰ سعي الإنسان المجهد حتىٰ جاوزت الوادي ووصلت إلىٰ جبل المروة، فصعدت إليه ونظرت لترىٰ أحدًا لكنها لم تر أحداً،

وعادت الأم إلىٰ طفلها فوجدته يبكي وقد اشتد عطشه، فأسرعت إلىٰ الصفا مرة أخرىٰ فوقفت عليه فنظرت ثم هرولت إلىٰ المروة فنظرت من فوقه، وراحت تذهب وتجئ سبع مرات بين الجبلين الصغيرين، سبع مرات وهيٰ تذهب وتعود، وتذهب وتعود تحدق في الفضاء الواسع، ليس ثم إلا رمال صفراء.

(لهذا يذهب الحجاج سبع مرات ويعودون بين الصفا والمروة إحياء لذكريات أمهم الأولي ونبيهم العظيم إسماعيل).

عادت هاجر بعد المرة السابعة وهيٰ مجهدة متعبة تلهث، وجلست بجوار ابنها الذي كان صوته قد بح من البكاء والعطش، أصابها الإعياء من الجهد، وأصاب ولدها مثله من البكاء.

وهنا... وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله ﷻ الرحيم بكل شيء، وأرسل لها جبريل عليه السلام فبحث بعقبة أو بجناحه عند موضع قدم إسماعيل فانفجرت بئر زمزم، وفار الماء من البئر، أنقذت حياة الطفل والأم، راحت الأم تغرف بيدها وتشرب وهيٰ تشكر الله، وشربت وسقت طفلها وبدأت الحياة تدب في المنطقة، صدق ظنها حين قالت: لن نضيع مادام الله معنا، سبحان الله! ينبع الماء من تحت قدم الطفل، لا علىٰ الصفا، ولا علىٰ المروة، ولا بينهما.

بداية عمران مكة:

وبدأت بعض القوافل تستقر في المنطقة، وجذب الماء الذي انفجر من بئر زمزم عديدًا من الناس، وبدأ العمران يبسط أجنحته علىٰ المكان.

وبدأ إسماعيل عليه السلام ينمو ويكبر، وإبراهيم عليه السلام يتابعه في حب وحنان، ويزداد تعلق قلبه به، حتىٰ جاء يوم تعرض فيه سيدنا إبراهيم لاختبار صعب، وابتلاء مبين.

البلاء المبين:

في يوم من الأيام وسيدنا إبراهيم عليه السلام نائم رأىٰ أنه يذبح ابنه إسماعيل، واستيقظ إبراهيم عليه السلام وأدرك أن الرؤيا كانت وحيًا من الله ﷻ، فأن «**رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ**» [صحيح

البخاري (١٣٨)]، ولم يتردد سيدنا إبراهيم ، لم يحاول أن يعصى الله، لم يفكر أن يدعو الله لكي لا يذبح فلذة كبده، إنه أمر الله، لا يأتي إلا بخير، ولابد من طاعته، لذلك لم يحاول التفلت من الأمر، بل استسلم بمنتهى الرضا.

واتجه سيدنا إبراهيم إلى ابنه وقال له بصراحة لا تخلو من الرفق: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾.

فرد عليه سيدنا إسماعيل بصراحة مثلها لا تخلو من الخوف: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وأحضر سيدنا إبراهيم سكينًا، ووفي صبر عميق، وبإيمان لا مثيل له، أرقد ابنه على وجهه رفقًا به؛ حتى لا يرى والده وهو يذبحه، وأسلم الاثنان أمرهما لله : ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾.

وهم سيدنا إبراهيم بذبح ابنه عندما ناداه الله: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.

لقد صبر إبراهيم وأطاع أمر الله، وكاد أن يذبح ابنه، فجازاه الله خير الجزاء، فلقد فدى الله سيدنا إسماعيل بكبش كبير، ذبحه إبراهيم بدلًا من ولده، وأنقذ الله إسماعيل من الذبح، وصار هذا اليوم عيدًا للمسلمين، يذبحون فيه الذبائح قدوة بسيدنا إبراهيم ، وفي نفس المكان في منى قرب مكة.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾.

إحياء الله الموتى لإبراهيم :

أراد سيدنا إبراهيم أن يعرف كيف يحيي الله الموتى، فناجى ربه قائلًا: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾؟

يريد أن يعرف ويرى ، فقال الله : ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾؟

قال له ربه: أولست برجل مؤمن مصدق أن ربك يحيي ويميت؟ فقال سيدنا إبراهيم: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾.

قال: بلىٰ، بالتأكيد آمنت.

قال الله ﷻ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ذبح سيدنا إبراهيم أربعة طيور، وقسم كل طائر إلىٰ عدة أجزاء، ووضع كل جزء فوق جبل بعيدًا عن اللآخر، ونطق سيدنا إبراهيم عليه السلام باسم الله، وحدثت المعجزة، تلاقت أجزاء الطيور في إعجاز فريد؛ لتكتمل الطيور وترفرف بأجنحتها، وتنطلق طائرة بقدرة الله تعالىٰ، وهكذا تيقن سيدنا إبراهيم عليه السلام أن الله علىٰ كل شيء قدير، ورأىٰ بعينيه معجزة الإحياء.

من فوائد القصة:

١ ـ أعلىٰ الناس عند الله مكانه أعلاهم عنده بذلًا وتضحية، تأمل حياة إبراهيم: من أين خرج، وإلىٰ أين هاجر، لقد انطلق في الصحاري يجوب البلاد طلبًا لرضا ربه ورحمته.

٢ ـ مما يجلب لك محبة الله و يزيدها في قلبك أن تزيح كل ما يضعفها، وتتخلص من كل ما يقدح فيها، فلن تنال محبة الله خالصة حتىٰ تحبه حباً خالصاً، وتحب كل ما يحب، وتكره كل ما يكره.

٣ ـ التضحية في سبيل الله شأن كل العاملين لهذا الدين، و ياله والله من بلاء عندما يؤمر إبراهيم بأن يذبح ابنه!! لا أن يموت بمرض أو بغيره، أو يذبحه غيره، بل هو يذبح ولده -الذي انتظره طويلًا- بيده، فيطيع أمر الله؛ لأن أمر الله أحب إليه وأعظم عنده.

٤ ـ بركة المكان ببركة ما فيه من طاعة لله، وأعظم بلاد الله بركة مكة المكرمة، والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، فيالها من بركة عظيمة!!

٥ ـ الدعاء سلاحك وزادك، وكلما كان تضرعك أكثر، وذُلُّك لله أعظم؛ استجاب الله دعاءك، وبالدعاء يرفع البلاء، وتحصل البركات للعبد؛ فعليك بالدعاء.

٦- لا ينبغي أن يحرص الإنسان علىٰ نفسه فحسب، بل ينبغي أن يحرص علىٰ حصول الخير لكل الناس، وأحق الناس بهذا ذريته فيحرص علىٰ صلاحهم، ويدعو لهم ويتخذ الأسباب إلىٰ ذلك.

٧- صبر إسماعيل نبع من يقين هاجر، ويقين هاجر ينبع من صدق إبراهيم عليه السلام، يأتيها الله بالفرج العظيم، ويخلد ذكرها في العالمين بهذه الثقة في الله: إذًا لن يضيعنا الله.

كرم الخليل، وبشارة بإسحاق عليه السلام:

وفي يوم من الأيام، كان سيدنا إبراهيم عليه السلام جالسًا وحده في بيته، في هذه اللحظة، هبطت علىٰ الأرض أقدام ثلاثة من الملائكة: جبريل وإسرافيل وميكائيل عليهم السلام، يتشكلون في صور بشرية من الجمال الخارق، ساروا صامتين، مهمتهم مزدوجة، المرور علىٰ إبراهيم وتبشيره، ثم زيارة قوم لوط ووضع حد لجرائمهم.

سار الملائكة الثلاثة قليلًا حتىٰ وصلوا إلىٰ المكان الذي يجلس فيه إبراهيم، رفع إبراهيم عليه السلام رأسه، تأمل وجوههم، لا يعرف أحدًا منهم، بادروه بالتحية، قالوا: سلامًا، قال: سلام.

نهض إبراهيم ورحب بهم، أدخلهم بيته وهو يظن أنهم ضيوف وغرباء، وقد كان عليه السلام يحب إكرام الضيف، أجلسهم واطمأن أنهم قد اطمأنوا، ثم استأذن وخرج، أسرع إلىٰ أهله.

نهضت زوجته سارة حين دخل عليها، كانت عجوزًا قد ابيض شعرها ولم يعد يتوهج بالشباب فيها غير وميض الإيمان الذي يطل من عينيها.

قال إبراهيم لزوجته: زارنا ثلاثة غرباء.

سألته: من يكونون؟

قال: لا أعرف أحدًا منهم، وجوههم غريبة عن المكان، لا ريب أنهم من مكان

بعيد، غير أن ملابسهم لا تشي بالسفر الطويل، اذبحي لهم عجلًا ثمينًا، هم ضيوف وغرباء، ليست معهم دواب أو أحمال أو طعام، ربما كانوا جوعىٰ وربما كانوا فقراء.

اختار إبراهيم عليه السلام عجلًا سمينًا وأمر بذبحه، فذكروا عليه اسم الله وذبحوه، وأعدت المائدة، ودعا إبراهيم عليه السلام ضيوفه إلىٰ الطعام، ووقف إبراهم بنفسه يخدمهم زيادة في الإكرام والحفاوة، ووضع العجل المشوي أمام الضيوف.

أشار إبراهيم بيده أن يتفضلوا باسم الله، وبدأ هو يأكل ليشجعهم، كان إبراهيم عليه السلام كريمًا يعرف أن الله لا يتخلىٰ عن الكرماء وربما لم يكن في بيته غير هذا العجل، وضيوفه ثلاثة، غير أنه سيدًا عظيم الكرم، راح إبراهيم يأكل ثم استرق النظر إلىٰ ضيوفه؛ ليطمئن أنهم يأكلون، لاحظ أنه لا أحد منهم يمد يده إلىٰ الطعام، قرب إليهم الطعام وقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ؟

قال: هيا..كلوا..كلوا.. بسم الله..

عاد إلىٰ طعامه ثم اختلس إليهم نظرة فوجدهم ما زالوا لا يأكلون، رأىٰ أيديهم لا تصل إلىٰ الطعام، عندئذ..﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ .

في تقاليد البادية التي عاش فيها إبراهيم عليه السلام ، كان معنىٰ امتناع الضيوف عن الأكل أنهم يقصدون شرًا بصاحب البيت.

ولاحظ إبراهيم عليه السلام بينه وبين نفسه أكثر من ملاحظة تؤيد غرابة ضيوفه، لاحظ أنهم دخلوا عليه فجأة، لم يرهم إلا وهم عند رأسه، لم يكن معهم دواب تحملهم، لم تكن معهم أحمال، وجوههم غريبة تمامًا عليه، كانوا مسافرين وليس عليهم أثر لتراب السفر..

ثم ها هو ذا يدعوهم إلىٰ طعامه فينظر إلي المائدة ولا يأكلون، ازداد خوف إبراهيم، رفع نظره فوجد امرأته سارة تقف في نهاية الحجرة.

كأن الملائكة كانوا يقرأون أفكاره التي تدور في نفسه، دون أن يشي بها وجهه، قال له أحد الملائكة: ﴿لَا تَخَفْ﴾ ، ورفع إبراهيم رأسه وقال بصدق عظيم وبراءة: لقد

دعوتكم إلىٰ الطعام ورحبت بكم، ولكنكم لا تمدون أيديكم إليه، هل تنون بي شراً؟ ابتسم أحد الملائكة وقال: نحن لا نأكل يا إبراهيم، نحن ملائكة الله، وقد: ﴿أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

وكانت السيدة سارة واقفة تسمع إلي الحوار فضحكت؛ فبشرتها الملائكة أنها ستلد ولداً اسمه إسحاق، ثم سينجب إسحاق ولدًا اسمه يعقوب: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

تعجبت السيدة سارة وقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

كيف ألد وأنا في هذه السن المتأخرة، وقد كنت عاقرًا، وهذا زوجي شيخٌ كبير السن؟!

فردت عليها الملائكة: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

لم تكن البشري شيئًا بسيطًا في حياة إبراهيم عليه السلام وزوجته، لم يكن لإبراهيم غير ابن واحد هو إسماعيل، تركه هناك بعيدًا في الجزيرة العربية، ولم تكن زوجته سارة قد أنجبت خلال عشرتها الطويلة لإبراهيم عليه السلام، وهي التي زوجته من جاريتها هاجر، ومن هاجر جاء إسماعيل، أما سارة، فلم يكن لها ولد، وكان حنينها إلي الولد عظيمًا، لم يطفئ مرور الأيام من توهجه، ثم دخلت شيخوختها واحتضر حلمها ومات، كانت تقول: إنها مشيئة الله سبحانه وتعالى.

هكذا أراد الله لها، وهكذا أراد لزوجها، ثم ها هىٰ ذي في مغيب العمر تتلقىٰ البشارة، ستلد غلاماً، ليس هذا فحسب، بشرتها الملائكة بأن ابنها سيكون له ولد اسمه يعقوب تشهد مولده وتشهد حياته، لقد صبرت طويلًا، ثم يئست، ثم نسيت، ثم يحدث الله مفاجأة تمحو هذا كله في لحظة.

أما سيدنا إبراهيم فقد قال في تعجب: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾؟

قالت الملائكة لتبشره وتبدد يأسه: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾.

فقال إبراهيم عليه السلام في إيمان: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾؟!

تقبل سيدنا إبراهيم البشرىٰ في سعادة غامرة، وفرح بالمولود الموعود، وأنسته الفرحة ما ذكره الملائكة عليهم السلام من أمر لوط ابن أخيه عليه السلام.

وعندما زالت المفاجأة عن سيدنا إبراهيم عليه السلام وأدرك أن الملائكة سيدمرون قوم ابن أخيه لوط، راح يجادلهم ويقول لهم: إنه ربما يؤمن قوم لوط، أو ربما يتمكن لوط من هداية بعضهم، ولكن الملائكة أفهموه أنه أمر الله، وأن الله تعالى لن يؤجل عذابهم: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾.

كانت كلمة الملائكة إيذانًا بنهاية الجدال، سكت إبراهيم، وتوجهت الملائكة لقوم لوط عليه السلام.

بناء البيت:

إن أول مسجد بني ليعبد الناس فيه الله كان موقعه في مكة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**الْمَسْجِدُ الأَقْصَىٰ**»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً**» [صحيح البخاري (٣١٨٦)].

وهو أشرف المساجد، وقد بني في أطهر وأشرف بقاع الأرض، إنه الموقع الذي دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعله حرمًا آمنًا؛ فاستجاب الله دعوته.

كان سيدنا آدم قد بني البيت أول مرة؛ لعبد الله فيه، ولكن مرت قرون طويلة بعد آدم عليه السلام فتهدم البيت واختفىٰ.

وقد أوحىٰ الله تعالى إلي سيدنا إبراهيم بإعادة بناء البيت العتيق، وتعاون إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾.

بذل سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام جهدًا جبارًا فوق طاقة البشر، حفرا أساس الكعبة، وقطعا الحجارة من الجبال، ونقلاها في قوة واحتمال إلي الكعبة؛ ليضعوها في موقعها، ويكملوا البناء، ذلكم البناء الذي سيظل قبلة المسلمين إلىٰ يوم القيامة.

وأثناء بناء الكعبة لم يسألا الله أجرًا، بل كانا يدعوان الله أن يتقبل منهما عملهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

واستمرت دعوتهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

ولم يدعوا لنفسيهما فقط، بل لمن جاء بعدهما من الناس: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

وكان دعاؤهما عليهما السلام يؤنسهما أثناء العمل، ويسعدهما بعد العمل، وهكذا دومًا يكون شعور الارتباط بالله جل جلاله، وطلب المعونة منه قبل العمل، واحتساب الأجر عنده بعد العمل.

وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يقف علىٰ حجر؛ ليرىٰ استواء بناء الكعبة، فتركت قدماه في الحجر أثرًا عميقًا وهو ما يسمىٰ بمقام إبراهيم، تراه اليوم أمام الكعبة.

قال رسول الله ﷺ: **«جَاءَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ يبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بالوَلَدِ، ثُمَّ قَالَ إِسْمَاعِيلُ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ**

أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَىٰ أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا.

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ، فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّىٰ يَدُورَا حَوْلَ البَيْتِ وَهُمَا يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾» [صحيح البخاري (٣١١٢)].

والله إنها لحكاية ينشرح لها الصدر ويسعد بها القلب، لما فيها من معان إيمانية، وفوائد تربوية، أقتصر منها على ذلك الود والحب العميق والألفة الطيبة بين الابن وأبيه، وتعاونهما على طاعة الله، وتنفيذ أوامره.

وتم بناء الكعبة وأمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس بالحج، ففعل وأسمع الله ﷻ بقدرته صوت إبراهيم إلىٰ كل الناس: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾.

وهنا تمت مهمة إبراهيم عليه السلام، مر بابتلاءات كثيرة، وتجاوز عقبات ضخمة، وجاءت النهاية: الموت، الذي هو حق على كل إنسان.

وعندما جاء ملك الموت إلي سيدنا إبراهيم عليه السلام ذهب معه راضيًا متلهفًا للقاء رب العالمين، للقاء الله ﷻ بعد عمر طويل قضاه في الطاعة والإخلاص والدعوة إلىٰ الله ﷻ.

صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم.

حقًا صدق الله إذ يقول: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾.

من فوائد القصة:

١- الملائكة عباد الله المكرمون لا يأكلون ولا يشربون، وأعطاهم الله القدرة على التشكيل في صورة البشر، ثم هم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

٢- الكرم خلق الصالحين، وأولىٰ الناس به الأنبياء والمرسلون، فتأمل كيف جاء الخليل بعجل سمين، وقد يكون لا يملك غيره، والكرم ممدوح بكل لسان، كما أن البخل أدوىٰ داء، قال رسول الله ﷺ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنَ الْبُخْلِ؟!**» [صحيح الجامع (٧١٠٤)].

٣- ليس في قاموس الإسلام يأس ولا قنوط، فالله علىٰ كل شيء قدير، وسارة ترزق بالولد بعد أن صارت عجوزًا وكانت عاقرًا، وإذا أراد الله أمرًا هيأ أسبابه.

٤- من بني لله بيتًا؛ بني الله له مثله في الجنة.

٥- من عمر عمره بطاعة ربه اشتاق إلىٰ لقائه، وتلهف إلىٰ جنته وقربه.



إسماعيل عليه السلام

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾

دعاء الخليل بطلب الذرية:

الأولاد هبة محضة من الله، فهم رزق مقسوم كسائر الأرزاق، يأتي بقدر الله وتقديره، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الشورى: ٤٩ - ٥٠]، وليس وجود الأولاد أو عدمهم دليل غضب أو رضا من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة سبأ:٣٧]، ولكن النفس البشرية جبلت علىٰ حب المال والولد، فهما زينة الحياة الدنيا.

ومن ثم كان إبراهيم عليه السلام يتمنىٰ أن ينجب طفلًا، فدعا الله قائلًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾، والله كريم يستجيب دعاء الصالحين، فبشره الله تعالى بغلام حليم، وكان قد بلغ من العمر ستًا وثمانين سنة.

إنه إسماعيل عليه السلام الذي وصفه الله تعالى بأنه حليم، صابر، صادق الوعد، الذي يدعو أهله إلىٰ الصلاة وإلىٰ المحافظة عليها، وأمه السيدة هاجر.

ولما ولد نبي الله إسماعيل عليه السلام تعرض لأول محنة وهو طفل رضيع، عندما تركه والده إبراهيم مع والدته هاجر في الصحراء، وعندما اشتد عطشه بعد أن سعت أمه هاجر بين الصفا والمروة سبع مرات، ضرب الأرض بقدميه فانفجرت بئر زمزم بإذن الله تعالى.

عاش إسماعيل في شبه الجزيرة العربية ما شاء الله عز وجل له أن يعيش، روض الخيل وأستأنسها، وساعدت مياه زمزم علىٰ سكنىٰ المنطقة وتعميرها.

زيارة الخليل لإسماعيل عليه السلام:

استقرت بالمنطقة بعض القوافل، وسكنتها القبائل، وكبر إسماعيل عليه السلام وتزوج، وزاره أبوه إبراهيم عليه السلام، قال رسول الله ﷺ: «جَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، كَأَنَّهُ أَنِسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ.

قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَىٰ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ، فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ» [سبق تخريجه].

ثم تعرض سيدنا إسماعيل عليه السلام إلىٰ بلاء آخر أشد من الأول، وحقًا إنه بلاء مبين، وذلك عندما رأىٰ سيدنا إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه وفلذة كبده إسماعيل، فذهب إليه وقصَّ عليه الرؤيا، فلم يتردد سيدنا إسماعيل..

وبنفس صابرة مليئة بالإيمان والطاعة لله قال لوالده: ﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ

سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

تأمل رد الابن! إنسان يعرف أنه سيذبح فيمتثل للأمر الإلهي ويقدم المشيئة ويطمئن والده أنه سيجده ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

هو الصبر علىٰ أي حال وكل حال، وربما استعذب الابن أن يموت ذبحًا بأمر من الله، ها هو ذا إبراهيم عليه السلام يكتشف أن ابنه ينافسه في حب الله.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾: هذا هو الإسلام الحقيقي، تعطي كل شيء، فلا يتبقىٰ منك شيء.

وفي اللحظة التي كان السكين فيها يهيأ لإمضاء أمره، نادىٰ الله إبراهيم، انتهىٰ اختباره، وفدىٰ الله إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم، وصار اليوم عيدًا لقوم لم يولدوا بعد، هم المسلمون، صارت هذه اللحظات عيدًا للمسلمين.

وظهرت نتيجة الامتحان أن نجح الأب والابن، سبحان الملك!! ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، مرت المحنة وصارت منحة، وبقي الذكر الحسن، أنهما عليهما السلام من الصادقين المحسنين.

وكما كانت حياة إبراهيم عليه السلام مليئة بالابتلاءات التي جاوزها بنجاح لم تشهد البشرية مثله، كذلك كانت حياة ابنه إسماعيل عليه السلام معه، فبعد امتحان الذبح يأتي اختبار التبتل والبذل، وقد مر معنا حديث أن إبراهيم قال لإسماعيل عليهما السلام:يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني، قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا.. الحديث.

مازال يتملكني العجب والإعجاب بهذا التعامل السامي بين الأب وابنه، نسأله الله أن يهدي الآباء ويصلح الأبناء.

بناء الكعبة:

لم يحدثنا الله عن زمن بناء الكعبة، حدثنا عن أمر أخطر وأجدىٰ، حدثنا عن تجرد نفسية من كان يبنيها، ودعائه وهو يبنيها: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

ها هو ذا الرمز يسفر عن أقنعته الشفافة؛ لنرىٰ وجهه الحقيقي الخالد وراء الغرض الأصلي هو الرجوع إلىٰ الله، أن يتقبل السميع العليم، وتلك غاية إخلاص المخلصين، وطاعة الطائعين، وخوف الخائفين، إنهما يتعبان ويشقيان في تقطيع الصخر وبناء البيت، وفقط يرجوان القبول فحسب..

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾.

إن أعظم مسلمين علىٰ وجه الأرض يومها يدعوان الله أن يجعلهما مسلمين له، يعرفان أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ ولا يأمن أحدهما مكر الله ﷻ، وهما يعبدان الله أصفىٰ ما تكون العبادة، ويبنيان بيته المعمور، ويسألانه أن يتقبل عملهما، ويسألانه بعدها الإسلام وتبلغ الرحمة بهما أن يسألا الله أن يخرج من ذريتهما أمة مسلمة له سبحانه، يريدان أن يزيد عدد العابدين الموجودين والطائفين والركع السجود.

إن دعوة إبراهيم وإسماعيل تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن، إنه يبني لله بيتًا، ومع هذا يشغله أمر العقيدة، وذلك إيحاء بأن البيت رمز العقيدة.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

أرنا أسلوب العبادة الذي ترضاه، أرنا كيف تحب أن نعبدك في الأرض، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.

بعدها يتجاوز اهتمامهما هذا الزمن الذي يعيشان فيه، يجاوزانه بالحدس ويدعوان الله: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

تحققت هذه الدعوة الأخيرة، حين بعث الله محمد بن عبد الله ﷺ، تحققت بع أزمنة وأزمنة.

انتهىٰ بناء البيت، وأراد إبراهيم ﵇ حجرًا مميزًا، يكون علامة خاصة يبدأ منها الطواف حول الكعبة، أمر إبراهيم إسماعيل أن يأتيه بحجر مميز يختلف عن لون

حجارة الكعبة، سار إسماعيل ملبيًا أمر والده، حين عاد، كان إبراهيم ﷺ قد وضع الحجر الأسود في مكانه، قال إسماعيل ﷺ: من الذي أحضره إليك يا أبت؟ قال إبراهيم: أحضره جبريل ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ**» [صحيح الترمذي (٨٧٧)].

انتهىٰ بناء الكعبة، وبدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها، ووقف إبراهيم يدعو ربه نفس دعائه من قبل، أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلىٰ المكان: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾.

انظر إلىٰ التعبير، إن الهوىٰ يصور انحدارًا لا يقاوم نحو شيء، وقمة ذلك الهوىٰ إلىٰ الكعبة، من هذه الدعوة ولد الهوىٰ العميق في نفوس المسلمين، رغبة في زيارة البيت الحرام، وصار كل من يزور المسجد الحرام ويعود إلىٰ بلده، يحس أنه يزداد عطشًا كلما ازداد ريًا منه، ويعمق حنينه إليه كلما بعد عنه، وتجيء أوقات الحج في كل عام، فينشب الهوىٰ الغامض أظافره في القلب نزوعًا إلىٰ رؤية البيت، وعطشًا إلىٰ بئر زمزم.

وكلما هفت القلوب إلىٰ البيت الحرام وإلىٰ زمزم تذكرت العقول مباشرة إبراهيم وإسماعيل ﷺ، فلهما الفضل بعد الله ﷻ في إقامة هذا البيت، وبزوغ هذه البئر، ومازالت زمزم طعام طعم وشفاء سقم، تشهد لإسماعيل ﷺ أنه كان عند ربه مرضيًا.

إسماعيل الرضي المرضي:

وسيدنا إسماعيل ﷺ هو أول من ركب الخيل، وكانت قبل ذلك غير مستأنسة، وهو أول من تكلم باللغة العربية الفصيحة، عاش إسماعيل ﷺ حياته يدعو الناس إلىٰ عبادة الله، وإلىٰ الصلاة والزكاة، وكان دائم التسبيح والذكر لله، شديد الإخلاص والطاعة لرب العالمين.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

وقد نال أعظم ثواب يمكن أن يناله بشر، ألا وهو رضاء الله ﷻ.

وإلىٰ إسماعيل ينتهي نسب النبي محمد ﷺ.

فهذا جدك الأكبر يا ابن الإسلام، وبه تفتخر، ومنه تستمد أصولك، وأصول أخلاقك:

* أولها: الاستسلام لله تعالىٰ وقبول أوامره وقضائه وقدره بمنتهىٰ الرضا وانشراح الصدر.

* ثانيها: المعاملة الطيبة الجميلة الرائقة بين الأب والابن المتحابين المتفاهمين المنسجمين.

وهكذا عاش إسماعيل حميدًا، ومضىٰ حميدًا، صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ آل إبراهيم.

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾

من فوائد القصة:

١- دعاء الله تعالىٰ بطلب الذرية الصالحة التي تعين علىٰ طاعة الله وإقامة دينه.

٢- تفقد الوالد لولده والسؤال عن حاله وتعاهده بالتربية والتوجيه.

٣- الشكر مفتاح النعم، كما أن ملال النعمة سبب زوالها.

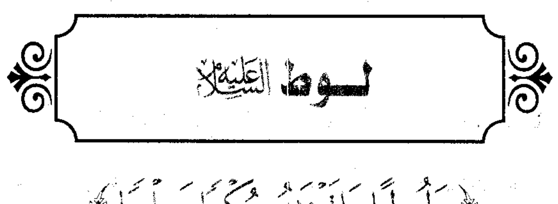
٤- من بركة الطاعة لله تفريج الكرب وإثابة العبد بالحسنات العظيمة.

٥- لا تفرح بعملك حتىٰ تعلم: أقبل أم لم يقبل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة:٢٧].

٦- هم الإنسان ما أهمه، واللسان يعرب عما في القلب، فمن كان همه عقيدته ودعوته لهج بذلك لسانه؛ فإنما جعل اللسان علىٰ ما في الفؤاد دليل.

٧- التوحيد الخالص هو ملة إبراهيم وإسماعيل، لم يك يهوديًا ولا نصرانيًا.

٨- اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، فحافظ علىٰ لغتك؛ فإن ذلك شعار الإسلام.



﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

رسول إلى أفجر أهل الأرض:

نبي الله لوط عليه السلام هو ابن أخي سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد بعثه الله إلىٰ قوم يعيشون في مدينة سدوم، قيل: إنها تبعد ثلاثة أيام عن بيت المقدس، وكانوا أفجر أهل الأرض، وأشدهم كفراً، وأكثرهم عملًا للمنكر والفواحش، كانوا ظالمين لأنفسهم وللناس، استكبروا علىٰ الحق، أباحوا لأنفسهم الجرائم البشعة واستحلوا المنكر.

كانوا يقطعون الطريق علىٰ المسافرين، ويخون بعضهم البعض، ويرتكبون كل الآثام التي عرفها الناس من قبل، والتي لم يعرفها من قبل ولا من بعد، وحاول سيدنا لوط عليه السلام أن يصلح من نفوسهم المريضة، ويداوي قلوبهم العليلة، وينير عقولهم المظلمة، ويمحو الشر من أنفسهم ويستأصل منهم الفواحش.

دعوة لوط عليه السلام قومه إلى الله:

وقف سيدنا لوط عليه السلام بين قومه يدعوهم إلىٰ الله تعالى، قال لهم في رحمة ورفق: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

ونهاهم لوط عليه السلام عن الفواحش والمنكر، وبين لهم أن الإنسان العاقل المبصر لا يرتكب الفاحشة، ولا يأتي المنكر أبدًا، قال لهم مستنكرًا: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

ولكن القوم استكبروا، وساءهم أن يكون بينهم رجل طاهر لا يعصىٰ الله ولا يرتكب الفواحش، كانت نفوسهم مريضة، ظنوا أن الرجل النقي الطاهر هو رجل لا

ينبغي أن يعيش بينهم، فيكون جزاؤه الطرد والنفي فتنادوا: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾.

وكان القوم يرتكبون الفواحش علانية في ناديهم، لم يحاولوا أن يستتروا أو يداروا المنكر، وجاهد لوط عليه السلام كثيراً؛ لينقذ قومه ويهديهم إلىٰ الحق، ولكن لم يؤمن به سوىٰ أهله فقط، وللأسف لم تؤمن به زوجته، رغم ذلك لم ييأس سيدنا لوط عليه السلام، كان يدعو قومه دون ملل سنوات طويلة.

وحاول سيدنا لوط أن يرهب قومه، وأن ينذرهم بعذاب الله إذا لم يكفوا عن ارتكاب المعاصي والفواحش والمنكر، ولكن قومه لم يصدقوه، بل قالوا له في تحد: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وعندئذ أدرك لوط عليه السلام أن قومه لن يؤمنوا به، وأنهم سيستمرون في تعذيبه، فدعا الله أن ينصره علىٰ القوم المجرمين، فاستجاب الله عز وجل لدعوة سيدنا لوط عليه السلام.

أرسل الله ثلاثة من الملائكة هم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، عليهم السلام، إلىٰ قرية سدوم، ومر الملائكة علىٰ سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ ليبشروه بمولد إسحاق عليه السلام، وحاول إبراهيم أن يجادلهم؛ ليؤخر العذاب عن قوم لوط؛ لعل بعضهم يؤمن بالله، ولكنهم أفهموه أنه أمر الله، وأنه لن يؤمن منهم أحد.

ووصل الملائكة عليهم السلام إلىٰ قرية سدوم قاصدين بيت لوط عليه السلام، وهم متنكرون في صورة بشر، شباب حديثو السن، وانطلق لوط عليه السلام مسرعًا إلىٰ الرجال الثلاثة وقال لنفسه: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ لما يعلم من قومه.

وحاول لوط أن يصرفهم عن الإقامة في المدينة فلم يستطع، وكان أهل المدينة قد اشترطوا علىٰ لوط ألا يضيف أحدًا، حتىٰ إذا حضر غريب قاموا بإيذائه.

قال سيدنا لوط عليه السلام للملائكة: إن هذه المدينة خبيثة، وإن قومها يرتكبون أكبر الفواحش، كررها عدة مرات، فلم يستطع أن يردهم عن عزمهم، تسلل لوط عليه السلام في حذر إلىٰ منزله مع ضيوفه، وهو يحاول ألا يراه أحد حرصًا علىٰ الرجال الثلاثة،

ولكن زوجته رأتهم، فانطلقت إلىٰ قومها؛ لتخبرهم بوجود الرجال الثلاثة في بيت سيدنا لوط.

وجاء القوم مسرعين، فخرج سيدنا لوط إلىٰ قومه؛ فطالبوه بالرجال الثلاثة الذين يستضيفهم في منزله، فوقف يخاطبهم: ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾؟!

إنها كلمة تحمل كل معاني الأسىٰ الذي فاض به قلب لوط عليه السلام: أليس منكم رجل؟ رجل واحد ألا يوجد؟! ولكن لم تلمس كلماته الفطرة المنحرفة المريضة، ولا القلب الجامد الميت، ولا العقل المريض الأحمق.

محاولته حماية ضيوفه:

وحاول قدر طاقته أن يحمي ضيوفه، ولكنه أدرك أنه رجل وحيد، لن يستطيع أن يهزم رجال قومه كلهم.

أسقط في يد لوط عليه السلام، أحس ضعفه وهو غريب بين القوم، نازح إليهم من بعيد بغير عشيرة تحميه، ولا أولاد ذكور يدافعون عنه، دخل لوط غاضبًا وأغلق باب بيته، وضع المزلاج في الباب ووقف يستمع إلىٰ الضحكات والضربات التي تنهال علىٰ الباب.

وقف لوط عليه السلام يرتعد وراء الباب حزنًا وأسفًا، كان الغرباء الثلاثة الذين استضافهم لوط يجلسون هادئين صامتين، يحف بهم جو من الجلال، ودهش لوط عليه السلام بينه وبين نفسه من هدوئهم، وزاد إحساسه بالألم: لأنهم وثقوا به واطمأنوا إليه، لا يعرفون أنه غير قادر علىٰ حمايتهم، وازدادت ضربات القوم علىٰ الباب، وصرخ لوط في لحظة يأس خانق: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.

تمنىٰ أن تكون له قوة تصدهم عن ضيفه، وتمنىٰ لو كان له ركن شديد يحتمي فيه ويأوي إليه، وقد كان فعلًا يأوي إلىٰ ركن شديد، ركن الله الذي لا يتخلىٰ عن

أنبيائه وأوليائه، قال رسول الله ﷺ، وهو يقرأ هذه الآية: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ**» [صحيح البخاري (٣٢٠٧)].

نزول العذاب والانتقام:

عندما بلغ الضيق ذروته، وقال النبي كلمته فطارت مثل عصفور يائس، تحرك ضيوفه ونهضوا فجأة أفهموه أنه يأوي إلىٰ ركن شديد: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾.

لا تجزع يا لوط ولا تخف، نحن من الملائكة، ولن يصل إليك هؤلاء القوم، انكسر الباب فجأة، واندفع الإعصار المحموم، ففقد القوم أبصارهم، وراحوا يتخبطون داخل الجدران فخرجوا من البيت وهم يظنون أنهم يدخلونه، طمست إشارة جبريل عليه السلام أبصارهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾﴾.

التفتت الملائكة إلىٰ لوط عليه السلام وأوصوه أن يصحب أهله أثناء الليل ويخرج، وسيسمعون أصواتًا مروعة تزلزل الجبال، لا يلتفت منهم أحد، كي لا يصيبه ما يصيب القوم، سبحان الملك الجبار سبحانه، أي عذاب هذا؟، هو عذاب من نوع غريب!! يكفي لوقوعه بالمرء مجرد النظر إليه، أفهموه أن امرأته كانت من الغابرين، امرأته كافرة مثلهم وستلتفت خلفها فيصيبها ما أصابهم.

اخرج يا لوط فقد جاء أمر ربك، سأل لوط الملائكة، أينزل الله العذاب بهم الآن؟ أنبؤوه أن موعدهم مع العذاب هو الصبح: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾؟!

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾.

خرج لوط عليه السلام مع بناته وزوجته، ساروا في الليل وغذوا السير، واقترب الصبح، كان لوط قد ابتعد مع أهله، ثم جاء أمر الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ

ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة هود: ٨٢-٨٣].

قال العلماء: اقتلع جبريل عليه السلام، بطرف جناحه مدنهم السبع من قرارها البعيد، رفعها جميعًا إلىٰ عنان السماء حتىٰ سمعت الملائكة في السماء أصوات ديكتهم ونباح كلابهم، ثم قلب المدن السبع وهوىٰ بها في الأرض، أثناء السقوط كانت السماء تمطرهم بحجارة من الجحيم، حجارة صلبة قوية يتبع بعضها بعضاً، ومعلمة بأسمائهم، كل واحد منهم يصيبه حجره الخاص به، وانتهىٰ قوم لوط تماماً، لم يعد هناك أحد، نكست المدن علىٰ رؤوسها، وغارت في الأرض، حتىٰ انفجر الماء من الأرض، هلك قوم لوط ومحيت مدنهم.

كان لوط عليه السلام يسمع أصواتًا مروعة، وكان الهواء خلفه يتمزق، وكان يحاذر أن يلتفت خلفه، نظرت زوجته نحو مصدر الصوت فانتهت، تهرأ جسدها وتفتت مثل عمود ساقط من الملح، قال الله تعالىٰ عن مدن لوط عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

إنها آية باقية لم تندثر، يؤكد ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾.

أي: بطريق مسلوك إلىٰ الآن، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

يعني: إنها آية ظاهرة، قال العلماء: إن مكان المدن السبع، بحيرة غريبة، ماؤها أجاج، وكثافة الماء أعظم من كثافة مياه البحر المالحة، وفي هذه البحيرة صخور معدنية ذائبة، توحي بأنها الحجارة التي ضرب بها قوم لوط كانت شهبًا مشتعلة، ويقال: إن البحيرة الحالية التي نعرفها باسم «البحر الميت» في فلسطين، هي مدن قوم لوط السابقة.

انطوت صفحة قوم لوط، انمحت مدنهم وأسماؤهم من الأرض، سقطوا من ذاكرة الحياة والأحياء، وطويت صفحة من صفحات الفساد، وتوجه لوط إلىٰ إبراهيم، زار إبراهيم عليه السلام وقص عليه نبأ قومه، وأدهشه أن إبراهيم عليه السلام كان يعلم،

ومضىٰ لوط عليه السلام في دعوته إلىٰ الله، مثلما مضىٰ الحليم الأواه المنيب إبراهيم عليه السلام في دعوته إلىٰ الله تعالى، مضىٰ الاثنان ينشران الإسلام في الأرض.

من فوائد القصة:

١- يود العاصي أن يكون كل الناس عصاة، ويعيب أهل القذارة الطهارة علىٰ المتطهرين.

٢- إذا انتشرت الفواحش واستعلن بها نزل العذاب الأليم، وعم البلاء العظيم.

٣- إذا كثرت الذنوب عمىٰ القلب، ولم يبصر إلا ما يهوىٰ، وانطمست الفطرة، وصار الإنسان حيوانًا في مسلاخ بشر، ومن غلبت شهوته عقله فهو أخس عند الله من كلب.

٤- من حقوق الضعيف حمايته من الأذىٰ، ودفع المكروه والسوء عنه.

٥- شدة انتقام الله من العصاة تذهل وتزجر من كان عاقلًا.

٦- انتصار الدين هو بقاء الدعوة إلىٰ الله وإهلاك أعدائه.

٧- لا يغني نسب عاص أو أصله من عذاب الله، فمن شارك العصاة في معصية عمه معهم العذاب، ولا ينجي الله إلا الصالحين المصلحين.

٨- الشهوات تعمي القلب وتصمه، وما أفلح صاحب شهوة محرمة قط.



إسحاق عليه السلام

﴿ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ﴾

هو ولد سيدنا إبراهيم عليه السلام من زوجته سارة، وقد كانت البشارة بمولده من الملائكة عليهم السلام لإبراهيم وسارة لما مروا بهم مجتازين ذاهبين إلىٰ مدائن قوم لوط؛ ليدمروها عليهم لكفرهم وفجورهم، ذكره الله في القرآن بأنه ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات:١٠١]، جعله الله نبيًا يهدي الناس إلىٰ فعل الخيرات، جاء من نسله سيدنا يعقوب عليه السلام.

كان ميلاده حدثًا خارقاً، بشرت به الملائكة، وورد في البشرىٰ اسم ابنه يعقوب، وقد جاء ميلاده بعد سنوات من ميلاد أخيه إسماعيل، ولقد قر قلب سارة بمولد إسحق ومولد ابنه يعقوب عليه السلام، غير أننا لا نعرف كيف كانت حياة إسحق، ولا نعرف بماذا أجابه قومه، كل ما نعرفه أن الله أثنىٰ عليه كتابه بأنه من الصالحين: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

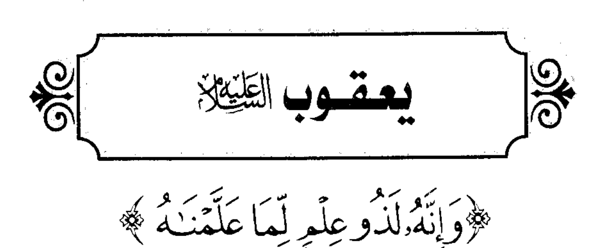
وقال تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾.

من فوائد القصة:

١- من رضي بقدر الله؛ ملأ الله قلبه رضا، وقد يعطيه ما منعه حتىٰ تقر عينه، تأمل كيف أعطيت سارة الولد بعد هذا العمر الطويل؟!

٢- وظيفة الأنبياء وأتباعهم هداية الناس إلىٰ الخيرات، وتحذيرهم من المنكرات.





يعقوب عليه السلام

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾

هذا هو النبي يعقوب عليه السلام:

هو أبو الأسباط يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام، واسمه أيضًا إسرائيل، كان نبيًا إلىٰ قومه، ذكر الله تعالى ثلاثة أجزاء من قصته، بشارة ميلاده، وقد بشر الملائكة به إبراهيم جده، وسارة جدته، أيضًا ذكر الله تعالى وصيته عند وفاته، ثم جاء ذكره في قصة يوسف عليه السلام.

أثنىٰ الله تعالى عليه في قصه يوسف عليه السلام فقال: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وهو والد يوسف عليه السلام والأسباط الإثنىٰ عشر، وكل أنبياء بني إسرائيل من نسله، وآخرهم عيسىٰ عليه السلام.

وإنك حين تتأمل في حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام تجد كثرة الابتلاءات التي تعرض لها تثير العجب!!

ومما يثير العجب أكثر أنه أتمها كلها بما يرضي ربه، ثم كأنه صارت هذه سمة عامة في ذريته من بعده صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين..

انظر إلىٰ حياة يعقوب عليه السلام تجد فيها أيضًا هذا النوع من الابتلاءات الشديدة التي لا يقوىٰ عليها إلا الرجال أصحاب اليقين الراسخ والعزم الماضي والحب المتألق لله عز وجل.

إن حب الأولاد أمر فطرىٰ، زرعه الله عز وجل في القلوب، ولئن كان ابتلاء إبراهيم

ﷺ في ذبح ابنه بيده ابتلاء شديدًا، إلا أن قصة غياب يوسف ﷺ عن أبيه أربعين سنة وما تلا ذلك من غياب أخيه أيضًا من الشدة بمكان.

تعال لننظر كيف واجه هذا النبي الكريم هذا الابتلاء العظيم..

لقد ابتلىٰ بلاء شديدًا في ابنه يوسف، ولكنه صبر وتحمل وتذرع بالصبر ﷺ عند فقد ولديه، يخبرنا ربنا ﷻ أنه عند فقد ولده يوسف، وكان أعز ما يملك، حتىٰ أنه قبل أن يأخذه إخوته قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ﴾.

يعني مجرد غيابة من أمام عينيه يحزنه ذلك؛ فهل تتصور كيف يكون حاله حين يقولون له: أكله الذئب؟!

سبحان الملك! يقف النبي العظيم موقفًا لا يستطيعه أب، يعلم بخيانة أولاده، ويعلم جيدًا أنهم يتعمدون إخفاء الحقيقة، وأن وراء هذا الأمر جريمة، يقول هذا النبي الصالح: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

إنه صبر تعجز عنه الجبال الشم!!

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: كما يقول العلماء: إن الصبر الجميل هو الذي لا ضجر معه ولا شكوىٰ معه، وصبر نبي الله يعقوب صبرًا جميلًا حتىٰ جاءت المصيبة الثانية..

أصر أولاده وأخذوا يتحايلون في أخذ ابنه الآخر شقيق يوسف ﷺ، فسمح لهم بعد لأي، ثم عادوا بدونه، وكانت مفاجأة غير متوقعة أشد من الأولىٰ..

وإنه لا ينقضي والله العجب من موقف هذا النبي الصالح، إنك تجده يقول نفس الجملة بلا تغيير يذكر: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

ومع زيادة البلاء يزيد الرجاء، يعلو في الله رجاؤه حتىٰ يقول: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ثم يقول القانت الصابر المؤمن صاحب اليقين الثابت والبصيرة الثاقبة: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

يعيش حياته عليه السلام صابرًا محتسبًا محبًا لله راضيًا بقضائه وقدره، ابتلىٰ فما خرج من لسانه لفظة إلا وهيٰ نور يتلألأ، فظل ذكره حسنًا واسمه جميلًا.

عاش حميدًا.. ومات حميدًا، عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام..

وكان من جزاء صبره في آخر عمره أن قرت عينه باجتماع ولده، ورأىٰ بعينه تأويل رؤيا ولده.

ونعرف أيضًا مقدار تقواه من هذه الإشارة السريعة إلىٰ وفاته، نعلم أن الموت كارثة تدهم الإنسان فتنسيه رسمه، ولا يذكر غير همه ومصيبته، غير أن يعقوب لا ينسىٰ وهو يموت أن يدعو إلىٰ ربه.

لم يكن يشغله في لحظاته الأخيرة في الحياة سوىٰ الاطمئنان علىٰ أن أولاده لن يتركوا الإسلام من بعده، وأنهم سيحافظون علىٰ دينه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

وصيته عند موته:

إن هذا المشهد بين يعقوب عليه السلام وبنيه في ساعة الموت ولحظات الاحتضار، مشهد عظيم الدلالة، نحن أمام ميت يحتضر، ما القضية التي تشغل باله في هذه ساعة الاحتضار؟ ما الأفكار التي تعبر ذهنه الذي لا يتهيأ للانزلاق مع سكرات الموت؟ ما الأمر الخطير الذي يريد أن يطمئن قبل موته علىٰ سلامة وصوله للناس، كل الناس؟

ستجد الجواب عن هذه الأسئلة كلها في سؤاله هو: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾.

هذا ما يشغله ويؤرقه ويحرص عليه في سكرات الموت، قضية الإيمان بالله، القضية الأولىٰ والوحيدة، وهيٰ الميراث الحقيقي الذي لا ينخره السوس ولا يفسده، وهي الذخر والملاذ.

قال أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا

وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ والنص قاطع في أنهم بعثوا على الإسلام، إن خرجوا عنه خرجوا من رحمة الله، وإن ظلُّوا فيه، أدركتهم الرحمة.

واطمأن يعقوب ﷺ وقرت نفسه لجواب أولاده عليه، وذهب للقاء ربه راضيًا مطمئنًا، مات يعقوب ﷺ وهو يسأل أبناءه عن الإسلام، ويطمئن على عقيدتهم.

من فوائد القصة:

١- أهم قضية يهتم بها الإنسان ويوصي بها أهله وذريته الإيمان بالله.

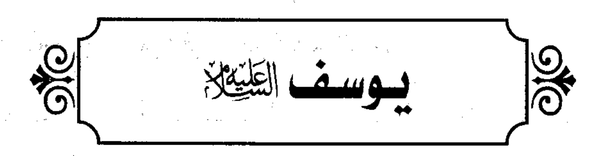
٢- الميراث الحقيقي الذي ينفع الأبناء هو التوحيد والإسلام والتقوى، فمن ورث أبناءه التقوى فقد ورثهم فضلًا عظيمًا، وياله -والله- من ميراث!!

٣- الابتلاء أصل في حياة الأنبياء والصالحين، ولئن كان الله يبتلي أولياءه؛ فإنما يبتلي ليهذب لا ليعذب، وبعد البلاء يكون الفرج، غاب يوسف عن يعقوب ﷺ، ثم فرج الله الكرب، ورده إليه، ورده عليه بصره.

٤- بصلاح الوالد يحفظ الولد: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [سورة يوسف: ٦٤]، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [سورة الكهف: ٨٢]، وقال بعض السلف لولده: يا بني، والله لأزيدن في صلاتي من أجل أن أحفظ فيك.

٥- أخلص الوصايا ما كانت في لحظات المنايا، حيث لا يبتغي بها الإنسان عرضًا من الدنيا، أو ثناءً من الناس.

٦- من كانت له وصية؛ فليبادر من الآن بتدوينها، فقد تشغله سكرات الموت عن ذكرها، قال رسول الله: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ بِبَيْتِ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**» [صحيح البخاري (٢٥٨٧)].



يوسف عليه السلام

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾

رؤيـا يوسـف عليه السلام:

تبدأ القصة بقول المولىٰ تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

يحكي الصبي الصغير لأبيه رؤياه، أدرك يعقوب عليه السلام بحدسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤية شأنًا عظيمًا لهذا الغلام، فغاية ما يحلم به الصغير أن تكون الكواكب بين يديه يلعب بها كيفما شاء، أما أن يراها متمثلة في صورة (العقلاء) وتسجد له تعظيمًا فذلك شأن آخر، لذلك نصحه بأن لا يقص رؤياه علىٰ إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير -غير الشقيق، حيث كان يعقوب قد تزوج من امرأة ثانية أنجبت له يوسف وشقيقه- فيجد الشيطان من هذا ثغرة في نفوسهم، فتمتلئ نفوسهم بالحقد ـ فيدبرون له أمرًا يسوؤه ولهذا: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾.

لقد أحس يعقوب عليه السلام وهو ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهما السلام، أن هذا الشأن متعلق بالدين والصلاح، فتوقع أن يكون يوسف هو الذي ستحل عليه البركة وتتمثل فيه السلسة المباركة من بيت إبراهيم عليه السلام.

اصطفاء الله له:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ كذلك يختارك ربك، كذلك يصطفيك،

ومعنىٰ التأويل هو معرفة الآل، وكشف النتيجة، وإدراك أسرار لم تقع بعد، فما الأحاديث؟

قالوا: إنها الرؤىٰ والأحلام، سيستطيع يوسف ﷵ فيما بعد أن يفسر الأحلام والرؤىٰ فيعرف من رموزها الغامضة ما يقع من أحداث، قالوا: إن الأحاديث هي الأحداث، سيعرف مآل الأحداث التي تنتهي إليه من بداياتها وأوائلها، سيلهمه الله إلهامًا أن يعرف ذلك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

رد النبي العلم والحكمة إلىٰ الله في ختام حديثه، فجاء ذلك مناسبًا للبدء.

عمومًا.. استمع الأب إلىٰ رؤيا ابنه وحذره أن يحكيها لإخوته، استجاب يوسف ﷵ لتحذير أبيه، فلم يحدث إخوته بما رأىٰ، وأغلب الظن أنهم كانوا يحسدونه إلىٰ الحد الذي يصعب أن يطمئن إليهم ويحكي لهم دخائله الخاصة وأحلامه.

مكيدة إخوة يوسف له:

اجتمع إخوة يوسف يتحدثون في أمره: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ أي: نحن مجموعة قوية تدفع وتنفع، فأبونا مخطئ في تفضيل هذين الصبيين علىٰ مجموعة من الرجال النافعين الدافعين..

اقترح أحدهم حلًا للموضوع: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾.

تخلصوا من يوسف، اقتلوه أو اذهبوا به بعيدًا عن عين أبيكم بأي طريقة ليراكم، ويخل لكم اهتمامه.

إنه الحسد! وتدخل الشيطان ضخم حب أبيهم ليوسف وإيثاره عليهم في نظرهم حتىٰ جعلها توازىٰ القتل -أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله- وطرده إلىٰ أرض بعيدة نائية مرادف للقتل؛ لأنه سيموت هناك لا محالة.

ولماذا هذا كله؟! حتىٰ لا يراه أبوه فينساه فيوجه حبه كله لهم، ومن ثم يتوبون عن حريتهم!!

﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ﴾.

قال قائل منهم -حرك الله ﷻ أعماقه بشفقة خفية، أو أثار الله في أعماقه رعبًا مهملًا من القتل- قال هذا القائل: ما الداعي لقتله؟ أنتم تريدون الخلاص منه، تعالوا نلقه في بئر تمر عليه القوافل، ستلتقطه قافلة وترحل به بعيداً، سيختفي عن وجه أبيه، ويتحقق غرضنا من إبعاده: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾.

انهزمت فكرة القتل، واختيرت فكرة النفي والإبعاد، نفهم من هذا إن الأخوة، رغم شرهم وحسدهم، كان في قلوبهم، بعض خير لم يمت بعد، فهم أبناء نبي، ونشأوا في عائلة الأنبياء.

ومن ثم توجه الأبناء إلىٰ أبيهم يطلبون منه السماح ليوسف بمرافقتهم، إنهم يريدون أن ينتزعوه من يد أبيه وقلبه بأي طريقة، فدار الحوار بينهم وبين أبيهم بنعومة وعتاب خفي، إثارة للمشاعر: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾.

أيمكن أن يكون يوسف أخانا، وأنت تخاف عليه من بيننا ولا تأمنا عليه، ونحن نحبه وننصح له ونرعاه،؟! لماذا لا ترسله معنا يرتع ويلعب؟! أفضل لصحته الخروج واللعب والانطلاق، انظر إلىٰ وجهه الأصفر من فرط البقاء في البيت، إن لون الطفل يشحب؛ لأنه لا يمارس في طفولته اللعب: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾.

وردًا علىٰ العتاب الاستنكار الأول جعل يعقوب عليه السلام ينفي -بطريقة غير مباشرة- أنه لا يأمنهم عليه، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره علىٰ فراقه وخوفه عليه من الذئاب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾.

قال: إن مجرد غيابه عن عينيه يجلب له الحزن والألم..

ففندوا فكرة الذب الذي يخاف أبوه أن يأكله، نحن عشيرة من الرجال؛ فهل نغفل عنه ونحن كثرة؟! نكون خاسرين غير أهل للرجولة لو وقع ذلك..

لن يأكله الذئب ولا داعي للخوف عليه: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

محنة الإلقاء في الجب:

وافق الأب تحت ضغط أبنائه؛ ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئة الله!

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

صحبوا يوسف عليه السلام في اليوم التالي وذهبوا به إلىٰ الصحراء، اختاروا بئرًا لا ينقطع مرور القوافل عليه وحملوه وقاموا بإلقائه في البئر، و أوحىٰ الله تعالى إلىٰ يوسف عليه السلام أنه ناج فلا يخاف، وأنه سيلقاهم بعد يومهم هذا وينبئهم بما فعلوه.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

عند العشاء جاء الأبناء باكين؛ ليحكوا لأبيهم قصة الذئب المزعومة..

لقد ألهاهم الحقد الفائر عن سبك الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصابًا ما فعلوها من المرة الأولىٰ التي يأذن لهم فيها يعقوب باصطحاب يوسف معهم! ولكنهم كانوا متعجلين لا يصبرون، يخشون ألا تواتيهم الفرصة مرة أخرىٰ، كذلك كان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلًا علىٰ التسرع، وقد كان أبوهم يحذرهم منها أمس، وهم ينفونها، ويكادون يتهكمون بها، فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح؛ ليتركوا يوسف للذئب الذي حذرهم أبوهم منه أمس! وبمثل هذا التسرع جاءوا علىٰ قميصة بدم كذب لطخوه به من غير اتقان ونسوا في انفعالهم أن يمزقوا قميص

يوسف، جاءوا بالقميص كما هو سليم، ولكنه ملطخ بالدم، وانتهىٰ كلامهم بدليل قوي علىٰ كذبهم حين قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي: وما أنت بمطمئن لما نقوله، ولو كان هو الصدق؛ لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله أصلًا.

أدرك يعقوب من دلائل الحال ومن نداء قلبه ومن الأكذوبة الواضحة، أن يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ما، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمرًا منكرًا وذللته وزينته ويسرت لهم ارتكابه؛ وأنه سيصبر متحملًا متجملًا لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينًا بالله علىٰ ما يلفقونه من حيل وأكاذيب: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

أثناء وجود يوسف بالبئر، مرت عليه قافلة، كانت في طريقها إلي مصر، قافلة كبيرة -سارت طويلًا حتىٰ سميت سيارة- كلها تتجه إلىٰ البئر، توقفوا للتزود بالماء، أدلىٰ الدلو في البئر، تعلق يوسف به، ظن من دلَّاه أنه امتلأ بالماء فسحبه، يا للبشرىٰ! هذا غلام، حكمه حكم الأشياء المفقودة التي يلتقطها أحد الناس؛ فإنه يصير عبدًا لمن التقطه، هكذا كان قانون ذلك الزمان البعيد..

فرح به من وجده في البداية، ثم زهد فيه حين فكر في همته ومسئوليته، وزهد فيه؛ لأنه وجده صبيًا صغيرًا، وعول علىٰ التخلص منه لدىٰ وصوله إلىٰ مصر، ولم يكد يصل إلىٰ مصر حتىٰ باعه في سوق الرقيق بثمن بخس دراهم معدودة؛ ومن هناك اشتراه رجل تبدو عليه الأهمية.

انتهت المحنة الأولىٰ في حياة هذا النبي الكريم، لتبدأ المحنة الثانية، والفصل الثاني من حياته:

محنة الرق:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

انظر كيف يكشف الله ﷻ مضمون القصة البعيد في بدايتها ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، لقد انطبقت جدران العبودية علىٰ يوسف، ألقىٰ في البئر، أهين، حرم من أبيه، التقط من البئر، صار عبدًا يباع في الأسواق، اشتراه رجل من مصر، صار مملوكًا لهذا الرجل، ازدادت المأساة، وصار يوسف بلا حول ولا قوة، هكذا يظن أيُ إنسان، غير أن الحقيقة شيء يختلف عن الظن تمامًا.

ما نتصور نحن أنها مأساة ومحنة وفتنة، كان هو أول سلم يصعده يوسف في طريقه إلىٰ مجده، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾، ﷻ ينفذ تدبيره رغم تدبير الآخرين، ينفذ من خلال تدبير الآخرين فيفسده ويتحقق وعد الله، وقد وعد الله يوسف بالنبوة.

وها هو ذا يلقي محبته علىٰ صاحبه الذي اشتراه، وها هو ذا السيد يقول لزوجته: أكرمي مثواه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، وليس هذا السيد رجلًا هين الشأن؛ إنما هو رجل مهم، رجل من الطبقة الحاكمة في مصر، سنعلم بعد قليل أنه وزير من وزراء الملك، وزير خطير سماه القرآن «العزيز»، وكان قدماء المصريين يطلقون الصفات كأسماء علىٰ الوزراء، فهذا العزيز، وهو العادل، وهذا القوي، إلىٰ آخره، وأرجح الآراء أن العزيز كان وقتها رئيس وزراء مصر.

تمكين الله ليوسف في الأرض:

وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض، سيتربىٰ كصبي في بيت رجل يحكم، وسيعلمه الله من تأويل الأحاديث والرؤىٰ، وسيحتاج إليه الملك في مصر يومًا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم هذا كله من خلال فتنة قاسية تعرض لها يوسف.

ثم يبين لنا المولىٰ ﷻ كرمه علىٰ يوسف فيقول: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾.

كان يوسف أجمل رجل في عصره، كان وجهه يحمل طاقة من الجمال البشري المدهش، قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيَ يُوسُفُ** عليه السلام **شَطْرَ الْحُسْنِ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (٢٨٦/١)] وكان نقاء أعماقه وصفاء سريرته يضفيان علىٰ وجهه مزيدًا من الجمال، وأوتي صحة الحكم علىٰ الأمور، وأوتي علمًا بالحياة وأحوالها، وأوتي أسلوبًا في الحوار يخضع قلب من يستمع إليه، وأوتي نبلًا وعفي، جعلاه شخصية إنسانية لا تقاوم.

وأدرك سيده أن الله قد أكرمه بإرسال يوسف إليه، اكتشف أن يوسف أعظم من رأىٰ في حياته أمانة واستقامة وشهامة وكرماً، وجعله سيده مسئولًا عن بيته وأكرمه وعامله كابنه، وقال لزوجته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾.

محنة امرأة العزيز:

ثم تبدأ محنة يوسف الثانية وهيٰ أشد وأخطر من المحنة الأولىٰ، جاءته وقد أوتي صحة الحكم وأوتي العلم -رحمة من الله- ليواجهها وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله الله له في قرآنه.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ لما كان يوسف جميلًا في خلقته، ورائعًا في حديثه وأدبه، وعاليًا في خلقه؛ فإنه ينال إعجاب أي إنسان، ولما كان في بيت العزيز يعامله الجميع كابن من أبناء عزيز مصر فقد اقتربت منه زوجته فيما يبدو أكثر من اللازم، فوقعت في عشقه، وأرادته لنفسها، وراودته علىٰ الفاحشة، ولكن كيف؟ ومع من؟ إنه يعرف جيداً من هو، فليس له أن يخطئ مهما كانت.

ولذلك فإن هذا النبي الكريم وقف في وجه سيدته بمنتهي الحزم والحسم قائلًا: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

أعيذ نفسي بالله أن أعصىٰ الله الذي أكرمني بأن نجاني من الجب وجعل في هذه الدار مثواي الطيب الآمن، ولا يفلح الظالمون الذين يتجاوزن حدود الله، فيرتكبون ما تدعينني اللحظة إليه.

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾.

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن علىٰ أبي عبيد، فلما أتيت علىٰ قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾، قال أبو عبيدة: هذا علىٰ التقديم والتأخير، بمعني ولقد همت به، ولولا أن رأىٰ برهان ربه؛ لهم بها. يستقيم هذا التفسير مع عصمة الأنبياء، كما يستقيم مع الآيات التي تلحقه مباشرة ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ وهذه الآية التي تثبت أن يوسف من عباد الله المخلصين، تقطع في نفس الوقت بنجاته من سلطان الشيطان، قال الله ﷻ لإبليس يوم الخلق: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾.

وإبليس نفسه يعلم ذلك: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾، وما دام يوسف من عباد الله المخلصين، فقد وضح الأمر بالنسبة إليه، وليس للشيطان سبيل عليه، إنه كان في نقاء الملائكة، لقد تعرض لإغراء طويل فقاومه ولم تمل نفسه يومًا، ثم أسكنها تقواها كونه مطلعًا علىٰ برهان ربه، عارفًا أنه يوسف بن يعقوب النبي، ابن اسحق النبي، ابن إبراهيم جد الأنبياء، وخليل الرحمن عليهم السلام.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الكَرِيمَ ابنَ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ إِسْحَقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ**» [صحيح البخاري (٣٢٠٢)].

وهنا.. بعد هذه المراودة المكشوفة يبدو أن يوسف عليه السلام آثر الانصراف حتىٰ لا يتطور الأمر أكثر، فأسرع نحو الباب ليخرج، لكن امرأة العزيز لحقت به لتمسكه، فتقع المفاجأة: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾.

حاصرته تلك المرأة، ولما جرىٰ منها جرت خلفه قبل أن يصل إلىٰ الباب،

وشدته من قميصه من الخلف لتجذبه إليها كي لا يخرج ويفر منها.

وهنا يجيء فرج الله، وهكذا دومًا مع المؤمن الصادق الصالح يأتيه عون من الله أحوج مايكون إليه: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾.

جاء الله بالزوج في الوقت المناسب.

لما شدته من ثوبه عند الباب قبل أن يخرج.. إذا بالباب يفتح، ويجدا زوجها أمام الباب مباشرة، رغم أنها أحكمت غلق الأبواب!!

ماذا تفعل هذه المرأة؟ لابد أن تبادر بالاتهام حتىٰ لا يأخذها زوجها بالظنون، أو يغلبها صاحب الحق بالحقيقة، فقالت قبل أن ينطق أحد: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هكذا بمنتهىٰ الجرأة والظلم: ﴿أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾!! إنه الاستفزاز للزوج بأنه أسيء إليه، واقترحت هذه المرأة سريعًا العقاب - المأمون- الواجب تنفيذه علىٰ يوسف، خشية أن يفتك به العزيز من شدة غضبه، تبينت للعزيز أن أفضل عقاب له هو السجن.

بعد هذا الاتهام الباطل والحكم السريع من المرأة الجريئة جهر يوسف بالحقيقة؛ ليدافع عن نفسه: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.

هكذا كلمتان فقط: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾، وهكذا الحق دائمًا صادق صارم لا يحتاج إلىٰ لجاجة ولا إلىٰ تمثيل، ولا إلىٰ كثرة كلام، أنهىٰ كلامه بحسم ولم ينتظر ردًا.

فقد جاء نصر الله ﷻ بشهادة شاهد من أهلها؛ كي لا يكون مجاملًا ليوسف فإنه من أهلها، وأجرىٰ الله الحق علىٰ لسانه؛ كي يسوق الدليل الواقعي -المادي- علىٰ برأة يوسف ؑ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

أمرهم الشاهد بالنظر للقميص، فإن كان ممزقًا من الأمام فذلك من أثر مدافعتها له وهو يريد الاعتداء عليها فهي صادقة وهو كذاب، وإن كان قميصه ممزقًا من الخلف فهو إذًا من أثر تَمَلُّصه منها وتعقبها هي له حتى الباب، فهي كاذبة وهو صادق.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

لما تأكد الزوج من خيانة زوجته، لم يثر دمه في عروقه ولم يصرخ ولم يغضب، فرضت عليه قيم الطبقة الراقية التي وقع فيها الحادث أن يواجه الموقف بلباقة وتلطف، نسب ما فعلته إلى كيد النساء عمومًا، وصرح بأن كيد النساء عمومًا عظيم.

بعدها التفت الزوج إلى يوسف قائلًا له: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾.

أهمل هذا الموضوع ولا تعره اهتمامًا، ولا تحدث به.

هذا هو المهم، المحافظة على الظواهر، ثم يوجه عظة -مختصرة- للمرأة التي ضبطت متلبسة بمراودة فتاها عن نفسه وتمزيق قميصه: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾.

محنة النسوة من أهل المدينة:

انتهى الحادث الأول، لكن الفتنة لم تنته، فلم يفصل سيد البيت بين المرأة وفتاها، كل ما طلبه هو إغلاق الحديث في هذا الموضوع، غير أن هذا الموضوع بالذات لا يمكن إغلاقه، وهذا الأمر وإن أمر بإغلاقه يصعب تحقيقة في قصر يمتلئ بالخدم والخادمات والمستشارين والوصيفات.

بدأ الموضوع ينتشر، خرج من القصر إلى قصور الطبقة الحاكمة أو الراقية يومها، ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث، إن خلو حياة هذه الطبقات من المعنى الجاد، ومن العمل الجاد، ومن الهموم الحقيقية، وشغف هذه الطبقة باللعب والكلام، وانصرافه إلى اللهو، يخلعان أهمية قصوى على الفضائح التي ترتبط بشخصيات شهيرة. وهكذا الوضع دائمًا مع الفراغ العملي والعقدي، يكثر الكلام بالباطل، فتكون الفضائح مادة دسمة للفكاهة، وزاد حديث المدينة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى

ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

وانتقل الخبر من فم إلىٰ فم، ومن بيت إلىٰ بيت، حتىٰ وصل لامرأة العزيز: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾.

قررت امرأة العزيز أن تعد مأدبة كبيرة في القصر، وندرك من هذا أنهن كن نساء الطبقة الراقية، فهن اللواتي يدعين إلي المآدب في القصور، ويبدو أنهن يأكلن وهن متكآت علىٰ الوسائد والحشايا، فأعدت لهن هذا المتكأ، واختارت ألوان الطعام والشراب بعناية بالغة بحيث أنه لابد أن يحتاج إلىٰ سكاكين، وأمرت أن توضع السكاكين الحادة إلىٰ جوار الطعام المقدم، ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها، ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾، وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو تقشير الفاكهة، فاجأتهن بيوسف: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ بهتن لطلعته، ودهشن، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ وهيٰ كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيرًا عن الدهشة بصنع الله، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يتضح من هذه التعبيرات أن شيئاً من ديانات التوحيد تسربت لأهل ذلك الزمان في هذه البلاد.

إنه الذهول الذي أصابهن لرؤية جمال يوسف، وكان هذا هو المقصود من هذا المتكأ وهذه الدعوة وتلك السكاكين، كي يظل هذا الجرح في أيديهن مذكرًا لهن بخطئهن في لومها إذ راودته.

ورأت المرأة أنها انتصرت علىٰ نساء طبقتها، وأنهن لقين من طلعة يوسف الدهش والإعجاب والذهول، فقالت قولة المرأة المنتصرة، التي لا تستحي أمام النساء من بنات جنسها وطبقتها، والتي تفتخر عليهن بأن هذا في متناول يدها؛ وإن كان قد استعصم في المرة الأولىٰ فهي ستحاول المرة تلو الأخرىٰ إلىٰ أن يلين: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

انظرن ماذا لقيتن منه البهر والدهش والإعجاب! لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه لكنه استعصم، وإن لم يطعني سآمر بسجنه؛ لأذله.

أمام هذه الدعوات استنجد يوسف عليه السلام بربه؛ ليصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه علىٰ نفسه، دعا يوسف الله تعالى دعاء الإنسان العارف ببشريته، الذي لا يغتر بعصمته؛ فيريد مزيدًا من عناية الله وحياطته، ويعاونه علىٰ ما يتعرضه من فتنة وكيد وإغراء: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ واستجاب له الله تعالى وهو الكريم الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف والسوء، وصر ف عنه كيد النسوة: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

وهذا الصرف قد يكون بإدخال اليأس في نفوسهن من استجابته لهن، بعد هذه التجربة؛ أو بزيادة انصرافه عن الإغراء حتىٰ لا يحس في نفسه أثرًا منه، أو بهما جميعًا، وهكذا أكرمه الله تعالى واجتاز يوسف عليه السلام المحنة الثالثة بلطف الله ورعايته، فهو عليه السلام الذي سمع الكيد ويسمع الدعاء، ويعلم ما وراء الكيد وما وراء الدعاء.

ما انتهت هذه المحنة الثالثة إلا لتبدأ الرابعة، لكن هذه الرابعة هي آخر محن الشدة.

محنة دخول السجن:

يبدأ هذا الفصل من حياة يوسف عليه السلام بدخوله السجن.

ربما كان دخوله للسجن بسبب انتشار قصته مع امرأة العزيز ونساء طبقتها، فلم يجد أصحاب هذه البيوت طريقة لإسكات هذه الألسنة سوىٰ سجن هذا الفتىٰ الذي دلت ككل الآيات علىٰ براءته؛ لتنسىٰ القصة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾.

وهكذا ترسم الآية الموجزة جو هذا العصر بأكمله، جو الفساد الداخلي في القصور، جو الأوساط الأرستقراطية، وجو الحكم المطلق.

إن حل المشكلات في الحكم المطلق هي السجن، وليس هذا بغريب علىٰ من يعبد آلهة متعددة، كانوا علىٰ عبادة غير الله، وها نحن أولاء نرىٰ قصة يوسف ﷺ شاهدًا حيًا يصيب حتىٰ الأنبياء، أصدروا قرار باعتقاله وأدخل السجن، بلا قضية ولا محاكمة، ببساطة ويسر، لا يصعب في مجتمع تحكمه آلهة متعددة أن يسجن برئ بل لعل الصعوبة تكمن في محاولة شيء غير ذلك.

والعجب أن ذلك يحدث بعدما رأوا العلامات الدالة علىٰ براءته، ونزاهته، وصدقه، هكذا بمنتهىٰ البساطة ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾، كأنهم قالوا: بصفة مؤقتة.

دخل يوسف السجن ثابت القلب هادئ الأعصاب أقرب إلىٰ الفرح؛ لأنه نجا من إلحاح زوجة العزيز ورفيقاتها، وثرثرة وتطفلات الخدم، كان السجن بالنسبة إليه مكانًا هادئًا يخلو فيه ويتفكر في خلق الله.

ويقص الله ﷻ علينا قصة يوسف في السجن من أولها؛ لأنها حقًا مليئة بالعظات والعبر، يقول ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

هكذا علامات الصلاح والإحسان والخير والبركة والعبادة لا تخفىٰ، وجد في السجن رجلين، وبمجرد أن رأياه توجها إليه بالسؤال طمعًا في إحسانه: ﴿نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

هكذا قالا: نحن نراك من أهل الإحسان، واضح عليك، وقص كل منهما عليه رؤيا رآها، وقبل أن يجيب لابد أن يثبت لهما أنه علىٰ علم بهذه المسألة، وهىٰ تأويل الأحاديث، وهكذا فن الدعوة، لابد من إثبات الكفاءة أولًا قبل الدعوة، فهذا أول سبيل لقبول الدعوة، ألم تر إلىٰ النبي محمد ﷺ حين أراد أن يدعو قومه قال: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» [صحيح البخاري

(٤٦٨٧)]، فأثبت ابتداءً أنه صادق، وهكذا أراد يوسف ﷺ أن يثبت الكفاءة فقال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾.

ثم انتهزها فرصة للدعوة إلىٰ الله، لم يمنعه السجن من مهمته الأصلية وهي الدعوة، لم يحمل هم نفسه ويجلس مهمومًا حزيناً، بل استثارهم قائلًا: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف:٣٧-٣٨].

أخبرهما بنسبه ونسبته، وأثبت لهما أصله وفصله، ودعاهما إلىٰ الله ربه، وحذرهما من الشرك وأهله، ودعاهما للإيمان بالآخرة؛ فهي المرجع والمآب.

ثم فاجأهما بسؤال، لا يملك من يجيب عليه إلا الإذعان والخضوع: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾.

هكذا بالإلزام، وبمنتهىٰ الإخلاص، يحملهما علىٰ الاعتراف بالحق والتسليم للملك القهار. ثم وبنفس المهارة ينفرهما من خلاف ما يقول: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

كان يقيم عليهما الحجة الهادئة، وحواره الذكي، وصفاء ذهنه، ونقاء دعوته، وهكذا استغل يوسف الصديق ﷺ الفرصة في تعليم السجينين ودعوتهما إلىٰ التوحيد؛ لإنجائهما من سجن الشرك قبل سجن العزيز، زمن سجن القلب قبل سجن الجسد، وأنهىٰ القضية بمنتهىٰ الإحسان، والإجابة علىٰ السؤال بمنتهىٰ الثقة: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

انتهت قضية السؤال، فماذا أنتما فاعلان في قضيتي؟!

بعدما فسر لهما الرؤىٰ، وبين لهما أن أحدهما سيصلب، والآخر سينجو، لكنه

لم يحدد من هو صاحب البشرىٰ ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفًا وتحرجًا من المواجهة بالشر والسوء.

من السجن إلى ملك مصر:

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

أوصىٰ يوسف عليه السلام من سينجو منهما أن يذكر حاله عند الملك، لكن الرجل لم ينفذ الوصية، فربما ألهته حياة القصر المزدحمة عن يوسف و أمره، فلبث يوسف في السجن بضع سنين، والرجل في لهوه لا يذكر يوسف.

وكان هذا الأمر زيادة كرم الله ﷻ عليه واصطفائه له، فلم يجعل قضاء حاجته علىٰ يد عبد، ولا بسبب يرتبط بعبد، وهكذا دومًا يغار الله علىٰ عبده المؤمن أن تأتيه حاجته إلا من الله، ومن حيث لا يحتسب.

وهنا...تبدأ نقطة التحول من محن الشدة إلىٰ محن الرخاء، من محنة العبودية والرق، لمحنة السلطة والملك، في قصر الحكم، وفي مجلس الملك: يحكي الملك لحاشيته رؤيا رآها من ليلته، طالبًا منهم تفسيرًا لها: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

لكن المستشارين والكهنة لم يقوموا بالتفسير، ربما لأنهم لم يعرفوا تفسيرها، أو أنهم أحسوا أنها رؤيا سوء فخشوا أن يفسروها للملك، وأرادوا أن يأتي التفسير من خارج الحاشية التىٰ تعودت علىٰ قول كل ما يسر الملك فقط، وعللوا عدم التفسير لأن قالوا للملك: إنها أجزاء من أحلام مختلطة ببعضها البعض، ليست رؤيا كاملة يمكن تأويلها.

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

وصل خبر رؤيا الملك إلىٰ الساقي الذي نجا من السجن، تداعت أفكاره وذكره حلم الملك مجمله الذي رآه في السجن، وذكره السجن بتأويل يوسف لحلمه، وأسرع إلي الملك وحدثه عن يوسف، قال له: إن يوسف هو الوحيد الذي يستطيع تفسير رؤياك، لقد أوصاني أن أذكره عندك لكنني نسيت، فأرسلني إلىٰ السجن آتيك به.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾.

وأرسل الملك ساقيه إلي السجن؛ ليسأل يوسف، ويبين لنا الحق ﷻ كيف نقل الساقي رؤيا الملك ليوسف بتعبيرات الملك نفسها؛ لأنه هنا بصدد تفسير حلم، وهو يريد أن يكون التفسير مطابقًا تمامًا لما رآه الملك، وكان الساقي يسمي يوسف بالصديق، أي: الصادق الكثير الصدق، وهذا ما جربه من شأنه من قبل.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

جاء الوقت واحتاج الملك إلىٰ رأيه، وهنا لابد أن نتذكر: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، سئل يوسف عليه السلام عن تفسير حلم الملك، فلم يشترط خروجه من السجن مقابل تفسيره، بل ولم يعاتب ذلك الساقي الناسي الذي نسيه بضع سنين، لم يعاتبه بكلمة ولا بنظرة، لم يقل له: الآن تذكرتني حين احتجتني، لم يساوم ولم يتردد ولم يقل شيئًا غير تفسير الرؤيا، هكذا ببراءة النبي حين يلجأ إليه الناس فيغيثهم، وإن كان هؤلاء أنفسهم سجّانيه وجلّاديه، وكلام يوسف عليه السلام هنا ليس التأويل المجرد فقط؛ إنما هو التأويل والنصح بمواجهة عواقبه، وهذا أكمل: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

أفهم يوسف عليه السلام رسول الملك أن مصر ستمر عليها سبع سنوات مخصبة

تمتليء فيها الأرض بالغلات، وعلىٰ المصريين ألا يسرفوا في هذه السنوات السبع؛ لأن وراءها سبع سنوات مجدبة ستأكل ما يخزنه المصريون في السبع سنوات السابقة، وأخبره أن أفضل طريقة لخزن الغلال أن تترك في سنابلها كي لا تفسد أو يصيبها السوس أو يؤثر عليها الجو. هكذا بمنتهىٰ الحلم والكرم فسر يوسف ﷺ الحلم، وأوصىٰ كيف يكون التعامل في الحالين، بل وبمنتهىٰ النفع والإنصاف دلهم كيف يكون حفظ الثروة.

بهذا انتهىٰ حلم الملك، وزاد يوسف تأويله لحلم الملك بالحديث عن عام لم يحلم به الملك، عام من الرخاء، عام يغاث فيه الناس بالزرع والماء، وتنمو كرومهم فيعصرون خمرًا، وينمو سمسمهم وزيتونهم فيعصرون زيتًا، كان هذا العام الذي لا يقابله رمز في حلم الملك، علمًا خاصًا أوتيه يوسف، فبشر به الساقي؛ ليبشر به الملك والناس.

اعتراف النسوة ببراءة يوسف:

عاد الساقي إلىٰ الملك، أخبره بما قال يوسف ﷺ، دهش الملك دهشة شديدة، ما هذا السجين؟ أنه يتنبأ لهم بما سيقع، ويوجههم لعلاجه، دون أن ينتظر أجرًا أو جزاء، أو يشترط خروجًا أو مكافأةً!! إنه نوع من البشر لم يعرف الملك ولم يره، إن كل الناس يعاملونه للمصلحة فقط، فطلبه فورًا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾.

أسرع الملك وأمر بإخراج يوسف ﷺ من السجن وإحضاره فورًا إليه، ذهب رسول الملك إلىٰ السجن، ولا نعرف إن كان هو الساقي الذي جاءه أول مرة، أم أنه شخصية رفيعة مكلفة بهذه الشئون، ذهب إليه في سجنه، رجا منه أن يخرج للقاء الملك، فهو يطلبه علىٰ عجل، رفض يوسف أن يخرج من السجن إلا إذا ثبتت براءته أولًا، لقد زاده ربه تربية وأدبًا في تلك السنين التي بقيها في السجن بعد خروج الساقي: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

ولقد سكبت هذه التربية وهذا الأدب في قلبه السكينة والثقة والطمأنينة، ويظهر أثر التربية واضحًا في الفارق بين الموقفين: الموقف الذي يقول يوسف فيه للفتي؛ اذكرني عند ربك، والموقف الذي يقول فيه: ارجع إلىٰ ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، الفارق بين الموقفين كبير، وبدأ الملك يبحث عن الحقيقة بنفسه، فهذا أمر لم يعلمه من قبل: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.

يبدو أن الملك سأل عن القصة؛ ليكون علىٰ بينة من الأمر وظروفه قبل أن يبدأ التحقيق، لذلك جاء سؤاله للنساء، فاعترفت النساء بالحقيقة التي يصعب إنكارها: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾.

مرة أخرىٰ تنزيه لله سبحانه أن يكذبن أو يخطئن أو يتهمن بالباطل رجلًا لم يُرَ منه إلا كل خير، ولم يشهد أحد عليه بسوء.

وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف، التي يئست منه، ولكنها لا تستطيع أن تتخلص من تعلقها به تتقدم؛ لتقول كل شيء بصراحة: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾.

ظهر الحق ولم يعد هناك داع لإخفاء شيء ولا إنكاره إنصافًا للسجين الصالح، قالت بمنتهىٰ التجرد: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

شهادة كاملة بإثمها هي، وبراءته ونظافته وصدقه هو، شهادة لا يدفع إليها الخوف أو خشية أو أي اعتبار آخر، إنها تريد أن تتوب، وأن تصحح نظرة الكل إليها، وتنفي الخيانة منها أو منه فقالت: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾.

لست بهذا السوء الذي يتصوره فيَّ، ثم تمضي في هذه المحاولة والعودة إلىٰ الفضيلة التي يحبها يوسف ويقدرها: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

كأنها تقول: منها حاولنا فتنته لم نستطع: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

ومهما حاولنا إيذاءه وسجنه لم نستطع: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

نعم.. مهما حاولنا وحاولنا.. فإنه سيظل طاهرًا عزيزًا عاليًا يحتاج إليه الناس؛ ولا يحتاج إلىٰ أحد.

ثم تمضي خطوة أخرىٰ في هذه المشاعر الطيبة: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾.

إن تأمل الآيات يوحي بأن امرأة العزيز قد تحولت إلىٰ دين يوسف عليه السلام، تحولت إلىٰ التوحيد، إن سجن يوسف عليه السلام كان نقلة هائلة في حياتها، آمنت بربه واعتنقت ديانته، وأحبته علىٰ البعد، وما زالت هي المرأة التي لا تملك إلا أن تظل معلقة بكلمة منه، أو خاطرة ارتياح، ولو بالغيب، وعلىٰ البعد، ودون لقاء أو أمل في لقاء.

ويصدر الأمر الملكي بالإفراج عنه وإحضاره: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ۝٥٤﴾.

بعدما رأي الملك من أمر يوسف، براءته، وعلمه، وعدم تهافته علىٰ الملك، عرف أنه أمام رجل كريم، فلم يطلبه ليشكره أو يثني عليه؛ وإنما طلبه ليكون مستشاره، وعندما جلس معه وكلمه، تحقق له صدق ما توسمه فيه، فطمأنه علىٰ أنه ذو مكانه وفي أمان عنده، فماذا قال يوسف؟!

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾.

لم يسجد شكرًا للملك، ولم يقل له: عشت يا مولاي وأنا عبدك الخاضع أو خادمك الأمين، كما يفعل المتملقون للظالمين؛ كلا إنما طالب بما يعتقد أنه قادر علىٰ أن ينهض به من الأعباء في الأزمة القادمة.

وأورد القرطبي في «تفسيره»: إن الملك قال فيما قال: لو جمعت أهل مصر ما أطاقوا هذا الأمر، ولم يكونوا فيه أمناء.

كان الملك يقصد الطبقة الحاكمة وما حولها من طبقات، إن العثور علىٰ الأمانة في الطبقة المترفة شديد الصعوبة.

واعتراف الملك ليوسف بهذه الحقيقة زاد من عزمه علىٰ تولي هذا الأمر؛ لإنقاذ مصر وما حولها من البلاد من هذه المجاعة، قال يوسف ﷺ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾، لم يكن يوسف ﷺ في كلمته النفع أو الاستفادة، علىٰ العكس من ذلك، كان يحتما أمانة إطعام شعوب جائعة لمدة سبع سنوات، شعوب يمكن أن تمزق حكامها لو جاعت، كان الموضوع في حقيقته تضحية من يوسف ﷺ.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾.

وهكذا مكَّن الله ليوسف في الأرض، صار مسئولًا عن خزائن مصر واقتصادها، صار كبيرًا للوزراء، وجاء في رواية أن الملك قال ليوسف: يا يوسف ليس لي من الحكم إلا الكرسي، وتصرف يوسف ﷺ في مصر، ونحن نعرف أنه حكيم عليم، نعرف أنه أمين وصادق، لا خوف إذًا علىٰ اقتصاد مصر.

إخوة يوسف يأتون إلى قصره:

دارت عجلة الزمن، طوىٰ السياق دورتها، ومر مرورًا سريعًا علىٰ سنوات الرخاء، وجاءت سنوات المجاعة، وكان الأمر كله قد صار ليوسف.

قيل: إن يوسف ﷺ كان يعطي كل فرد في الفترة الواحدة حمل بعير، لم يكن كل من يملك الشراء يشتري المقادير التي يستطيع شراءها كلها ويموت الآخرون، وكان قصد يوسف أن يوازن بين حاجات المحتاجين والزمن الطويل الذي يضطلع فيه بالتموين.

جاء أخوة يوسف من الصحراء، جاءوا يبتاعون طعامًا من مصر: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾.

عرف يوسف ﷺ إخوته علىٰ الفور، ولم يعرفوه هم، يستحيل أن يعبر طيف يوسف أفكارهم الآن، لقد تخلصوا منه من زمان بعيد، وضاق بهم الحال فجاءوا من

فلسطين يبحثون عن طعام في مصر، وأجرىٰ يوسف حواره مع إخوته، بغير أن يكشف لهم عن نفسه.

كان عدد الإخوة عشرة، وكان معهم أحد عشر بعيرًا.

سألهم يوسف -مستخدمًا أحد المترجمين-؛ لكي لا يتحدث لغته العبرانية: نظامنا يقضي بإعطاء كل إنسان قدر بعير من الطعام، كم عددكم؟

قالوا: نحن أحد عشر.

قال يوسف للترجمان: قل لهم: لغتكم مخالفة للغتنا، وزيكم يخالف زينا، فلعلكم جواسيس.

قالوا: والله ما نحن بجواسيس، بل نحن بنو أب واحد، شيخ طيب.

سأل يوسف: قلتم أن عددكم أحد عشر، ولكنكم عشرة؟

قالوا: كنا اثني عشر أخًا، هلك لنا أخ في البرية، ولنا أخ آخر يحبه أبونا، ولا يستطيع أن يصبر علىٰ فراقه، جئنا ببعيره بدلًا منه.

قال يوسف: كيف أتأكد من صدقكم؟

قالوا: اختر شيئًا تسكن إليه نفسك.

قال يوسف: يقضي النظام بألا نصرف لأحد غير موجود، ائتوني بأخيكم لأصرف له طعامه: ﴿ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾.

استمر الحوار بين أخوة يوسف وبينه، أفهمهم يوسف عليه السلام أنه سيستثنيهم هذه المرة، فإذا جاءوا المرة القادمة بغير أخيهم فلن يصرف لهم، قالوا له: سنحاول إقناع والده بأن يتركه معنا: ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١﴾ ووعدوا بمحاولة إحضاره في المرة القادمة، فأعطاهم كيلهم وزادهم، وأمرهم أن ينصرفوا فانصرفوا، حتىٰ إذا وصلوا إلىٰ ديارهم دخلوا علىٰ أبيهم: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾.

رجع الإخوة إلىٰ أبيهم، قبل أن ينزلوا أحمال الجمال ويفكوا متاعهم، دخلوا علىٰ أبيهم، قائلين له بعتاب: إن لم ترسل معنا أخانا الصغير في المرة القادمة فلن يعطينا عزيز مصر الطعام، وختموا كلامهم بوعد جديد ليعقوب ﷺ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

ويبدو أن هذا الوعد قد أثار أحزان يعقوب ﷺ، فهو ذاته وعدهم له في يوسف! فإذا هو يجهر بما أثاره الوعد من شجونه: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

وفتح الأبناء أوعيتهم؛ ليخرجوا ما فيها من غلال، فإذا هم يجدون فيها بضاعتهم التي ذهبوا يشترون بها مردودة إليهم مع الغلال والطعام: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

ورد الثمن يشير إلىٰ عدم الرغبة في البيع، أو هو إنذار بذلك، وربما كان إخراجًا لهم؛ ليعودوا لسداد الثمن مرة أخرىٰ.

أسرع الأبناء إلي أبيهم ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾.. لم نكذب عليك، لقد رد إلينا الثمن الذي ذهبنا نشتري به، هذا معناه أنهم لن يبيعوا لنا إلا إذا ذهب أخونا معنا.

واستمر حوارهم مع الأب، أفهموه أن حبه لابنه والتصاقه به يفسدان مصالحهم، ويؤثر علىٰ اقتصادهم، وهم يريدون أن يتزودوا أكثر، وسوف يحفظون أخاهم أشد الحفظ وأعظمه، وانتهىٰ الحوار باستسلام الأب لهم، بشرط أن يعاهدوه علىٰ العودة بابنه، إلا إذا خرج الأمر من أيديهم وأحيط بهم: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

ثم نصحهم الأب ألا يدخلوا -وهم أحد عشر رجلًا- من باب واحد من أبواب مصر، كي لا يستلفتوا انتباه أحد، وربما خشي عليهم أبوهم شيئًا كالسرقة أو الحسد،

لا نعرف ماذا كان الأب يخشىٰ، هي حاجة في نفس يعقوب قالها والله أعلم بها: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

يوسف يستبقي أخاه معه:

عاد إخوة يوسف الأحد عشر هذه المرة: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

ويحتضن يوسف عليه السلام أخاه ويكشف له وحده قرابته، ولا ريب أن هذا لم يحدث فور دخول الإخوة علىٰ يوسف، و إلا لانكشفت لهم قرابة يوسف عليه السلام؛ إنما وقع هذا في خفاء وتلطف، فلم يشعر إخوته، ها هو يوسف عليه السلام يدبر شيئًا لإخوته، إنه يريد أن يحتفظ بأخيه الصغير معه.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾.

أمر يوسف عليه السلام رجاله أن يخفوا كأس الملك الذهبية في متاع أخيه خلسة، وكانت الكأس تستخدم كمكيال للغلال، وكانت لها قيمتها كمعيار في الوزن إلىٰ جوار قيمتها كذهب خالص.

أخفي الكأس في متاع أخيه، وتهيأ إخوة يوسف للرحيل، ومعهم أخوهم، بعدما أخذوا متاعهم وطعامهم، وفجأة..أغلقت أبواب العاصمة: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾..!!

كانت صرخة الجند تعني وقوف القوافل جميعًا، أقبل الناس، وأقبل معهم إخوة يوسف: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾؟!

هكذا تساءل إخوة يوسف، ما الذي جرىٰ، وعم تبحثون؟! قال الجنود: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾.

ضاعت كأسه الذهبية، ولمن يجيء بها مكافأة، سنعطيه حمل بعير من الغلال.

قال إخوة يوسف ببراءة: لم نأت لنفسد في الأرض ونسرق! قال الحراس: لابد من التفتيش الذاتي على الكل ولكن.. (وكان يوسف قد وجههم لما يقولونه): أي جزاء تحبون توقيعه على السارق؟!

قال إخوة يوسف: في شريعتنا من سرق صار عبدًا لمن سرقه.

قال الحارس: سنطبق عليكم قانونكم الخاص، لن نطبق عليكم القانون المصري الذي يقضي بسجن السارق.

كانت هذه الإجابة من يوسف ﷺ، ولولا هذا التدبير الإلهي لامتنع على يوسف أن يأخذ أخاه، فقد كان الملك أو قانونه لا يقضي باسترقاق من سرق، وبدأ بالتفتيش.

كان هذا الحوار على منظر ومسمع من يوسف ﷺ، فأمر جنوده بالبدء بتفتيش رحال إخوته أولًا قبل تفتيش رحل أخيه الصغير، كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش.

اطمأن إخوة يوسف إلى براءتهم من السرقة وتنفسوا الصعداء، فلم يبق إلا أخوهم الصغير، وفجأة... ظهر المكيال، ثم استخرج الكأس من رحل الأخ الصغير.

وتم الحكم وصار أخو يوسف عبدًا ليوسف ﷺ بمقتضي قانونهم الذي طبقه القضاء على الحادث.

أعقب ذلك مشهد عنيف من المشاعر، إن إحساس الإخوة براحة الإنقاذ والنجاة من التهمة، جعلهم يستديرون باللوم على شقيق يوسف: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾.

إنهم يتنصلون من تهمة السرقة، ويلقونها على هذا الفرع من أبناء يعقوب، وكان يوسف ﷺ قد اتهم كذبًا بالسرقة وهو صغير، والقصة ببساطة أنه كانت له خالة تعبد صنمًا من ذهب، فأخذه وأخفاه تغييرًا للمنكر؛ كي لا تعبده، ويمنعها من السجود له، فاتهم أنه سرقه.

سمع سيدنا يوسف عليه السلام بأذنيه اتهامهم له، وأحس بحزن عميق، كتم يوسف عليه السلام أحزانه في نفسه ولم يظهر مشاعره، قال بينه وبين نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

لم يكن هذا سببًا لهم، بقدر ما كان تقريرًا حكيمًا لقاعدة من قواعد الأمانة.

أراد أن يقول بينه وبين نفسه: إنكم بهذا القذف شر مكانًا عند الله من المقذوف؛ لأنكم تقذفون بريئين بتهمة السرقة والله أعلم بحقيقة ما تقولون، فلا أنا سرقت، ولا أخي سرق، الله وحده أعلم بالحقيقة في الحادثين، وأنا وأخي بريئان منهما.

سقط الصمت بعد تعليق الإخوة الأخير، ثم انمحى إحساسهم بالنجاة، وتذكروا يعقوب، لقد أخذ عليهم عهدًا غليظًا، ألا يفرطوا في ابنه، وبدءوا استرحام يوسف: يوسف أيها العزيز، يوسف أيها الملك: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال يوسف بهدوء: كيف تريدون أن نترك من وجدنا كأس الملك عنده، ونأخذ بدلًا منه إنسانًا آخر..؟ هذا ظلم، نحن لا نظلم.

كانت هي الكلمة الأخيرة في الموقف، وعرفوا أن لا جدوى بعدها من الرجاء، فانسحبوا يفكرون في موقفهم المحرج أمام أبيهم حين يرجعون: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)﴾.

عقدوا مجلسًا يتشاورون فيه، ذكرهم كبيرهم بالموثق المأخوذ عليهم، كما ذكرهم بتفريطهم في يوسف من قبل، ثم بين قراره الحازم: ألا يبرح مصر، وألا يواجه أباه، إلا أن يأذن أبوه، أو يقضي الله له بحكم، فيخضع له وينصاع، وطلب منهم أن

يرجعوا إلىٰ أبيهم فيخبروه بصراحة بأن ابنه سرق، فأخذ بما سرق، ذلك ما علموا وشهدوا به، أما إن كان بريئًا، وكان هناك أمرًا وراء هذا الظاهر لا يعلمونه، فهم غير موكلين بالغيب،، وإن كان في شك من قولهم؛ فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها - أي: أهل مصر- وليسأل القافلة التي كانوا فيها، فهم لم يكونوا وحدهم، فالقوافل الكثيرة كانت ترد مصر لتأخذ الطعام.

فعل الأبناء ما أمرهم به أخوهم الكبير، وحكوا ليعقوب عليه السلام ما حدث، استمع يعقوب إليهم وقال بحزن صابر، وعين دامعة: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: كلمته ذاتها يوم فقد يوسف، لكنه في هذه المرة يضيف إليها الأمل أن يرد الله عليه يوسف أخاه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

هذا الشعاع من أين جاء إلىٰ قلب هذا الرجل الشيخ؟ إنه الرجاء في الله تعالى، والاتصال الوثيق به، والشعور بجوده ورحمته، وهو مؤمن بأن الله تعالى يعلم حاله، ويعلم ما وراء هذه الأحداث والامتحانات، ويأتي بكل أمر في وقته المناسب، عندما تتحقق حكمته في ترتيب الأسباب والنتائج.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾.

وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهمه، وحيد بمصابه، لا تشاركه هذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب يوسف، الذي لم ينسه، ولم تهون من مصيبته السنون، والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر فتغلبه علىٰ صبره الجميل، حتىٰ يقول وهو يجلس وحده بعيدًا عنهم: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

أسلمه البكاء الطويل إلىٰ فقد بصره، أو ما يشبه فقد بصره، فسارت أمام عينيه غشاوة بسبب البكاء لا يمكن أن يرىٰ بسببها.

﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

والكظيم هو الحزين الذي لا يظهر حزنه، ولم يكن يعقوب ﷺ يبكىٰ أمام أحد، كان بكاؤه شكوىٰ إلىٰ الله لا يعلمها إلا الله.

ثم لاحظ أبناؤه أنه لم يعد يبصر ورجحوا أنه يبكي علىٰ يوسف، وهاجموه في مشاعره الإنسانية كأب، وحذروه بأنه سيهلك نفسه: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

ردهم جواب يعقوب إلىٰ حقيقة بكائه، إنه يشكو همه إلىٰ الله، ويعلم من الله ما لا يعلمون، فليتركوه في بكائه وليصرفوا همهم لشيء أجدىٰ عليهم: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

إنه يكشف لهم في عمق أحزانه عن أمله في روح الله ورحمته، إنه يشعر بأن يوسف لم يمت كما نبؤوه، بل لم يزل حياً، فليذهب الإخوة بحثًا عنه، وليكن دليلهم في البحث: هذا الرجاء العميق في الله ﷻ.

وفعلًا أطاع الأولاد أباهم المكلوم وشدوا رحالهم وانطلقوا إلىٰ مصر.

تحركت القافلة في طريقها إلىٰ مصر.. إخوة يوسف ﷺ في طريقهم إلىٰ العزيز، تدهور حالهم الاقتصادي وحالهم النفسي؛ إن فقرهم وحزن أبيهم ومحاصرة المتاعب لهم، قد هدت قواهم تمامًا، ها هم أولاء يدخلون علىٰ يوسف ﷺ، معهم بضاعة رديئة، جاءوا بثمن لا يتيح لهم شراء شيء ذي بال، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

انتهىٰ الأمر بهم إلىٰ التسول، إنهم يسألونه أن يتصدق عليهم، ويستميلون قلبه، بتذكيره أن الله يجزي المتصدقين.

عندئذ، وسط هوانهم وانحدار حالهم، حدثهم يوسف عليه السلام بلغتهم، بغير وساطة ولا مترجم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)﴾.

يكاد الحوار يتحرك بأدق تعبير عن مشاعرهم الداخلية، فاجأهم عزيز مصر بسؤالهم عما فعلوه بيوسف، كان يتحدث بلغتهم فأدركوا أنه يوسف، وراح يمضي فيكشف لهم خطيئتهم معه، لقد كادوا له ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾.

مرت السنوات، وذهب كيدهم له، ونفذ تدبير الله المحكم الذي يقع بأعجب الأسباب، كان إلقاؤه في البئر هو بداية صعوده إلىٰ السلطة والحكم، وكان إبعادهم له عن أبيه سببًا في زيادة حب يعقوب عليه السلام له، وها هو ذا يملك رقابهم وحياتهم، وهم يقفون في موقف استجداء عطفه، إنهم يختمون حوارهم معه بقولهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)﴾.

إن روح الكلمات واعترافهم بالخطأ يشيان بخوف مبهم غامض يجتاح نفوسهم، ولعلهم فكروا في انتقامه منهم وارتعدت فرائصهم، إنهم يقسمون بالله أن الله تعالى فضله عليهم؛ فصار أفضل منهم، ويعترفون بخطئهم طلبًا للعفو والفصح..

ولعل يوسف أحس ذلك منهم فطمأنهم بقوله: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾.

لا مؤاخذة، ولا لوم، ولا عقاب، ولا عتاب.. لا تثريب، انتهىٰ الأمر من نفسي وذابت جذوره، لم يقل لهم: إنني أسامحكم أو أغفر لكم؛ إنما دعا الله أن يغفر لهم، وهذا يتضمن أنه عفا عنهم وتجاوز عفوه، ومضي بعد ذلك خطوات، دعا الله أن يغفر لهم، وهو نبي ودعوته مستجابة، وذلك تسامح نراه آية الآيات في التسامح.

يعقوب عليه السلام يرجع إليه بصره:

ها هو ذا يوسف عليه السلام ينهي حواره معهم بنقلة مفاجئة لأبيه، يعلم أن أباه قد ابيضت عيناه من الحزن عليه، يعلم أنه لم يعد يبصر، لم يدر الحوار حول أبيه لكنه يعلم، يحس قلبه بأبيه، ويشتاق له، فيرسل إليه علامته مرة أخرى، قميص يوسف، ولكن هذه المرة قميص يوسف صدق يمحو أثر القميص الملوث بالكذب، خلع يوسف قميصه وأعطاه لهم: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

وعادت القافلة إلى فلسطين.. ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾.

بمجرد أن خرجوا من مصر، ويعقوب عليه السلام في فلسطين، قال يعقوب عليه السلام لمن حوله: إني أشم رائحة يوسف، لولا أنكم تقولون في أنفسكم أنني شيخ خرف لصدقتم ما أقول، هكذا الشوق يجعلك تشم من بعيد رائحة الأحباب.

فرد عليه من حوله: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾.

إنهم جهال، لا يعرفون الحب، ولا يعلمون شيئًا..

لكن المفاجأة التي استبعدوها تقع: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾.

هنا يذكر يعقوب حقيقة ما يعلمه من ربه: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾.

نلمح هنا أن في قلب يعقوب شيئًا من بنيه، وأنه لم يصف لهم بعد، وإن كان يعدهم باستغفار الله لهم بعد أن يصفو ويسكن ويستريح: ﴿سَوْفَ﴾.

ثم يأتي المشهد الأخير من قصة يوسف عليه السلام

اجتماع الشمل بعد طول فراق:

بدأت قصته برؤيا، وها هو ذا الختام تأويل رؤياه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

تأمل الآن مشاعره ورؤياه تتحقق، ليس الغرور ولا الزهو ولا الشماتة في إخوته والعلو عليهم، ولا حتىٰ عتابهم، ولا تذكيرهم بأخطائهم، كلا.. إنه الصديق يوسف ﷺ، نسي إخوته وأباه وأمه، وتوجه إلىٰ ربه في إخلاص عميق يسأله لخاصة نفسه، بعد أن يثني علىٰ ربه بجميل فعله به، واعترافه بفضل ربه عليه، وثنائه علىٰ الله بما هو أهله، وصدق رجائه فيه، إنه يدعو ربه ﷻ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

هي دعوة واحدة: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾.

وقد كان.. استجاب الله ﷻ دعاءه، كما استجاب دعاءه دائمًا، ومات يوسف ﷺ حميدًا، صلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنه حميد مجيد..

من فوائد القصة:

١- أجمل القصص وأحسن القصص قصص القرآن لما فيه من عبر وفوائد وتربية وتسلية للمسلمين.

٢- الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة.

٣- من وسائل دفع الحسد إخفاء النعمة عن الحاسد وعدم تحديثه بها.

٤- كل والد يحب أن يكون ولده خيرًا منه، ولا يتأتىٰ ذلك من الأخ لأخيه.

٥- بقايا الصلاح في القلب تتدخل عند استحكام الشر، فتخفف من الجريمة، وتقلل من حدتها.

٦- اذكر عند الظلم قدرة الله عليك، وعند الذنب رؤية الله لك.

٧- النبوة والهداية محض فضل من الله يؤتيه من يشاء.

٨- استسلم لتدبير ربك لك، فربك أرحم بك منك.

٩- إنما تشتعل الفتنة بوجود أسبابها - وتزول الفتنة بزوال الأسباب، حرم الإسلام الخلوة والاختلاط ومصافحة الأجنبية والتبرج وغير ذلك؛ سدًا لباب الفتنة، فإذا وقع شيء منها كانت الفتنة أقرب للوقوع.

١٠- الدياثة والخبث وكثرة الكلام بالباطل؛ إنما تكثر في أهل الترف، الذين يكثر لديهم الفراغ، ولا ينشغلون بعبادة الله والتقرب منه سبحانه.

١١- الداعية لا يتوقف عن الدعوة، فهو كالماء المنهمر، حيثما حل نفع، ويوسف يدعو إلىٰ الله حتىٰ في السجن، لا يغفل عن الدعوة، مكتوب علىٰ جبين الداعية: (وقف لله تعالىٰ).

١٢- إذا اشتدت المحن فقد أوشك انفراجها وذهابها.

١٣- عاقبة الصبر دائمًا خير، وكلما كنت أصبر كنت من رحمة الله أقرب.

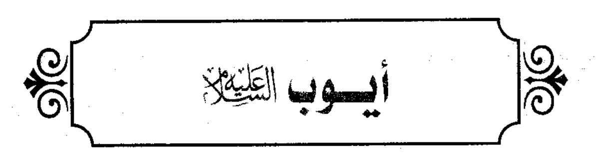
١٤- يعطىٰ المؤمن فراسة يرىٰ بها حقائق الأشياء وإن كانت غائبة.

١٥- استحباب ختام العمر بالتوبة والاستغفار والدعاء بأن يلحق الله العبد بالصالحين.

١٦- استحباب العفو عمن ظلمك، ففي عفوك عنه عفو من الله عنك.

١٧- لا تشمت بأحد، وتعلم أن تتسامح في حقك، ولا تنتظر مقابلًا من البشر.

١٨- الأمور بالخواتيم والعواقب، فلا تتغير ولا تتعجب، وسل الله حسن الخاتمة.



﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾

الأنبياء أشد الناس بلاء:

قال رسول الله ﷺ: «**أَشدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**» [صحيح الجامع: (٩٩٢)]، كان أيوب عليه السلام رجلًا من الروم، أنعم الله عليه بمال وفير ورزق غزير، كان أيوب عليه السلام غنيًا، واسع الثراء، يمتلك أراضي متسعة، ومواشي كثيرة، وكان يخدمه الكثير من العبيد، وكما أنعم الله عليه بالمال الوفير والجاه أنعم عليه أيضًا بالأولاد.

أيوب الأواب:

ضربت الأمثال في صبر هذا النبي العظيم، فكلما ابتلي إنسانًا ابتلاءً عظيمًا أوصوه بأن يصبر كما صبر أيوب عليه السلام، وقد أثنىٰ الله سبحانه وتعالى علىٰ عبده أيوب في محكم كتابه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ والأوبة هي العودة إلىٰ الله عز وجل، وقد كان أيوب عليه السلام دائم العودة إلىٰ الله بالذكر والشكر والصبر، وكان صبره سبب نجاته وسر ثناء الله عليه. والقرآن يسكت عن نوع مرضه فلا يحدده، وقد نسجت الأساطير عديدًا من الحكايات حول مرضه، قيل: أنه مرض مرضًا جلديًا منفرًا تجنب الناس الاقتراب منه بسببه، لكن الله أعلم بحقيقية هذا المرض، حيث لم يخبرنا سبحانه وتعالى عنه.

وكان سيدنا أيوب عليه السلام يحمد الله علىٰ نعمه في كل وقت، فقد كان شديد الإيمان بالله، مخلصًا في عبادته له، يدعو الناس دومًا إلىٰ عبادة الله سبحانه وتعالى، كان أيوب عليه السلام نبيًا يدعو الناس إلىٰ التوحيد والصلاح.

ابتلاء أيوب عليه السلام:

أراد الله تعالى أن يمتحن إيمان سيدنا أيوب عليه السلام، فبعد أن كان سيدنا أيوب رجلًا واسع الثراء أذهب الله ثروته فصار فقيرًا.

لم يكفر سيدنا أيوب عليه السلام بالله، بل راح يحمده ويشكره علىٰ باقي نعمه، ثم مات أولاده، وفقد الأهل والأصحاب، وصار وحيدًا، وصبر سيدنا أيوب، وظل يشكر الله ويحمده في كل وقت، ولم يقلل ذلك من إيمانه قط، ثم ابتلىٰ الله سيدنا أيوب عليه السلام في جسده بجميع أنواع البلاء، حيث لم يبق منه عضو سليم سوىٰ قلبه ولسانه.

فبعد أن كان صحيحًا، صار مريضًا، ورغم ذلك لم ينقطع أيوب عليه السلام عن الصبر والعبادة، فحمد الله تعالى، وعاش وحده في فقر ومرض.

كان مرض سيدنا أيوب عليه السلام شديدًا، ابتلاه الله في كل أعضاء جسده، ما عدا قلبه ولسانه، قلبه العامر بالإيمان بالله، ولسانه الدائم الحمد والشكر لله، وانفض الناس من حول سيدنا أيوب عليه السلام، فلم يتبق بجواره سوىٰ زوجته التي كانت ترعاه وتحاول التخفيف عنه حتىٰ نفد مالها، فراحت تعمل عند الناس بالأجر، تخدمهم لتطعم زوجها المريض.

تشديد البلاء:

وكان سيدنا أيوب عليه السلام يتألم من شدة المرض، ولكن لسانه لم ينطق إلا بآيات الحمد والصبر لله عز وجل، يزداد ألمه وهو يرىٰ زوجته تتعذب معه، فبعد أن كانت تعيش في نعيم ورخاء مستمتعة بالمال والأولاد والأمل، صارت وحيدة فقيرة تعمل في صبر لإطعامه وتخفيف آلامه.

وبالرغم من ذلك زاد صبر سيدنا أيوب عليه السلام وإيمانه وشكره لله عز وجل، وتبدلت الأحوال للأصعب، فبعد أن طال مرض سيدنا أيوب خاف الناس من مرضه، وظنوا أنه مرض مُعْدٍ وأن زوجته سينتقل إليها المرض ثم تنقله لهم، وخاف الناس منها؛ فمنعوها من العمل عندهم، وحارت الزوجة الوفية المخلصة الصابرة، فكيف تطعم

زوجها المريض وهي بدون عمل أو مال؟ وفكرت كثيرًا، حتىٰ استقرت علىٰ حل صعب..

أمسكت زوجة سيدنا أيوب ضفائر شعرها وقصتها، ثم باعتها إلىٰ إحدىٰ بنات الأشراف مقابل الكثير من الطعام الطيب، وعادت إلىٰ زوجها سعيدة، وقدمت إليه الطعام فنظر إليها في إنكار وسألها: من أين لك هذا الطعام؟ واضطرت زوجة سيدنا أيوب أن تخفي عليه حقيقة الأمر فقالت: خدمت به بعض الناس.

ومرت سنوات وسنوات طويلة، وأيوب ﷺ مريض، ومرضه يزداد، وهو يعيش في فقر وحرمان، وحيدًا بلا أهل سوىٰ زوجته المخلصة الوفية الصابرة، وبالرغم من ألم الوحدة والفقر والمرض، كان سيدنا أيوب ﷺ صابرًا شاكرًا لله يحمده في كل وقت.اشتد عذاب سيدنا أيوب ﷺ عندما سمع حوارًا بين رجلين، قال أحدهما: لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، فمنذ سنوات طويلة وهو مريض لم يرحمه ربه فيشفيه، فتألم سيدنا أيوب ﷺ من قول الرجلين، وزاد ألمه عندما تجرأ عليه الشيطان وراح يوسوس إليه بأفكار خبيثة حتىٰ يكف عن الصبر ويهجر الإيمان بالله، ولكنه لم يستجب له.

واستمرت زوجة سيدنا أيوب في بيع ضفائرها؛ لتوفر لزوجها الطعام، فأصر سيدنا أيوب أن يعرف من أين تأتي زوجته بهذا الطعام، فأقسم ألا يأكل حتىٰ تخبره زوجته بالحقيقة، وأقسم أن يضربها بالعصا مائة ضربة عندما يشفىٰ، وفي حزن شديد كشفت الزوجة الوفية رأسها، وأدرك سيدنا أيوب ﷺ ما فعلته من أجله فتألم تألمًا شديدًا.

تضرع أيوب ﷺ لربه، وكشف البلاء:

خرج سيدنا أيوب إلىٰ الجبال يدعو الله ﷻ وقف وحيدًا ورفع كفيه إلىٰ أعلىٰ، ودعا الله بقلبه المؤمن الصابر في خشوع وإيمان قائلًا: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾

كانت كلماته تحمل كل معاني الإيمان والصبر والعذاب في تلك السنوات الطويلة الصعبة، دعا الله لأول مرة خلال هذه السنوات أن يشفيه، فاستجاب الله ﷻ لدعوة أيوب ﵇.

قال الله ﷻ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾.

أمره الله ﷻ أن يستحم في عين من عيون الجبل المائية، ثم يشرب من ماء هذه العين، بالفعل نفذ أيوب ﵇ ما أمره الله ﷻ به، فاستحم ثم شرب، وبقدرة الله ﷻ زال عنه المرض واختفىٰ البلاء، وعادت صحة سيدنا أيوب إليه، شفىٰ كأنه لم يمرض قط.

قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟ قَالَ: بَلَىٰ وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لا غِنَىٰ بِي عَنْ بَرَكَتِكَ**» [صحيح البخاري (٢٧٠)].

وتبدلت أحوال سيدنا أيوب بقدرة الخالق ﷻ، فصار أيوب ﵇ رجلًا موفور الصحة، أعاد الله إليه المال والثراء، ورزقه بالأولاد والأهل، وعاش في نعيم ورخاء يدعو الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

ولكن، كانت هناك مشكلة لا بد أن يحلها أيوب ﵇...

وفاء،لا حنث:

كان سيدنا أيوب ﵇ قد أقسم أن يضرب زوجته مائة ضربة بالعصا إذا شفاه الله، وعندما أنعم الله ﷻ عليه بالصحة فكر: كيف ينفذ هذا القسم ويضرب الزوجة الوفية الصابرة؟!

وأوحىٰ الله ﷻ إليه لكي يبر قسمه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾، أمره الله بجمع حزمة من أعواد الريحان عددها مائة عود، وأن يضرب بها زوجته ضربة واحدة.

وبذلك نفذ سيدنا أيوب عليه السلام قسمه، ولم يؤذ زوجته، وأثنىٰ الله تعالى علىٰ سيدنا أيوب عليه السلام قائلًا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ لقد صبر سيدنا أيوب صبرًا لم يصبره أحد من البشر، واحتمل عذابًا لا يطاق، وجزاه الله خير الجزاء، الجنة ونعيمها إن شاء الله.

من فوائد القصة:

١- الصبر جواد لا يكبو، وصارم لا ينبو، ذخيرة عند البلاء، وعدة في البأساء والضراء، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وبالصبر نال القوم ما نالوا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر:١٠].

٢- إذا اشتد البلاء فقد اقترب الفرج، وأشد ساعات الليل سوادًا ما يعقبها طلوع الفجر: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [سورة الشرح: ٥-٦]، ولن يغلب عسر يسرين.

٣- الرضا بالبلاء شعار المحبين وصفة المتقين، والصبر فرض والرضا فضل، والله يؤتي فضله من يشاء.

٤- وفاء المرأة لزوجها من صدق إيمانها، وليت النساء يتعلمن من هذا الموقف درسًا في الوفاء، وجزاء الوفاء من الزوج وفاء زوجته له.

٥- من ألهم الدعاء فقد ألهم الجواب، وبالتضرع يكشف البلاء.

٦- من حلف علىٰ فعل شيئ وجب عليه تنفيذه وإيقاعه؛ فإن لم يفعل فإن عليه كفارة يمين، وحفظ الأيمان والتكفير عنها عند الحنث من تعظيم شعائر الله.

ذو الكفل عليه السلام

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾

من الأنبياء الصالحين، وكان يصلي كل يوم مائة صلاة، قيل: إنه تكفل لبني قومه يقضي بينهم بالعدل ويكفيهم أمرهم ففعل؛ فسمي بذي الكفل.

ذكر الله تعالى ذا الكفل عليه السلام، وأثنىٰ عليه مع الأنبياء: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وذو الكفل عليه السلام من الأنبياء الذين أوحىٰ الله إليهم، وكان ذو الكفل عليه السلام رجلًا صالحًا، وحكمًا مقسطًا عادلًا، وقد تعهد ذو الكفل أن يكفيهم أمرهم، ويقضي مصالحهم، ويحكم بينهم بالعدل، وقد كان رجلًا صابرًا مؤمنًا.

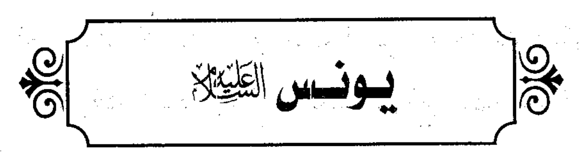
وقد أثنىٰ الله عليه وأدخله في رحمته في الدنيا والآخرة، هذا ما أخبرنا الله به عنه، ولا نعلم غيره.

من فوائد القصة:

١- العدل سمة الصالحين مع أنفسهم أولًا، ثم مع الناس، وبالعدل تستقر دعائم الملك.

٢- الصبر والصلاح سبب لدخول الإنسان في رحمة الله عز وجل.

٣- من القربات التي يتقرب بها العبد إلىٰ ربه قضاء مصالح إخوانه وإعانتهم عليها.



﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

عناد أهل نينوى لنبيهم:

عاش سيدنا يونس أو ذو النون عليه السلام مع أهل نينوىٰ في أرض الموصل، وكان نبيًا كريمًا، كان يدعو قومه إلىٰ الإيمان بالله ويذكرهم بيوم القيامة، لكن للأسف لم يؤمن به قومه، بل ازداد عنادهم وكفرهم، دعاهم سيدنا يونس ولم يجد صدىٰ لدعوته في قلوبهم، فتملكه اليأس من إيمانهم، وأدرك أنهم يستحقون عقاب الله لتماديهم في الكفر، فسأل الله أن يهلكهم ويصب عليهم العذاب لتكبرهم عن الإيمان، وإيذائهم لرسول الله إليهم، فتوعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام.

إيمان قومه بعد خروجه مغاضبًا:

ولم ينتظر سيدنا يونس عليه السلام أمر الله سبحانه وتعالى بالرحيل من القرية الظالمة، كان غاضبًا حزينًا يائسًا، فلم يشعر أنه أخطأ وأن مهمته هي تبليغ الرسالة فقط وليس إدراك النجاح، فتعجل الأمر حين أوحىٰ الله إليه بنزول العذاب عليهم، وغادر سيدنا يونس عليه السلام القرية وهو لا يدري أن الله سيعاقبه.

بعد أن غادر سيدنا يونس عليه السلام القرية اجتمع أهلها، وراحوا يتذكرون كلمات سيدنا يونس عليه السلام ودعوته إلىٰ الله، وخاصة تلك الكلمات الأخيرة التي توعدهم فيها بالعذاب القريب، وامتلأت القلوب بالخوف من الله عز وجل، وندم أهل القرية علىٰ أعمالهم الظالمة، وكفرهم وعنادهم، وتابوا إلىٰ الله.

وقع في نفوسهم أن يلجئوا إلىٰ إله يونس فيؤمنوا به ويتوبوا إليه ويستغفروه، فخرجوا إلىٰ شعاب الجبال وبطون الصحراء، شاكين متضرعين، باكين متوسلين،

وفرقوا بين الأمهات وأطفالها، والإبل وفصلانها، والبقر وأولادها، والغنم وحملانها، ثم أعول الجميع، فصاحت الأمهات، ورغت الإبل، وخارت البقر، وثغت الغنم، وكانت ساعة بسط الله عليهم بعدها جناح رحمته، ورفع عنهم سحائب نقمته، وتقبل منهم التوبة والإنابة.

رفعوا أيديهم وتضرعوا إلىٰ الله أن ينجيهم من العذاب المنتظر، خصوصًا عندما رأوا مقدمات العذاب تظهر، وسالت دموع الجميع، الرجال والنساء والأطفال خوفًا من العقاب، واستمروا في تضرعهم ودعوتهم حتىٰ استجاب الله لهم، وكشف عنهم العذاب ونجاهم من العقاب الذي كان ينتظرهم، آمن أهل يونس بالله بعد أن خرج النبي من قريتهم غاضبًا يائسًا، قال الله ﷻ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة يونس:٩٨].

يونس عليه السلام في بطن الحوت:

لما غضب يونس عليه السلام من قومه خرج من قريته، واتجه إلىٰ ساحل البحر هربًا من العذاب المنتظر، وهناك ركب سيدنا يونس عليه السلام سفينة وانطلقت به، وراحت الأمواج تضرب السفينة بعنف، وفقد الركاب توازنهم، وشعروا أنهم سيغرقون، ونادي القبطان قائلًا: لا بد أن نخفف الحمل، ألقوا متاعكم في البحر حتىٰ لا نغرق.

ووافق الجميع، ورغم ذلك ظلت السفينة تهتز، فصاح القبطان: ستجري قرعة بيننا، والذي تقع عليه القرعة سنقذفه في البحر.

وأعطىٰ الركاب أسماءهم للقبطان الذي أجرىٰ القرعة، فأخرج اسم سيدنا يونس عليه السلام، وأجريت القرعة مرة ثانية، وثالثة، وفي كل مرة يخرج اسم سيدنا يونس عليه السلام، ولم يكن هناك مفر من إلقاء سيدنا يونس عليه السلام في البحر، ولكن ركاب السفينة رفضوا، وأخيرًا، ألقىٰ سيدنا يونس عليه السلام بنفسه في البحر بعد أن غافلهم ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

أرسل الله ﷻ حوتًا وراء السفينة، وأمره أن يبتلع سيدنا يونس عليه السلام دون أن يؤذيه، وما كاد سيدنا يونس عليه السلام يستقر في البحر حتىٰ ابتلعه الحوت.

فوجئ سيدنا يونس عليه السلام أنه استقر في بطن الحوت، لحظات ظن أنه مات، ولكنه حرك جسمه وأدرك أنه حي فخر ساجدًا لله، ثم أخذ يفكر في هذا الموقف الغريب.

إنه في ظلمات ثلاث: ظلمة الليل، وظلمة قاع البحر، وظلمة بطن الحوت، وعرف يونس عليه السلام ذنبه، وشعر أنه أخطأ عندما ترك القرية دون أمر من الله، فراح يصلي لله ويسبحه، ويستغفره في بطن الحوت.

كان من الممكن أن يظل في بطن الحوت إلىٰ يوم القيامة، ولكن شيئا واحدًا كان سبب نجاته من هذا العذاب الأليم، هذا الشيء هو التسبيح والذكر والدعاء ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

سمع يونس عليه السلام وهو في جوف الحوت أصواتًا غريبة، فسأل نفسه: ما هذه الأصوات، وأوحىٰ الله ﷻ إليه: إنه صوت تسبيح مخلوقات البحر، إن كل المخلوقات تسبح الله ﷻ، فراح يونس عليه السلام يسبح الله، ولم تمر عليه لحظة إلا وهو يسبح وينادي الله مسبحًا ومستغفرًا: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

واستمر سيدنا يونس عليه السلام في تسبيحه ودعائه، حتىٰ استجاب الله ﷻ له، فأمر الله الحوت فتحرك نحو الشاطئ، وفتح فكيه الواسعين، وقذف يونس عليه السلام إلىٰ جزيرة خالية: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت مريضًا، ضعيف البدن، فأنبت الله ﷻ له علىٰ ساحل البحر شجرة من يقطين، وهو نبات له أوراق عريضة، حمت سيدنا يونس عليه السلام من أشعة الشمس، فأكل يونس عليه السلام من ثمارها حتىٰ استرد صحته واستظل بظلها. ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾.

وغفر الله لسيدنا يونس عليه السلام الذي بدأ رحلة جديدة من الدعوة إلىٰ الله ﷻ.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾.

ولما استوىٰ عل سوقه، ورجع إلىٰ سابق عهده، أوحىٰ الله إليه:أن ارجع إلىٰ بلدك وعشيرتك؛ فإنهم آمنوا فنفعهم الإيمان، ونبذوا الأصنام والأوثان، إنهم الآن يبحثون عن مكانك ويترقبون مجيئك.

وعاد يونس إلىٰ قريته، وما راعه إلا أنه خلفهم وليس فيهم إلا من هو عاكف علىٰ الأصنام، وعاد إليهم وما فيهم إلا ألسنة تلهج بذكر الرحمن: ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

عاد يونس إلىٰ دعوته، واستقبله قومه استقبالًا حافلًا، وعاش فيهم ما شاء الله أن يعيش نبيًا مرسلًا هاديًا معلمًا:

ألا سلام الله علىٰ يونس في المرسلين..

قال رسول الله ﷺ: **«مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بنِ مَتَّىٰ»** [متفق عليه].

وهذا من تواضع نبينا المصطفىٰ ﷺ، فهو سيد ولد آدم مطلقًا، إلا أن الحديث يخبرك عن مقام يونس عليه السلام.

من فوائد القصة:

١- المؤمن الصادق يتفطر قلبه حزنًا عندما يرىٰ قومه يعصون ربه جل جلاله.

٢- التؤدة والأناة والحلم خصال يحبها الله عز وجل ورسوله ﷺ، وتعود علىٰ المرء بخير في دينه ودنياه.

٣- علىٰ كل مسلم أن يبلغ دعوة الله تعالى إلىٰ الخلق دون انتظار النتائج.

٤- قلوب العباد بين يدي الله وحده يصرفها كيف شاء.

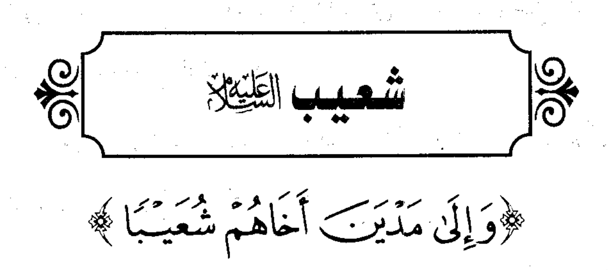
٥- عدة المؤمن في الكرب الاستغفار والتضرع والتبرؤ من حول النفس وقوتها إلىٰ حول الله وقوته.

٦- تعرف إلىٰ الله ﷻ في الرخاء يعرفك في الشدة، ومن كان طائعًا لله وقت الرخاء، كان له رصيد عند الله في الشدائد.

٧- ليس لذكر الله ﷻ ودعائه مكان محدد ولا وقت محدد، فأكثر من ذكر ربك علىٰ كل حال، فقد كان رسول الله يذكر الله في كل أحيانه.

٨- ربنا ﷻ كريم، لا أكرم منه، يقبل دعاء من دعاه، ويكشف الضر عمن تضرع إليه، ويقبل توبة من عصاه، فسبحان الله وبحمده.

٩- النبي نبي حتىٰ يموت، وإذا ترك هذا الشرف لا يسمح له بذلك، وكذلك الإيمان شرف للإنسان المؤمن، إذا ارتد عنه يقتل.



﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾

الدين عقيدة وسلوك:

لقد برز في قصة شعيب أن الدين ليس قضية توحيد وألوهية فقط، بل لابد لهما من آثارهما الصحيحة على التصرفات والأفكار؛ ولذلك فهو منهج لحياة الناس.

أرسل الله ﷻ شعيبًا عليه السلام إلىٰ أهل مدين. ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

كان أهل مدين قومًا من الأعراب يسكنون مدينة مدين، التي تقع في أرض تسمىٰ معان في أرض الشام، قريبًا من بحيرة قوم لوط، وكان أهل مدين من الكفار الذين يعبدون الأيكة، وهيٰ شجرة كبيرة حولها أشجار عديدة ملتفة بها، وكانوا يقطعون الطريق ويخيفون المارة ويرهبونهم، وكانت معاملاتهم المالية من أسوأ المعاملات.

أهل مدين يغشون في المكيال:

فقد اشتهر أهل مدين بالغش والتلاعب في الميزان والمكيال، كانوا إذا وزنوا البضاعة غشوا في الميزان، فيأخذ المشتري حقه ناقصًا، وإذا دفعوا النقود تحايلوا بالغش والخداع؛ ليأكلوا حقوق الناس.

وقد بعث الله سيدنا شعيبًا عليه السلام إلىٰ أهل مدين، وكان ذا خلق كريم، فصيحًا، بليغًا، لذلك أطلق عليه: خطيب الأنبياء.

شعيب عليه السلام يبين معالم الدعوة:

وقف سيدنا شعيب عليه السلام أمام أهل مدين يدعوهم إلىٰ الله وينهاهم عن عبادة

الأيكة، قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾.

هكذا هي القضية الأساسية لأية دعوة حقيقية، الدعوة إلىٰ التوحيد أولًا وقبل كل شيء، فرغم أن الآفات منتشرة ومتعددة، فهم يقطعون السبيل، ويبخسون الناس أشياءهم، وينقصون المكيال والميزان.. و.. و..، وكثير غير ذلك، إلا أن الأصل هو التوحيد، ولو صح توحيد الناس أولًا لصحت معاملاتهم، ولذلك كان التركيز كله في الدعوة إلىٰ توحيد الله ﷻ، ثم يأتي بعد ذلك الدعوة إلىٰ جميع الفروع، ومعالجة جميع الأمراض.

ثم شرح لهم أن الله أرسله لهدايتهم، وأنه لن يطلب أجرًا منهم نظير دعوته، وأنه يدعوهم؛ ليعرفوا طريق الحق إلىٰ الله، قال سيدنا شعيب: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾.

بعد قضية التوحيد مباشرة، ينتقل النبي إلىٰ قضية المعاملات اليومية، قضية الأمانة والعدالة، كان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان، ولا يعطون الناس حقهم، وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد، كما تمس كمال المروءة والشرف، وكان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم، نوعًا من أنواع المهارة في البيع والشراء، ودهاء في الآخذ والعطاء، ثم جاء نبيهم وأفهمهم أن هذه دناءة وسرقة، أفهمهم أنه يخاف عليهم بسببها من عذاب يوم محيط، انظر إلىٰ تدخل الإسلام الذي بعث به شعيب عليه السلام في حياة الناس، إلىٰ الحد الذي يراقب فيه عملية البيع والشراء.

استنكر أهل مدين دعوة شعيب عليه السلام إلىٰ الله ﷻ وقالوا: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾.

هي نفس العلة التي يتعلل بها أصحاب الأهواء دائمًا، ما كان عليه آباؤهم، إنك تراهم يخالفون آباءهم في كل شيء، ولكن يأتون عندما تخالف الدعوة إلىٰ الله أهواءهم يتمسكون بما كان عليه آباؤهم، لا لكونه حقًا، ولكن لأنه موافق للهوىٰ.

ثم انظر إلىٰ تعليلهم السرقة تعليلًا لطيفًا، كاللص الظريف، يقولون: ﴿نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾، كأنهم يقولون: لا شأن لك، هي فلوسنا، إن أردنا أن نحرقها حرقناها، فاخرج منها!!

أدرك شعيب أن قومه يسخرون منه لاستبعادهم تدخل الدين في الحياة اليومية، ولذلك تلطف معهم تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذي معه، وتجاوز سخريتهم لا يباليها، ولا يتوقف عندها، ولا يناقشها، تجاوز السخرية إلىٰ الجد، أفهمهم أنه علىٰ بينة من ربه، إنه نبي يعرف الحق ويدعو إليه، وهو لا يريد أن يخالفهم إلىٰ ما ينهاهم عنه، إنه لا ينهاهم عن شيء ليحقق لنفسه نفعًا منه، إنه لا ينصحهم بالأمانة ليخلو له السوق فيستفيد من التلاعب، إنه لا يفعل شيئًا من ذلك؛ إنما هو نبي، وها هو ذا يلخص لهم كل دعوات الأنبياء هذا التلخيص المعجز:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾.

كأنه يقول: أنا غني، وعندي مال، ورزقني الله منه رزقًا حسنًا..

إن ما أريده هو الإصلاح، هذه هي دعوات الأنبياء في مضمونها الحقيقي وعمقها البعيد، إنهم مصلحون أساسًا، مصلحون للعقول، والقلوب، والحياة العامة، والحياة الخاصة.

تذكيره لهم بمصائر من قبلهم:

بعد أن بين شعيب عليه السلام لقومه أساس دعوته، وما يجب عليهم الالتزام به، ورأىٰ منهم الاستكبار، حاول إيقاظ مشاعرهم بتذكيرهم بمصير من قبلهم من الأمم، وكيف دمرهم الله بأمر منه، فذكرهم قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وأراهم أن سبيل النجاة هو العودة لله عز وجل تائبين مستغفرين، فالمولىٰ غفور رحيم.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ

صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾.

يعني لا يلجئكم العناد والحرص علىٰ مخالفتي أن تعصوا الله فيصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم، فاستغفروا ربكم وتوبوا إليه ودعكم عني.

لكن قوم شعيب أعرضوا عنه قائلين: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

﴿نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ كذا قالوا: وهو كذب وزور وافتراء، إنهم بالتأكيد يفقهون ويفهمون، إنه لا يحدثهم بألغاز، بل بحقائق أوضح من الشمس، ولكنه الهروب والالتواء، ثم يقولون: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

سبحان الملك!!

ما علاقة هذا بالدعوة، وبالحق الذي يدعوهم إليه!!

ثم إنه ضعيف بمقياسهم، ضعيف لأن الفقراء والمساكين فقط هم الذين اتبعوه، أما علية القوم فاستكبروا وأصروا علىٰ طغيانهم، إنه مقياس بشري خاطئ، فالقوة بيد الله، والله مع أنبيائه، ويستمر الكفرة في تهديدهم قائلين: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي: لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنا لك حفرة وقتلناك ضربًا بالحجارة.

صراع شعيب عليه السلام مع قومه:

نرىٰ أنه عندما أقام شعيب عليه السلام الحجة علىٰ قومه، غيروا أسلوبهم، فتحولوا من السخرية إلىٰ التهديد، وأظهروا حقيقة كرههم له.

لكن شعيب عليه السلام تلطف معهم تجاوز عن إساءتهم إليه وسألهم سؤالا كان هدفه إيقاظ عقولهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

إن الله عز وجل هو القوي الذي يجب أن تخافوه، لا تخشوا أهلي وقومي، إنهم

ليسوا أعز عندكم من الله ﷻ.

وهنا تملك أهل مدين الضيق والغضب، وصاحوا في استكبار وعناد: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾.

قالوا: سنطردك من بلادنا شر طردة، ولا نسمح لك بالعيش معنا، طالما فارقت ديننا فارجع إليه أنت ومن معك.

قال شعيب ﵇: إن من اتبعني لن يعود أبدا إلىٰ ملتكم بعد أن هداه الله ونجاه منها، إلا إا عاد مضطرا مكرهًا ولن تستطيعوا أنتم أن تنتزعوا الإيمان من قلبه، وحاولوا إرهاب من اتبعوه فقالوا لهم: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

استمر الصراع بين سيدنا شعيب ﵇ وقومه، واستمروا في عنادهم وإصرارهم علىٰ الفساد وانقسم قوم شعيب إلىٰ فئتين: فئة اتبعت النبي وآمنت بالله، وفئة كافرة أصرت علىٰ العناد والضلال، وقد حاولت الفئة الكافرة تخويف المؤمنين وإرجاعهم إلىٰ الكفر، وعندما فشلوا بدأوا يضايقون شعيبًا ومن اتبعه فقال لهم شعيب ﵇: ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾

[سورة هود: ٩٢- ٩٣].

وانتقل الصراع إلىٰ تحدٍ من لون جديد، راحوا يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفًا من السماء إن كان من الصادقين، راحوا يسألونه عن عذاب الله: أين هو؟ وكيف هو؟ ولماذا تأخر؟ قالوا ذلك ساخرين منه، وانتظر شعيب ﵇ أمر الله ﷻ.

الصيحة تدمر الظالمين:

أوحىٰ الله ﷻ إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية وخرج شعيب ﵇ وجاء أمره ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

في البداية صار الجو شديد الحرارة وسكنت الرياح، فأصبح أهل مدين لا يطيقون الحر الهائل، ثم أظلت المدينة سحابة كبيرة فاستبشر أهل المدينة بهبوط المطر وزوال الحر، واجتمعوا تحت السحابة، وفجأة بدأت السحابة تمطر شهبًا وشرارًا أصابهم جميعًا، ورجفت الأرض بهم رجفة شديدة وانطلقت من السماء صيحة مدوية، حصدت كل الأرواح.

هي صيحة واحدة، صوت جاءهم من غمامة أظلتهم، ولعلهم فرحوا بما تصوروا أنها تحمله من المطر، ثم فوجئوا أنهم أمام عذاب عظيم ليوم عظيم، انتهىٰ الأمر، أدركتهم صيحة جبارة جعلت كل واحد فيهم يجثم علىٰ وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره، صعقت الصيحة كل مخلوق حي، لم يستطع أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه، جثم في مكانه مصروعًا بصيحة.

نجاة شعيب عليه السلام والمؤمنين:

ومات كل أهل مدين، وصارت المدينة خاوية، والتفت سيدنا شعيب عليه السلام إلىٰ أهل مدين إنه لم يحزن علىٰ ما أصابهم، لقد بذل كل جهده لإنقاذهم، لقد نصحهم ودعاهم، ولكن أبت قلوبهم المريضة أن تستجيب لدعوته، لقد نالوا العقاب الذي يستحقونه.

قال سيدنا شعيب عليه السلام وهو يبتعد: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣]، لن أحزن عليكم، فكيف أحزن علىٰ قوم كفروا بالله، وابتعد سيدنا شعيب عليه السلام، والمؤمنون عن المدينة الخاوية، وهم سعداء بنصر الله لهم علىٰ أعدائهم، واستكمل شعيب رحلة الحياة مع من اتبعه من المؤمنين، يعلمهم ويدعوهم، وهم يعملون بطاعة الله حتىٰ مات شعيب، ألا صلاة وسلامًا علىٰ شعيب في العالمين إلىٰ يوم الدين.

من فوائد القصة:

١- الدين يهيمن علىٰ كل جوانب الحياة، فليس الدين طقوسًا في المسجد

فحسب، بل الدين معاملة وعقيدة وعمل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨].

٢- من حسن مخاطبتك للناس ثناؤك علىٰ جوانب الخير التي تعلمها فيهم.

٣- لا يحل لمسلم يعلم حرمة أمر يقع الناس فيه إلا أن بينه وحذر الناس منه.

٤- ينبغي للمسلم الصادق ألا يبالي بسخرية الناس واستهزائهم، بل لابد أن يستمر علىٰ الحق، يبينه للناس بحكمة ولا يصغي أبدًا لما يعطله أو يعرقله.

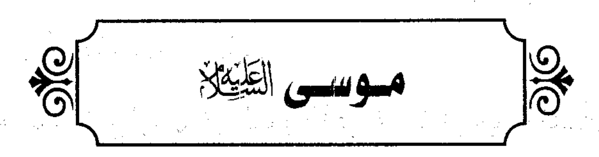
٥- بغية الأنبياء وأتباعهم إصلاح الناس وترغيبهم في الدين الحق، فهم مصلحون للقلوب والعقول، وكل مناحي الحياة.

٦- من ذكاء الداعية وفقهه تنويع أسلوب الكلام علىٰ حسب حال المخاطب.

٧- من أساليب الصد عن سبيل الله تخويف الدعاة وأتباعهم، وتهديدهم بأنواع التهديدات المختلفة.

٨- الجزاء من جنس العمل، من خادع الله خادعه، ومن غش في الكيل والميزان استحق النكال والعذاب من الله ﷻ، فهؤلاء لما خادعوا الخلق خادعهم الله ﷻ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٢].

٩- يبعث الرسل في نسب عظيم بين أقوامهم فهذا شعيب يقول قومه: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ ولما سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان بن حرب وكان يومئذٍ علىٰ الشرك سأله عن نسب النبي ﷺ فقال: «هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ»، فقال هرقل: كذلك الرسل تبعث في نسب من قومها [رواه البخاري برقم (٧)].



﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝٤٠ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾

نشأة موسى عليه السلام:

كان أهل مصر أيام الفراعنة يعبدون الأصنام، ولما جاء يوسف إلىٰ مصر وملك زمام الأمور بها سنين طويلة دعا الناس إلىٰ التوحيد فآمنوا، ثم جاء آل يعقوب وعاشوا في مصر، واختلطوا بالمصريين، فعرف المصريون منهم التوحيد، وعاش الجميع علىٰ توحيد الله مدة طويلة أثناء حياة يوسف عليه السلام، لكن بعد وفاته عليه السلام، عاد أهل مصر إلىٰ ضلالهم وشركهم، أما أبناء يعقوب عليه السلام، أو أبناء إسرائيل، فكما علمنا من قصة يوسف عليه السلام أنهم أتوا جميعًا لأمر يوسف عليه السلام: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فعاشوا في مصر، واختلطوا بالمجتمع المصري، فضل منهم من ضل وبقي علىٰ التوحيد من بقي، وتكاثر أبناء إسرائيل وتزايد عددهم، واشتغلوا في العديد من الحرف، وصارت إليهم المهارة في تلك الحرف، واعتمد المصريون عليهم فيها.

ثم حكم مصر ملك جبار كان المصريون يعبدونه، ورأىٰ هذا الملك بني إسرائيل يتكاثرون ويزيدون ويملكون، وكان بنو إسرائيل في ظل حكم هذا الملك الظالم يعيشون مضطهدين مستضعفين، فقد كان يقتل الرجال ويستعبد النساء، فكانوا في بلاء عظيم، ومما زاد عليهم البلاء أنه سمعهم مرة يتحدثون عن نبوءة تقول: إن واحدًا من أبناء إسرائيل سيسقط فرعون مصر عن عرشه، فأصدر فرعون أمره ألا يلد أحد من بني إسرائيل، أي أن يقتل أي وليد ذكر، وبدأ تطبيق النظام، ثم قال مستشارو فرعون له: إن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون وهذا سينتهي إلىٰ إفناء بني إسرائيل فستضعف مصر لقلة الأيدي العاملة بها، والأفضل أن

تنظم العملية بأن يذبحوا الذكور في عام ويتركوهم في العام الذي يليه.

ووجد فرعون أن هذا الحل أسلم..

وحملت أم موسىٰ بهارون في العام الذي لا يقتل فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، فلما جاء العام الذي يقتل فيه الغلمان ولد موسىٰ، وحمل ميلاده خوفًا عظيمًا لأمه، خافت عليه من القتل، راحت ترضعه في السر، ثم جاءت عليها ليلة مباركة أوحىٰ الله إليها فيها: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾.

فأمرت الأم بصنع صندوق صغير لموسىٰ، أرضعته ووضعته في الصندوق، وذهبت إلىٰ شاطئ النيل وألقته في المياه، كان قلب الأم وهو أرحم القلوب في الدنيا، يمتلئ بالألم وهي ترمىٰ ابنها في النيل، لكنها كانت تعلم أن الله أرحم بموسىٰ منها، والله هو ربه ورب النيل، لم يكد الصندوق يلمس مياه النيل حتىٰ أمر الخالق ﷻ الأمواج أن تكون هادئة حانية وهي تحمل هذا الرضيع الذي سيكون نبيًا فيما بعد ومثلما أمر الله ﷻ النار أن تكون بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم كذلك أمر النيل أن يحمل موسىٰ بهدوء ورفق حتىٰ يسلمه إلىٰ قصر فرعون، وحملت مياه النيل هذا الصندوق العزيز إلىٰ قصر فرعون، وهناك أسلمه الموج للشاطيء.

وفي ذلك الصباح خرجت زوجة فرعون تتمشىٰ في حديقة القصر، وكانت زوجة فرعون تختلف كثيرًا عنه، فقد كان هو كافرًا وكانت هي مؤمنة، كان هو قاسيًا وكانت هي رحيمة، كان جبارًا وكانت رقيقة وطيبة، وأيضًا كانت حزينة، فلم تكن تلد، وكانت تتمنىٰ أن يكون عندها ولد.

موسى يدخل قصر فرعون:

وعندما ذهبت الجواري ليملأن الجرار من النهر، وجدن الصندوق..

فحملنه كما هو إلىٰ زوجة فرعون، فأمرتهن أن يفتحنه ففتحنه، فرأت موسىٰ بداخله فأحست بحبه في قلبها، فلقد ألقىٰ الله في قلبها محبته فحملته من الصندوق

فاستيقظ موسىٰ وبدأ يبكي، كان جائعًا يحتاج إلىٰ رضعة الصباح؛ فبكىٰ.

فجاءت زوجة فرعون إليه، وهي تحمل بين يديها طفلًا رضيعًا، فسأل: من أين جاء هذا الرضيع؟ فحدثوه بأمر الصندوق، فقال بقلب لا يعرف الرحمة: لابد أنه أحد بني إسرائيل، أليس المفروض أن يقتل أطفال هذه السنة؟

صرخت زوجته وهي تضم موسىٰ إلىٰ صدرها أكثر: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ تذكر فرعون عدم قدرته علىٰ الإنجاب فاستجاب لرغبتها وسمح لها أن تربي هذا الطفل في قصره.

عاد موسىٰ للبكاء من الجوع فأمرت بإحضار المراضع فحضرت مرضعة من القصر وأخذت موسىٰ لترضعه فرفض أن يرضع منها، فحضرت مرضعة ثانية وثالثة وعاشرة وموسىٰ يبكي ولا يريد أن يرضع فاحتارت زوجة فرعون ولم تكن تعرف ماذا تفعل.

﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ﴾.

لم تكن زوجة فرعون هي وحدها الحزينة الباكية بسبب رفض موسىٰ لجميع المراضع، فلقد كانت أم موسىٰ هي الأخرىٰ حزينة باكية، لم تكد ترمي موسىٰ في النيل حتىٰ أحست أنها ترمي بقلبها في النيل، غاب الصندوق في مياه النيل واختفت أخباره وجاء الصباح علىٰ أم موسىٰ فإذا قلبها يذوب حزنًا علىٰ ابنها وكادت تذهب إلىٰ قصر فرعون لتبلغهم نبأ ابنها وليكن ما يكون لولا أن الله ﷻ ربط علىٰ قلبها وملأ بالسلام نفسها فهدأت واستكانت وتركت أمر ابنها لله، كل ما في الأمر أنها قالت لأخته: اذهبي بهدوء إلىٰ جوار قصر فرعون وحاولي أن تعرفي ماذا حدث لموسىٰ وإياك أن يشعروا بك.

﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١١﴾.

الله تعالىٰ يرد موسى إلى أمه آمناً:

وذهبت أخت موسىٰ بهدوء ورفق فإذا بها تسمع القصة الكاملة، رأت موسىٰ من بعيد وسمعت بكاءه، ورأتهم حائرين لا يعرفون كيف يرضعونه، سمعت أنه رفض كل المراضع، وقالت أخت موسىٰ لحرس فرعون: هل أدلكم علىٰ أهل بيت يرضعونه ويكفلونه ويهتمون بأمره ويخدمونه؟

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾.

ففرحت زوجة فرعون كثيرًا لهذا الأمر، وطلبت منها أن تحضر المرضعة، وعادت أخت موسىٰ وأحضرت أمه، وأرضعته أمه فرضع، وتهللت زوجة فرعون وقالت: خذيه حتىٰ تنتهي فترة رضاعته وأعيديه إلينا بعدها، وسنعطيك أجرًا عظيمًا علىٰ تربيتك له، وهكذا رد الله ﷻ موسىٰ لأمه كي تقر عينها ويهدأ قلبها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق وأن كلماته ﷻ تنفذ رغم أي شيء ورغم كل شيء.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

أتمت أم موسىٰ رضاعته وأسلمته لبيت فرعون، وكان ﵇ موضع حب الجميع، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾.

كان لا يراه أحد إلا أحبه، وها هو ذا في أعظم قصور الدنيا يتربىٰ بحفظ الله وعنايته، بدأت تربية موسىٰ في بيت فرعون وكان هذا البيت يضم أعظم المربين والمدرسين في ذلك الوقت كانت مصر أيامها أكبر دولة في الأرض، وكان فرعون أقوىٰ ملك في الأرض، ومن الطبيعي أن يضم قصره أفضل المدربين والمثقفين والمربين في الأرض، وهكذا شاء الله ﷻ بحكمته أن يتربىٰ موسىٰ أعظم تربية وأن يتعهده أفضل المدرسين وأن يتم هذا كله في بيت عدوه الذي سيصطدم به فيما بعد تنفيذًا لمشيئة الخالق.

من فوائد القصة:

١- إنما يستحق الثناء من بذل لله ودينه، ويجد ذكر أم موسىٰ وأخته ولم يرد ذكر والده؛ لأن الدور الإيماني كان منوطًا بهذه الأم المباركة، وفيه إشارة أيضًا إلىٰ أهمية الأم وعظم دورها.

٢- من أحبه الله أجرىٰ في قلوب الخلق محبته، ووضع له القبول في الأرض.

٣- عجز الآلهة الباطلة عن النفع أو الضر، ففرعون الذي يدعي الألوهية يعجز عن أن تحمل زوجته بولد.

٤- قد يجمع الله بين زوج كافر وزوجة مؤمنة -قدرًا كونيًا- كما قد يجمع بين زوج مؤمن وامرأة كافرة كما في قصة لوط ونوح وكل يجازىٰ بعمله.

٥- تربىٰ موسىٰ كليم الله في بيت فرعون عدو الله ليهلكه الله بيده.

٦- لما أطاعت أم موسىٰ أمر الله إليها بإلقائه في النهر ثبتها وربط علىٰ قلبها، ثم أعاده إليها بالعزة والكرامة، فكذلك كل من يطيع الله يعينه ويرزقه من حيث لا يحتسب.

موسى يبلغ أشده:

وكبر موسىٰ في بيت فرعون، وكان موسىٰ يعلم أنه ليس ابنًا لفرعون، إنما هو واحد من بني إسرائيل، ونشأ موسىٰ علىٰ هذه الحقيقة، أنه يعيش في وطن ينقسم إلىٰ قسمين: أبناء يعقوب عليه السلام، وهم بنو إسرائيل العبريون، الذين جاءوا من فلسطين أيام يوسف عليه السلام، والأقباط الفراعنة أهل مصر الأصليون، وكان يرىٰ كيف يضطهد رجال فرعون وأتباعه بني إسرائيل، وكبر موسىٰ وبلغ أشده..

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وراح يتمشىٰ فيها، فوجد رجلًا من الفراعنة وهو يقتتل مع رجل من بني إسرائيل، واستغاث به الرجل الضعيف فتدخل موسىٰ وأزاح بيده الرجل الظالم فقتله، كان موسىٰ قويًا جدًا ولم يكن يقصد قتل

الظالم؛ إنما أراد إزاحته فقط، لكن ضربته هذه قتلته ففوجئ موسىٰ به وقد مات وقال لنفسه: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

ودعا موسىٰ ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾.

وغفر الله ﷻ له: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فشكر نعمة الله علىٰ هذه المغفرة وندم علىٰ إيذاء الناس وقتل الظالم حتىٰ قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

خروج موسى من المدينة خائفًا:

أصبح موسىٰ ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ كان هذا حال موسىٰ، حال إنسان مطارد فهو خائف يتوقع الشر في كل خطوة، وهو مترقب يلتفت لأوهىٰ الحركات وأخفاها؛ لأنه قتل إنسانًا، ومطاردة الفراعنة لبني إسرائيل كانت واضحة، فأصاب القلق موسىٰ.

وعد موسىٰ عليه السلام ربه ﷻ بأن لا يكون ظهيرًا للمجرمين لن يتدخل في المشاجرات بين المجرمين والمشاغبين ليدافع عن أحد من قومه، ولكن فوجئ موسىٰ أثناء سيره بنفس الرجل الذي أنقذه بالأمس وهو ينادي ويستصرخه اليوم كان الرجل مشتبكًا في عراك مع أحد الفراعنة مرة أخرىٰ وأدرك موسىٰ بأن هذا العبري مشاغب أدرك أنه من هواة المشاجرات.

وصرخ موسىٰ في صاحبه يعنفه قائلًا: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قال موسىٰ كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصري واعتقد العبري أن موسىٰ سيبطش به هو، دفعه الخوف من موسىٰ إلىٰ استرحامه صارخًا وذكره بالفرعوني الذي قتله بالأمس، فتوقف موسىٰ سكت عنه الغضب وتذكر ما فعله بالأمس وكيف استغفر وتاب ووعد ألا يكون ظهيرًا للمجرمين، استدار موسىٰ عائدًا ومضىٰ وهو يستغفر ربه، وهكذا فضح هذا الغوي الأمر، وأظهر السر، وأعلن التهمة علىٰ موسىٰ.

وأدرك الفرعوني الذي كان يتشاجر مع العبري أن موسىٰ هو قاتل الفرعوني الذي

عثروا علىٰ جثته أمس، ولم يكن أحد من الفراعنة يعلم من القاتل، فنشر هذا الفرعوني الخبر في أرجاء المدينة، وانكشف سر موسىٰ وظهر أمره، وجاء رجل مؤمن من أقصىٰ المدينة مسرعًا، ونصح موسىٰ بالخروج من مصر؛ لأن فرعون وملأه ينوون قتله.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

نصحه الرجل أن يغادر مصر فورًا حتىٰ لا يعثر عليه رجال فرعون، خرج علىٰ الفور، خائفًا يتلفت ويستمع ويترقب، وفي قلبه دعاء لله ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وكان القوم ظالمين حقًا، ألا يريدون تطبيق عقوبة القتل العمد عليه، وهو لم يفعل شيئًا أكثر من أنه مد يده وأزاح رجلًا فقتله خطأ؟!

وصدق موسىٰ في اللجوء إلىٰ الله، وخرج من مصر مرددًا هذا الدعاء: ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

نجاة موسى من القتل:

خرج موسىٰ من مصر علىٰ عجل، لم يذهب إلىٰ قصر فرعون ولم يغير ملابسه ولم يأخذ طعامًا للطريق ولم يعد للسفر عدته، ولم يكن معه دابة تحمله علىٰ ظهرها وتوصله، ولم يكن في قافلة؛ إنما خرج بمجرد أن جاءه الرجل المؤمن وحذره من فرعون ونصحه أن يخرج، اختار طريقًا غير مطروق وسلكه، دخل في الصحراء مباشرة واتجه إلىٰ حيث قدر له الله أن يتجه، لم يكن موسىٰ يسير قاصدًا مكانًا معينًا، هذه أول مرة يخرج فيها من مصر وحده، ويعبر الصحراء وحده.

موسى مع صاحب مدين:

ظل موسىٰ عليه السلام يسير بنفسية المطارد حتىٰ وصل إلىٰ مكان، كان هذا المكان هو مدين، دخل مباشرة يبحث عن ماء يشرب، ووجد بئرًا كبيرة، جلس يستريح عند هذه

البئر وكان الناس يسقون منها دوابهم، وكان خائفًا طوال الوقت، يخشىٰ أن يرسل فرعون وراءه من يقبض عليه.

لم يكد موسىٰ يصل إلىٰ مدين حتىٰ ألقىٰ بنفسه قريبًا من البئر، تحت شجرة واستراح ونال منه الجوع والتعب، وسقطت نعله بعد أن ذابت من مشقة السير علىٰ الرمال والصخور والتراب، لم تكن معه نقود لشراء نعل جديدة، ولم تكن معه نقود لشراء طعام أو شراب، لاحظ موسىٰ جماعة من الرعاة يسقون غنمهم، ووجد امرأتين تكفان غنمهما أن يختلطا بغنم القوم.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.

أحس موسىٰ أن الفتاتين في حاجة إلىٰ المساعدة، تقدم منهما بأدب خافضًا بصره وسأل: هل يستطيع أن يساعدهما في شيء؟

قالت إحداهما: نحن ننتظر حتىٰ ينتهي الرعاة من سقي غنمهم لنسقي أغنامنا.

سأل موسىٰ: ولماذا لا تسقيان؟

قالت الأخرىٰ: لا نستطيع أن نزاحم الرجال: ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾.

اندهش موسىٰ لأنهما ترعيان الغنم، المفروض أن يرعىٰ الرجال الأغنام، هذه مهمة شاقة ومتعبة وتحتاج إلىٰ اليقظة.

سأل موسىٰ: لماذا ترعيان الأغنام؟

فقالت إحداهما: أبونا شيخ كبير لا تساعده صحته علىٰ الخروج كل يوم للرعي.

قال موسىٰ: سأسقي لكما.

سار موسىٰ نحو الماء، اكتشف أن الرعاة قد وضعوا علىٰ فم البئر صخرة ضخمة لا يستطيع أن يحركها عشرة رجال، احتضن موسىٰ الصخرة ورفعها من فم البئر وكان موسىٰ قويًا؛ لذا تمكن من رفعها وحده، سقىٰ لهما الغنم وأعاد الصخرة

إلىٰ مكانها، وتركهما وعاد يجلس تحت ظل الشجرة وقد غلبه الجوع والفاقة والحاجة: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾.

وتذكر لحظتها الله ﷻ في قلبه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾.

عادت الفتاتان إلىٰ أبيهما الشيخ.

سأل الأب: عدتما اليوم سريعًا علىٰ غير العادة؟

قالت إحداهما: وجدنا رجلًا كريمًا سقىٰ لنا الغنم قبل أن يسقىٰ الرعاة.

فقال الأب لابنته: اذهبي إليه وقولي له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ﴾ ليعطيك ﴿أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾ وهكذا دأب الصالحين يكافئون من أسدىٰ إليهم خدمة.

ذهبت إحدىٰ الفتاتين إلىٰ موسىٰ، وسارت علىٰ استحياء وخجل ووقفت أمامه وأبلغته رسالة أبيها، فنهض موسىٰ معها وقد خفض بصره إلىٰ الأرض، إنه لم يسق لهما الغنم ليأخذ من أحد أجرًا؛ وإنما ساعدهما لوجه الله، غير أنه أحس في داخله أن الله هو الذي يسوق الخير إليه فنهض: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾.

وصلا إلىٰ الشيخ، قال بعض المفسرين: إن الشيخ هو النبي شعيب ﷺ، عمر طويلًا بعد موت قومه، وقيل إنه ابن أخي شعيب وقيل: ابن عمه وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب الذين آمنوا به، لا نعرف أكثر من كونه شيخًا صالحًا.

قدم له الشيخ الطعام وأكرمه ثم سأله: من أين قدم وإلىٰ أين سيذهب؟ حدثه موسىٰ عن قصته بمنتهىٰ الصدق والوضوح قال الشيخ: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذه البلاد لا تتبع مصر، ولن يصلوا إليك هنا. اطمأن موسىٰ وهدأت أعصابه وحمد الله وشكر الرجل ونهض لينصرف.

وقبل أن ينصرف قالت ابنة الشيخ لأبيها همسًا: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.

أريدك يا أبت أن تكفينا عناء رعي الأغنام، فاستأجر هذا الرجل يرعاها لنا، فهو أفضل من تستأجره لقوته وأمانته.

سألها الأب: كيف عرفت أنه قوي؟

قالت: رفع وحده الصخرة التي يغطي بها الرعاة البئر لا يرفعها غير عشرة رجال.

سألها: وكيف عرفت أنه أمين؟

قالت: رفض أن يسير خلفي وسار أمامي حتىٰ لا ينظر إلي وأنا أمشي، وطوال الوقت الذي كنت أكلمه فيه كان يضع عينيه في الأرض حياءً وأدبًا، فهو أمين لا يعرف الخيانة.

وعاد الشيخ لموسىٰ وقال له: إلىٰ أين تذهب يا موسىٰ؟ سأقترح عليك اقتراحًا أنا أريد أن تتزوج بنتًا من هاتين البنتين، وأنا أعلم أنه ليس معك ما تدفعه مهرًا لها، فليكن مهرها أن تعمل عندي في رعي الغنم ثمان سنين وإن زدتني سنتين فهذا من كرم خلقك؛ لتتم إقامتك معي ومع أولادي عشر سنين، وأنا أحبك ولا أريد أن أتعبك: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال موسىٰ ﷺ: هذا اتفاق بيني وبينك والله شاهد علىٰ اتفاقنا، سواء قضيت الثماني سنوات أو العشر سنوات فأنا حرٌ بعدها في الذهاب.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾.

الثابت أن موسىٰ تزوج إحدىٰ ابنتي الشيخ ولا نعرف من كانت، ولا ماذا كان اسمها ولا ندري ما هي المدة التي قضاها في خدمة الشيخ مهرًا لابنته، إلا أنه استنادًا إلىٰ طبيعة موسىٰ وكرمه ونبوته وكونه من أولي العزم، نرىٰ أنه قضىٰ الأجل الأكبر، وهذا ما يؤكده قول ابن عباس ﭫ لما سئل أي الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ فقال:

أبرهما وأوفاهما إن رسول الله إذا قال فعل. وهكذا عاش موسىٰ يخدم الشيخ عشر سنوات كاملة مهرًا لزوجته.

رعاية الله وعنايته بموسى:

وكان عمل موسىٰ ينحصر في الخروج مع الفجر كل يوم لرعي الأغنام والسقاية لها.

ولنقف هنا وقفة تدبر، إن الله ﷻ بقدرته نقل خطىٰ موسىٰ عليه السلام خطوة بخطوة، منذ أن كان رضيعًا في المهد حتىٰ هذه اللحظة ألقي به في اليم ليلتقطه آل فرعون، وألقىٰ الله عليه محبة زوجة فرعون، لينشأ في كنف عدوه ودخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها ليقتل نفسًا وأرسل إليه الرجل المؤمن من آل فرعون ليحذره وينصحه بالخروج من مصر وصاحبه حفظ الله في الطريق الصحراوي من مصر إلىٰ مدين وهو وحيد مطارد من غير زاد ولا استعداد، وجمعه بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر، ثم ليعود بعدها فيتلقىٰ التكليف.

هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه، قبل النداء والتكليف، تجربة الرعاية والحب والعناية الإلهية، تجربة الخطأ، وتجربة الندم والاستغفار، والتوبة والقبول، وتجربة الخوف والمطاردة، وتجربة الغربة والوحدة والجوع وتجربة الخدمة ورعي الغنم بعد حياة القصور وما يتخلل هذه التجارب الضخمة من تجارب صغيرة ومشاعر وخواطر وإدراك ومعرفة إلىٰ جانب ما أتاه الله حين بلغ أشده من العلم والحكمة.

إن الرسالة تكليف ضخم شاق، يحتاج صاحبه إلىٰ زاد ضخم من التجارب والإدراك والمعرفة إلىٰ جانب وحي الله وتوجيهه، ولهذا يربي الله أنبياءه ويصنعهم علىٰ عينيه ويواليهم بالتأدب والعناية والرعاية والكلاءة والحفظ، ورسالة موسىٰ تكليف عظيم فهو مرسل إلىٰ فرعون الطاغية المتجبر أعتىٰ ملوك الأرض في زمانه وأشدهم استعلاء في الأرض، وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل

حتىٰ استمرأوا مذاقه فاستنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق عسير.

فتجربة السنوات العشر جاءت لتفصل بين حياة القصور التي نشأ فيها موسىٰ ﵇ وحياة الجهد الشاق في الدعوة وتكاليفها العسيرة فلحياة القصور جو وتقاليد خاصة، أما الرسالة فهي معاناة لجماهير من الناس فيهم الغني والفقير، المهذب والخشن، القوي والضعيف وفيهم وفيهم، وللرسالة تكاليفها من المشقة ومن التجرد أحيانًا وقلوب أهل القصور في الغالب لا تصبر طويلًا علىٰ الخشونة والحرمان والمشقة.

فكانت هذه السنون العشر تجربة هامة، ومعاناة مطلوبة في تحمل المشقة والتخلص من رعونات النفس، ومواجهة تصرفات البشر؛ لتأهيل موسىٰ لحمل الأمانة، وكانت فرصة أيضًا للخلوة والتأمل والنظر في الملك والملكوت أثناء رعي الأغنام وأيضًا في الليالي الطوال، إنها سنين عشر قضاها هناك موسىٰ وحده بعيدًا عن فرعون وملئه، وعن داره ووطنه وأهله.. كتبها الله عليه؛ لإعداده لتحمل المهمة الشاقة.. وهكذا يكون إعداد الرجال.

فلما استكملت نفس موسىٰ ﵇ تجاربها، وأكملت مرانها بهذه التجربة الأخيرة في دار الغربة قاد الله خطاه مرة أخرىٰ إلىٰ مهبط رأسه ومقر أهله وقومه ومجال دراسته وعمله وهكذا نرىٰ كيف صنع موسىٰ علىٰ عين الله، وكيف تم إعداده لتلقي التكليف.

ترىٰ أي خاطر راود موسىٰ ﵇ فعاد به إلىٰ مصر، بعد انقضاء الأجل، وقد خرج منها خائفًا يترقب، كيف نسي الخطر الذي ينتظره بها وقد قتل فيها نفسًا؟ وهناك فرعون الذي كان يتآمر مع الملأ من قومه ليقتلوه، لماذا تغافل موسىٰ ﵇ عن كل ذلك وأصر علىٰ العودة إلىٰ مصر؟

إن الله ﷻ هو الذي ينقل خطاه كلها بقدرته، فقاده هذه المرة بالميل الفطري إلىٰ الأهل والعشيرة والوطن، وأنساه الخطر الذي خرج هاربًا منه وحيدًا طريدًا ليؤدي المهمة التي خلق لها.

استأذن موسىٰ الشيخ في الرحيل بأهله إلىٰ عشيرته وأذن له الشيخ فانطلق مسرعًا.

من فوائد القصة:

١- لا تسلم الدعوة من أعداء يخططون لسحقها وإبادتها ولكن الله غالب علىٰ أمره.

٢- لابد لكل مسافر من زاد، ومن علم بطريق السفر ووجهته، وإلا احتوشته الآفات وأهلكه العطب والتعب.

٣- لا يجوز للمرأة أن تخالط الرجال بحال، بل يكون قرارها في بيتها؛ هو حجابها الأكبر، ولا يجوز لها الخروج إلىٰ العمل إلا إذا احتاجت إليه.

٤- تعاهد الأب لأبنائه بالتربية الدائمة في كل موقف.

٥- من معاني الرجولة نجدة الضعيف ومساعدة المحتاج ونصرة المظلوم، فهذه من أكرم أخلاق الرجال.

٦- من هدي الصالحين مكافأة من أسدىٰ إليهم معروفًا، أو تقدم إليهم بخدمة.

٧- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وتفريج الكربات وحصول مودة الناس.

٨- زينة المرأة وإيمانها في حيائها، والحياء خلق الإسلام الذي افتقدناه كثيرًا في هذه الأيام.

٩- من إكرام الضيف إيناسه وإزالة وحشة الغربة عنه، وتبشير المسلم بالخير الذي يعلمه له.

موسى كليم الله:

خرج موسىٰ مع أهله وسار، اختفىٰ القمر وراء أسراب من السحاب الكثيف وساد الظلام، اشتد البرق والرعد وأمطرت السماء وزادت حدة البرد والظلام، وتاه موسىٰ أثناء سيره، ووقف موسىٰ حائرًا يرتعش من البرد ومعه أهله، ثم رفع رأسه فشاهدها عن بعد، شاهد نارًا عظيمة تشتعل عن بعد، امتلأ قلبه بالفرح فجأة، قال

لأهله: إني رأيت نارًا هناك، فانتظروني هنا حتىٰ أرجع إليكم.

أمرهم أن يجلسوا مكانهم حتىٰ يذهب إلىٰ النار لعله يأتيهم منها بخبر، أو يجد أحدًا يسأله عن الطريق فيهتدي إليه، أو يحضر إليهم ببعض أخشابها المشتعلة لتدفئتهم.

وتحرك موسىٰ نحو النار، سار موسىٰ مسرعًا ليدفئ نفسه، يده اليمنىٰ تمسك عصاه، وجسده مبلَّل من المطر؛ فظل يسير حتىٰ وصل إلىٰ وادٍ يسمىٰ طوىٰ، لاحظ موسىٰ شيئًا غريبًا في هذا الوادي، لم يكن هناك برد ولا رياح، ثمة صمت عظيم ساكن، واقترب موسىٰ من النار، لم يكد يقترب منها حتىٰ نودي: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

توقف موسىٰ فجأة، وارتعش، كان الصوت عظيمًا رهيبًا مجلجلًا، له رهبة وخشوع، ووقع الصوت في قلب موسىٰ مباشرة، تلفت موسىٰ في كل اتجاه، ولما لم ير شيئًا نظر موسىٰ في النار وعاد يرتعش، وجد شجرة خضراء داخل هذا النور وكلما زاد تأجج النار زادت خضرة الشجرة، المفروض أن تتحول الشجرة إلىٰ اللون الأسود وهي تحترق، لكن النار تزيد واللون الأخضر يزيد، راح موسىٰ يرتجف رغم الدفء، كانت الشجرة في جبل غربي عن يمينه، وكان الوادي الذي يقف فيه هو وادي طوىٰ.

ثم ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة والله ﷻ ينادي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

رفع موسىٰ رأسه وقال: نعم.

قال الله ﷻ: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾.

ازداد ارتعاش موسىٰ وقال: نعم يا رب.

قال الله ﷻ: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

انحنىٰ موسىٰ راكعًا وجسده كله ينتفض وخلع نعليه.

عاد الحق ﷻ يقول: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾.

بداية النبوة وأول المعجزات:

زاد انتفاض جسد موسىٰ وهو يتلقىٰ الوحي الإلهي ويستمع إلىٰ ربه وهو يخاطبه، قال الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾؟!

ازدادت دهشة موسىٰ، إن الله ﷻ هو الذي يخاطبه، والله يعرف أكثر منه أنه يمسك عصاه، لماذا يسأله الله إذن إذا كان يعرف أكثر منه؟! لا شك أن هناك حكمة عليا لذلك.

أجاب بتلقائية ودون تفكير وصوته يرتعش: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾.

انظر إلىٰ ائتناس موسىٰ عليه السلام بربه ﷻ، إن الله ﷻ قد سأله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾، فكان من الطبيعي أن يرد: هي عصاي، ولكنه أطال الحوار ائتناسًا، إنه شعر أنه يكلم الله سبحانه، فهو لا يريد أن ينتهي الحوار، فهو قد أحب أن يسمع وأن يتكلم أيضًا مع الله ﷻ.

قال الله ﷻ: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

رمىٰ موسىٰ العصا من يده بسرعة وخوف وقد زادت دهشته، وفوجئ بأن العصا تتحول فجأة إلىٰ ثعبان عظيم الحجم هائل الجسم، وراح الثعبان يتحرك بسرعة، ولم يستطع موسىٰ أن يقاوم خوفه، أحس أن بدنه يتزلزل من الخوف فاستدار موسىٰ فزعًا وانطلق يجري بسرعة ولم يلتفت خلفه، لم يكد يجري خطوات حتىٰ ناداه الله: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:١٠].

﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

عاد موسىٰ يستدير ويقف، لم تزل العصا تتحرك، لم تزل الحية تتحرك.

قال الله ﷻ لموسىٰ: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

مد موسىٰ يده للحية وهو يرتعش، لم يكد يلمسها حتىٰ تحولت في يده إلىٰ عصا...

معجزة اليد:

ثم عادت المناجاة، ربنا العظيم يكلم موسىٰ قائلًا له: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ وضع موسىٰ يده في جيبه وأخرجها فإذا هي تتلألأ كالقمر، زاد انفعال موسىٰ بما يحدث، وضع يده علىٰ قلبه كما أمره الله فذهب خوفه تمامًا.

اطمأن موسىٰ وسكن.. وعرف أن وراء ذلك أمرًا عظيمًا ينبغي أن يستسلم له، وهو يعد له، فاطمأنت نفسه.

تكليف الله له بدعوة فرعون:

وأمره الله ﷻ بعد هاتين المعجزتين -معجزة العصا ومعجزة اليد- أن يذهب إلىٰ فرعون؛ ليدعوه إلىٰ الله برفق ولين، ويأمره أن يتركه يخرج مع بني إسرائيل من مصر؛ ليدخلوا الأرض المقدسة فرارًا من أذىٰ فرعون واضطهاده، وأبدىٰ موسىٰ خوفه من فرعون، وأعلن لربه كل ما في نفسه قال: إنه قتل منهم نفسًا ويخاف أن يقتلوه، توسل إلىٰ الله أن يرسل معه أخاه هارون؛ ليساعده ويتكلم معه، ويتقوىٰ به، طمأن الله موسىٰ أنه سبحانه سيكون معه يسمع كل شيء ويرىٰ كل شيء، وهو قادر علىٰ كل شيء، وطمأنه ﷻ أن فرعون رغم قسوته وتجبره لن يمسهما بسوء، أفهم الله موسىٰ أنه هو الغالب، ودعا موسىٰ وابتهل إلىٰ الله أن يشرح له صدره وييسرأمره ويمنحه القدرة علىٰ الدعوة إليه.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ

نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه:٢٥-٣٦].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾:

اختار الله ﷻ موسىٰ لرسالته واصطنعه لنفسه، وتلك قمة من قمم التشريف لا نعرف أحدًا بلغها في ذلك الزمان البعيد غير موسىٰ ﵇، قفل موسىٰ راجعًا لأهله بعد اصطفاء الله واختياره رسولًا إلىٰ فرعون، انحدر موسىٰ بأهله قاصدًا مصر.

الله وحده يعلم أي أفكار عبرت ذهن موسىٰ وهو يحث خطاه قاصدًا مصر، انتهىٰ زمان التأمل، وانطوت أيام الراحة، وجاءت الأوقات الصعبة أخيرًا، وها هو ذا موسىٰ يحمل أمانة الحق ويمضي؛ ليواجه بها بطش أخطر جبابرة عصره وأعتاهم، يعلم موسىٰ أن فرعون مصر طاغية، يعلم أنه لن يسلمه بني إسرائيل بغير صراع، يعلم أنه سيقف من دعوته موقف الإنكار والكبرياء والتجاهل لقد أمره الله تعالىٰ أن يذهب إلىٰ فرعون، أن يدعوه بلين ورفق إلىٰ الله، وأوحىٰ الله ﷻ لموسىٰ أن فرعون لن يؤمن، ليدعه موسىٰ وشأنه، وليركز علىٰ إطلاق سراح بني إسرائيل والكف عن تعذيبهم، قال ﷻ لموسىٰ وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾.

هذه هي المهمة المحددة، وهي مهمة سوف تصطدم بآلاف العقبات، إن فرعون يعذب بني إسرائيل ويستعبدهم ويكلفهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، ويستحيي نساءهم ويذبح أبناءهم، ويتصرف فيهم كما لو كانوا ملكًا خاصًا ورثه مع ملك مصر.

ووصل موسىٰ إلىٰ مصر، ودخل إلىٰ فرعون مباشرة هو وأخوه هارون، بعد أن أرسل الله هارون مع موسىٰ، وحصلت المواجهة...

﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

لقاء موسى وفرعون:

وواجه موسىٰ فرعون بلين ورفق كما أمره الله.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات: ١٨- ١٩].

حدثه موسىٰ ﷺ عن الله ﷻ، عن رحمته وجنته، عن وجوب توحيده وعبادته، حاول إيقاظ جوانبه الإنسانية في الحديث، ألمح إليه أنه يملك مصر، ويستطيع لو أراد أن يملك الجنة، وما عليه لذلك إلا أن يتقي الله، استمع فرعون إلىٰ حديث موسىٰ ضجرًا شبه هازيء وقد تصوره مجنونًا تجرأ علىٰ مقامه السامي ثم سأل فرعون موسىٰ: ماذا يريد؟ فأجاب موسىٰ ﷺ: إنه يريد أن يرسل معه بني إسرائيل.

ويعجب فرعون وهو يرىٰ موسىٰ يواجهه بهذه الدعوىٰ العظيمة، ويطلب إليه ذلك الطلب الكبير، فآخر عهد فرعون بموسىٰ أنهم ربوه في قصره بعد أن التقطوا تابوته، وأنه هرب بعد قتله للقبطي الذي وجده يتعارك مع العبري، فما أبعد المسافة بين آخر عهد فرعون بموسىٰ إذن وهذه الدعوىٰ العظيمة التي يواجهه بها بعد عشر سنين ومن ثم بدأ فرعون يذكره بماضيه، ويذكره بتربيته له فهل هذا جزاء التربية والكرامة التي لقيتها عندنا وأنت وليد؟ لتأتي الآن لتخالف ديانتنا، وتخرج علىٰ الملك الذي تربيت في قصره، وتدعو إلىٰ إله غيره ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

ويذكره بحادث مقتل القبطي في تهويل وتجسيم، فلا يتحدث عنها بصريح العبارة وإنما يقول ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ فعلتك البشعة الشنيعة ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ برب العالمين الذي تقول به اليوم، فأنت لم تكن وقتها تتحدث عن رب العالمين! لم تتحدث بشيء عن هذه الدعوىٰ التي تدعيها اليوم؛ ولم تخطرنا بمقدمات هذا الأمر العظيم؟

وظن فرعون أنه رد علىٰ موسىٰ ردًا لن يملك معه جوابًا، إلا أن الله استجاب لدعاء موسىٰ من قبل، فانطلق لسانه ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فعلت تلك الفعلة

وأنا بعد جاهل أندفع اندفاع العصبية لقومي، لا اندفاع العقيدة التي عرفتها اليوم بما أعطاني ربي من الحكمة ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ على نفسي فقسم الله لي الخير فوهب لي الحكمة ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

ويكمل موسىٰ خطابه لفرعون بنفس القوة ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ فما كانت تربيتي في بيتك وليدًا إلا من جراء استعبادك لبني إسرائيل، وقتل أبنائهم، مما دفع أمي لوضعي في التابوت وإلقائه في اليم، فتلتقطه فأتربىٰ في بيتك، لا في بيت أبوي؛ فهل هذا هو ما تمنه علي، وهل هذا هو فضلك العظيم؟

مناظرة بين الإسلام والكفر:

عند هذا الحد تدخل فرعون في الحديث: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

قال موسىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

التفت فرعون لمن حوله وقال هازئًا: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ وكأنه يسخر منه ويقول: هل سمعتم بأعجب من هذا؟ اسمعوا.. اسمعوا..

قال موسىٰ متجاوزًا سخرية فرعون: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

قال فرعون مخاطبًا من جاءوا مع موسىٰ من بني إسرائيل: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ كأنه يقول: لا.. لا، إنك مجنون فعلًا!!

عاد موسىٰ يتجاوز اتهام فرعون وسخريته ويكمل: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وكأنها كانت حوارات كثيرة بين فرعون وموسىٰ.. قال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

نلاحظ أن فرعون لم يكن يسأل موسىٰ عن رب العالمين أو رب موسىٰ وهارون بقصد السؤال البريء والمعرفة الحقة؛ إنما كان يهزأ ولقد أجابه موسىٰ إجابة جامعة مانعة محكمة: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

هو الخالق، خالق الأجناس جميعًا والذوات جميعًا، وهو هاديها بما ركب في فطرتها وجبلتها من خواص تهديها لأسباب عيشها وهو الموجه لها علىٰ أي حال، وهو القابض علىٰ ناصيتها في كل حال، وهو العليم بها والشاهد عليها في جميع الأحوال.

انزلقت العبارة علىٰ ذهن فرعون السميك مثلما تنزلق قطرة من الزئبق علىٰ سطح من الزجاج، لم تترك أثرًا أو علامة، وها هو ذا فرعون يسأل: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

لم يزل فرعون ماضيًا في استكباره واستهزائه ويرد موسىٰ ردًا يستلفته إلىٰ أن القرون الأولىٰ التي لم تعبد الله، والتي عبدته هو لن تترك بغير مساءلة وجزاء، فأخبره موسىٰ أن كل شيء معلوم عند الله تعالىٰ، هذه القرون الأولىٰ ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ﴾ أحصىٰ الله ما عملوه في كتاب ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ أي: لا يغيب عن شيء ليطمئن فرعون بالًا من ناحية القرون الأولىٰ والأخيرة وما بينهما إن الله يعرف كل شيء ويسجل عليها ما عملته ولا يضيع شيئًا من أجورهم.

عاد موسىٰ يكمل حديثه عن ربه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

لفت موسىٰ نظر فرعون إلىٰ آيات الله في الكون ودار به مع حركة الرياح والمطر والنبات وأوصله مرة ثانية إلىٰ الأرض، وهناك أفهمه أن الله خلق الإنسان من الأرض، وسيعيده إليها بالموت، ويخرجه منها بالبعث، إن هناك بعثًا إذًا وسيقف كل إنسان يوم القيامة أمام الله ﷻ لا استثناء لأحد، سيقف كل عباد الله وخلقه أمامه يوم القيامة، بما في ذلك فرعون ليسألهم عما قدموه ويحاسبهم عما عملوه بهذا جاء موسىٰ مبشرًا ومنذرًا، وأخبره أن فيما ذكره آيات لأصحاب العقول الراجحة الناضجة.

لم يعجب فرعون من هذا النذير وتصاعد الحوار بينه وبين موسىٰ فالطغيان لا يخشىٰ شيئًا كخشية يقظة الشعوب، وصحوة القلوب؛ ولا يكره أحدًا كما يكره الداعين إلىٰ الوعي واليقظة؛ ولا ينقم علىٰ أحد كما ينقم علىٰ من يهزون الضمائر الغافية، لذلك هاج فرعون علىٰ موسىٰ وثار، وأنهىٰ الحوار معه بالتهديد الصريح، وهذا هو سلاح الظالمين عندما يفتقرون للحجج والبراهين والمنطق: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

إلا أن موسىٰ ﷺ لم يفقد رباطة جأشه، كيف يفقدها وهو رسول الله، والله معه ومع أخيه؟ وبدأ الإقناع بأسلوب جديد، وهو إظهار المعجزة: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ فهو يتحدىٰ فرعون ويحرجه أمام ملئه، إنه يملك دليلًا واضحًا علىٰ صدقه فلو رفض فرعون الإصغاء، سيظهر واضحًا أنه خائف من حجة موسىٰ: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

ألقىٰ موسىٰ عصاه في ردهة القصر العظيمة لم تكد العصا تلمس الأرض حتىٰ تحولت إلىٰ ثعبان هائل يتحرك بسرعة، ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فإذا هي بيضاء كالقمر، وهنا.. قفز فرعون ضاحكًا قائلًا: هذا سحر.. وهذه سهلة، عندنا سحرة كثيرون أمهر منك في السحر، نستطيع أن نغلبك فيه!!

جولة ثانية من المناظرة:

موسى وسحرة فرعون:

وتبدأ الجولة الثانية بين الحق والباطل، حيث شاور فرعون الملأ من حوله: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

إنه يستفز الملأ ويستثيرهم لحماية أرضهم وملكهم، والملأ لهم مصلحة في أن تبقىٰ الأمور علىٰ ما هي عليه، فهم مقربون من فرعون ولهم نفوذ وسلطان، فأشاروا أن يرد علىٰ سحر موسىٰ بسحر مثله، بعد التهيئة والاستعداد.

ونتيجة لاستفزاز فرعون لهم وتخويفهم علىٰ سلطانهم: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾.

حدد الميقات وهو يوم الزينة ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ وبدأت حركة إعداد الجماهير وتحميسهم: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤٠﴾.

هل لكم في التجمع وعدم التأخر عن الموعد، لنترقب فوز السحرة وغلبتهم علىٰ موسىٰ!! والجماهير دائمًا تتجمع لمثل هذه الأمور.

أما السحرة، فقد ذهبوا لفرعون؛ ليطمئنوا علىٰ الأجر والمكافأة: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٢﴾.

فهم جماعة مأجورة، تبذل مهارتها مقابل الأجر الذي تنتظره؛ ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوىٰ الأجر والمصلحة، وها هم أولاء يستوثقون من الجزاء علىٰ تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع، وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر، يعدهم أن يكونوا من المقربين إليه، وهو بزعمه الملك والإله!!

وفي ساحة المواجهة، والناس مجتمعون، وفرعون ينظر، حضر موسىٰ وأخاه هارون عليهما السلام، وحضر السحرة وفي أيديهم كل ما أتقنوه من ألعاب وحيل، وكلهم ثقة بفوزهم في هذا التحدي؛ لذا بدأوا بتخيير موسىٰ ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ وتتجلىٰ ثقة موسىٰ عليه السلام واستهانته بالتحدي ﴿بَلْ أَلْقُواْ﴾ فرمىٰ السحرة عصيهم وحبالهم وأقسموا بعزة فرعون: ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾.

رمىٰ السحرة بعصيهم وحبالهم فإذا المكان يمتلئ بالثعابين فجأة. ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

وحسبنا أن نعلم أنه سحر عظيم؛ لندرك أي سحر كان وحسبنا أن نعلم أنهم

﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ وأثاروا الرهبة في قلوبهم ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ لنتصور أي سحر كان، فنظر موسىٰ عليه السلام إلىٰ حبال السحرة وعصيهم وشعر بالخوف ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾.

وفي هذه اللحظة يذكره ربه بأن معه القوة الكبرىٰ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾.

لا تخف إنك أنت الأعلىٰ، فمعك الحق ومعهم الباطل، معك العقيدة ومعهم الخرافة، معك الإيمان بصدق الذي دفعك لما أنت فيه ومعهم الأجر علىٰ المباراة ومغانم الحياة، أنت رسول الله تدعو إليه، وهم يخدمون مخلوقًا بشريًا فانيًا مهما يكن طاغية جبارًا، لا تخف ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وسنهزمهم فهو سحر من تدبير ساحر وعمله والساحر لا يفلح أنىٰ ذهب وفي أي طريق سار؛ لأنه يعتمد علىٰ الخيال والإيهام والخداع، ولا يعتمد علىٰ حقيقة ثابتة باقية.

اطمأن موسىٰ ورفع عصاه وألقاها، لم تكد عصا موسىٰ تلامس الأرض حتىٰ وقعت المعجزة الكبرىٰ، وضخامة المعجزة حولت مشاعر ووجدان السحرة أنفسهم، وهم الذين جاءوا للمباراة وهم أحرص الناس علىٰ الفوز لنيل الأجر، الذين بلغت براعتهم لحد أن يشعر موسىٰ بالخوف من عملهم، تحولت مشاعرهم بحيث لم يسعفهم الكلام للتعبير؛ وإنما ارتموا علىٰ الأرض ساجدين: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾.

إنها صولة الحق في الضمائر، ونور الحق في المشاعر، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقىٰ الحق والنور واليقين، إن السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنهم ومدىٰ ما يمكن أن يبلغ إليه، وهم أعرف الناس بالذي جاء به موسىٰ، وعلموا يقينًا أن ما رأوه ليس بسحر، فهم أعلم إن كان هذا من عمل بشر أو ساحر، أو أنه من القدرة التي تفوق قدرة البشر والسحر، والعالم في فنه هو أكثر الناس استعدادًا للتسليم بالحقيقة حين تتكشف له؛ لأنه أقرب إدراكًا لهذه الحقيقة ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا

القشور، ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلىٰ التسليم المطلق الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين.

هزت هذه المفاجأة العرش من تحت فرعون، مفاجأة استسلام السحرة -وهم من كهنة المعبد- لرب العالمين، رب موسىٰ وهارون، بعد أن تم جمعهم من جميع المدن، فهم الصفوة المختارة، جاءوا لإبطال دعوة موسىٰ وهارون لرب العالمين! انظر إلىٰ كبر فرعون وطغيانه وتأمل تأثير مفاجأة إسلام السحرة لله رب العالمين.

تهديد فرعون للسحرة:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

تساءل فرعون مستغربًا: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن يعودوا للحق، لكنه طاغية متكبر متجبر أعمىٰ السلطان عينيه عن الحق.

ويزيد في طغيانه فيقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾.

إن غلبته لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك ويظل الطاغية يتهدد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ويتوعد: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

لكن النفس البشرية حين تستيقن حقيقة الإيمان، تستعلي علىٰ قوة الأرض، وتستهين ببأس الطغاة، وتنتصر فيها العقيدة علىٰ الحياة وتختار الخلود الدائم علىٰ الحياة الفانية: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

إنه الإيمان الذي لا يتزعزع ولا يخضع بل إن الإيمان الذي خالط القلوب بشاشته يجعل النفوس أكثر استعدادًا للموت بل ويجعله أحب إليها، كأنهم يقولون له: علىٰ أي الأحوال: إننا راجعون إلىٰ الله، سواء قتلتنا الآن، أو تركتنا نموت بعد قليل أو كثير.

ويعلن السحرة المؤمنون حقيقة المعركة: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ﴾.

فلا يطلبون الصفح والعفو من عدوهم؛ إنما يطلبون الثبات والصبر من ربهم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

فيقف الطغيان عاجزًا أمام هذا الوعي وهذا الاطمئنان، عاجزًا عن رد هؤلاء المؤمنين لطريق الباطل من جديد، فينفذ تهديده ويصلبهم علىٰ جذوع النخل.

مؤامرة جديدة:

وتبدأ جولة جديدة بين الحق والباطل فيذكر لنا ربُّنا ﷻ تآمر الملأ علىٰ موسىٰ وقومه: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾.

فها هم علية القوم من الفراعنة، يتآمرون ويحرضون فرعون ويهيجونه علىٰ موسىٰ ومن آمن معه، ويخوفونه من عاقبة التهاون معهم يقولون له: هل ستترك موسىٰ وقومه يعبدون الله، ويتركون عبادة آلهتك؟ وأنت الإله العظيم، يقولون له: إن هذا خطر علىٰ البلد، وإفساد فيها، فلابد أن تنتقم منهم، فاستثارت هذه الكلمات فرعون، وأشعرته بالخطر الحقيقي علىٰ نظامه كله ففكر بوحشيته المعتادة وقرر: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴾.

ثبات المؤمنين أمام التهديدات:

لم يكن هذا التنكيل الوحشي جديدًا علىٰ بني إسرائيل، فقد نفذ عليهم هذا الحكم في إبان مولد موسىٰ ﷺ فبدأ موسىٰ ﷺ يوصي قومه باحتمال الفتنة والصبر علىٰ البلية والاستعانة بالله عليها، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة لمن يتقىٰ الله ولا يخشىٰ أحدًا سواه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾.

ولكن.. كان الذين آمنوا بموسىٰ بعد قتل السحرة مجموعة من الفتيان الشباب

الصغار السن وهم تمتلئ قلوبهم خوفًا من الأذىٰ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

ظهر خوف هؤلاء الذرية، وتعني الأبناء الصغار، وحاول موسىٰ تشجيعهم، وتثبيتهم وإخراج الخوف من فرعون من قلوبهم إلا أن قومه بدءوا يشتكون من العذاب الذي حل بهم ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ إنها كلمات ذات ظل وإنها لتشي بما وراءها من تبرم أوذينا قبل مجيئك وما تغير شيء بمجيئك وطال هذا الأذىٰ حتىٰ ما تبدوا له نهاية فيمضي النبي الكريم علىٰ نهجه، يذكرهم بالله ويعلق رجاءهم به، ويلوح لهم بالأمل في هلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، مع التحذير من فتنة الاستخلاف، فاستخلاف الله لهم إنما هو ابتلاء لهم، فهو استخلاف للامتحان: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

مؤتمر فرعوني لقتل موسى:

وينقلنا القرآن الكريم إلىٰ فصل آخر من قصة موسىٰ ﷺ ومشهد آخر من مشاهد المواجهة بين الحق والباطل، حيث يحكي لنا قصة تشاور فرعون مع الملأ في قتل موسىٰ فيقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

انظر إلىٰ هذا التهريج والإسفاف!! إن فرعون أكبر المفسدين في الأرض يقول: أخشىٰ أن يظهر موسىٰ الفساد في الأرض إنه الكذب دون مواربة إنه يزعم أن موسىٰ يفسد في الأرض بتوجيه الناس إلىٰ التوحيد!! ويستثير الملأ بقوله: ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ نسب الدين إليهم؛ ليستفزهم لحمايته ويسمحون له بقتل موسىٰ.

أما موسىٰ ﷺ فالتجأ إلىٰ الركن الركين، والحصن الحصين، ولاذ بحامي اللائذين ومجير المستجرين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾.

كادت فكرة فرعون أن تحصل على التصديق لولا رجل من آل فرعون، لا يذكر القرآن اسمه؛ لأن اسمه لا يهم، لم يذكر صفته أيضًا لأن صفته لا تعني شيئًا، إنما ذكر القرآن أنه رجل مؤمن، ذكره بالصفة التي لا قيمة لأي صفة بعدها.

تحدث هذا الرجل المؤمن، وكان ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ تحدث في الاجتماع الذي طرحت فيه فكرة قتل موسىٰ وأثبت عقم الفكرة وسطحيتها، قال: إن موسىٰ لم يقل أكثر من أن الله ربه وجاء بعد ذلك بالأدلة الواضحة علىٰ كونه رسولًا، وهناك احتمالان لا ثالث لهما: أن يكون موسىٰ كاذبًا أو يكون صادقًا، فإذا كان كاذبًا ﴿فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ وهو لم يقل ولم يفعل ما يستوجب قتله، وإن كان صادقًا وقتلناه فما هو الضمان لنجاتنا من العذاب الذي يعدنا به؟

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾.

تحدث المؤمن الذي يكتم إيمانه فقال لقومه: إننا اليوم في مراكز الحكم والقوة، من ينصرنا من بأس الله إذا جاء؟ ومن ينقذنا من عقوبته إذا حلت؟ إن إسرافنا وكذبنا قد يضيعاننا: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾.

وبدت كلماته مقنعة، إنه رجل ليس متهمًا في ولائه لفرعون وهو ليس من أتباع موسىٰ، والمفروض أنه يتكلم بدافع الحرص علىٰ عرش فرعون، ولا شيء يسقط العروش كالكذب والإسراف وقتل الأبرياء.

ومن هذا الموضع استمدت كلمات الرجل المؤمن قوتها، بالنسبة إلىٰ فرعون ووزرائه ورجاله، ورغم أن فرعون وجد فكرته في قتل موسىٰ، صريعة علىٰ المائدة، رغم تخويف الرجل المؤمن لفرعون، رغم ذلك كله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

قال فرعون بجرأة وصلف وكبر: هذا رأينا الخاص وهو رأي يهديكم سبيل الرشاد، وكل رأي غيره خاطئ وينبغي الوقوف ضده واستصاله وأنا أحذركم من مخالفة رأيي الصائب.

لم تتوقف المناقشة عند هذا الحد، قال فرعون كلمته ولكنه لم يقنع بها الرجل المؤمن.. وعاد الرجل المؤمن يتحدث: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

إنني معجب جدًا بوصف الله تعالىٰ لهذا الرجل بقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ إن الوصف بالرجولة يثير الإعجاب، فإذا أضيف إليها الإيمان فذلك غاية الكمال البشري.

وها هو ذا الرجل المؤمن يغوص في حديثه الأخير في أعماق التاريخ وهو يقدم لفرعون وقومه أدلة كافية علىٰ صدق موسىٰ ﷺ وهو يحذرهم من المساس به، لقد سبقتهم أمم كفرت برسلها فأهلكها الله مثل: قوم نوح، قوم عاد، قوم ثمود.

لماذا نذهب بعيدًا؟ إن تاريخ مصر فيه الدليل علىٰ صحة قوله، لقد جاء يوسف بالبينات فشك فيه الناس ثم آمنوا به بعد أن كادت النجاة تفلت منهم، ما الغرابة في إرسال الله للرسل؟ إن التاريخ القديم ينبغي أن يكون موضع نظر، لقد انتصرت القلة المؤمنة علىٰ الكثرة الكافرة، وسحق الله تعالىٰ الكافرين، أغرقهم بالطوفان وصعقهم بالصرخة أو خسف بهم الأرض، ماذا ننتظر إذن؟ ومن أين نعلم أن وقوفنا وراء فرعون لن يضيعنا ويهلكنا جميعًا؟

كان حديث الرجل المؤمن ينطوي علىٰ عديد من التحذيرات المخيفة، ويبدو أنه أقنع الحاضرين بأن فكرة قتل موسىٰ فكرة غير مأمونة العواقب، وبالتالي فلا داعي لها.

ويذكر لنا الله تعالىٰ في محكم آياته رد فرعون المتكبر الظالم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

مرة أخرىٰ يحاول الطاغية أن يموه ويحاور كي لا يواجه الحق جهرة، ولا يعترف بدعوة الوحدانية التي تهز عرشه، ومن أعجب الأشياء حقًا أن يكون هذا فهم فرعون وإدراكه، إنه يكون فرعون في البحث عن إله موسىٰ علىٰ النحو المادي الساذج، وقد بلغ فراعنة مصر من الثقافة حدًا يبعد معه هذا التصور؛ وإنما هو الاستهتار والسخرية من جهة والتظاهر بالإنصاف والتثبت من جهة أخرىٰ، إنه يريد سلمًا يصعد عليه ليبحث عن إله موسىٰ!! تصور!!

بعد هذا الاستهتار وهذا الإصرار ألقىٰ الرجل المؤمن كلمته الأخيرة مدونة صريحة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

إن هذه الآيات العظيمة تحتاج حقا أن يتوقف معها كل مسلم وقفة تأمل وتدبر

ونظر بجدية تامة، فهي تبين في جلاء موقف الرجال المؤمنين من الأحداث، ونظرتهم للدنيا والآخرة ومفاصلتهم التامة من مخالفيهم، مع تفويض أمورهم إلىٰ الله، يقينا بالآخرة التي ستظهر فيها الحقائق، وتبلي فيها السرائر والضمائر.

أنهىٰ الرجل المؤمن حديثه بهذه الكلمات الشجاعة، بعدها انصرف، وهنا تحول الجالسون من موسىٰ إليه، بدءوا يمكرون له، بدءوا يتحدثون عما صدر منه، بدءوا يكيدون له، فتدخلت عناية الله ﷻ وهو دائمًا سبحانه يحمي عباده المؤمنين: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ وأنجاه الله ﷻ برحمته من فرعون وجنوده.

من شؤم معصية فرعون لموسى:

أما حال مصر في تلك الفترة، فلقد مضىٰ فرعون في تهديده، فقتل الرجال واستحيا النساء، وظل موسىٰ وقومه يحتملون العذاب، ويرجون فرج الله، ويصبرون علىٰ الابتلاء، وظل فرعون في ضلالته وتحديه، فابتلاهم الله بأنواع البلاء الشديدة والمتنوعة لعلهم يتذكرون أو يفيقون أو يخافون أو يرتدعون، ولكن إذا غلبت الشقوة علىٰ الإنسان لم ينفع فيه موعظة، قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

وشاء الله ﷻ أن يشدد علىٰ آل فرعون، ابتلاءً لهم وتخويفًا، ولكي يصرفهم عن الكيد لموسىٰ ومن آمن معه وإثباتًا لنبوة موسىٰ وصدقه في الوقت نفسه، وهكذا سلط علىٰ هؤلاء الفراعنة أعوام الجدب، أجدبت الأرض وشح ماء النيل ونقصت الثمار وجاع الناس، واشتد القحط، لكن آل فرعون لم يدركوا العلاقة بين كفرهم وفسقهم وبين بغيهم وظلمهم لعباد الله، فأخذوا يعللون الأسباب، فعندما تصيبهم حسنة

يقولون: إنها من حسن حظهم وأنهم يستحقونها، وإن أصابتهم سيئة قالوا: هي من شؤم موسىٰ ومن معه عليهم، وأنها من تحت رأسهم!

وأخذتهم العزة بالإثم فاعتقدوا أن سحر موسىٰ هو المسئول عما أصابهم من قحط، وصور لهم حمقهم أن هذا الجدب الذي أصاب أرضهم آية جاء بها موسىٰ ليسحرهم بها، وهي آية لن يؤمنوا بها مهما حدث، هكذا العقول المريضة، والقلوب القاسية تفسر الأحداث بما يحلو لها، فشدد الله عليهم لعلهم يرجعون إلىٰ الله، ويطلقون بني إسرائيل ويرسلونهم معه، فأرسل عليهم الطوفان والجراد، والقمل - وهو السوس- والضفادع والدم، وطلب آل فرعون من موسىٰ أن يدعوا لهم ربه لينقذهم من هذا البلاء ويعدونه في كل مرة أن يرسلوا بني إسرائيل إذا أنجاهم ورفع عنهم هذا البلاء: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

فكان موسىٰ عليه السلام يدعو ربه تعالى بأن يكشف عنهم العذاب، وما إن ينكشف البلاء حتىٰ ينقضوا عهدهم ويعودوا إلىٰ ما كانوا فيه: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

لم يهتد المصريون ولم يوفوا بعهودهم بل علىٰ العكس من ذلك خرج فرعون لقومه، وأعلن أنه إله، أليس له ملك مصر، وهذه الأنهار تجري من تحته قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

أعلن أن موسىٰ ساحر كذاب ورجل فقير لا يرتدي أسورة واحدة من الذهب: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

وصدق الله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾.

انظر إلىٰ كلام الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ استخف بعقولهم، واستخف بحريتهم، واستخف بمستقبلهم، واستخف بآدميتهم؛ فأطاعوه أليست هذه طاعة غريبة،

تنمحي الغرابة حين نعلم أنهم كانوا قومًا فاسقين، إن الفسق يصرف الإنسان عن الالتفات لمستقبله ومصالحه وأموره، ويورده الهلاك، وذلك ما وقع لقوم فرعون.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ (٥٦)﴾.

دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه:

بدا واضحًا أن فرعون لن يؤمن لموسىٰ ولن يكف عن تعذيبه لبني إسرائيل، ولن يكف عن استخفافه بقومه، هنالك دعا موسىٰ وهارون علىٰ فرعون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾.

هكذا دعا موسىٰ عليه السلام وما زال ربنا جل وعلا يربي موسىٰ نبيه وكليمه فكأنه قال له: لا تنشغل بفرعون: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ واهتم بنفسك وأخيك: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ وتحذير شديد: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لم يكن قد آمن مع موسىٰ حتىٰ هذا الوقت إلا فريق من قومه وقد بين الله تعالىٰ من هم هؤلاء فقال ﷻ: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾.

وهؤلاء الذرية الذين أسلموا أمر الله موسىٰ بتربيتهم وإعدادهم إيمانيًا: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٧)﴾[سورة يونس: ٨٧] ولما تم تأهليهم للمواجهة انتهىٰ الأمر.

خروج موسى عليه السلام وإدراك فرعون له بجنوده.

وأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن يخرج من مصر مع بني إسرائيل، وأن يكون رحيلهم ليلًا، بعد تدبير وتنظيم لأمر الرحيل، ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده، وأمره

أن يقود قومه إلىٰ ساحل البحر (وهو في الغالب عند التقاء خليج السويس بمنطقة البحيرات).

وبلغت الأخبار فرعون أن موسىٰ قد صحب قومه وخرج، وأرسل أوامره في مدن المملكة لحشد جيش عظيم ليدرك موسىٰ وقومه، ويفسد عليهم تدبيرهم: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)﴾.

إن فرعون هنا يعلن التعبئة العامة، وهذا من شأنه أن يشكل صورة في الأذهان، أن موسىٰ وقومه يشكلون خطرًا فعليًا علىٰ ملكه فكيف يكون إلهًا من يخشىٰ فئة صغيرة يعبدون إلهًا آخر؟ لذلك كان لا بد من تهوين الأمر وذلك بتقليل شأن قوم موسىٰ وحجمهم ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ لكننا نطاردهم لأنهم أغاظونا، وعلىٰ أي حال، فنحن حذرون مستعدون ممسكون بزمام الأمور.

جيش فرعون الجيوش وجمع الجموع، وخرج مسرعًا بجيشه يطارد موسىٰ وقومه..

لقد خرجوا يتبعون خطا موسىٰ وقومه ويقفون أثرهم فكان خروجهم هذا هو الأخير وكان إخراجًا لهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز؛ فلم يعودوا بعدها لهذا النعيم! لذلك يذكر هذا المصير عقب خروجهم يَقْفُون أثر المؤمنين، تعجيلًا بالجزاء علىٰ الظلم والبطر والبغي.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾

وقطع موسىٰ الطريق حتىٰ وقف أمام البحر، وبدأ جيش فرعون يقترب، وظهرت أعلامه وامتلأ قوم موسىٰ بالرعب كان الموقف حرجًا وخطيرًا، إن البحر أمامهم والعدو وراءهم وليس معهم سفن أو أدوات لعبور البحر، كما أنه ليست أمامهم فرصة واحدة للقتال، إنهم مجموعة من النساء والأطفال والرجال غير المسلحين، سيذبحهم فرعون عن آخرهم.

صرخت بعض الأصوات من قوم موسىٰ: سيدركنا فرعون ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾.

ثبات موسى وثقته بربه:

قال موسىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

لم يكن موسىٰ يدري كيف ستكون النجاة، لكن قلبه كان ممتلئًا بالثقة بربه واليقين بعونه والتأكد من النجاة، فالله هو الذي يوجهه ويرعاه وفي اللحظة الأخيرة يجيء الوحي من الله ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فضربه فوقعت المعجزة ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وتحقق المستحيل من منطق الناس لكن الله ﷻ إذا أراد شيئًا قال له: كن؛ فيكون.

ظهر طريق يابس وسط البحر الأمواج كالسورين علىٰ جنبتي الطريق، وهرع موسىٰ وقومه يسيرون في هذا الطريق الممهد داخل البحر والأمواج من حولهم، سبحان الله!! ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

غرق فرعون.. هل من معتبر؟

ووصل فرعون إلىٰ البحر وشاهد هذه المعجزة، شاهد في البحر طريقًا يابسًا يشقه نصفين وموسىٰ وقومه يسيرون في هذا الطريق اليابس في وسط البحر في أمان تام، ووقف فرعون يتأمل موسىٰ وقومه والأمواج من حولهم، والأرض يابسة تحت أقدامهم، ولم يفكر لحظة، أسرع خلفهم يطاردهم وطمع فرعون في إدراكهم فأمر جيشه بالتقدم وحين انتهىٰ موسىٰ من عبور البحر وأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ أن يترك البحر علىٰ حاله ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وكان الله ﷻ قد قدر إغراق فرعون وإنهاء أمره فما أن صار فرعون وجنوده في منتصف البحر حتىٰ أمر الله ﷻ البحر فانطلقت الأمواج علىٰ فرعون وجيشه وغرق فرعون وجيشه، غرق العناد ونجا الإيمان بالله.

ولما عاين فرعون الغرق، ولم يملك النجاة ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ سقطت عنه كل الأقنعة الزائفة، فلم يكتف بأن يعلن إيمانه

بل والاستسلام أيضًا ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لكن بلا فائدة فليس الآن وقت اختيار بعد أن سبق العصيان والاستكبار ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

انتهىٰ وقت التوبة المحدد لك وهلكت، انتهىٰ الأمر ولا نجاة لك، سينجو جسدك وحده لن تأكله الأسماك ولن يحمله التيار بعيدًا عن الناس بل سينجو جسدك؛ لتكون آية لمن خلفك، وكان جبريل عليه السلام يضع في فم فرعون الطين وهو يحاول النجاة من الغرق حتىٰ لا ينجو فعن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ قَالَ: آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ!**» [صحيح الترمذي (٣٠٣٢)].

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

أسدل الستار علىٰ طغيان فرعون، ولفظت الأمواج جثته إلىٰ الشاطئ بعد ذلك نزل الستار تمامًا علىٰ الفراعنة لا يحدثنا القرآن الكريم عما فعلوه بعد سقوط نظام فرعون وغرقه مع جيشه، لا يحدثنا عن ردود فعلهم بعد أن دمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يشيدون، لا نعلم عنهم شيئًا أبدًا وكأنهم سقطوا تمامًا من التاريخ والأحداث، ويتحدث فقط عن المؤمنين الذين صاحبوا موسىٰ خطوة بخطوة.

من فوائد القصة:

١- الله يحفظ أولياءه ويهيئ لهم الأسباب وكلما كنت من الله أقرب؛ كان حفظ الله لك أعظم (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك).

٢- ربنا تبارك وتعالى يتصف بكل جلال وكمال فهو يتكلم متىٰ شاء كيف شاء وعلينا أن نؤمن بذلك دون محاولة تشبيه أو تمثيل ومن إكرام الله لموسىٰ عليه السلام اصطفاؤه بالكلام ﷺ.

٣- المهام الضخمة لا يقوم بها إلا ذوي الإيمان العظيم الذين تأهلوا لتحمل المشاق بجدارة واقتدار واستعانة بالله.

٤- الأنبياء والعلماء العاملون هم أشجع الناس قلوبًا؛ لأنهم يعلمون حقيقة

الدنيا وزيف الباطل فلا التخويف يرهبهم ولا التهديد يزعجهم.

٥- من تحقق بمعاني الإيمان واستشعر حلاوته هانت عليه التضحيات واستعذب العذاب في سبيل الله.

٦- قضية كل نبي وكل داعية إلىٰ إرساء دعائم التوحيد، وزلزلة بنيان الكفر، ونسف أصوله ودمدمته، فأصل الأصول التوحيد.

٧- أخشىٰ ما يخشاه الطغاة يقظة الشعوب وصحوة القلوب وانقياد الناس لحكم الله وحده.

٨- الرفيق والمعين علىٰ الطريق من وسائل تقويم السائر، فاطلب الصاحب الذي يقوي قلبك علىٰ اتباع الحق ولزوم الهدىٰ.

أثر فرعون على المصريين:

لقد مات فرعون وغرق أمام عيون الفراعنة من جنوده وأتباعه، وأمام بني إسرائيل ورغم موته، فقد ظل أثره باقيًا في نفوس الناس هكذا دون تأثير لقد صنع فرعون في نفوس بني إسرائيل شيئًا سندركه من الآيات بعد قليل لقد عودهم علىٰ الذل لغير الله هزم أرواحهم فانظروا علىٰ الإعجاب بمن هزمهم وهكذا دومًا شأن المنهزمين أفسد فطرتهم فعذبوا موسىٰ عليه السلام عذابًا شديدًا بالعناد والجهل، وبدأت معاناة موسىٰ مع هؤلاء المؤمنين الصغار عند المعايشة الحقيقية في الحياة، وكان أولها:

ميل بني إسرائيل للانحراف:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

كما علمنا من هذه القصة أن بني إسرائيل كانوا يعيشون في لك وهوان وإيذاء من فرعون وقومه، فأهلك الله فرعون أمام أعينهم وأخرجهم إلىٰ أرض طاهرة، ليعيشوا في عزة الإيمان وفي ظل حكم نبي الله موسىٰ، فهي نعم كثيرة جدت عليهم فجأة،

ولكنك تفاجأ وكل أمورهم عجب أنهم بمجرد ما رأوا صنمًا اشتاقوا لعبادة الأصنام.

كانت معجزة شق البحر لم تزل طرية في أذهانهم حين مروا علىٰ قوم يعبدون الأصنام وبدلًا من أن يظهروا استياءهم لهذا الظلم ويحمدوا الله أن هداهم للإيمان بدلًا من ذلك التفتوا إلىٰ موسىٰ وطلبوا منه أن يجعل لهم إلهًا يعبدونه مثل هؤلاء الناس، وليس هناك أحد أحسن من أحد، أدركتهم الغيرة لمرأىٰ الأصنام، ورغبوا في مثلها وعاودهم الحنين لأيام الشرك القديمة التي عاشوها في ظل فرعون واستلفتهم موسىٰ إلىٰ جهلهم هذا.

قال ﷺ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾.

انتهت المرحلة الأولىٰ من مهمة موسىٰ ﷺ وهي تخليص بني إسرائيل من حياة الذل والتعذيب علىٰ يد فرعون وجنده، والسير بهم إلىٰ الديار المقدسة، لكن القوم لم يكونوا علىٰ استعداد للمهمة الكبرىٰ، مهمة الخلافة في الأرض بدين الله، وكان الاختبار الأول أكبر دليل علىٰ ذلك، فما أن رأوا قومًا يعبدون صنمًا حتىٰ اهتزت عقيدة التوحيد في نفوسهم، وطلبوا من موسىٰ أن يجعل لهم وثنًا يعبدونه، فكان لا بد من رسالة مفصلة لتربية هذا الأمة وإعدادها لما هم مقبلون عليه، من أجل هذه الرسالة كانت مواعدة الله لعبده موسىٰ ليلقاه، وكانت هذه المواعدة إعدادًا لنفس موسىٰ ليتهيأ للموقف الهائل العظيم: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

ذهاب موسى لميقات ربه:

كانت فترة الإعداد ثلاثين ليلة أضيف إليها عشر، فبلغت عدتها أربعين ليلة،

يروض فيها موسىٰ نفسه علىٰ اللقاء الموعود وينعزل فيها عن شواغل الأرض؛ فتصفو روحه وتتقوىٰ عزيمته قال المفسرون عن أمر هذه الليالي، فذكر تعالىٰ أنه واعد موسىٰ ثلاثين ليلة؛ قال المفسرون: فصامها موسىٰ عليه السلام وطواها فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة، فأمره تعالىٰ أن يكمل بالعشر أربعين.

واستخلف في قومه أخاه هارون عليه السلام لابد من قيادة، وسمع وطاعة، فجعل موسىٰ عليه السلام أخاه هارون أميرًا عليهم وكان هارون نبيًا رسولًا، أرسله الله مع موسىٰ.

يقص الله تعالى علينا ماذا كان من أمر موسىٰ عليه السلام حين ذهب لميقات ربه، كان موسىٰ بصومه -أربعين ليلة- يقترب من ربه أكثر وكان موسىٰ بتكليم الله له يزداد حبًا لله، ويزداد حبه أكثر وأكثر، ونحن لا نعرف أي مشاعر كانت تجيش في قلب موسىٰ عليه السلام حين سأل ربه الرؤية أحيانًا كثيرة يدفع الحب البشري الناس إلىٰ طلب المستحيل فما بالك بالحب الإلهي، وهو أصل الحب؟ إن عمق إحساس موسىٰ بإكرام ربه له وعنايته به، مع تزايد حبه لخالقه ورغبته في المزيد من القرب والتفضيل والطمع أيضًا في فضل الله وكرمه، وقد عوده الله أن يعطيه ويحبوه ويزيده دفعه هذا كله إلىٰ أن يسأل الله الرؤية.

طلب موسى رؤية ربه:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

هكذا سأل موسىٰ عليه السلام ربه تعالى سأله بتلقائية وعفوية وبساطة وحب، لكن جاء رد الحق عز وجل حاسمًا: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾.

كلمة واحدة.. انتهت القضية.. لن تراني..

ولو أن الله تعالى قالها ولم يزد عليها شيئًا لكان هذا عدلًا منه سبحانه غير أن الموقف هنا موقف حب الله من جانب موسىٰ، موقف جليل وعظيم ولكن يبرره الحب ولهذا أراد الله تعالى أن يفهم موسىٰ السبب رحمة به، أفهمه أنه لن يراه؛ لأن أحدًا

من الخلق لا يستطيع أن يرىٰ الله في الدنيا أمره الله ﷻ أن ينظر إلىٰ الجبل، فإن استقر مكانه فسوف يراه.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

لا يستطيع أحد ولا شيء أن يثبت إذا تجلىٰ الله سبحانه العظيم بنوره، فدُكَّ الجبل وصار في مستوىٰ الأرض، وسقط موسىٰ مغشيًا عليه غائبا عن وعيه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلما أفاق قال: سبحانك تنزهت وتعاليت عن أن ترىٰ بالأبصار أو يراك أحد أبدًا في هذه الدنيا وتبت إليك عن تجاوزي للمدىٰ في سؤالك! وأنا أول المؤمنين بك وبعظمتك.

بشرى الله له بالاصطفاء:

لما تاب وأذعن وخضع وتواضع وآمن وصدق وعرف، فلابد أن تأتيه الزيادة؛ فالله كريم فتلقىٰ موسىٰ ﷺ البشري، بشرىٰ الاصطفاء مع التوجيه له بالرسالة إلىٰ قومه بعد الخلاص قال الله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾.

أي ارض بما قسمت لك ولا تطلب أكثر، ثم بَيَّن الله ﷻ مضمون الرسالة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ ففي الألواح كل شيء يختص بموضوع الرسالة وغايتها من بيان الله وشريعته والتوجيهات المطلوبة لإصلاح حال هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل وطول الأمد!

انتهىٰ ميقات موسىٰ مع ربه ﷻ لم يكن في الوجود كله إنسان في مثل رضاه لكنه علم من ربه أنباء عن حال قومه من بعده تسوؤه، فانقلب إلىٰ قومه غضبان أسفًا.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ

إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾.

فتنة السامري:

انحدر موسىٰ من قمة الجبل وهو يحمل ألواح التوراة فرحان جذلًا سعيدًا بتكليم ربه وتكريمه وبحمله التوراة التي كتبها الله بيده، وقد ثبت في الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ آدَمُ لِمُوسَىٰ: يَا مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**» [صحيح أبي داود (٤٧١٠)] وفي نفس الوقت قلبه يغلي بالغضب والأسف من حال قومه وفتنتهم من بعده، ولك أن تتخيل انفعال موسىٰ وثورته وهو يحث خطاه نحو قومه، وهو يظن أنه رباهم وتعب في تعليمهم، وعانىٰ في تثبيتهم، ومطمئن أنهم علىٰ أثره سائرون صابرون.

ولكن لم يكد موسىٰ يغادر قومه إلىٰ ميقات ربه، حتىٰ وقعت فتنة السامري، وتفصيل هذه الفتنة أن بني إسرائيل حين خرجوا من مصر صحبوا معهم كثيرًا من حلي الفراعنة وذهبهم حيث كانت نساء بني إسرائيل قد استعرنه للتزين به، وعندما أمروا بالخروج حملوه معهم، فلما أنجاهم الله من فرعون وأكرمهم بما رأوه من الكرامات سألوا علماءهم عن حكم هذا الذهب الذي أخذوه من الفراعنة بغير حق فأمروهم بالتخلص منه فورًا، فاستجابت النساء وألقوا بهذه الحلي وقذفوا بها لأنها حرام، فأخذها السامري وكان أحد علماءهم وصنع منها تمثالًا لعجل، وكان السامري فيما يبدو نحاتًا محترفًا أو صائغًا سابقًا فصنع العجل مجوفًا من الداخل ووضعه في اتجاه الريح بحيث يدخل الهواء من فتحته الخلفية ويخرج من أنفه فيحدث صوتًا يشبه خوار العجول الحقيقية.

ويقال أن سر هذا الخوار أن السامري كان قد أخذ قبضة من تراب سار عليه جبريل ﵇ حين نزل إلىٰ الأرض في معجزة شق البحر، أي أن السامري أبصر بما لم يبصروا به فقبض قبضة من أثر الرسول -جبريل ﵇- فوضعها مع الذهب وهو

يصنع العجل، وزعم أن جبريل عليه السلام لا يسير علىٰ شيء إلا دبت فيه الحياة فلما أضاف السامري التراب إلىٰ الذهب ثم صنع منه العجل خار العجل كالعجول الحقيقية وهذه هي قصة السامري التي ألقاها لموسىٰ وكل هذا من أوهامه وليس له نصيب من الحقيقة فقد قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩)﴾ بعد ذلك خرج السامري علىٰ بني إسرائيل بما صنعه..

سألوه: ما هذا يا سامري؟

قال: هذا إلهكم وإله موسىٰ!

قالوا: كيف يكون هذا إلهه وقد ذهب موسىٰ لميقات إلهه.

قال السامري: لقد نسي موسىٰ، ذهب للقاء ربه هناك بينما ربه هنا.

وهبت موجة من الرياح فدخلت في دبر العجل الذهبي وخرجت من فمه فخار العجل وصاح بنو إسرائيل مهللين كالأطفال، وعبد بنو إسرائيل هذا العجل ولعل أعظم دهشة تثور لهذه الفتنة كيف يمكن الاستخفاف بعقول القوم لهذه الدرجة؟ لقد وقعت لهم معجزات هائلة، فكيف ينقلبون إلىٰ عبادة الأصنام في لحظة، سبحان الله الملك مقلب القلوب بالحق والعدل..

وفوجئ هارون عليه السلام يومًا بأن بني إسرائيل يعبدون عجلًا من الذهب، فغضب غضبًا شديدًا ونهاهم عن ذلك وحذرهم وهددهم ولكن القوم انقسموا إلىٰ قسمين: الأقلية المؤمنة أدركت أن هذا هراء، والأغلبية الكافرة طاوعت حنينها لعبادة الأوثان ووقف هارون وسط قومه وراح يعظهم، قال لهم: إنكم فتنتم به هذه فتنة استغل السامري جهلكم وفتنتكم بعجله، ليس هذا ربكم ولا رب موسىٰ إن ربكم الرحمن العظيم ﷻ أنا خليفة موسىٰ فاسمعوا لي وأطيعوا.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى (٩٠)﴾.

ورفض عبدة العجل موعظة هارون لكن هارون عليه السلام عاد يعظهم ويذكرهم بمعجزات الله التي أنقذهم بها وتكريمه ورعايته لهم، فأصموا آذانهم ورفضوا كلماته واستضعفوه وكادوا يقتلونه، وأنهوا مناقشة الموضوع بتأجيله حتىٰ عودة موسىٰ: ﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾.

كان واضحًا أن هارون أكثر لينًا من موسىٰ، لم يكن يهابه القوم للينه وشفقته وخشي هارون أن يلجأ إلىٰ القوة ويحطم لهم صنمهم الذي يعبدونه فتثور فتنة بين القوم، فآثر هارون تأجيل الموضوع إلىٰ أن يحضر موسىٰ، كان يعرف أن موسىٰ بشخصيته القوية يستطيع أن يضع حدًا لهذه الفتنة دون إراقة دماء.

واستمر القوم يرقصون حول العجل!!

انحدر موسىٰ عائدًا إلىٰ قومه فسمع صياح القوم وجلبتهم وهم يرقصون حول العجل، توقف القوم حين ظهر موسىٰ وساد صمت صرخ موسىٰ يقول: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾.

بئس ما فعلتم.. بئس ما صنعتم بعدي بئست الخيانة أن تغيروا عهدي..

ثم اتجه موسىٰ نحو هارون وألقىٰ الألواح التي كتبت فيها التوراة من يده علىٰ الأرض، كان إعصار الغضب داخل موسىٰ شديدًا، وكان الغضب لله سبحانه وحده؛ لأن هؤلاء بعد كل هذه النعم والإكرام يعودون لعبادة عجل ويتركون الله، إنها مصيبة بكل المقاييس، أن ترتكس فطرة هؤلاء القوم لهذه الدرجة.

إن أشد ما كان يؤلم موسىٰ عليه السلام أنه كان يظن أنه قطع شوطًا في التربية والتعليم مع هؤلاء القوم فإذا به يكتشف أنه يحتاج أن يعود معهم إلىٰ القضية من البداية: تفنيد الشرك وتأكيد التوحيد، وهذا ما يجعل الدم يغلي في عروق أي إنسان ونتيجة هذا الغضب مد موسىٰ يديه وأمسك هارون من شعر رأسه وشعر لحيته وشده نحوه وهو يرتعش قال موسىٰ: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣﴾.

إن موسىٰ يتساءل: حتىٰ أنت يا هارون؟ هل عصىٰ هارون أمره؟ كيف سكت

علىٰ هذه الفتنة؟ كيف طاوعهم علىٰ البقاء معهم ولم يخرج ويتركهم ويتبرأ منهم؟ كيف سكت عن مقاومتهم أصلًا؟ إن الساكت عن الخطأ مشترك فيه بشكل ما، زاد الصمت عمقًا بعد جملة موسىٰ الغاضبة وتحدث هارون إلىٰ موسىٰ رجا منه أن يترك رأسه ولحيته بحق انتمائهما لأم واحدة، وهو يذكره بالأم ولا يذكره بالأب ليكون أدعىٰ لاستثارة مشاعر الحنو في نفسه ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾.

أفهمه أن الأمر ليس فيه عصيان له، وليس فيه رضا بموقف عبدة العجل؛ إنما خشي أن يتركهم ويمضي فيسأله موسىٰ: كيف لم يبق فيهم وقد تركه موسىٰ مسؤولًا عنهم، وخشي لو قاومهم بعنف أن يثير بينهم قتالًا فيسأله موسىٰ كيف فرق بينهم ولم ينتظر عودته.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

أفهم هارون أخاه موسىٰ برفق ولين أن القوم استضعفوه وكادوا يقتلونه حين قاومهم، رجا منه أن يترك رأسه ولحيته حتىٰ لا يشمت به الأعداء، ويستخف به القوم زيادة علىٰ استخفافهم به، أفهمه أنه ليس ظالمًا مثلهم عندما سكت عن ظلمهم ولكنه الخوف والتردد.

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أدرك موسىٰ أنه ظلم هارون في غضبه الذي أشعلته غيرته لله ﷻ وحرصه علىٰ الحق أدرك أن هارون تصرف أفضل تصرف ممكن في هذه الظروف ترك رأسه ولحيته واستغفر الله لنفسه ولأخيه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

ثم التفت موسىٰ لقومه وتساءل بصوت لم يزل يضطرب غضبًا: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾.

يا قوم: هكذا بالنداء.. قد أنعم الله عليكم، ووعدكم وعدًا حسنًا بنعيم أبديٍّ في الجنة إن أطعتموه وعبدتموه، وأن يزيدكم إن شكرتموه هل نسيتم؟ هل تطيقون غضب الله؟ لماذا فعلتم ذلك؟ هل هو العناد معي لتخلفوا وعدكم لي؟

إنه يعنفهم ويوبخهم ويلفتهم بإشارة سريعة إلىٰ غباء ما عملوه ثم عاد موسىٰ يقول غاضبًا أشد الغضب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)﴾.

لم تكد الجبال تبتلع أصداء الصوت الغاضب حتىٰ نكس القوم رءوسهم، وأدركوا خطأهم كان افتراؤهم واضحًا علىٰ الحق الذي جاء به موسىٰ أبعد كل ما فعله ﷺ لهم ينكفئون علىٰ عبادة الأصنام، أيغيب موسىٰ أربعين يومًا ثم يعود ليجدهم يعبدون عجلًا من الذهب أهذا تصرف قوم عهد الله إليهم بأمانة التوحيد في الأرض؟

التفت موسىٰ إلىٰ السامري، بعد حديثه القصير مع هارون بعد أن أثبت له هارون براءته كمسئول عن قومه في غيبته، كما سكت القوم ونكسوا رءوسهم أمام ثورة موسىٰ، لم يبق إلا المسئول الأول عن الفتنة، لم يبق إلا السامري..

جزاء السامري رأس الفتنة:

تحدث موسىٰ إلىٰ السامري وغضبه لم يهدأ بعد: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥)﴾.

إنه يسأله عن قصته، ويريد أن يعرف منه ما الذي حمله علىٰ ما صنع، ما الموضوع؟ وما الحكاية قال السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾.

هكذا الغرور يصنع بأصحابه بصرت ولم يبصروا، وعرفت ما لم يعرفوا وأدركت ما لم يدركوا الغرور والعجب والتعالي زعم أنه رأىٰ جبريل ﷺ وهو يركب فرسه فلا تضع قدمها علىٰ شيء إلا دبت فيه الحياة ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾.

أخذت حفنة من التراب الذي سار عليه جبريل عليه السلام وألقيتها على الذهب: ﴿فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

هذا ما ساقتني نفسي إليه، إنها النفس المغرورة الأمارة، إنها النفس التي تحب التعالي والشهرة، وتطلب المجد الأجوف، إنها النفس التي لا زالت تحمل الشرك بين طياتها ولما كان الكلام متهافتًا لا يستحق المناقشة، لم يناقش موسىٰ عليه السلام السامري في ادعائه؛ إنما قذف في وجهه حكم الحق، ليس المهم أن يكون السامري قد رأىٰ جبريل عليه السلام فقبض قبضة من أثره، ليس المهم أن يكون خوار العجل بسبب هذا التراب الذي سار عليه فرس جبريل، أو يكون الخوار بسبب ثقب اصطنعه السامري ليخور العجل، المهم في الأمر كله جريمة السامري، وفتنته لقوم موسىٰ، واستغلاله إعجاب القوم الدفين بسادتهم من الفراعنة المشركين عبدة الأصنام، وتقليدهم لهم في عبادة الأوثان، هذه هي الجريمة التىٰ حكم فيها موسىٰ عليه السلام ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾.

حكم موسىٰ علىٰ السامري بالوحدة في الدنيا، يقول بعض المفسرين: إن موسىٰ دعا علىٰ السامري بأن لايمس أحدًا، معاقبة له علىٰ مسه ما لم يكن ينبغي له مسه.

ونعتقد أن الأمر أخطر كثيرًا، إن السامري أراد بفتنته ضلال بني إسرائيل وجمعهم حول عجله الوثني والسيادة عليهم، وقد جاءت عقوبته مساوية لجرمه، لقد حكم عليه النبي بالوحدة، هل مرض السامري مرضًا جلديًا بشعًا صار الناس يأنفون من لمسه أو مجرد الاقتراب منه؟ هل جاءه النبذ من خارج جسده؟ لا نعرف ماذا كان من أمر في الأسلوب الذي تمت به وحدة السامري ونبذ من المجتمع له، كل ما نعرفه أن موسىٰ أوقع عليه عقوبة رهيبة، كان أهون منها القتل، فقد عاش السامري منبوذًا محتقرًا لا يلمس شيئًا ولا يمس أحدًا ولا يقترب منه مخلوق، هذه هي عقوبته في الدنيا، ويوم القيامة له عقوبة ثانية أخطر وأرعب، إنه أراد أن يكون زعيمًا مخترعًا

مشهورًا يتبعه الناس ويطيعونه ويعظمونه؛ فعوقب بنقيض قصده: الوحدة والانفراد.. وألا يقترب منه أحد..

صرخة موسى بالتوحيد في بني إسرائيل:

نهض موسىٰ عليه السلام بعد فراغه من السامري إلىٰ العجل الذهبي وألقاه في النار، لم يكتف بصهره أمام عيون القوم المبهوتين؛ وإنما نسفه في البحر نسفًا، تحول الإله المعبود أمام عيون المفتونين به إلىٰ رماد يتطاير في البحر، وارتفع صوت موسىٰ عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ الله العظيم الكبير المتعال إلهكم، وليس ذلك الصنم الذي لايملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.

بعد أن نسف موسىٰ الصنم، وفرغ من الجاني الأصلي، التفت إلىٰ قومه، وحكم في القضية كلها فأفهمهم أنهم ظلموا أنفسهم وترك لعبدة العجل مجالًا واحدًا للتوبة، وكان هذا المجال أن يقتل المطيع من بني إسرائيل من عصىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ كانت العقوبة التي قررها موسىٰ علىٰ عبدة العجل مهولة، وتتفق مع الجرم الأصلىٰ، إن عبادة الأوثان إهدار لحياة العقل وصحوته، وهي الصحوة التي تميز الإنسان عن غيره من البهائم والجمادات، وإزاء هذا الإزهاق لصحوة العقل، تجيء العقوبة إزقاهًا لحياة الجسد نفسه، فليس بعد العقل للإنسان حياة يتميز بها، ومن نوع الجرم جاءت العقوبة، جاءت شديدة ثم رحمهم الله تعالىٰ وتاب عليهم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

أخيرًا، ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾، تأمل كيف يصور الغضب في صورة كائن، يثور داخل الإنسان، أخيرًا سكت عن موسىٰ الغضب، زايله غضبه في الله، وذلك أرفع أنواع الغضب وأجدرها بالاحترام والتوقير، التفت موسىٰ إلىٰ مهمته الأصلية حين

زايله غضبه فتذكر أنه ألقىٰ ألواح التوراة، وعاد موسىٰ يأخذ الألواح وبدأ يعاود دعوته إلىٰ الله.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾.

رفع الجبل فوق بني إسرائيل:

عاد موسىٰ إلىٰ هدوئه، واستأنف جهاده في سبيل الله، وقرأ ألواح التوراة علىٰ قومه، أمرهم في البداية أن يأخذوا بأحكامها بقوة وعزم، ومن المدهش أن قومه ساوموه علىٰ الحق، قالوا: انشر علينا الألواح فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها، فقال موسىٰ: بل اقبلوها بما فيها، فراجعوا مرارًا، فأمر الله ﷻ ملائكته فرفعت الجبل علىٰ رءوسهم حتىٰ صار كأنه غمامة فوقهم، وقيل لهم: إن لم تقبلوها بما فيها سقط ذلك الجبل عليكم، فقبلوا بذلك، وأمروا بالسجود فسجدوا، وضعوا خدودهم علىٰ الأرض وراحوا ينظرون إلىٰ الجبل فوقهم هلعًا ورعبًا.

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وهكذا أثبت موسىٰ أنهم لا يسلمون وجوههم لله إلا إذا لويت أعناقهم بمعجزة حسية باهرة تلقي الرعب في القلوب وتنثني الأقدام نحو سجود قاهر يدفع الخوف إليه دفعًا، يقع هذا في ظل غياب الوعي والنضج الكافيين لقيام الاقتناع العقلي، ولعلنا هنا نشير مرة أخرىٰ إلىٰ نفسية قوم موسىٰ، فهي المسئول الأول عن عدم اقتناعهم إلا بالقوة الحسية والمعجزات الباهرة، ولكن لم تمر جريمة عبادة العجل دون آثار.

خروج السبعين لميقات الله:

أمر موسىٰ بني إسرائيل أن يستغفروا الله ويتوبوا إليه، ثم اختار منهم سبعين رجلًا، الخيِّر فالخيِّر، وقال: انطلقوا إلىٰ الله فتوبوا إليه مما صنعتم، وسلوه التوبة علىٰ من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم، خرج موسىٰ

بهؤلاء السبعين المختارين لميقات حدده له الله ﷻ، دنا موسىٰ من الجبل، وكلم الله ﷻ موسىٰ ﷺ، وسمع السبعون موسىٰ وهو يكلم ربه: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾.

ولعل معجزة كهذه المعجزة تكون الأخيرة، وتكون كافية لحمل الإيمان إلىٰ القلوب مدىٰ الحياة، غير أن السبعين المختارين لم يكتفوا بما استمعوا إليه من المعجزة؛ إنما طلبوا رؤية الله ﷻ.

قالوا: سمعنا ونريد أن نرىٰ، قالوا لموسىٰ ببساطة: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

هي مأساة تثير أشد الدهشة، وهي مأساة تشير إلىٰ صلابة القلوب واستمساكها بالحسيات والماديات، هكذا قالوا: لن نؤمن لك.. كأن الأمر لعبة!!.. لن نؤمن لك!!.. إنهم قوم يلعبون، بعد كل ما رأيتم من الآيات، وما منحكم الله من النعم، وبعد كل ما عافاكم الله منه من عنت وقهر، بعد كل ذلك: لن نؤمن لك!!.. وهنا غضب الله الملك العظيم، وكوفئ الطلب المتعنت بعقوبة صاعقة، أخذتهم رجفة مدمرة صعقت أرواحهم وأجسادهم علىٰ الفور، فماتوا.

أدرك موسىٰ ما أحدثه السبعون المختارون، وهم نقاوة القوم وأفضلهم وأخيرهم، فملأه الأسىٰ وقام يدعو ربه ويناشده أن يعفو عنهم ويرحمهم، وألا يؤاخذهم بما فعل السفهاء منهم، وليس طلبهم رؤية الله ﷻ وهم علىٰ ماهم فيه من البشرية الناقصة وقسوة القلب غير سفاهة كبرىٰ، سفاهة لايكفر عنها إلا الموت، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

وهكذا صعق من طلب الرؤية، ووقف موسىٰ يدعو ربه ويستعطفه ويترضاه: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

بشرى بنبوة محمد ﷺ:

هذه كانت كلمات موسىٰ لربه وهو يدعوه ويترضاه، إنا هدنا إليك، يعني تبنا ورجعنا وندمنا علىٰ ما فعلنا وأنبنا إليك، ورضي الله ﷻ عنه وغفر لقومه فأحياهم بعد موتهم: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

واستمع المختارون بعد أن أخذتهم الصاعقة ثم أحياهم الله ﷻ في هذه اللحظات الباهرة من تاريخ الحياة إلىٰ النبوءة بمجيء محمد بن عبد الله ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

هكذا جاءت البشرىٰ بالنبي محمد ﷺ لهؤلاء القوم بعد حياتهم الجديدة.. وكأن فيها إشارة أن من يتبع النبي محمد ﷺ عند بعثته، تكون له بذلك حياة جديدة.

من فوائد القصة:

١- حقيقة الرجولة: الإيجابية والصدق وإظهار الحق وعدم الالتواء.

٢- المعصية تجر علىٰ صاحبها الويلات والعنف والمشقة والضيق وتنزل به غضب الله.

٣- الثقة واليقين في الله أهم وأخطر زاد للمسلم، به يثبت ويثبت من حوله؛ فإنهم يستمدون ثباتهم من ثقتهم في الله ويقينهم في نصره.

٤- النفوس المائلة إلىٰ الانحراف تحتاج إلىٰ حزم وصرامة، ومن الحكمة استعمال الشدة في مواطن تليق بها، ومن وضع الرفق مكان الشدة، أو الشدة مكان الرفق فسد وأفسد، وضاع وأضاع.

٥- الصوم مدرسة إعداد الروح؛ لترتفع إلىٰ السمو الإيماني، والقرب من الله ﷻ، وبالصيام يتم إعداد النفس علىٰ قهر شهواتها وتذليلها لله.

٦- عامة الناس وغوغاؤهم ليس لهم مذهب ولا مبدأ، بل من السهل أن يستخفهم مفتون، ويقودهم إلىٰ الفجور والكفر، لذلك كان العلم سياجًا قويًّا أمام الفتن، وعاصمًا أمينًا من التردي في الإمعية البغيضة.

٧- الأنبياء يغضبون كما يغضب البشر، ولكنهم لا يغضبون إلا لله، ولا يحملهم الغضب علىٰ ما يغضب الله؛ لأن غضبهم يكون أصلًا لله ﷻ.

٨- من الغضب ما لا يؤاخذ به صاحبه، وهو استحكام الغضب، وعدم شعور المرء ماذا يجري منه.

٩- يلقىٰ المجرم جزاء جرمه في الدنيا قبل الآخرة، ويكون جزاؤه فيه من جنس عمله.

١٠- من المواقف ما لا يصلح فيه إلا الشدة، وإذا استعمل اللين فيها صار استعماله إفسادًا؛ وقد رأينا كيف كان غضب موسىٰ وتحريقه للعجل هو العلاج الأمثل للقضاء علىٰ الفتنة وتجفيف منابعها.

١١- البشارة بنبوة رسولنا محمد جاءت بها الكتب السابقة؛ لتكون حجة علىٰ أصحابها إذا أدركوا بعثته.

قصة البقرة:

مكث موسىٰ عليه السلام في قومه يدعوهم إلىٰ الله، يعلمهم ويربيهم، ويريد أن يمكن لهم في الأرض، ولكن يبدو أن نفوسهم كانت ملتوية بشكل لا تخطئه عين الملاحظة، وتبدو لجاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصة البقرة، فإن الموضوع لم يكن يقتضي كل هذه المفاوضات بينهم وبين موسىٰ عليه السلام، كما أنه لم يكن يستوجب كل هذا التعنت.

وأصل قصة البقرة أن قتيلًا ثريًّا وجد يومًا في بني إسرئيل، واختصم أهله ولم

يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر لجئوا لموسىٰ عليه السلام ليلجأ لربه عز وجل، ولجأ موسىٰ لربه فأمره أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾.

وكان المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم، غير أنهم بدأوا مفاوضتهم بالجدال، اتهموا موسىٰ عليه السلام بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزوا، واستعاذ موسىٰ بالله أن يكون من الجاهلين وسخر منهم، أفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

إن الأمر هنا أمر معجزة، لا علاقة لها بالمألوف في الحياة، أو المعتاد بين الناس، ليست هناك علاقة بين ذبح بقرة ومعرفة القاتل في الجريمة الغامضة التي وقعت، إنه الأمر من الله، والمطلوب من بني إسرائيل أن يسمعوا ويطيعوا..

لكن متىٰ كانت الأسباب المنطقية هي التي تحكم حياة بني إسرائيل؟!

إن المعجزات الخارقة هي القانون السائد في حياتهم، وليس استمرارها في حادث البقرة أمرًا يوحي بالعجب أو يثير الدهشة.

لكن بني إسرائيل هم بنو إسرئيل، مجرد التعامل معهم عنت، تستوي في ذلك الأمور الدنيوية المعتادة، وشؤون العقيدة المهمة، لا بد أن يعاني من يتصدىٰ لأمر من أمور بني إسرئيل، وهكذا يعاني موسىٰ من إيذائهم له واتهامه بالسخرية منهم، ثم ينبهم أنه جاد فيما يحدثهم به، ويعاود أمره بأن يذبحوا بقرة.

وتعود الطبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلىٰ الظهور، يعود الجدال والالتواء، فيتساءلون: أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيوان؟! أم أنها خلق تفرد بمزية؟ فليدع موسىٰ ربه ليبين ما هي ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾.

ويدعو موسىٰ ربه فيزداد التشديد عليهم، وتحدد البقرة أكثر من ذي قبل، بأنها بقرة وسط، ليست بقرة مسنة، وليست بقرة فتية، بقرة متوسطة: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.

إلىٰ هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر، غير أن المفاوضات لم تزل مستمرة، ومراوغة بني إسرائيل لم تزل هي التي تحكم مائدة المفاوضات، ما لون البقرة؟ لماذا لايدعو موسىٰ ربه ليسأله عن لون هذه البقرة؟ لا يراعون مقتضيات الأدب والوقار اللازمين في حق الله ﷻ وحق نبيه الكريم، وكيف أنهم ينبغي أن يخجلوا من تكليف موسىٰ بهذا الاتصال المتكرر حول موضوع بسيط لا يستحق كل هذا الجدال والمراوغة: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾.

ويسأل موسىٰ عليه السلام ربه و ﷻ ثم يحدثهم عن لون البقرة المطلوبة، فيقول: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾.

وهكذا حددت البقرة بأنها صفراء، ورغم وضوح الأمر، فقد عادوا إلىٰ اللجاجة والمراوغة، فشدد الله ﷻ عليهم كما شددوا علىٰ نبيه وآذوه، وعادوا يسألون موسىٰ أن يدعو الله ليبين ما هيٰ، فإن البقر تشابه عليهم: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ وحدثهم موسىٰ عن بقرة ليست معدة لحرث ولا لسقيٰ، سلمت من العيوب، صفراء لا شية فيها، بمعنىٰ خالصة الصفرة:

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾.

انتهت بهم اللجاجة إلىٰ التشديد، ويدءوا بحثهم عن بقرة بهذه الصفات الخاصة، أخيرًا وجدوها عند يتيم فاشتروها وذبحوها: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾

وأمسك موسىٰ عليه السلام جزءًا من البقرة وضرب به القتيل فنهض من موته، سأله موسىٰ عليه السلام عن قاتله فحدثهم عنه (وقيل: أشار إلىٰ القاتل فقط من غير أن يتحدث) ثم عاد إلىٰ الموت، وشاهد بنو إسرائيل معجزة إحياء الموتىٰ أمام أعينهم، استمعوا بآذانهم إلىٰ اسم القاتل، انكشف غموض القضية التي حيرتهم زمنا طال بسبب جدالهم وتعنتهم: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

وانظر إلىٰ غاية سوء الأدب حين قالوا: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾

بعد أن أرهقوا نبيهم بسؤاله عن صفة البقرة ولونها وسنها وعلاماتها المميزة، بعد تعنتهم وتشديد الله عليهم، يقولون لنبيهم حين جاءهم بما يندر وجوده ويندر العثور عليه في البقر عادة: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾، كأنه كان يلعب قبلها معهم، ولم يكن ما جاء هو الحق من أول كلمة لآخر كلمة: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

ما كادوا يفعلون، وما كانوا يستطيعون، ولولا أن الله رحمهم وأعانهم لما وجدوها. ولعل التوفيق جاءهم من قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

وهكذا أرسل الله موسىٰ لأمة عنيدة عاتية، فقد كانت بنو إسرائيل في طباعهم أطفالًا، وأطفالًا معاندين، وكلما أمروا بأمر يخالفونه إلىٰ ضده، ويستهزءون به، كأنهم يرون من الواجب أن يبدلوا ما يقال لهم، كطفل عنيد يقال له: قم فيجلس، ويقال له: اجلس فيقوم، ويقال له: اسكت فيتكلم، ويقال له: تكلم فيسكت.

وكان فيهم عناد الأطفال في خبث الأشرار،في هزء الأعداء، في سفاهة المجانين، كانوا يريدون أن يسكنوا ويأكلوا طعامهم الشهىٰ من البصل والعدس والفول!!

ولكنهم لما قيل لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، غضبوا ورفضوا، حتىٰ دخلوا القرية كرهًا وهزوًا، يزحفون علىٰ آساتهم، وغيروا الكلمة التي أمرهم الله بقولها: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ هكذا هم دائمًا، انظر إلىٰ تعنتهم وتسويفهم ومماراتهم وجدالهم في الحق؟ هذه الآيات العظيمة الجليلة تعرفك بموقف بني إسرائيل علىٰ موائد المفاوضات، هي صورتهم علىٰ مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم موسىٰ عليه السلام وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا موسىٰ، حقًا كما قال ابن الجوزي: «وكم أَنَّ موسىٰ من لن!!».

قصة موسى والخضر:

وفي يوم من الأيام قام موسىٰ عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل، يدعوهم إلىٰ الله

ويحدثهم عن الحق، ويبدو أن حديثه جاء جامعًا ماتعًا رائعًا، فبعد أن انتهىٰ من خطابه سأله أحد المستمعين من بني إسرائيل: هل علىٰ وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟!

قال موسىٰ ﷺ: لا...

فبعث الله إليه جبريل ﷺ يسأله: يا موسىٰ ما يدريك أين يضع الله علمه؟!

أدرك موسىٰ ﷺ أنه تسرع، وعاد جبريل ﷺ يقول له: إن لله عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك.

تاقت نفس موسىٰ الكريمة إلىٰ زيادة العلم، وانعقدت نيته علىٰ الرحيل لمصاحبة هذا العبد العالم، وسأل: كيف السبيل إليه، فأمر أن يرحل، وأن يحمل معه حوتًا في مكتل، أيْ سمكة في سلة، وفي المكان الذي ترتد فيه الحياة لهذا الحوت ويتسرب في البحر، سيجد العبد العالم، انطلق موسىٰ -طالب العلم- ومعه فتاه يوشع بن نون الذي صار نبيًّا بعد موسىٰ ﷺ، وقد حمل الفتىٰ حوتًا في سلة، انطلقا بحثًا عن العبد الصالح العالم، وليست لديهم أيُ علامة علىٰ المكان الذي يوجد فيه إلا معجزة ارتداد الحياة للسمكة القابعة في السلة وتسربها إلىٰ البحر.

ويظهر عزم موسىٰ ﷺ علىٰ العثور علىٰ هذا العبد العالم ولو اضطره الأمر إلىٰ أن يسير أحقابًا، قيل: إن الحقب عام، وقيل: ثمانون عامًا، علىٰ أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة علىٰ وجه التحديد.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾.

وصل الاثنان إلىٰ صخرة جوار البحر وقد تعب موسىٰ من السفر والرحلة، رقد موسىٰ ﷺ واستسلم للنعاس، وبقي الفتىٰ ساهرًا، وألقت الرياح إحدىٰ الأمواج علىٰ الشاطئ فأصاب الحوت رذاذ ماء البحر فدبت فيه الحياة وقفز إلىٰ البحر، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، وكان تسرب الحوت إلىٰ البحر علامة أعلم الله ﷻ بها موسىٰ

لتحديد مكان لقائه بالرجل الحكيم الذي جاء موسىٰ عليه السلام يتعلم منه.

نهض موسىٰ من نومه فلم يلاحظ أن الحوت تسرب إلىٰ البحر، ونسي فتاه الذي يصحبه أن يحدثه عما وقع للحوت، وسار موسىٰ مع فتاه بقية يومهما وليلتهما وقد نسيا حوتهما، ثم تذكر موسىٰ غداءه وحل عليه التعب، ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، ولمع في ذهن الفتىٰ ما وقع.

ساعتئذ تذكر الفتىٰ كيف تسرب الحوت إلىٰ البحر هناك، وأخبر موسىٰ بما وقع، واعتذر إليه بأن الشيطان أنساه أن يذكر له ما وقع، رغم غرابة ما وقع، فقد اتخذ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، كان أمرًا عجيبًا ما رآه يوشع بن نون، لقد رأىٰ الحوت يشق الماء فيترك علامة وكأنه طير يتلوىٰ علىٰ الرمال.

سعد موسىٰ من مروق الحوت إلىٰ البحر و﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾، هذا ما كنا نريده، أن تسرب الحوت يحدد المكان الذي سنلتقي فيه بالرجل العالم، ويعود موسىٰ وفتاه يقصان أثرهما عائدين.

أخيرًا وصل موسىٰ إلىٰ المكان الذي تسرب منه الحوت، وصلا إلىٰ الصخرة التي ناما عندها، وتسرب عندها الحوت من السلة إلىٰ البحر، وهناك وجدا رجلًا.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

وعند البخاري في صحيحه: إن موسىٰ وفتاه وجدا الخضر مسجىً بثوبه، وقد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه الآخر تحت رأسه، فسلم عليه موسىٰ، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضك سلام...؟ من أنت؟

قال موسىٰ: أنا موسىٰ.

قال الخضر: موسىٰ بني إسرائيل، عليك السلام يا نبي بني إسرائيل.

قال موسىٰ: وما أدراك بي..؟

قال الخضر: الذي أدراك بي ودلك علي، ماذا تريد يا موسىٰ..؟

قال موسىٰ ملاطفًا مبالغًا في التوقير: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ .

قال الخضر: أما يكفيك أن التوراة بيديك، وأن الوحي يأتيك..؟ يا موسىٰ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ .

نريد أن نتوقف لحظة لنلاحظ الفرق بين سؤال موسىٰ ﷺ ، الملاطف المغالي في الأدب، ورد الخضر الحاسم، الذي يُفهم موسىٰ أن علمه لا يستطيع موسىٰ أن يعرفه، كما أن علم موسىٰ هو علم لا يعرفه الخضر، إن علمي أنت تجهله، ولن تطيق عليه صبرًا؛ لأن الظواهر التي ستحكم بها علىٰ علمي لن تشفي قلبك ولن تعطيك تفسيرًا، وربما رأيت في تصرفاتي ما لا تفهم له سببًا أو تدري له علة، وإذا لن تصبر علىٰ علمي يا موسىٰ.

احتمل موسىٰ كلمات الخضر الحاسمة وعاد يرجوه أن يسمح له بمصاحبته والتعلم منه، وقال له موسىٰ فيما قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ .

تأمل كيف يتواضع كليم الله ويؤكد للعبد المتدثر بالخفاء أنه لن يعصي له أمرًا.

قال الخضر لموسىٰ ﷺ إن هناك شرطًا يشترطه لقبول أن يصاحبه موسىٰ ويتعلم منه، وهو ألا يسأله عن شيء حتىٰ يحدثه هو عنه، فوافق مواسىٰ علىٰ الشرط.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا﴾ .

انطلق موسىٰ مع الخضر يمشيان علىٰ ساحل البحر، مرت سفينة فكلماهم أن يحملوهما، وعرف أصحاب السفينة الخضر فحملوه وحملوا موسىٰ بدون أجر، إكرامًا للخضر، وفوجئ موسىٰ حين رست السفينة وغادرها أصحابها وركابها، فوجئ بأن الخضر يتخلف فيها، لم يكد أصحابها يبتعدون حتىٰ بدأ الخضر يخرق السفينة، اقتلع لوحًا من ألواحها وألقاه في البحر فحملته الأمواج بعيدًا.

فاستنكر موسىٰ فعلة الخضر، لقد حملنا أصحاب السفينة بغير أجر، أكرمونا، وها هو يخرقها ويفسدها، كان التصرف من وجهة نظر موسىٰ معيبًا: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ .

هنا يلفت العبد الرباني نظر موسىٰ إلىٰ أنه لن يستطيع الصبر عليه كما أخبره سابقًا: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ .

ويعذر موسىٰ بالنسيان ويرجوه ألا يؤاخذه وألا يرهقه ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أرجو أن تصبر أنت الآخر علي.

سارا معًا، فمرا علىٰ حديقة يلعب فيها الصبيان، حتىٰ إذا تعب الأطفال من اللعب انتحىٰ كل واحد منهم ناحية واستسلم للنعاس، فوجئ موسىٰ بأن العبد الرباني يقتل غلامًا، ويثور موسىٰ سائلًا عن الجريمة التي ارتكبها هذا الصبي ليقتله هكذا، يعاود العبد الرباني تذكيره بأنه أفهمه أنه لن يستطيع الصبر عليه: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ويعتذر موسىٰ بأنه نسي، ولن يعاود الأسئلة، وإذا سأله مرة أخرىٰ سيكون من حقه أن يفارقه: ﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ .

ومضىٰ موسىٰ مع الخضر، فدخلا قرية بخيلة، لا يعرف موسىٰ لماذا ذهبا إلىٰ القرية، ولا يعرف لماذا يبيتان فيها، نفد ما معهما من الطعام، فاستطعما أهل القرية فأبوا أن يضيفوهما، وجاء عليهما المساء، وأوىٰ الاثنان إلىٰ خلاء فيه جدار يريد أن ينقض، جدار يتهاوىٰ ويكاد يهم بالسقوط، وفوجئ موسىٰ من تصرف رفيقه ومعلمه، إن القرية بخيلة، لا يستحق من فيها هذا العمل المجاني ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ، انتهىٰ الأمر بهذه العبارة...

قال العبد الصالح لموسىٰ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ .

لقد حذر العبد الرباني التي أثارت موسىٰ وحيرته لم يكن حين فعلها تصدر عن أمره، كان ينفذ إرادة الله سبحانه في هذه القضايا بوحي من الله ﷻ، والأمور إذا لم تعلم حكمتها التبست واشتبهت علىٰ من لا يعلم، ومن أجل ذلك احتار موسىٰ عليه السلام من تصرفات الخضر، فأراحه بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ ، ليس بعلمي ولا حكمتي؛ وإنما بوحي الله وأمره..

كشف العبد الرباني لموسىٰ عليه السلام شيئين في الوقت نفسه، كشف له أن علمه -أي: علم موسىٰ- محدود، إن أصحاب السفينة سيعتبرون خرق سفينتهم مصيبة جاءتهم، بينما هي نعمة تتخفىٰ في زي المصيبة، نعمة لن تكشف النقاب عن وجهها إلا بعد أن تنشب الحرب ويصادر الملك كل السفن الموجودة غصبًا، ثم يترك هذه السفينة التالفة المعيبة، وبذلك يبقىٰ مصدر رزق الأسرة عندهم كما هو، فلا يموتون جوعًا: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾.

أيضًا سيعتبر والد الطفل المقتول وأمه أن كارثة قد دهمتهما لقتل وحيدهما الصغير البريء، غير أن موته يمثل بالنسبة لهما رحمة عظمىٰ؛ فإن الله سيعطيهما بدلًا منه غلامًا يرعاهما في شيخوختهما ولا يرهقهما طغيانًا وكفرًا كالغلام المقتول: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾.

أما الجدار الذي أتعب نفسه بإقامته، من غير أن يطلب أجرًا من أهل القرية، كان يختبئ تحته كنز لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة، ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطيع الصغيران أن يدفعا عنه، ولما كان أبوهما صالحًا فقد نفعهما الله بصلاحه في طفولتهما وضعفهما، فأراد ربهما أن يكبرا ويشتد عودهما ويستخرجا كنزهما وهما قادران علىٰ حمايته: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾

ثم ينقض الرجل يده من الأمر، فهي رحمة الله التي اقتضت هذا التصرف، وهو أمر الله لا أمره، فقد أطلعه علىٰ هذه المسألة وما قبلها، ووجهه إلىٰ التصرف فيها وقف ما أطلعه ربه عليه: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾

واختفىٰ هذا العبد الصالح، إلا أن موسىٰ تعلم من صحبته درسين مهمين:

☆ تعلم ألا يغتر بعلمه؛ فإن فوق كل ذي علمٍ عليم.

☆ تعلم أن يتأدب مع ربه بألا يتسرع، وألا يتكلم بما لا يعلم.

بنو إسرائيل في صحراء سيناء:

سار موسىٰ بقومه في سيناء، وهي صحراء ليس فيها شجر يقي من الشمس، وليس فيها طعام ولا ماء، وأدركتهم رحمة الله فساق إليهم المن والسلوىٰ وظللهم الغمام، والمن: مادة يميل طعمها إلىٰ الحلاوة وتفرزها بعض أشجار الفاكهة، وساق الله إليهم السلوىٰ، وهو نوع من أنواع الطيور يقال: أنه (السمان)، وحين اشتد بهم الظمأ إلىٰ الماء وسيناء مكان يخلو من الماء، ضرب لهم موسىٰ عليه السلام بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا من المياه، وكان بنو إسرائيل ينقسمون إلىٰ اثنىٰ عشر سبطًا، فأرسل الله المياه لكل مجموعة، ورغم هذا الإكرام والحفاوة، تحركت في النفوس التواءاتها المريضة،واحتج قوم موسىٰ بأنهم سئموا من هذا الطعام، واشتاقت نفوسهم إلىٰ البصل والثوم والفول والعدس، وكانت هذه الأطعمة أطعمة مصرية تقليدية، وهكذا سأل بنو إسرائيل نبيهم موسىٰ يستلفتهم إلىٰ ظلمهم لأنفسهم، وحنينهم لأيام هوانهم في مصر، وكيف أنهم يتبطرون علىٰ خير الطعام وأكرمه، ويريدون بدله أدنىٰ الطعام وأسوأه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾.

رفضهم دخول الأرض المقدسة:

سار موسىٰ عليه السلام بقومه في اتجاه البيت المقدس، أمر موسىٰ عليه السلام قومه بدخولها وقتال من فيها والاستيلاء عليها، وها قد جاء امتحانهم الأخير، بعد كل ما وقع من معجزات والآيات والخوارق، جاء دورهم ليحاربوا -بوصفهم مؤمنين- قومًا من عبدة الأصنام.

رفض قوم موسىٰ دخول الأراضي المقدسة، وحدثهم موسىٰ عن نعمة الله عليهم، كيف جعل فيهم أنبياء، وجعلهم ملوكًا يرثون ملك فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وكان رد قومه عليه أنهم يخافون من القتال، قالوا: إن فيها قومًا جبارين، ولن يدخلوا الأرض المقدسة حتىٰ يخرج منها هؤلاء: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وانضم لموسىٰ وهارون عليه السلام اثنان من القوم فقط لا غير، تقول كتب القدماء: إنهم خرجوا في ستمائة ألف، لم يجد موسىٰ من بينهم غير رجلين علىٰ استعداد للقتال، وراح هذا الرجلان يحاولان إقناع القوم بدخول الأرض والقتال، قالا لقومهم: إن مجرد دخولهم من الباب سيجعل لهم النصر: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ولكن بني إسرائيل جميعًا كانوا يتدثرون بالجبن ويرتعون في أعماقهم.

مرة أخرىٰ تعاودهم طبيعتهم التي عاودتهم قبل ذلك حين رأوا قومًا يعكفوا علىٰ أصنامهم، فسدت فطرتهم، وانهزموا من الداخل، واعتادوا الذل، فلم يعد في استطاعتهم أن يحاربوا، وإن بقي في استطاعتهم أن يتوقحوا علىٰ نبي الله موسىٰ وربه وقال قوم موسىٰ له كلمتهم الشهيرة: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾!!

هكذا بصراحة وبلا التواء!!

أدرك موسىٰ أن قومه ما عادوا يصلحون لشيء، نعم مات فرعون ولكن آثاره في النفوس باقية يحتاج شفاؤها لفترة طويلة، عاد موسىٰ إلىٰ ربه يحدثه أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه، ودعا موسىٰ علىٰ قومه أن يفرق الله بينه وبينهم.

وقضىٰ الله سبحانه وتعالى حكمه علىٰ هذا الجيل الذي فسدت فطرته من بني إسرائيل، كان الحكم هو التيه أربعين عامًا، حتىٰ يموت هذا الجيل أو يصل إلىٰ الشيخوخة، ويولد

بدلًا منه جيل آخر، جيل لم يهزمه أحد من الداخل، ويستطيع ساعتها أن يقاتل وأن ينتصر، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

بدأت أيام التيه، بدأ السير في دائرة مغلقة، تنتهي من حيث تبدأ، وتبدأ من حيث تنتهي، بدأ السير إلىٰ غير مقصد، ليلًا ونهارًا وصباحًا ومساءً، دخلوا البرية وتاهوا كما تاهت عقولهم وقلوبهم فتخبطت بين الحق والباطل، وكما تاهت قوتهم فلم يصمدوا لحق أبدًا قضىٰ الله عليهم بالتيه.

وهنا تنتهي قصة سيدنا موسىٰ عليه السلام مع بني إسرائيل في القرآن، ولا ندري حقًا هل مات موسىٰ في التيه، أم أنه دخل الأرض المقدسة مع أخيه والرجلين، الله أعلم بما كان إلا أننا نشهد أن سيدنا موسىٰ عليه السلام حقًا من أولي العزم من الرسل، صبر وجاهد وأدىٰ ما عليه حتىٰ مات، ألا علىٰ موسىٰ صلوات الله وسلامه.

وفاة موسى عليه السلام:

قال رسول الله ﷺ: «**جَاءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَىٰ عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ المَوْتِ، فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَكَ لا يُرِيدُ المَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَىٰ عَبْدِي فَقُلْ: أَلْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ مَا تَوَارَتْ يَدَكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ**»، قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**». [صحيح البخاري (١٢٥٣)].

وهذا الحديث دليل علىٰ أن سيدنا موسىٰ عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة، لا هو ولا قومه، بل طلب إكرام الله له أن يموت قريبًا منها فحسب، فاستجاب الله دعاءه،

وهكذا فرق الله بين نبيه الكليم الطيب موسىٰ عليه السلام وبين قومه الخبثاء المعاندين.

ألا سلام الله علىٰ موسىٰ في الأولين والآخرين...

من فوائد القصة:

١- الرحلة في طلب سمة الصادقين من طلبته، وهي نوع جهاد في سبيل الله، وكلما رحل الطالب إلىٰ العلماء أكثر كانت استفادته أعظم، ومن ذل للعلم سهل له طلبه.

٢- من أهم سمات طالب العلم التواضع لمعلمه؛ لينال بركة علمه، ويحصل علىٰ حبه وقربه..

٣- قد ينسىٰ الإنسان أشياء ذات أهمية، والنسيان من الشيطان، فهو عدوك الذي لا يريد الخير لك.

٤- حكمة الله في كثير من الأمور قد تختفىٰ علىٰ أعلم الناس وأقربهم إلىٰ الله.

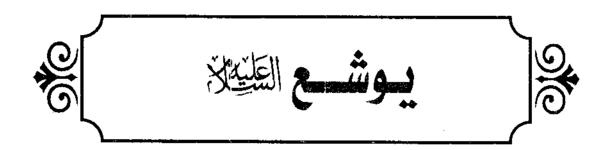
٥- يحفظ الولد بصلاح والده.

٦- قبول عذر من اعتذار والعفو عمن طلب العفو، لكن لا ينبغي أن يفتح ذلك الباب علىٰ مصراعيه، فكل شيء بقدر.

٧- لا يعلم أقدار خلق الله إلا الله، فكم من عبد حبيب إلىٰ الله قريب من الله لا يعلمه كثير من الناس، ولا يضره ذلك.

٨- ليس لطلب العلم نهاية ينتهي إليها، بل طلب العلم إلىٰ الممات، كما قال الإمام أحمد: مع المحبرة إلىٰ المقبرة.

٩- قد تأتي الرحمة في ثوب مصيبة، وقد تأتي المنحة في ثوب محنة.



يوشع عليه السلام

«وانطلق موسى بفتاه يوشع بن نون»

من هو يوشع عليه السلام؟

ورد أنه الفتىٰ الذي صاحب موسىٰ للقاء الخضر، وهو النبي الذي أخرج الله علىٰ يديه بني إسرائيل من صحراء سيناء، وحاربوا أهل قرية الجبارين الذين رفض قوم موسىٰ الدخول عليهم، فكتب الله تعالى عليهم التيه، وحرمها عليهم أربعين سنة.

لم يخرج أحد من التيه ممن كان مع موسىٰ سوىٰ اثنين: هما الرجلان اللذان أشارا علىٰ ملأ بني إسرائيل بدخول قرية الجبارين، ويقول المفسرون: إن أحدهما يوشع بن نون، وهذا هو فتىٰ موسىٰ في قصته مع الخضر، صار الآن نبيًا من أنبياء بني إسرائيل، وقائدًا لجيش يتجه نحو الأرض التي أمرهم الله بدخولها.

وكان الله قد أمر موسىٰ أن يجند بني إسرائيل وأن يجعل عليهم نقباء، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

وهكذا نرىٰ العهد مشروطًا بميثاق أخذه الله عليهم، أن يقاتلوا ولا يفروا، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا برسله كلهم، ابتداء من موسىٰ عليه السلام الذي أنزل الله عليه التوراة، وانتهاء بمحمد ﷺ الذي بشر الله به في التوراة،حين كانت هي توراة الله الحقة التي لم تمتد إليها أيدي التبديل والتحريف.

ولكن كعهد اليهود دائمًا... خونة، وأصحاب مصالح، لا يوفون بعهد الله أبدًا،

فقد أنكروا وغيروا، ورفضوا الوفاء بالعهد، وكذبوا الأنبياء وهم يعلمون، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[البقرة:١٤٦].

الخروج من التيه والدخول الأرض المقدسة:

خرج يوشع بن نون عليه السلام ببني إسرائيل من التيه، وقصد بهم الأرض المقدسة، قطع بهم نهر الأردن إلىٰ أريحا، وكانت من أحصن المدائن سورًا وأعلاها قصورًا وأكثرها أهلًا. فحاصرها ستة أشهر، ولما خرج عليه السلام إلىٰ الأرض المقدسة اشترط علىٰ من يتبعه شروطًا، قال رسول الله ﷺ: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ، وَلا آخَرُ قَدْ بَنَىٰ بُنْيَانًا وَلَمَّا يَرْفَعْ سَقْفَهَا، وَلا آخَرُ قَدِ اشْتَرَىٰ غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ مُنْتَظِرٌ وِلادَتَهَا**» [صحيح البخاري (٢٩٥٦)].

وهكذا سن هذا النبي القائد للإخلاص شروطًا، وللثبات شروطًا، وأهمها ألا يتعلق القلب بشيء خارج نطاق المعركة التي يخوضها الإنسان لا زوجة، ولا بيوت، ولا أموال ولا أملاك، وأحرىٰ للإنسان ألا يلتفت أثناء المواجهة.

أما من تعلق قلبه بشيء، يكون حريصًا بالرجوع إليه، والعودة مرة أخرىٰ للفرح به فإنه يكون مهزوزًا مرتبكًا حريصًا ألا تضيع منه مصلحته.

وهكذا انطلق هذا النبي الصالح بجيشه، مجموعة من التابعين المخلصين الحريصين كل الحرص علىٰ دخول القرية لا العودة إلىٰ الأزواج والبيوت.

وتأتي المعركة الأخيرة التي بدأت في يوم الجمعة، أوشك يوشع بن نون عليه السلام وجيشه علىٰ تحقيق الانتصار، لكن الشمس قاربت علىٰ المغيب -وكان اليهود لا يعملون ولا يحاربون يوم السبت- فخشي يوشع بن نون أن يذهب النصر، فنظر يوشع إلىٰ الشمس وقال: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي، فتوقفت الشمس مكانها، وظلت واقفة إلىٰ أن فتح بيت المقدس ودخله، قال رسول الله ﷺ:

«فَغَزَا فَأَدْنَىٰ لِلقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ».

وأمر الله بني إسرائيل أن يدخلوا المدينة سجدًا، أي راكعين مطأطئي رءوسهم شاكرين لله ﷻ ما من به عليهم من الفتح، أمروا أن يقولوا حال دخولهم: ﴿حِطَّةٌ﴾، بمعنىٰ حط عنا خطايانا التي سلفت، وجنيناها والخطايا التي تقدمت من آبائنا.

من جرائم بني إسرائيل:

وخالف بنو إسرائيل ما أمروا به قولًا وفعلًا، دخلوا الباب متعالين متكبرين، وبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، فأصابهم عذاب من الله بما ظلموا، كانت جريمة الآباء هي الذل، وأصبحت جريمة الأبناء الكبرياء والافتراء، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

ولم تكن هذه الجريمة هي أول جرائم بني إسرائيل ولا آخر جرائمهم فقد عذبوا رسلهم كثيرًا بعد موسىٰ عليه السلام وتحولت التوراة بين أيديهم إلىٰ قراطيس يبدون بعضها ويخفون أكثرها، وامتد هذا اللعب إلىٰ العقيدة، وأخبر الله سبحانه عنهم بهذا فقال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

وإذا كان الخطاب ينطبق علىٰ أحفاد بني إسرائيل الذين عاشوا في الجزيرة العربية، فقد كان واضحًا من تاريخ بني إسرائيل ذاته، أن التوراة لم تسلم من هذا العبث، بإخفاء بعضها وإظهار البعض، حسبما تقتضي الأحوال وتدفع المصلحة المباشرة وكان هذا الجحود هو المسئول عما أصاب بني إسرائيل من عقوبات.

عاد بنو إسرائيل إلىٰ ظلمهم لأنفسهم، اعتقدوا أنهم شعب الله المختار، وتصوروا انطلاقًا من هذا الاعتقاد أن من حقهم ارتكاب أي شيء وكل شيء،

وعظمت فيهم الأخطاء وتكاثرت الخطايا وامتدت الجرائم بعد كتابهم إلىٰ أنبيائهم، فقتلوا من قتلوا من الأنبياء، وقست قلوبهم حتىٰ عمت وتطاول عليهم الزمن فقالوا: قلوبنا غلف، قال ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾.

تسليط الملوك الجبارين عليهم:

فسلط الله ﷻ عليهم بعد رحمة الأنبياء قسوة الملوك الجبارين، يظلمونهم ويسفكون دماءهم وسلط الله ﷻ أعداءهم عليهم ومكن لهم من رقابهم وأموالهم.

وكان معهم تابوت الميثاق وهو تابوت يضم بقية مما ترك موسىٰ وهارون، ويقال: إن هذا التابوت كان يضم ما بقي من ألواح التوراة التي أنزلت علىٰ موسىٰ عليه السلام ونجت من يد الظالمين منهم والمفترين، وكان لهذا التابوت بركة تمتد إلىٰ حياتهم وحروبهم، فكان وجود التابوت بينهم في الحرب، يمدهم بالسكينة والثبات، ويدفعهم إلىٰ النصر، فلما ظلموا أنفسهم ورفعت التوراة من قلوبهم لم يعد هناك معنىٰ لبقاء نسختها معهم، وهكذا ضاع منهم تابوت العهد، ضاع في حرب من حروبهم التي هزموا فيها.

وهنا.. مات نبي الله يوشع بن نون، ذلك القائد الرباني الذي استطاع بالإخلاص أن يقود بني إسرائيل إلىٰ نصر كان عزيزًا أن يحققوه..

مات حميدًا، فصلاة الله وسلامه عليه وعلىٰ آل يعقوب..

وساءت أحوال بني إسرائيل بسبب ذنوبهم وتعنتهم وظلمهم لأنفسهم ومرت سنوات وسنوات واشتدت الحاجة إلىٰ ظهور نبي ينتشلهم من الوهدة السحيقة التي أوصلتهم إليها فواجع الآثام وكبائر الخطايا.

فكان النبي القادم داود عليه السلام ولكن كيف؟

من فوائد القصة:

١ - صدق النية سبيل النصرة علىٰ الأعداء وتثبيت الله للعبد.

٢- رحمة الله بأمة محمد، حيث أحل لها الغنائم ولم يحلها لأحد قبلها قط، وها من خصائص النبي ﷺ.

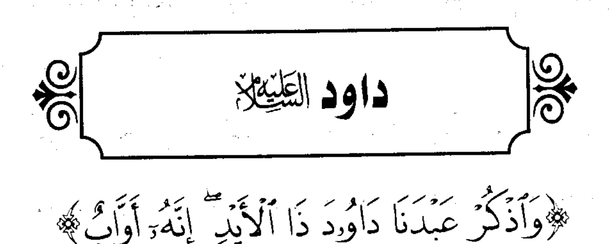
٣- مخالفة أمر الله تجلب التشديد والعنت علىٰ العبد.

٤- أخبرنا الله تعالىٰ عن تحريف التوراة وكذلك الإنجيل ولم يسلم من التحريف إلا القرآن؛ لأن الله ﷻ حفظه من الزيادة أو التبديل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩].

٥- العجب والرضا عن النفس غرور وهلاك للعبد، كما أن الانكسار والذل لله سبب لرحمة الله لعبده.

٦- التلون والمخادعة مع أوامر الله تجلب سخط الله وغضبه.





﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾

الملوك تسوس بني إسرائيل:

بعد موت سيدنا يوشع عليه السلام كانت الملوك تسوس بني إسرائيل وكانت الأنبياء تهديهم وزاد طغيان بني إسرائيل، فكانوا يقتلون الأنبياء نبيًا تلو نبي، فسلط الله عليهم ملوكًا منهم ظلمة جبارين، آذوهم وطغوا عليهم وعاقبهم الله بذنبوهم وطغيانهم.

وتتالت الهزائم علىٰ بني إسرائيل حتىٰ إنهم أضاعوا التابوت، وكان في التابوت بقية مما ترك آل موسىٰ وهارون فقيل: إن فيها بقية من الألواح التي أنزلها معهم في معاركهم لتحل عليهم السكينة ويحققوا النصر، فتشردوا بعد ضياع التابوت، وساءت حالهم، ودار الزمان وحكم بني إسرائيل ملك ظالم اسمه جالوت، ولما زاد ظلمه وكثر طغيانه ويئس بنو إسرائيل من صلاحه، طلبوا من نبيهم أن يجعل لهم قائدًا ليقاتلوا الملك الظالم، ونحن لا نعرف اسم نبيهم هذا، أخفاه الله عنا، فلا نبحث عما أخفاه الله.

ذهب بنو إسرائيل يومًا إلىٰ نبي لهم، سألوه: ألسنا مظلومين؟

قال: بلىٰ..

قالوا: ألسنا مشردين؟

قال: بلىٰ..

قالوا: ابعث لنا ملكًا يجمعنا تحت رايته كي نقاتل في سبيل الله ونستعيد أرضنا ومجدنا.

قال نبيهم وكان أعلم بهم: هل أنتم واثقون من القتال لو كتب عليكم القتال؟ أخشىٰ إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا.

قالوا: ولماذا لا نقاتل في سبيل الله وقد طردنا من ديارنا وتشرد أبناؤنا وساءت أحوالنا؟

قال نبيهم: إن الله اختار لكم طالوت ملكًا عليكم.

قالوا: كيف يكون ملكًا علينا وهو ليس من أبناء الأسرة التي يخرج منها الملوك -أبناء يهوذا- كما أنه ليس غنيًّا، وفينا من هو أغنىٰ منه!

قال نبيهم: إن الله اختاره وفضله عليكم بعلمه وقوة جأشه.

قالوا: ما هي آية ملكه؟

قال لهم نبيهم: سيرجع لكم التابوت تحمله الملائكة.

الابتلاء يمحص الصف:

ووقعت فعلًا المعجزة، وعادت إليهم التوراة يومًا، ثم تجهز جيش طالوت لحرب جالوت وجنوده، وسار الجيش طويلًا حتىٰ أحس الجنود بالعطش، قال الملك طالوت لجنوده: سنصادف نهرًا في الطريق، فمن شرب منه فليخرج من الجيش، ومن لم يشرب منه وبل ريقه فقط فليبق معي في الجيش.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

وهكذا.. جاء النهر فشرب معظم الجيش.. جاء النهر فشرب معظم الجنود، وخرجوا من الجيش، وكان طالوت قد أعد هذا الامتحان؛ ليعرف من يطيعه من الجنود ومن يعصيه، وليعرف أيهم قوىٰ الإرادة ويتحمل العطش، وأيهم ضعيف الإرادة ويستسلم بسرعة، كانوا مائة ألف ولكن لم يبق منهم إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر

رجلًا فقط، لكن جميعهم من الشجعان.

صار عدد أفراد جيش طالوت قليلًا جدًّا، وكان جيش العدو كبيرًا وقويًّا، فشعر بعض هؤلاء الصفوة أنهم أضعف من جالوت وجيشه وقالوا: كيف نهزم هذا الجيش الجبار؟!

قال المؤمنون من جيش طالوت: النصر ليس بالعدة والعتاد؛ إنما النصر من عند الله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، فثبتوهم.

داود البطل الشجاع:

وبرز جالوت الملك الظالم في دروعه الحديدية وسلاحه، وهو يطلب أحدًا يبارزه، وخاف منه جنود طالوت جميعًا، وهنا برز من جيش طالوت راعي غنم صغير هو داود عليه السلام، كان داود مؤمنًا بالله، وكان يعلم أن الإيمان بالله هو القوة الحقيقية في هذا الكون، وأن العبرة ليست بكثرة السلاح، ولا ضخامة الجسم ومظهر الباطل.

وكان طالوت الملك الذي جعله الله قائدهم، قد وعد: من يقتل جالوت يصير قائدًا علىٰ الجيش ويتزوج ابنته، ولم يكن داود يهتم كثيرًا لهذا الإغراء، كان يريد أن يقتل جالوت؛ لأن جالوت رجل جبار وظالم ولا يؤمن بالله، وسمح الملك لداود أن يبارز جالوت.

وتقدم داود بعصاه وخمسة أحجار ومقلاعه (وهو نبلة يستخدمها الرعاة)، وتقدم جالوت المدجج بالسلاح والدروع، وسخر من داود وأهانه وضحك منه ومن فقره وضعفه، ووضع داود حجرًا قويًا في مقلاعه وطوح به في الهواء وأطلق الحجر، فأصاب جالوت فقتله، وكانت مفاجأة مذهلة للجيشين.

وبدأت المعركة وانتصر جيش طالوت علىٰ جيش جالوت، بعد أن استغفر الجيش كله الله، ودعوه سبحانه وتوسلوا إليه وذلوا له؛ فنصرهم وقهر عدوهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ

جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٠ - ٢٥١].

داود عليه السلام ملك لبني إسرائيل:

بعد فترة أصبح داود عليه السلام ملكًا لبنىٰ إسرائيل، فجمع الله علىٰ يديه النبوة والملك مرة أخرىٰ.

كان داود عليه السلام قصير القامة، أزرق العينين، قليل الشعر، له قلب طاهر نقي، جمع الله له بين الملك والنبوة، كان داود عليه السلام قويًّا في عبادته لله، فقيهًا في أمور الإسلام، كان ورعًا تقيًّا، يقوم لعبادة الله، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وهذا هو صيام الدهر، وأنزل الله عليه كتابًا مقدسًا هو الزبور.

وكان صوت سيدنا داود عليه السلام جميلًا قويًّا حسنًا..

وكان إذا قرأ بصوته الجميل في الزبور سمعته الجبال والطيور، فتسبح الجبال معه في الصباح وفي المساء، وتقف الطيور في الهواء متأثرة بصوته وهو يقرأ ويسبح، فتسبح معه بحمد الله.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾.

وفي ذلك العصر كانت الحروب كثيرة، وكانت الدروع الحديدية التي يصنعها صناع الدروع ثقيلة ولا تجعل المحارب حرًا يستطيع أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد، فقام داود عليه السلام بصناعة نوعية جديدة من الدروع، درع يتكون من حلقات حديدية تسمح للمحارب بحرية الحركة، وتحمي جسده من السيوف والفؤوس والخناجر، أفضل من الدروع الموجودة أيامها، لقد ألان الله لداود الحديد: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

كانت يده تغوص في الحديد فيقطعه ويشكله في قطع صغيرة يصلها ببعضها البعض؛ ليصنعه دروعًا خفيفة غير مرهقة جعلت جيشه ينتصر بفضل الله في كل المعارك التي خاضها، وكان يصنع الدروع ويبيعها؛ ليعيش من ثمنها.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾

كان سيدنا داود عليه السلام ملكًا نبيًّا، وبالرغم من ذلك كان يعمل بيديه؛ ليأكل ويطعم أهله، قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**» [صحيح البخاري (١٩٦٦)].

وكان عليه السلام محبوبًا من الجميع، ليس من البشر وحدهم، بل ومن الطيور والحيوانات والجبال أيضًا.

وشد الله ملك داود، وجعله الله منصورًا علىٰ أعدائه دائمًا وجعل ملكه قويًا عظيمًا يخيف الأعداء حتىٰ بغير حرب وزاد الله ﷻ من نعمه علىٰ داود عليه السلام فأعطاه الحكمة وفصل الخطاب أعطاه الله تعالى مع النبوة والملك حكمة وقدرة علىٰ تمييز الحق من الباطل ومعرفة الحق ومساندته فأصبح نبيًا ملكًا قاضيًا قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾.

في مجلس قضاء داود:

كان سيدنا داود عليه السلام يجلس بين الناس ويحل لهم مشاكلهم ويفصل في قضاياهم.. وذات يوم كان يجلس بجواره ابنه سليمان وكان صبيًا صغيرًا وجاءه رجل صاحب حقل ومعه آخر.

وقال له صاحب الحقل: سيدي النبي، إن غنم هذا الرجل نزلت حقلي أثناء الليل، وأكلت كل عناقيد العنب التي كانت فيه، وقد جئت إليك لتحكم لي بالتعويض، قال داود عليه السلام لصاحب الغنم: هل صحيح أن غنمك أكلت حقل الرجل؟

قال صاحب الغنم: نعم يا سيدي.

قال داود: لقد حكمت بأن تعطيه غنمك بدلًا من الحقل الذي أكلته.

قال سليمان، وكان الله قد علمه حكمة تضاف إلىٰ ما ورث من والده: عندي حكم آخر يا أبي..

قال داود عليه السلام: قله يا سليمان.

قال سليمان: أحكم بأن يأخذ صاحب الغنم حقل هذا الرجل الذي أكلته الغنم، ويصلحه له ويزرعه حتىٰ تنمو أشجار العنب وتعود كما كانت وأحكم لصاحب الحقل أن يأخذ الغنم ليستفيد من صوفها ولبنها ويأكل منه فإذا كبرت عناقيد العنب وعاد الحقل سليمًا كما كان أخذ صاحب الحقل حقله وأعطىٰ صاحب الغنم غنمه.

قال داود: هذا حكم عظيم، الحمد لله الذي وهبك الحكمة.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

قضية أخرى فيها ابتلاء لداود عليه السلام:

وذات يوم كان داود عليه السلام جالسًا في محرابه يتعبد ويصلي وفوجئ برجلين يقفزان من سور المحراب، وفزع داود عليه السلام منهما فطمأنه أحدهما وقال: ﴿لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾.

قال أحد الرجلين: لا تخف يا سيدي: بيني وبين هذا الرجل خصومة وقد جئناك لتحكم بيننا بالحق.

سأل داود عليه السلام: ما القضية؟

قال الرجل الأول: ﴿هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال داود عليه السلام بغير أن يسمع رأي الطرف الآخر وحجته: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ وإن كثيرًا من الشركاء يظلم بعضهم بعضًا إلا الذين آمنوا فحكم بظلم الطرف الآخر دون أن يسمع منه.

وفوجئ داود عليه السلام باختفاء الرجلين من أمامه اختفىٰ الرجلان لو كانا سحابة تبخرت في الجو، وأدرك داود عليه السلام أن الرجلين ملكان أرسلهما الله إليه ليعطيه درسًا

فلا يحكم بين المتخاصمين من الناس إلا إذا سمع أقوالهم جميعًا فربما كان صاحب التسع والتسعين نعجة معه الحق، وخر داود راكعًا وسجد لله واستغفر ربه ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾.

داود الأواه الأواب:

وما زال داود عليه السلام يستغفر الله عز وجل حتىٰ غفر له وأثنىٰ عليه في قوله تعالى: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾﴾.

عاد داود عليه السلام يعبد الله عز وجل ويسبحه حتىٰ مات.. كان داود يصوم يومًا ويفطر يوما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن داود عليه السلام: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ**» [صحيح البخاري (١٠٧٩)] كان يصوم يومًا ويفطر يوما وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتًا وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي ببكائه كل شيء ويشفي بصوته المهموم والمحموم.

وفاة داود عليه السلام:

كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل علىٰ أهله أحد حتىٰ يرجع فخرج ذات يوم وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلىٰ الدار فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لتفضحن بداود فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني شيء، فقال داود: أنت والله ملك الموت، فمرحبًا بأمر الله.

مات داود عليه السلام وعمره مائة سنة وشيع جنازته عشرات الآلاف فقد كان محبوبًا جدًّا بين الناس حتىٰ قيل: لم يمت في بني إسرائيل بعد موسىٰ وهارون أحد كان بنو إسرائيل أشد جزعًا عليه منهم علىٰ داود عليه السلام.

وآذت الشمس الناس فدعا سليمان عليه السلام الطير وقال: أظلي علىٰ داود، فأظلته حتىٰ أظلمت عليه الأرض، وسكنت الريح فقال سليمان للطير: أظلي الناس من

ناحية الشمس وتنحي من ناحية الريح وأطاعت الطير فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان عليه السلام.

وهكذا عاش سيدنا داود ملكًا رسولًا موفقًا أوتي الحكمة وفصل الخطاب، ومات راضيًا مقبلًا علىٰ ربه..

ألا سلام الله وصلواته علىٰ داود وآله...

من فوائد القصة:

١- الطغيان والبطر وعدم شكر النعمة عقوبة معجلة فتبدل النعمة إلىٰ نقمة.

٢- الله يصطفي من خلقه من يشاء ومن عوامل الاصطفاء العلم والفقه.

٣- ليس النصر بالعدة والعتاد بل النصر من عند الله تبارك وتعالى.

٤- أحب الصيام إلىٰ الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يومًا.

٥- من أطاع الله أحبه الله وأحبه كل شيء.

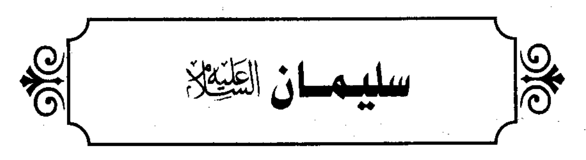
٦- من أدب القضاء ألا تحكم في قضية حتىٰ تسمع من الطرفين كليهما.

٧- إذا جاءك أحد المختصمين وقد فقئت عينه فاصبر حتىٰ ترىٰ الآخر؛ فلعله يأتي وقد فقئت عيناه.

٨- الحكمة ضالة المؤمن، فأنىٰ وجدها فهو أحق بها، فاقبل الحق ممن جاءك به وإن كان بعيدًا بغيضًا، ومن جاءك بالباطل فأردده عليه وإن كان حبيبًا قريبًا.

٩- اقبل الحق والنصح وإن كان ممن هو أصغر منك سنًا وإن كان من ولدك.





﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) ﴾

سليمان وارث النبوة والملك:

سليمان هو ابن نبي الله داود عليه السلام وورث سليمان داود، قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ ورثه في النبوة والملك، ليس المقصود وراثته في المال؛ لأن الأنبياء لا يورثون إنما تكون أموالهم صدقة من بعدهم للفقراء والمحتاجين لا يخصون بها أقرباءهم قال نبي الله المصطفىٰ محمد بن عبد الله ﷺ: «**نَحْنُ مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٦٢)].

ورث سيدنا سليمان عليه السلام جيشًا قويًا مجهزًا أثار الرعب في قلوب الأعداء محصنًا بدروع خفيفة قوية صنعها نبي الله داود عليه السلام وعدد وآلات خطيرة.

لقد أتىٰ الله سليمان عليه السلام ملكًا عظيمًا لم يؤته أحدًا من قبله ولن يعطيه الله لأحد من بعده إلىٰ يوم القيامة فقد استجاب الله تعالى لدعوة سليمان: ﴿اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾.

كان سيدنا سليمان عليه السلام يعرف لغة الطير والحيوانات وكان يستطيع بقدرة الله ﷻ أن يكلمها ويأمرها ويوظفها في خدمته: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾.

وهكذا كان سليمان عليه السلام يستشعر فضل الله تعالى عليه ويشكره دائمًا.

بعض الأمور التي سخرها الله لنبيه سليمان عليه السلام:

أولا: الجـن:

لقد سخر له أمرًا لم يسخره لأحد من قبله ولا بعده، سخر الله له الجن، قال

الله ﷻ: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾.

فكان لديه عليه السلام القدرة على حبس الجن الذين لا يطيعون أمره، وتقييدهم بالسلاسل وتعذيبهم، ويقول المولى ﷻ في موضع آخر: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾.

فمن يعص سليمان عليه السلام يعذبه الله ﷻ لذلك يستجيبون لأوامره فيبنون له القصور والتماثيل -التي كانت مباحة في شرعهم- والأواني والقدور الضخمة جدًّا، فلا يمكن تحريكها من ضخامتها وكانت الشياطين تغوص له في أعماق البحار وتستخرج اللؤلؤ والمرجان والياقوت فكانوا يطيعون أمره، ولا يستطيعون مخالفته.

ثانيا: الريح:

وسخر الله لسليمان عليه السلام أمرًا آخر قال الله ﷻ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾.

فكانت الريح تجري بأمر سليمان عليه السلام لذلك كان يستخدمها سليمان عليه السلام في الحرب فكان لديه بساطًا خشبيًا ضخمًا جدًّا وكان يأمر الجيش بأن يركب على هذا الخشب ويأمر الريح بأن ترفع البساط وتنقلهم للمكان المطلوب، فكان يصل في سرعة خارقة.

ثالثا: إسالة النحاس له:

ومن نعم الله عليه إسالة النحاس له، قال الله ﷻ: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ﴾ والقطر هو النحاس المذاب مثلما أنعم على والده داود عليه السلام بأن ألان له الحديد، ألان لسليمان عليه السلام النحاس وعلمه كيف يصهره وقد استفاد سليمان عليه السلام من النحاس المذاب فائدة عظيمة في الحرب والسلم.

رابعا: الجيش:

ومن هذه النعم جيش سليمان عليه السلام كان جيشه مكونًا من البشر والجن والطيور

فكان يعرف لغتها قال الله ﷻ مخبرًا عنه ﵇: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ كان سيدنا سليمان ملكًا قويًا أقوىٰ ملوك الأرض بجيشه القوي ومعجزاته التي أكرمه الله ﷻ بها، وكان أكثر الناس ذكرًا لله، وأكثرهم شكرًا علىٰ هذه النعم وهذه المعجزات، وكان لا ينقطع عن الصلاة والصيام والتسبيح لله، وقد أثنىٰ الله ﷻ عليه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

خامسا: معرفة لغة الطير والحيوانات:

قال الله ﷻ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾.

يقول العلماء: ما أعقلها من نملة وما أفصحها ﴿يا﴾: نادت ﴿أيها﴾: نبهت ﴿ادْخُلُوا﴾: أمرت ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: نهت ﴿سُلَيْمَانُ﴾: خصت ﴿وَجُنُودُهُ﴾: عمت ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: اعتذرت..

سمع سليمان ﵇ كلام النملة فتبسم من قولها ما الذي تتصوره هذه النملة! رغم كل عظمته وجيشه فإنه رحيم بالنمل يسمع همسه وينظر دائمًا أمامه ولا يمكن أبدًا أن يدوسه، وكان سليمان يشكر الله أن منحه هذه النعمة نعمة الرحمة ونعمة الحنو والشفقة والرفق.

وشكر سليمان ربه علىٰ هذه النعمة وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

سادسا: آتاه الله العلم والحكمة:

قال رسول الله ﷺ: **«كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَىٰ: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَىٰ دَاوُدَ ﵇ فَقَضَىٰ بِهِ لِلكُبْرَىٰ، فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بنِ دَاوُدَ ﵉ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ»** [صحيح البخاري (٣١٧٣)].

الهدهد الغيور على العقيدة:

في أحد الأيام تفقد سيدنا سليمان ﷺ جيشه من الطير فلاحظ غياب الهدهد وكان يستخدمه في البحث عن الماء فيدله على الأماكن التي يوجد بها ماء تحت الأرض، فيرسل سيدنا سليمان ﷺ الشياطين؛ ليحفروا هذه الأماكن لاستخراج الماء وفي هذا اليوم لم يكن الهدهد في موقعه الذي أمره سيدنا سليمان أن يبقى فيه.

سأل سيدنا سليمان ﷺ: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ وغضب غضبًا شديدًا وقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾. وبسرعة لم يتأخر فعلًا جاء الهدهد ووقف أمام سليمان ﷺ قائلًا: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وانظروا كيف يخاطب هذا الهدهد أعظم ملك في الأرض بلا إحساس بالذل أو المهانة ليس كما يفعل ملوك الظلم لا يتكلم معهم أحد إلا ويفرضون عليه أن تكون علامات الذل ظاهرة عليه..

فقال الهدهد: جئت أحمل لك مفاجأة لم تعلمها فهي بعيدة عن عينيك لم ترها، لكنها خطيرة، فقد جئت بأخبار أكيدة من مدينة سبأ باليمن ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾: بلقيس ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: تحكمهم ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: أعطاها الله قوة وملكًا عظيمين وسخر لها أشياء كثيرة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ وهو كرسي الحكم ضخم جدًا ومرصع بالجواهر، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وفوجئت بها هي ومن حولها وهم يعبدون الشمس.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أضلهم الشيطان وجعلهم يحسنون الظن بأنفسهم ويغترون بعملهم فيظنون أنهم على الصواب لقد زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن طريق الحق ومنعهم من دخوله فهم لا يهتدون أي: لا يعرفون الحق ولا يريدونه: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يسجدون للشمس ويتركون عبادة الله ﷻ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾

وذكر العرش هنا؛ لأنه ذكر عرش بلقيس من قبل فحتىٰ لا يغتر إنسان بعرشها ذكر عرش الله ﷻ الأعظم ليتضاءل عرش بلقيس ويتلاشىٰ فهو هباءة في كون الله العظيم فضلًا عن عرشه الكريم.

فتعجب سليمان ﷺ من كلام الهدهد، فلم يكن شائعًا أن تحكم المرأة البلاد، وتعجب من أن قومًا لديهم كل شيء ويسجدون للشمس وتعجب من عرشها العظيم فلم يصدق الهدهد ولم يكذبه إنما: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

وهذا منتهىٰ العدل والحكمة ألا تصدق ولا تكذب حتىٰ تستيقن وتعلم ثم كتب كتابًا وأعطاه للهدهد وقال له: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

ألق الكتاب عليهم وقف في مكان بعيد بحيث تستطيع سماع ردهم علىٰ الكتاب.

اجتماع طارئ لملكة سبأ مع وزرائها:

جلست ملكة سبأ في عرشها المزخرف بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب وحولها كبراء قومها ومستشاروها كعادتها كل يوم وفوجئت أن الهدهد ألقىٰ إليها كتابًا كريمًا، فتحته واطلعت عليه ففوجئت بما فيه واضطربت فمدت يدها بالكتاب الذي ألقاه الهدهد أمامها: ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

هذا هو نص خطاب الملك سليمان ﷺ لملكة سبأ..

إنه يأمرها في خطابه أن تأتيه ومن معها مسلمين هكذا مباشرة، إنه يتجاوز أمر عبادتهم للشمس ولا يناقشهم في فساد عقيدتهم ولا يحاول إقناعهم بشيء الآن إنما يأمر فحسب، أليس مؤيدًا بقوة تسدد الحق الذي يؤمن به؟ لا عليه إذن أن يأمرهم بالتسليم وفورًا.

كان هذا كله واضحًا من لهجة الخطاب القصيرة القوية المهذبة في نفس الوقت..

طرحت الملكة على رؤساء قومها الرسالة، وكانت عاقلة تشاورهم في جميع الأمور: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ كان رد فعل الملأ وهم رؤساء قومها التحدي، أثارت الرسالة بلهجتها القوية المهذبة غرور القوم وإحساسهم بالقوة أدركوا أن هناك من يتحداهم ويلوح لهم بالحرب والهزيمة ويطالبهم بقبول شروطه قبل وقوع الحرب والهزيمة.

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

اغتروا بقوتهم وظنوا أن الأمر تحد للقوة والاستطاعة وظنوا أن هذا ما نسألهم عنه؛ فطمأنوها أن بأسهم شديد..

أراد رؤساء قومها أن يقولوا: نحن على استعداد للحرب ومن العجب أن تجد المرأة تستشيرهم ولكنك تجد من تعود الخضوع والذل والمهانة لا يستطيع أن يحكم رأيه فإنهم في النهاية يقولون: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ إنه والله العجب من هؤلاء الذين رُبُّوا على الذل فلم يعودوا يأنفون منه بل يطلبونه.

ويبدو أن الملكة كانت أكثر حكمة من رؤساء قومها، فإن رسالة سليمان أثارت تفكيرها أكثر مما استنفرتها للحرب.

فكرت الملكة طويلًا في رسالة سليمان عليه السلام كان اسمه مجهولًا لديها لم تسمع به من قبل، وبالتالي كانت تجهل كل شيء عن قوته ربما يكون قويًا إلى الحد الذي يستطيع فيه غزو مملكتها وهزيمتها.

ونظرت الملكة حولها فرأت ضعف من حولها حتى آثروا الذل: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ ورأت كذلك تقدم شعبها وثراءه وخشيت على هذا الثراء والتقدم والترف الذي تعيش ويعيشون فيه من الغزو ورجحت الحكمة في نفسها على التهور، وقررت أن تلجأ إلى اللين وترسل إليه بهدية فإن قبل الهدية فهو ملك يريد ثروات الدنيا، وكأنها كانت تريد أن تمتحن سليمان وتسبر غوره وتعرف مراده.

وقدرت في نفسها أنه ربما يكون طامعًا قد سمع عن ثراء المملكة فطمع فيها

فحدثت نفسها بأن تهادنه وتشتري السلام منه بهدية قدرت في نفسها أيضًا أن إرسالها بهدية إليه سيمكن رسلها الذين يحملون الهدية من دخول مملكته، وسيكون رسلها عيونًا في مملكته، يرجعون بأخبار قومه وجيشه وفي ضوء هذه المعلومات سيكون تقدير موقفها الحقيقي منه ممكنًا.

أخفت الملكة ما يدور في نفسها، وحدثت رؤساء قومها بأنها ترىٰ استكشاف نيات الملك سليمان، عن طريق إرسال هدية إليه انتصرت الملكة للرأي الذي يقضي بالانتظار والترقب، وأقنعت رؤساء قومها بنبذ فكرة الحرب مؤقتًا؛ لأن الملوك إذا دخلوا قرية انقلبت أوضاعها وصار رؤساؤها هم أكثر من فيها تعرضًا للهوان والذل.

واقتنع رؤساء قومها حين لوحت الملكة بما يتهددهم من أخطار: ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ووصلت هدية الملكة بلقيس إلىٰ الملك سليمان عليه السلام...

وصول الرسل بهدية لسليمان عليه السلام:

جاءت الأخبار لسليمان عليه السلام بوصول رسل بلقيس وهم يحملون الهدية، وأدرك سليمان عليه السلام علىٰ الفور أن الملكة أرسلت رجالها؛ ليعرفوا معلومات عن قوته لتقرر موقفها بشأنه، وهكذا لا يغلب الأذكياء الأنبياء... كيف يحتال أصحاب العقول وإن كانت دواهي علىٰ أصحاب الوحي ومعهم العلم الإلهي؟!!

ونادىٰ سليمان عليه السلام في المملكة كلها أن يحتشد الجيش، ودخل رسل بلقيس وسط غابة كثيفة مدججة بالسلاح، فوجئ رسل بلقيس بأن كل غناهم وثرائهم يتبددوسط بهاء مملكة سليمان، وصغرت هديتهم في أعينهم حتىٰ فكروا أن يرجعوا بها ويعتذروا عنها.

وفوجئوا بأن في جيش سليمان أسوداً ونمورًا وطيورًا، وأدركوا أنهم أمام جيش لا يقاوم...

ثم قدموا لسليمان هدية الملكة بلقيس علىٰ استحياء شديد، وقالوا له: نحن نرفض الخضوع لك، لكننا لا نريد القتال، وهذه الهدية علامة صلح بيننا ونتمنىٰ أن تقبلها، نظر سليمان إلىٰ هدية الملكة وأشاح ببصره: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ قال: أنتم تفرحون بالمال والهدايا، فلا تظنوا أننا نفرح بذلك مثلكم، إن ما أعطانا ربنا خير مما آتاكم، وعندنا ما لم تره أعينكم قط.

كشف الملك سليمان ﷺ بكلماته القصيرة عن رفضه لهديتهم، وأفهمهم أنه لا يقبل شراء رضاه بالمال، يستطيعون شراء رضاه بشيء آخر: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

ثم هددهم: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وصل رسل بلقيس إلىٰ سبأ، وهناك هرعوا إلىٰ الملكة وحدثوها أن بلادهم في خطر، حدثوها عن قوة سليمان واستحالة صد جيشه، أفهموها أنها ينبغي أن تزوره وترضاه، وجهزت الملكة نفسها وبدأت رحلتها نحو مملكة سليمان ﷺ...

ولما علم سيدنا سليمان ﷺ بقدومها عليه، وأنها في الطريق إليه، جلس سليمان في مجلس وسط رؤساء قومه ووزرائه وقادة جنده وعلمائه، كان يفكر في بلقيس، يعرف أنها في الطريق إليه تسوقها الرهبة لا الرغبة، ويدفعها الخوف لا الاقتناع، ويقرر سليمان ﷺ بينه وبين نفسه أن يبهرها بقوته لعل ذلك يدفعها للدخول في الإسلام.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ فعرش الملكة بلقيس هو أعجب ما في مملكتها، وأحب ما لديها، كان مصنوعًا من الذهب والجواهر الكريمة، وكانت حجرة العرش وكرسي العرش آيتين في الصناعة والسبك، وكانت الحراسة لا تغفل عن العرش لحظة، هنا: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾﴾.

فقال أحد الجن: أنا أستطيع إحضار العرش قبل أن ينتهي مجلسك، وكان ﷺ

يجلس من الفجر إلىٰ الظهر، وأنا قادر علىٰ حمله، وأمين علىٰ جواهره.

إحضار العرش:

كانت المسافة بين مجلس سليمان ﷺ في فلسطين وعرش ملكة سبأ في اليمن تقدر بالآف الأميال، تعهد الجني أن يأتي بالعرش في ساعات معدودة قبل أن ينصرف سليمان ﷺ عن مجلسه.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

لكن شخصًا آخر كان يستطيع أن يحضر عرش الملكة في وقت أقل، قال رجل عنده علم من الكتاب لسليمان ﷺ: أنا أستطيع إحضار العرش في الوقت الذي تستغرقه العين في الرمشة الواحدة، وهذا بفضل علم الكتاب الذي يحمله.

ولم يكد سليمان ﷺ ينتهي من كلماته حتىٰ كان العرش ماثلًا أمامه، لقد أحضره بمعجزة خارقة من الله ﷻ.

هذا هو العرش ماثل أمام سليمان ﷺ تأمل تصرف سليمان بعد هذه المعجزة، لم يستخفه الفرح بقدرته، ولم يزهه الشعور بقوته؛ وإنما أرجع الفضل لمالك الملك، وشكر الله الذي يمتحنه بهذه القدرة ليرىٰ أيشكر أن يكفر.

رأىٰ سيدنا سليمان عرش الملكة مستقرًا أمامه فقال بمنتهىٰ الذل لله والتواضع لعظمة الله وإخبات القلب للرب: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

صلىٰ الله وسلم علىٰ سليمان، لم تغيره النعم ولم يطغه الملك ولم يستخفه الزهو والفرح بالانتصار؛ وإنما زاده تواضعًا لله؛ فزاده الله عفوًا.

تأمل سليمان عرش الملكة طويلًا ثم أمر بتغييره أمر بإجراء بعض التعديلات عليه؛ ليمتحن بلقيس حين تأتي ويرىٰ هل تهتدي إلىٰ عرشها أم تكون من الذين لا يهتدون، وهذا أيضًا من أدب الأنبياء الجم، فلم يقل: أم تكون غبية أو بليدة أو غير

هذا من الكلمات ولكن قال: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾.

أمر سليمان عليه السلام ببناء قصر يستقبل فيه بلقيس، واختار مكانًا رائعًا على البحر وأمر ببناء القصر بحيث يقع معظمه داخل مياه البحر، وأمر أن تصنع أرضية القصر من زجاج شديد الصلابة، وعظيم الشفافية في نفس الوقت؛ لكي يسير السائر في أرض القصر ويتأمل تحته الأسماك الملونة وهي تسبح ويرى أعشاب البحر وهي تتحرك.

تم بناء القصر ومن فرط نقاء الزجاج الذي صنعت منه أرض حجراته، لم يكن يبدو أن هناك زجاجًا، تلاشت أرضية القصر في البحر وصارت ستارًا زجاجيًا خفيًا فوقه.

وجاءت بلقيس مفتخرة متكبرة، تظن أنها تستطيع أن تفتن سليمان أو تقنع سليمان، أو تتلاعب أمام سليمان، ولكنها وجدت أول ما وصلت مفاجأة لم تخطر قط ببالها، ولم يتحملها عقلها، بل أبلست وأصابها الذهول: دخلت أول ما دخلت فرأت عرشها!! وتفرك بلقيس عينيها وتحرك رأسها ويديها هل هو حقًا عرشها لا يمكن.. كيف جاء؟ متى جاء؟ ومن أتى به؟ وقفت الملكة أمام عرشها ذاهلة تفكر كيف سبقها بالمجيء وقد تركته وعليه الحراس.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

تصور الآية موقف الحوار بين سليمان وبلقيس ونظرت بلقيس إلى عرشها فرأته عرشها تمامًا فإذا كان عرشها؛ فكيف سبقها في المجيء؟ وإذا لم يكن عرشها؛ فكيف أمكن تقليده بهذه الدقة؟

قال سليمان وهو يراها تتأمل العرش: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾.

قالت بلقيس بعد حيرة قصيرة: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

قال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

توحي عبارته الأخيرة إلىٰ الملكة بلقيس أن تقارن بين عقيدتها وعلمها وعقيدة سليمان عليه السلام المسلمة وحكمته، إن عبادتها للشمس ومبلغ العلم الذي هم عليه يصابان بالخسوف الكلي أمام علم سليمان عليه السلام وإسلامه.

لقد سبقها سليمان عليه السلام إلىٰ العلم بالإسلام، بعدها صار من السهل عليه أن يسبقها في العلوم الأخرىٰ، هذا ما توحي به كلمة سليمان لبلقيس.

أدركت بلقيس أن هذا هو عرشها، لقد سبقها إلىٰ المجيء وأنكرت فيه أجزاء ولكن ما أذهل عقلها كيف سبقها العرش بكل أجزائه وقطع الطريق بسرعة وهي لم تزل تقطع الطريق لسليمان!! أي قدرة يملكها هذا النبي الملك سليمان؟!

إسلام بلقيس:

انبهرت بلقيس بما شاهدته من إيمان سليمان وصلاته لله، مثلما انبهرت بما رأته من تقدمه في الصناعات والفنون والعلوم، وأدهشها أكثر من هذا الاتصال العميق بين إسلام سليمان وعلمه وحكمته: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

انتهىٰ الأمر واهتزت داخل عقلها آلاف الأشياء، رأت عقيدة قومها تتهاوىٰ هنا أمام سليمان عليه السلام وأدركت أن الشمس التي يعبدها قومها ليست غير مخلوق خلقه الله تعالى وسخره لعباده، وانكسفت الشمس للمرة الأولىٰ في قلبها وأضاء القلب نور جديد لا يغرب مثلما تغرب الشمس، صارت مسألة إعلانها لهذا الإيمان مسألة وقت: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

قيل لبلقيس: ادخلي القصر، فلما نظرت لم تر الزجاج، ورأت المياه، وحسبت أنها ستخوض البحر ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾.

حتىٰ لا يبتل رداؤها فنبهها سليمان -دون أن ينظر- ألا تخاف علىٰ ثيابها من البلل ليس هناك مياه: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ إنه زجاج ناعم لا يظهر من فرط

نعومته، ثم وقفت منبهرة أمام أرضية القصر البلورية الشفافة التي تسبح تحتها الأسماك، اعترفت بلقيس بظلمها لنفسها وأسلمت ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتابعها قومها علىٰ الإسلام.

أدركت أنها تواجه أعظم ملوك الأرض، وأحد أنبياء الله الكرام، وهكذا قادها الانبهار إلىٰ تحطيم الغرور، والاستسلام لله رب العالمين.

لا شيء أهم من الصلاة:

كان سيدنا سليمان عليه السلام دائمًا يؤدي الصلاة في وقتها، وكانت الصلاة دائمًا عنده أهم شيء، ولا يشغله عنها شيء، وكان سليمان عليه السلام يحب الخيل كثيرًا خصوصًا (الصافنات) وهي التي تقف علىٰ ثلاث قوائم وطرف حافر القائمة الرابعة وهي من علامات خفته، وكريم أصله وحسن خلاله وهي من أجود أنواع الخيول وأسرعها، وفي يوم من الأيام بدأ استعراض هذه الخيول أمام سليمان عصرًا فأخذ ينظر إليها ويتأمل فيها فطال الاستعراض فشغله عن الصلاة حتىٰ غابت الشمس فانتبه وأنب نفسه؛ لأن حبه لهذه الخيول شغله عن ذكر ربه حتىٰ غابت الشمس فأمر بإرجاع الخيول له ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أخذ يمسح عليها ويستغفر الله عز وجل فكان يمسحها ليرىٰ السقيم منها من الصحيح؛ لأنه كان يعدها للجهاد في سبيل الله.

ورغم كل هذه النعم العظيمة والمنح الخاصة فقد فتن سليمان عليه السلام اختبره الله سبحانه وتعالى وامتحنه والفتنة امتحان دائم وكلما كان العبد عظيمًا كان امتحانه عظيمًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ»** [صحيح سبق تخريجه] فتن الله سبحانه وتعالى سليمان بالمرض وقال الله عز وجل **في ذلك**: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

وحقيقة هذه الفتنة أن سليمان ابتلي بمرض حار فيه الطب، مرض سليمان عليه السلام مرضًا شديدًا حار فيه أطباء الإنس والجن، وأحضرت له الطيور أعشابًا طبية من أطراف الأرض فلم يشف، وكل يوم كان المرض يزيد عليه حتىٰ أصبح سليمان إذا جلس علىٰ كرسيه كأنه جسد بلا روح، كأنه ميت من كثرة الإعياء والمرض، واستمر

هذا المرض فترة كان سليمان عليه السلام فيها لا يتوقف عن ذكر الله وطلب الشفاء منه واستغفاره وحبه، وانتهىٰ امتحان الله تعالى لعبده سليمان عليه السلام وشفي سليمان، عادت إليه صحته بعد أن عرف أن كل مجده وكل ملكه وكل عظمته لا تستطيع أن تحمل إليه الشفاء إلا إذا أراد الله تعالى هذا هو الرأي الذي نرتاح إليه، ونراه لائقًا بعصمة نبي حكيم وكريم كسليمان عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

حوله المرض إلىٰ شيء كالجسد، ولفظ الجسد في اللغة يطلق علىٰ ما فارقته الحياة أو الصحة لقد تحول سليمان عليه السلام إلىٰ جسد من فرط المرض، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ ثم رجع إلىٰ الصحة استجار برحمة الله تعالى فشفاه الله ورحمه.

عاش سليمان عليه السلام وسط مجد دانت له في الأرض، ثم قدر الله تعالى عليه الموت فمات، ومثلما كانت حياة سليمان عليه السلام قمة في المجد الذي يمتلئ بالعجائب والخوارق كان موته آية من آيات الله عز وجل تمتلئ بالعجائب والخوارق، وهكذا جاء موته منسجمًا مع حياته، متسقا مع مجده جاء نهاية فريدة لحياة فريدة وحافلة، قال تعالى عن موت سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

لقد قدر الله تعالى أن يكون موت سليمان عليه السلام بشكل ينفي تمامًا فكرة معرفة الجن للغيب، تلك الفكرة التي فتن الناس بها فاستقرت في أذهان بعض البشر والجن.

كان الجن يعملون لسليمان عليه السلام طالما هو حي، فلما مات انتهىٰ تسخيرهم له، وأعفوا من تبعة العمل معه وقد مات سليمان عليه السلام دون أن يعلم الجن فظلوا يعملون له، وظلوا مسخرين لخدمته، ولو أنهم كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

كان سليمان متكئًا علىٰ عصاه يراقب الجن وهم يعملون، فمات وهو علىٰ

وضعه متكئًا على العصا، ورآه الجن فظنوا أنه يصلي واستمروا في عملهم، ومرت أيام طويلة، ثم جاءت دابة الأرض، وهي نملة تأكل الخشب، وبدأت تأكل عصا سليمان عليه السلام كانت جائعة فأكلت جزءًا من العصا، استمرت النملة تأكل العصا أيامًا، كانت تأكل الجزء الملامس للأرض فلما ازداد ما أكلته منها اختلت العصا وسقطت من يد سليمان عليه السلام اختل بعدها توازن الجسد العظيم فهوى إلى الأرض، ارتطم الجسد العظيم بالأرض فهرع الناس إليه.

أدركوا أنه مات من زمن، تبين الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وعرف الناس هذه الحقيقة أيضًا، لو كان الجن يعلمون موته ما لبثوا في العذاب المهين، ما لبثوا يعملون وهم يظنون أن سليمان عليه السلام حي، بينما هو ميت منذ فترة.

بهذه النهاية العجيبة ختم الله سبحانه وتعالى حياة هذا النبي الملك سليمان عليه السلام.

من فوائد القصة:

١- خير ميراث يرثه الولد من والده العلم والفقه.

٢- لما غار سليمان عليه السلام لله من الخيل التي شغلته عن صلاة العصر وآثر الله على هواه أعطاه الله ما هو أسرع وأقوى من الخيل وهو الريح، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

٣- إذا أنعم الله على عبده بنعمة فلابد من شكرها فالشكر يزيد النعم.

٤- الشورى في الأمر تجعل القرار سديدًا صائبًا والله سبحانه وتعالى قال لخير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

٥- الهدية تجلب المحبة وتذهب وحر الصدر وتسكن الغضب.

٦- الملوك إذا تمكنوا من بلد أفسدوا فيها وجعلوا ملوكها أذل الناس.

٧- أعطى الله الجن قدرات في سرعة الانتقال والتشكل وغير ذلك، لكنهم لا يعلمون شيئًا من الغيب، ولا يملكون نفعًا ولا ضرًا.

٨- فتنة التزيين من أخطر الفتن التي تضيع الدين، فاحذر من العجب والغرور، أن يزين الشيطان لك الباطل فتظنه حقًا، وتنسىٰ الحق وتبتعد عنه - اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

٩- استنكر الهدهد بفطرته السليمة عبادة الشمس، ولكنه استدل علىٰ توحيد الله بعلمه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة النمل: ٢٥] لأنه يمد منقاره فيستخرج ما في باطن الأرض من رزقه وطعامه، ويعلم أن هذه مهارة لم يؤتها كثير من الطيور غيره؛ فاستدل أن الله العظيم يعلم بواطن الأمور، ويخرج الخبايا في السموات والأرض.

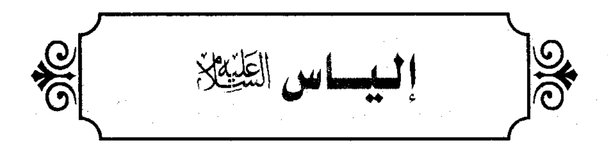
استفد من ذلك -يا بن الإسلام- أن ترفع لله راية في مجالك فإن كنت طبيبًا فاخدم الدين بالطب واستدل بالطب علىٰ التوحيد وزيادة الإيمان، وكثرة العبادة وكذلك المهندس والتاجر والمزارع والمدرس ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٤] ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤]

١٠- قبول الحق ممن جاء به وإقراره مهما كان قائله فقد أثبت الله قول بلقيس ملكة سبأ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ وأقرها ﷻ عليه فقال - جل من قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

١١- إذا عرفت مقدار نعمة الله عليك لم يستطع أحد أن يتطاول عليك: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

١٢- لابد من معاملة الناس كلٌّ علىٰ قدره ودعوته بطريقته التي يفهمها، انظر كيف أدىٰ انبهار بلقيس بالعرش والصرح إلىٰ إسلامها، هكذا فاعمل..

ارفع للإسلام بمهنتك راية..



﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

إلى من أرسل؟

أرسل الله ﷻ نبيه إلياس إلىٰ أهل مدينة بعلبك غربي دمشق، وكان أهل مدينة بعلبك يعبدون من دون الله صنما اسمه بعل.

قال لهم النبي إلياس عليه السلام: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

واستنكر عبادتهم للصنم فقال: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ﴾ ؟!

كيف تعبدون هذا الصنم الذي لا يتكلم ولا يسمع الدعاء؟ وتتركون الخالق العظيم الذي أحسن كل شيء خلقه.. إنه استنكار شديد كيف تتركون الله، وتقبلون علىٰ بعل؟ الصنم الجاهل الذي لم يخلق ولا يملك؟

ثم دعاهم إلىٰ عبادة الله ﷻ: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦)﴾.

قبل أن يتعللوا بمعبودات الآباء وآلهة الأجداد، أفحمهم بأن الله رب العالمين هو سبحانه ربهم ورب آبائهم الأولين لا إله غيره ولا رب سواه.

ولكن قوم إلياس كذبوه ورفضوا أن يتركوا عبادة الأصنام.

وعندما رأوا إصرار سيدنا إلياس عليه السلام علىٰ الدعوة إلىٰ الله ﷻ حاولوا أن يقتلوه فهرب منهم واختفىٰ في كهف بالجبل ويقال: إن الغربان كانت تحمل إليه طعامه حتىٰ لا يموت جوعًا.

توعد الله ﷻ قوم إلياس بالعذاب في الدنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ واستثنىٰ منهم من آمن مع إلياس عليه السلام فقال ﷻ: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾.

ومدح الله نبيه إلياس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾.

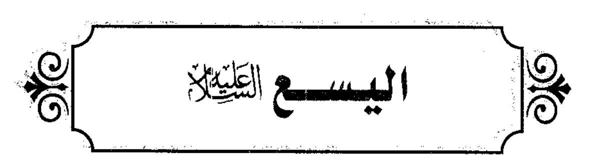
لقد أعد الله تعالى له ثوابًا في الدنيا وهو أن الناس ستذكره دائمًا بالخير وهم يقرءون القرآن أما في الآخرة فهو في أعلى مكانة مع الرسل والأنبياء.

من فوائد القصة:

١- ينبغي أن يغار المؤمن حقًا عندما يرى الناس يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ويتركون عبادة الله الذي خلقهم ويرزقهم وحده.

٢- كثيرًا ما يعارض الدعاة بالصد والتكذيب لكن الله يحفظهم من أعدائهم، ويدبر لهم أمرهم.

٣- أعد الله لعباده الصالحين في الآخرة ثوابًا يزيل عنهم نصب الدنيا وتعبها.



اليسـع عليه السلام

﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾

هو نبي من أنبياء الله عز وجل آتاه النبوة بعد إلياس عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قام بتبليغ الدعوة بعد انتقال إلياس عليه السلام إلىٰ جوار الله فقام يدعو إلىٰ الله مستمسكًا بمنهاج نبي الله إلياس وشريعته وقد كثرت في زمانه الأحداث والخطايا وكثر الملوك الجبابرة فقتلوا الأنبياء وشردوا المؤمنين فوعظهم اليسع عليه السلام وخوفهم من عذاب الله عز وجل ولكنهم لم يأبهوا بدعوته.

ثم توفاه الله وسلط علىٰ بني إسرائيل من يسومهم سوء العذاب..

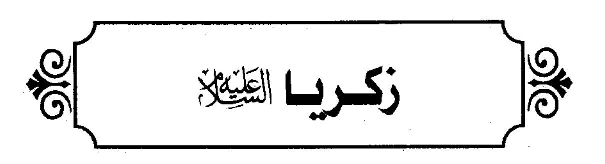
وقد أثنىٰ الله عليه في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾.

من فوائد القصـة:

١- لا يخلو زمن من نبي يهدي الناس، ويدلهم علىٰ طريق رضا الله.

٢- تتابع الرسل ينقذ البشر، وفي أمتنا ورث العلماء وظيفة الرسل؛ لإنقاذ أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ليتك تكون منهم.





﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾

من هو زكريا؟

في ذلك العصر القديم كان هناك في بني إسرائيل نبي صالح، وكان هناك أيضًا عالم عظيم يصلي بالناس، كان اسم النبي زكريا عليه السلام، أما العالم العظيم الي اختاره الله للصلاة بالناس، فكان اسمه عمران عليه السلام.

كان زكريا عليه السلام يعيش وحده مع زوجته في فلسطين وسط قومه، فلم يرزقه الله بالأولاد رغم تقدمه في السن، ولم ييأس سيدنا زكريا عليه السلام من رحمة الله، بل كان يدعوه دائمًا أن يرزقه بالأولاد، وكان زكريا نجارًا يأكل من كسب يده كما كان جده داود عليه السلام يأكل من عمل يده.

ميلاد مريم:

وكانت زوجة عمران ذلك الإمام العالم لا تلد، وذات يوم رأت طائرًا يطعم ابنه الطفل في فمه ويسقيه، ويأخذه تحت جناحه خوفًا عليه من البرد، فأحيا هذا المشهد في قلبها حنينها إلىٰ ولد تؤويه وتعطف عليه، وذكرها هذا الموقف الأمومي بنفسها فسألت الله تبارك وتعالى أن يرزقها ذرية صالحة، ورفعت يديها وراحت تدعو خالقها أن يرزقها بطفل..

واستجاب الله لها فأحست ذات يوم أنها حامل، وملأها الفرح والشكر لله فنذرت ما في بطنها محررًا لله: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

كان معنىٰ هذا أنها نذرت لله أن يكون ابنها خادمًا للمسجد طوال حياته، يتفرغ لعبادة الله ﷻ وخدمة بيته، وأن يكون حرًا من العبودية لغير الله.

ومات عمران وزوجته حامل، واطمأن الأب ذلك العالم الإمام بعد أن حملت زوجته، وغادر الدنيا وهو يعلم أنه سيخلفه ولد، أيًا كان نوعه، ذكرًا أو أنثىٰ.

وجاء يوم الوضع، ووضعت زوجة عمران بنتًا، وفوجئت الأم! كانت تريد ولدًا؛ ليكون في خدمة المسجد والعبادة، فلما جاء المولود أنثىٰ حزنت وتألمت وفكرت:

هل تصلح الأنثىٰ لخدمة المسجد؟!

هل تصلح الأنثىٰ أن توهب وتكون قد وفَّت بنذرها؟!

وفي النهاية قررت الأم أن تفي بنذرها لله، برغم أن الذكر ليس كالأنثىٰ، وسألت الله القبول ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾.

سمع الله ﷻ دعاء زوجة عمران، والله يسمع ما نقوله، وما نهمس به لأنفسنا، وما نتمنىٰ أن نقوله ولا نفعله، يسمع الله ﷻ هذا كله ويعرفه، سمع الله زوجة عمران وهي تخبره أنها قد وضعت بنتًا، والله أعلم بما وضعت، الله وحده هو الذي يختار نوع المولود فيخلقه ذكرًا أو يخلقه أنثىٰ، سمع الله زوجة عمران تسأله أن يحفظ هذه الفتاة التي سمتها مريم وأن يحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ**» ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: «اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾» [صحيح البخاري (٣٢٤٨)].

من يكفل مريم؟

أثار ميلاد مريم بنت عمران مشكلة صغيرة في بداية الأمر، كان عمران قد مات

قبل ولاذة مريم كما علمنا، وأراد علماء ذلك الزمان وشيوخه أن يربوا مريم، كل واحد يتسابق لنيل هذا الشرف، أن يربي ابنة شيخهم الجليل العالم وصاحب صلاتهم وإمامهم فيها.

قال زكريا: أكفلها أنا، هي قريبتي، فزوجتي خالتها، وأنا نبي هذه الأمة وأولاكم بها.

وقال العلماء والشيوخ: ولماذا لا يكفلها أحدنا؟ لا نستطيع أن نتركك تحصل علىٰ هذا الفضل بغير اشتراكنا فيه.

ثم اتفقوا علىٰ إجراء قرعة، من يكسب القرعة هو الذي يكفل مريم، ويربيها، ويكون له شرف خدمتها، حتىٰ تكبر هي وتخدم المسجد وتتفرغ لعبادة الله، وأجريت القرعة وضعت مريم وهي مولودة علىٰ الأرض، ووضع إلىٰ جوارها أقلام الذين يرغبون في كفالتها وأحضروا طفلا صغيرا وأمروه أن يختار قلما من الأقلام الموضوعة بجوار مريم فأخرج قلم زكريا عليه السلام

قال زكريا عليه السلام حكم الله لي بأن أكفلها.

قال العلماء والشيوخ: لا، القرعة ثلاث مرات.

وراحوا يفكرون في القرعة الثانية حفر كل واحد اسمه علىٰ قلم خشبي وقالوا: نلقي بأقلامنا في النهر، من سار قلمه ضد التيار وحده فهو الغالب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وألقوا أقلامهم في النهر، فسارت أقلامهم جميعا مع التيار ما عدا قلم زكريا عليه السلام سار وحده ضد التيار، وظن زكريا أنهم سيقتنعون، لكنهم أصروا علىٰ أن تكون القرعة ثلاث مرات، قالوا: نلقي أقلامنا في النهر، القلم الذي يسير مع التيار وحده يأخذ مريم، وألقوا أقلامهم فسارت جميعا ضد التيار ما عدا قلم زكريا وسلموا لزكريا، وأعطوه مريم ليكفلها..

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾

وبدأ زكريا عليه السلام يخدم مريم ويربيها ويكرمها حتىٰ كبرت..

وأصبح لها مكان خاص تعيش فيه في المسجد، محراب تتعبد فيه لله، وكانت لا تغادر مكانها إلا قليلًا، يذهب وقتها كله في الصلاة والعبادة، والذكر والشكر والحب لله..

من كرامة الله لـمريم:

وجعل زكريا يزورها أحيانًا في المحراب، فيفاجئه كلما دخل عليها أنه أمام شيء مدهش، يكون الوقت صيفًا فيجد عندها فاكهة الشتاء، ويكون الوقت شتاء فيجد عندها فاكهة الصيف.

ويسألها زكريا: من أين جاءك هذا الرزق..؟

فتجيب مريم: إنه من عند الله..

وتكرر هذا المشهد أكثر من مرة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

وهنا.. تاقت نفس زكريا إلىٰ الولد لما رأىٰ من كرامات مريم عليها السلام.

وفي هذا الوقت كان زكريا عليه السلام شيخًا عجوزًا ضعف عظمه، واشتعل رأسه بالشعر الأبيض، وأحس أنه لن يعيش طويلًا وكانت زوجته وهي خالة مريم عجوزًا مثله ولم تلد من قبل في حياتها؛ لأنها عاقر، وكان زكريا يتمنىٰ أن يكون له ولد يرث علمه ويصير نبيًا ويستطيع أن يهدي قومه ويدعوهم إلىٰ كتاب الله ومغفرته، وكان زكريا لا يقول أفكاره هذه لأحد، حتىٰ لزوجته، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يعلمها قبل أن تقال، ودخل زكريا عليه السلام ذلك الصباح علىٰ مريم في المحراب فوجد عندها فاكهة ليس هذا أوانها.

سألها زكريا: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾.

فقالت مريم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

زكريا يطلب من الله ولدا:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ : يعني في هذا الوقت، وفي هذا المكان.. هنالك..

قال زكريا عليه السلام في نفسه: سبحان الله، قادر على كل شيء، وغرس الحنين بذوره في قلبه وتمنى الذرية، فدعا ربه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ هذه مناجاة يخضع القلب لها، وتخشع النفس لها، وتأمل معي هذ ا الدعاء الخفي، وانظر كيف تكون عبادة الدعاء، وكيف يكون الدعاء للودود تعالى، وكيف يكون الطمع في فضل الله ورحمته بعيدًا عن الأسباب.

هذه والله عبادة يخضع لها: ناجى زكريا ربه الرحمن الرحيم في خفاء وسر، وهو يعلم أن ربه يعلم السر وأخفى، ولكن بمنتهى الرقة والخشوع كما وصفه ربه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ .

وحكى لربه القصة كلها: ضعفه... وهنه... شيبه... رجاؤه... خوفه..

حكى كل شيء، وهكذا فافعل، واتخذ الله من دون خلقه وليًا، سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

سأل زكريا خالقه بغير أن يرفع صوته أن يرزقه طفلًا يرث النبوة والحكمة والفضل والعلم، وكان زكريا خائفًا أن يضل القوم من بعده ولم يبعث فيهم نبي، فرحم الله تعالى زكريا عليه السلام واستجاب له، فلم يكد زكريا يهمس في قلبه بدعائه لله حتى نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب، يعني أنه كان مازال في محراب مريم حين حنت نفسه إلى الولد، ومازال يدعو، وقبل أن ينصرف جاءته البشري: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ .

فوجئ زكريا بهذه البشرى، أن يكون له ولد لا شبيه له أو مثيل من قبل، أحس

زكريا من فرط الفرح باضطراب، تساءل من موضع الدهشة: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾.

أدهشه أن ينجب وهو شيخ كبير وامرأته عجوز عقيم لا تلد...

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾.

أفهمته الملائكة أن هذه مشيئة الله وليس أمام مشيئة الله إلا النفاذ، وليس هناك شيء يصعب علىٰ الله ﷻ، كل شيء يريده يأمره أن يكون فيكون، وقد خلق الله زكريا نفسه من قبل ولم يكن له وجود، وكل شيء يخلقه الله ﷻ بمجرد المشيئة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ امتلا قلب زكريا بالشكر لله وحمده وتمجيده، وسأل ربه أن يجعل له آية أو علامة، يطمئن بها قلبه عند حصول الحمل لزوجته: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾.

أخبره الله ﷻ أنه ستجيء عليه ثلاثة أيام لا يستطيع فيها النطق، سيجد نفسه غير قادر علىٰ الكلام سيكون صحيحًا غير معتل، إذا حدث له هذا أيقن أن امرأته حامل، وأن معجزة الله قد تحققت، وعليه ساعتها أن يتحدث إلىٰ الناس عن طريق الإشارة، وأن يسبح الله كثيرًا في الصباح والمساء، شكرًا لله علىٰ نعمه..

وخرج زكريا عليه السلام يومًا علىٰ الناس وقلبه مليء بالشكر، وأراد أن يكلمهم فاكتشف أن لسانه لا ينطق، وعرف أن معجزة الله قد تحققت، فأومأ إلىٰ قومه أن يسبحوا الله في الفجر والعشاء، وراح هو يسبح الله في قلبه، صلىٰ لله ﷻ شكرًا علىٰ استجابته لدعوته ومنحه يحيىٰ...

وبين الله ﷻ سبب إجابته لدعوة سيدنا زكريا في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾، إنه كان يسارع في الخيرات، ويدعوا الله ﷻ في السر والعلن، في الرخاء والضيق، رغبة في رضائه وخوفًا من عقابه.

وامتن الله علىٰ زكريا بغلام اسمه يحيىٰ، له صفات خاصة لم تكن لأحد قبله، وفرح زكريا بولده، ورباه علىٰ الإيمان والتوحيد والدعوة إلىٰ الله ﷻ، وآتىٰ الله يحيىٰ الحكم صبيًا.

ظل زكريا عليه السلام يدعو إلىٰ ربه حتىٰ جاءت وفاته.

ولم ترد روايات صحيحة عن وفاته عليه السلام، ولكن روايات كثيرة -ضعيفة- أوردت أن قتله كان علىٰ يد جنود الملك الظالم.

من فوائد القصة:

١- للمؤمن في كل موقف عبرة، وفي كل مشهد عظة؛ فلا تكن غافلًا.

٢- كلما كان العمل خفيًا كان أقرب للإخلاص، ومن ثم يكون متقبلًا.

٣- التنافس إلىٰ الخيرات علامة علىٰ صلاح القلب وإيمان العبد.

٤- يجوز فض المنازعة بالقرعة، وكان النبي ﷺ إذا أراد أقرع بين نسائه.

٥- كرامات الأولياء ثابتة لأهل السنة، ومن كرامة الله لمريم أن يكون عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف.

٦- ليس لك إلا الله؛ فافزع إلىٰ الله في كل حوائجك، وكن علىٰ ثقة ويقين من قدرة الله علىٰ استجابة دعائك، وإن لم يكن هناك أسباب، قال رسول الله ﷺ: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ**» [حسن، الترمذي (٣٤٧٩)].



يحيى عليه السلام

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

ابن نبي الله زكريا عليه السلام، ولد استجابة لدعاء زكريا لله أن يرزقه الذرية الصالحة فجعل الله تبارك وتعالى آيه مولده أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سويًا، وقد كان يحيىٰ عليه السلام نبيًا وحصورًا ومن الصالحين، كم كان بارًا تقيًا ورعًا منذ صباه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾.

هذا هو يحيىٰ عليه السلام، نبي الله الذي شهد الحق عز وجل له أنه لم يجعل له من قبل شبيهًا ولا مثيلًا، وهو النبي الذي فضله الله سبحانه بفضائل عظيمة وفريدة:

- ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.
- ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.
- ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾.
- ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.
- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.
- ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾.
- ﴿وَسَيِّدًا﴾.
- ﴿وَحَصُورًا﴾.
- ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وهذه نعم ومنن وإكرامات لعبد الله ونبيه ورسوله يحيىٰ عليه السلام لعلها لم تجتمع لأحد غيره.

ومثلما أوتي الخضر علمًا من لدن الله، أوتي يحيىٰ حنانًا من لدن الله، والعلم مفهوم، والحنان هو العلم الشمولي الذي يشيع في نسيجه حب عميق للكائنات ورحمة بها، كأن الحنان درجة من درجات الحب الي ينبع من العلم.

ولقد كان يحيىٰ عليه السلام في الأنبياء نموذجًا لا مثيل له في النسك والزهد والحب الإلهي، هو النبي الناسك، كان يفيض حبًا لكل الكائنات، وأحبه الناس، وأحبته الطيور والوحوش والصحاري والجبال؛ لأنه حنانًا من ربه.

كان يحيىٰ عليه السلام معاصرًا لعيسىٰ عليه السلام وقريبه من جهة الأم (ابن خالة أمه).

طفوله يحيى عليه السلام:

ولد يحيىٰ عليه السلام، وكان ميلاده معجزة، فقد جاء لأبيه زكريا بعد عمر طال حتىٰ يئس الشيخ من الذرية، وجاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب النبي زكريا عليه السلام.

ولد يحيىٰ عليه السلام فجاءت طفولته غريبة عن دنيا الأطفال، كان معظم الأطفال يمارسون اللهو، أما هو فكان جادًا طوال الوقت، كان بعض الأطفال يتسلىٰ بتعذيب الحيوانات، وكان يحيىٰ يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بها، وحنانًا عليها، ويبقىٰ هو بغير طعام، أو يأكل من أوراق الشجر أو ثمارها.

وكلما كبر يحيىٰ عليه السلام في السن زاد النور في وجهه وامتلأ قلبه بالحكمة وحب الله والمعرفة والسلام، وكان يحيىٰ عليه السلام يحب القراءة، وكان يقرأ في العلم من طفولته، فلما صار صبيًّا ناداه ربه عز وجل: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾.

أوحىٰ الله سبحانه وتعالى ليحيىٰ عليه السلام وهو صبي أن يأخذ الكتاب بقوة، بمعنىٰ أن يدرس الكتاب بإحكام، كتاب الشريعة، رزقه الله الإقبال علىٰ معرفة الشريعة والقضاء بين الناس وهو صبي، كان أعلم الناس وأشدهم حكمة في زمانه، درس الشريعة دراسة كاملة، ولهذا السبب آتاه الله الحكمة وهو صبي، كان يحكم بين الناس، وبَيَّن لهم أسرار الدين، ويعرفهم طريق الصواب ويحذرهم من طريق الخطأ.

وكبر يحيىٰ فزاد علمه، وزادت رحمته، وزاد حنانه بوالديه، والناس، والمخلوقات، والطيور، والأشجار، حتىٰ عم حنانه الدنيا وملأها بالرحمة، كان يدعو الناس إلىٰ التوبة من الذنوب، وكان يدعوا الله لهم، ولم يكن هناك إنسان يكره يحيىٰ أو يتمنىٰ له الضرر، كان محبوبًا لحنانه وزكاته وتقواه وعلمه وفضله، ثم زاد يحيىٰ عليه السلام علىٰ ذلك بالتنسك.

الواعظ الصادق:

وكان سيدنا يحيىٰ عليه السلام إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلىٰ الله أبكاهم من الحب والخشوع، وأثر في قلوبهم بصدق الكلمات وكونها قريبة العهد من الله وعلىٰ عهد الله... وخرج يحيىٰ ذات صباح علىٰ الناس، امتلأ المسجد بالناس، ووقف يحيىٰ بن زكريا عليه السلام وبدأ يتحدث، قال: «**إِنَّ اللهَ** عز وجل **أَمَرَنِي بِكَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهَا، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ بِلَا شَرِيكٍ، فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ؛ فَهُوَ مِثْلُ عَبْدٍ اشْتَرَاهُ سَيِّدُهُ، فَرَاحَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي ثَمَنَ عَمَلِهِ لِسَيِّدٍ غَيْرِ سَيِّدِهِ، أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَنْظُرُ إِلَىٰ عَبْدِهِ وَهُوَ يُصَلِّي، مَا لَمْ يَلْتَفِتْ عَنْ صَلَاتِهِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَاخْشَعُوا، وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ جَمِيلِ الرَّائِحَةِ، كُلَّمَا سَارَ هَذَا الرَّجُلُ فَاحَتْ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ الْمُعَطّرِ، وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ** عز وجل **كَثِيرًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ أَعْدَاؤُهُ، فَأَسْرَعَ لِحِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَغْلَقَهُ عَلَيْهِ، وَأَعْظَمُ الْحُصُونِ ذِكْرُ اللهِ، وَلَا نَجَاةَ بِغَيْرِ هَذَا الْحِصْنِ**» [صحيح الترمذي (٢٨٦٣)].

هكذا كان سيدنا يحيىٰ عليه السلام بليغًا فصيحًا يدعو قومه دعوة واضحة ببيان سهل، وضرب للأمثلة تؤدي إلىٰ الاقتناع التام، ولذلك كان بنو إسرائيل يحبونه ويسمعون منه.

الحزم في الحق:

ولكن كان أحد ملوك ذلك الزمان طاغية ضيق العقل قاسي القلب يستبد برأيه، وكان الفساد منتشرًا في بلاطه، وكان يسمع أنباء متفرقة عن يحيىٰ فيدهش من حب

الناس ليحيىٰ؛ ويعجب لأن الناس يحبون أحدًا بهذا القدر، وهو ملك ورغم ذلك لا يحبه أحد.

وكان الملك يريد الزواج من ابنة أخيه، حيث أعجبه جمالها، وهي أيضًا طمعت بالملك، وشجعتها أمها علىٰ ذلك، وكان يعلمون أن هذا حرام في دينهم، فأراد الملك أن يأخذ الإذن من يحيىٰ ﷺ، فذهبوا يستفتون يحيىٰ ويغرونه بالأموال ليستثني الملك. لم يكن لدىٰ الفتاة أي حرج من الزواج بالحرام، فلقد كانت سيئة الخلق، لكن يحيىٰ ﷺ أعلن أمام الناس تحريم زواج البنت من عمها، حتىٰ يعلم الناس -إن فعلها الملك- أن هذا انحراف، فغضب الملك وأسقط في يده، فامتنع عن الزواج.

لكن الفتاة كانت لا تزال طامعة في الملك، فذهبت إليه بعدما تزينت وأغرته وفتنته حتىٰ تعلق بها، وأصر علىٰ الزواج منها، وهنا امتنعت منه وأصرت علىٰ ذلك، والملك يزداد حرصًا عليها، فاشترطت عليه شرطًا، فقالت للملك: ائتني برأس يحيىٰ مهرًا لي وإلا فلا، فأرسل جنوده ودخلوا علىٰ يحيىٰ ﷺ وهو يصلي في المحراب، وقتلوه، وقدموا رأسه علىٰ صحن للملك، فقدم الصحن إلىٰ هذه الفتاة وتزوجها بالحرام.

إنها نهاية حزينة ومؤلمة لهذا النبي العظيم يحيىٰ، ولكن هكذا يكون الابتلاء، كما قال رسول الله ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ**» [صحيح الجامع (٩٩٢)].

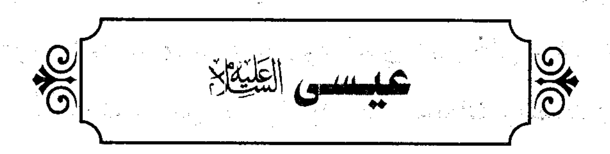
من فوائد القصة:

١- من صفَّىٰ سريرته وأخلص نيته جعل الله له في قلوب المؤمنين وُدًّا.

٢- بداية استقامة الإنسان ونباهته من الطفولة، والتعليم في الصغر كالنقش علىٰ الحجر، يعني لا يزول ولا ينمحي.

٣- من ملأ قلبه بحب الله والخوف منه، أحيا كلامه القلوب، واهتدت بصلاحه النفوس.

٤- إن الصادقين من عباد الله لا يعرفون التلون، ولا يغريهم المال؛ ليتنازلوا عن حق يعتقدونه، بل قد يفقد الإنسان أحيانًا حياته في سبيل كلمة حق وهو راضٍ.



عيسى عليه السلام

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

مريم البتول عليها السلام:

الحديث عن نبي الله عيسىٰ عليه السلام، يستدعي الحديث عن أمه مريم، بل وعن ذرية آل عمران، هذه الذرية التي اصطفاها الله تعالى واختارها، كما اختار آدم ونوحا وآل إبراهيم علىٰ العالمين.

آل عمران: أسرة كريمة مكونة من (عمران): والد مريم، و(امرأة عمران): أم مريم، و(مريم)، و(عيسىٰ) عليه السلام؛ فعمران جد عيسىٰ لأمه، وامرأة عمران جدته لأمه، وكان (عمران) صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه (يعني إمامهم الذي يؤمهم في الصلاة)، وكانت زوجه (امرأة عمران) امرأة صالحة كذلك، وكانت لا تلد، فدعت الله تعالى أن يروقها ولدًا، ونزرت أن تجعله مفرغًا للعبادة ولخدمة بيت المقدس، فاستجاب الله دعاءها، ولكن شاء الله أن تلد أنثىٰ هي: (مريم)، وجعل الله تعالى كفالتها ورعايتها إلىٰ زكريا عليه السلام وهو نبي ذلك الزمان، وهو زوج خالة مريم؛ وإنما قدر الله ذلك لتقتبس منه علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا.

كانت مريم مثالًا للعبادة والتقوىٰ، وأسبغ الله تعالى عليها من فضله ونعمته ما لفت أنظار الآخرين، فكان زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، فيسألها: من أين لك هذا، فتجيب: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

كل ذلك إنما كان تمهيدًا للمعجزة العظمىٰ؛ حيث ولد عيسىٰ عليه السلام من هذه المرأة الطاهرة النقية، دون أن يكون له أب كسائر الخلق، واستمع إلىٰ بداية القصة:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾.

بهذه الكلمات البسيطة فهمت مريم أن الله ﷻ يختارها، ويطهرها ويجعلها علىٰ رأس نساء الوجود، هذا الوجود، والوجود الذي لم يخلق بعد، هي أعظم فتاة في الدنيا وبعد قيامة الأموات وخلق الآخرة، إن الله اصطفاك وطهرك في ذاتك ونفسك، أما اصطفاك الثانية فهي التي تعني اصطفاك لمهمة حمل النبي الجديد، ومعجزته العظيمة أن يولد من غير أب، وما تبعها من معجزات هذا النبي الكريم، وعادت الملائكة تتحدث: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

ميلاد عيسى عليه السلام:

كان الأمر الصادر بعد البشارة أن تزيد من خشوعها، وسجودها وركوعها لله شكرًا علىٰ هذا الاصطفاء، وملأ قلب مريم إحساس مفاجئ بأن شيئًا عظيمًا يوشك أن يقع ويقص الله ﷻ علينا في القرآن الكريم قصة ولادة عيسىٰ عليه السلام فيقول ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

جاء جبريل عليه السلام لمريم وهي في المحراب علىٰ صورة بشر في غاية الجمال، فخافت مريم: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

أرادت أن تحتمي بالله، وسألته: هل أنت إنسان طيب تعرف الله وتتقيه؟!

فجاء جوابه؛ ليطمئنها بأنه يخاف الله ويتقيه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

اطمأنت مريم وعلمت أنه جبريل، لكن سرعان ما تذكرت ما قاله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾، استغربت مريم العذراء من ذلك، فلم يمسسها بشر من قبل، ولم تزوج بعد، ولم يخطبها أحد، كيف تنجب بغير زواج!! فقالت لرسول ربها: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

كيف يكون هذا؟! ياللعجب!! قال الروح الأمين عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

إنه أمر سهل علىٰ الله تعالىٰ، ولا يصعب علىٰ الله شيء، وخلقه هكذا من غير أب؛ ليكون معجزة ورحمة من الله لبني إسرائيل، ثم قد قضي الأمر، وأمر الملك، فليس ثمة إلا الاستسلام.

استقبل عقل مريم كلمات الروح الأمين برضا واستسلام، ألم يقل لها: إن هذا هو أمر الله؟! وكل شيء ينفذ إذا أمر الله، ثم أي غرابة في أن تلد بغير أن يمسسها بشر؟! لقد خلق الله ﷻ آدم ﵇ من غير أب أو أم، لم يكن هناك ذكر وأنثىٰ قبل خلق آدم، وخلق الله حواء من آدم فهي قد خلقت من ذكر بغير أنثىٰ، ويخلق ابنها من غير أب، يخلق من أنثىٰ بغير ذكر، والعادة أن يخلق الإنسان من ذكر وأنثىٰ، العادة أن يكون له أب وأم، لكن المعجزة تقع عندما يريد الله ﷻ أن تقع...

عاد جبريل ﵇ يتحدث: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ زادت دهشة مريم، سبحان الله! قبل أن تحمله في بطنها تعرف اسمه؟ وتعرف أنه سيكون وجيهًا عند الله وعند الناس؟ وتعرف أنه سيكلم الناس وهو طفل وهو كبير؟ وقبل أن يتحرك في مريم سؤال آخر، نفخ جبريل ﵇ في جيب مريم (الجيب هو شق الثوب الذي يكون في الصدر) فحملت فورًا.

ومرت الأيام، كان حملها يختلف عن حمل النساء، لم تمرض ولم تشعر بثقل ولا أحست أن شيئًا زاد عليها، ولا ارتفع بطنها كعادة النساء، كان حملها به نعمة طيبة، وجاء موعد الولادة...

خرجت مريم ذات يوم إلىٰ مكان بعيد، إنها تحس أن شيئًا سيقع اليوم، لكنها لا تعرف حقيقة هذا الشيء، قادتها قدماها إلىٰ مكان يمتلئ بالشجر، والنخل، مكان لا يقصده أحد لبعده، مكان لا يعرفه غيرها، لم يكن الناس يعرفون أن مريم حامل، وأنها ستلد، كان المحراب مغلقًا عليها، والناس يعرفون أنها تتعبد فلا يقترب منها أحد..

جلست مريم تستريح تحت جذع نخلة؛ لتظهر معجزات الله ﷻ لمريم عند

ولادة عيسىٰ فيطمئن قلبها، وراحت تفكر في نفسها، كانت تشعر بألم، وراح الألم يتزايد ويجيء في مراحل متقاربة، وبدأت مريم تلد: ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.

ووقعت المفاجأة، جاءت آلام الولادة فجأة لمريم، وإن ألم الميلاد يحمل لنفس العذراء الطاهرة آلامًا أخرىٰ تتوقعها وإن كانت لم تقع بعد: كيف يستقبل الناس طفلها هذا...؟

وماذا يقولون عنها...؟ إنهم يعرفون أنها عذراء، فكيف تلد العذراء...؟ هل يصدق الناس أنها ولدته بغير أن يمسسها بشر...؟ وتصورت نظرات الشك، وكلمات الفضول، وتعليقات الناس، وامتلأ قلبها بالحزن... حتىٰ أنها تمنت الموت قبل أن تواجه هذه الظروف الصعبة..

وولدت في نفس اللحظة، لم تكد مريم تنهي من تمنيها الموت والنسيان، حتىٰ ناداها الطفل الذي ولد: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [سورة مريم:٢٤-٢٦].

نظرت مريم إلىٰ المسيح، سمعته يطلب منها أن تكف عن حزنها، ويطلب منها أن تهز جذع النخلة؛ ليسقط عليها بعض ثمارها الشهية، فلتأكل، ولتشرب، ولتمتلئ بالسلام والفرح ولا تفكر في شيء، فإذا رأت من البشر أحدًا فلتقل لهم: إنها نذرت للرحمن صومًا فلن تكلم اليوم إنسانًا، ولتدع له الباقي...

لم تكد تلمس الجذع حتىٰ تساقط عليها رطب شهي، فأكلت وشربت ولفت الطفل في ملابسها، وألصقته بقلبها واستسلمت لعذوبة النوم.

كان تفكير مريم العذراء كله يدور حول محور واحد، هو عيسىٰ، وهي تتساءل بينها وبين نفسها: كيف يستقبله اليهود..؟ ماذا يقولون فيه..؟ هل يصدق أحد من كهنة اليهود الذين يعيشون علىٰ الغش والخديعة والسرقة..؟ هل يصدق أحدهم وهو

بعيد عن الله أن الله هو الذي رزقها بطفل؟ إن موعد خلوتها ينتهي، ولا بد أن تعود إلىٰ قومها، فماذا يقول الناس؟ وماذا تقول لهم؟!..

حوار بين الرضيع واليهود:

كان الوقت عصرًا حين عادت مريم، وكان السوق الكبير الذي يقع في طريقها إلىٰ المسجد يمتلئ بالناس الذين فرغوا من البيع والشراء وجلسوا يثرثرون، لم تكد مريم تتوسط السوق حتىٰ لاحظ الناس أنها تحمل طفلًا، وتضمه لصدرها وتمشي به بمهل وبطء..

تساءل أحد الفضوليين: أليست هذه مريم العذراء؟ طفل من هذا الذي تحمله علىٰ صدرها؟

قال أحدهم: بالتأكيد هو طفلها، ترىٰ أي قصة ستخرج بها علينا..؟

وجاء كهنة اليهود يسألونها: ابن من هذا يا مريم؟ لماذا لا تردين؟ هو ابنك قطعًا، كيف جاء وأنت عذراء؟

﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

الكلمة ترمي مريم بالبغاء، هكذا مباشر دون استماع أو تحقيق أو تثبت، ترميها بالبغاء وتعيرها بأنها من بيت طيب وليست أمها بغيًّا، فكيف صارت هي كذلك؟

راحت الاتهامات تسقط عليها وهي مرفوعة الرأس، تومض عيناها بالكبرياء والأمومة، ويشع من وجهها نور يفيض بالثقة، فلما زادت الأسئلة، وضاق الحال، وانحصر المجال، وامتنع المقال، اشتد توكلها علىٰ ذي الجلال وأشارت إليه..

أشارت بيدها لعيسىٰ، واندهش الناس، فهموا أنها صائمة عن الكلام وترجو منهم أن يسألوه هو كيف جاء، تساءل الكهنة ورؤساء اليهود: كيف يوجهون السؤال لطفل ولد منذ أيام، هل يتكلم طفل في لفافته..؟!

قالوا لمريم: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

قال عيسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم: ٣٠-- ٣٣].

لم يكد عيسىٰ ينتهي من كلامه حتىٰ كانت وجوه الكهنة والأحبار ممتقعة وشاحبة، كانوا يشهدون معجزة تقع أمامهم مباشرة، هذا طفل يتكلم في مهده، طفل جاء بغير أب، طفل يقول: إن الله قد آتاه الكتاب وجعله نبيًّا، هذا يعني أن سلطتهم في طريقها إلىٰ الانهيار، سيصبح كل واحد فيهم بلا قيمة عندما يكبر هذا الطفل، لن يستطيع أحد إذا أن يبيع الغفران للناس، أو يحكمهم عن طريق ادعائه بأنه ظل السماء علىٰ الأرض، أو باعتباره الوحيد العارف في الشريعة.

شعر كهنة اليهود بالمأساة الشخصية التي جاءتهم بميلاد هذا الطفل، إن مجرد مجيئ المسيح يعني إعادة الناس إلىٰ عبادة الله وحده، وهذا معناه إعدام كهنة اليهودية الحالية، فالفرق بين تعاليم موسىٰ عليه السلام وتصرفات هؤلاء الكهنة اليهود كان يشبه الفرق بين نجوم السماء ووحل الطرقات، وتكتم رهبان اليهود قصة ميلاد عيسىٰ عليه السلام وكلامه في المهد، واتهموا مريم العذراء ببهتان عظيم، اتهموها بالفاحشة، رغم أنهم عاينوا بأنفسهم معجزة كلام ابنها في المهد.

معجزات عيسى عليه السلام:

كبر عيسىٰ عليه السلام، ونزل عليه الوحي، وأعطاه الله الإنجيل، وكان عمره آنذاك ثلاثون سنة، وأظهر الله علىٰ يديه المعجزات.

فكان عيسىٰ عليه السلام رسولًا لبني إسرائيل فقط، ومعجزاته هي:

☆ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾.

☆ ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

☆ ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ (وهو من ولد أعمىٰ)، فيسمح علىٰ عينيه أمامهم فيبصر.

☆ ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾ (وهو المرض الذي يصيب الجلد فيجعل لونه أبيض)، فيمسح علىٰ جسمه فيعود سليمًا.

☆ ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ يخبرهم بما يخبئون في بيوتهم، وما أعدت لهم زوجاتهم من طعام.

☆ ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ وكان عيسىٰ عليه السلام يحيي الموتىٰ بإذن الله.

☆ ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ جاء عيسىٰ عليه السلام ليخفف عن بني إسرائيل بإباحة بعض الأمور التي حرمتها التوراة عليهم عقابًا لهم.

إلا أن بني إسرائيل -مع كل هذه الآيات- كفروا ورفضوا الإيمان بأن عيسىٰ رسول الله، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾

لما أحس عيسىٰ أنهم غير مؤمنين سألهم سؤالًا مباشرًا: هل أنتم مسلمون؟! فما آمن له إلا الحواريون.

الحواريون أتباع عيسى عليه السلام:

قيل: إن عدد الحواريين كان سبعة عشر رجلًا، لكن الأرجح أنهم كانوا اثني عشر رجلًا، آمن الحواريون، لكن التردد لا يزال موجودًا في نفوسهم، ولقطع هذا التردد، أمر سيدنا عيسىٰ عليه السلام الحواريين أن يصوموا ثلاثين ليلة؛ ليستبين صدقهم، وتطهر وتزكو نفوسهم، ويطمئن إلىٰ إيمانهم بالسمع والطاعة، فاستجابوا وصاموا، ولما أتموا صيامهم قالوا لسيدنا عيسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؟!

حذرهم سيدنا عيسىٰ أن يشكوا في قدرة الله تعالىٰ، قال الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾..

قالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

أي: كانوا يريدون أن يأكلوا من هذه المائدة التي تهبط عليهم من السماء؛ ليعلموا أن الله قد تقبل صيامهم، وأجاب دعاءهم.

ودعا سيدنا عيسىٰ عليه السلام ربه وتضرع إليه قائلًا: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، واستجاب الله عز وجل لدعوته عليه السلام، ظهرت غمامتان في السماء، بينهما المائدة، وراحت تقترب رويدًا رويدًا، وسيدنا عيسىٰ عليه السلام يدعوا الله أن تكون المائدة رحمة لهم، وأن يجعلها الله بركة وسلامًا عليهم.

وهبطت المائدة أمام عيسىٰ عليه السلام، وكانت مغطاة، فرفع عيسىٰ عليه السلام الغطاء وهو يقول: بسم الله خير الرازقين، وبدأ الجميع يأكلون، كان بينهم مرضىٰ، فشفاهم الله عز وجل بعدها أكلوا من المائدة.

لكن الله تعالى حذرهم من الكفر بعد هذه الآية التي جاءت تلبية لطلبهم، وتوعد من يكفر منهم بعد هذه المعجزة بعذاب شديد لا يعذبه لأحد آخر من العالمين، قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وصار يوم نزول المائدة عيدًا للحواريين.

وظلوا علىٰ إيمانهم وتصديقهم لعيسىٰ عليه السلام، إلا رجلًا واحدًا بعد رفع عيسىٰ عليه السلام.

كذب اليهود سيدنا عيسىٰ عليه السلام تكذيبًا شديدًا، وافتروا علىٰ أمه الصديقة، وكان سيدنا عيسىٰ عليه السلام يسيح في الأرض، ينتقل فيها ليفر بدينه من فتن اليهود، لذلك أطلقوا عليه اسم المسيح.

لما بدأ الناس يتحدثون عن معجزات عيسىٰ عليه السلام، خاف رهبان اليهود أن يتبع الناس الدين الجديد فيضيع سلطانهم، فذهبوا لملك تلك المناطق وكان تابعًا للروم، قالوا له: إن عيسىٰ يزعم أنه ملك اليهود، وسيأخذ الملك منك، فخاف الملك وأمر

بالبحث عن عيسىٰ عليه السلام ليقتله.

عندما بلغ عيسىٰ عليه السلام أنهم يريدون قتله، سار نحو أحد البيوت، وكان للبيوت في ذلك العصر ثلاث فتحات: باب كبير لإدخال الأشياء الكبيرة وباب صغير لدخول الأفراد، وفتحة في السقف.

دخل سيدنا عيسىٰ عليه السلام المنزل، ودخل خلفه رجل، وألهم الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسىٰ عليه السلام أن ينظر إلىٰ أعلىٰ، ونظر سيدنا عيسىٰ عليه السلام فرفعه الله سبحانه وتعالى إليه بقدرته من فتحة السقف.

رفع الله سيدنا عيسىٰ عليه السلام للسماء، واستبطأ اليهود الرجل، فخرج إليهم واختلط عليهم الشبه: أهذا رجلهم أم عيسىٰ؟ وشبه لهم أن هذا الرجل هو سيدنا عيسىٰ فأخذوه وصلبوه وقالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، ولكن الله تعالىٰ نفىٰ قتله، قال الله سبحانه وتعالى ردًا عليهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾، لم يعرف اليهود هل قتلوا سيدنا عيسىٰ أم الرجل الآخر، وصاروا في شك، واتبعوا ظنهم واستقروا علىٰ أنهم قتلوه، ولكن الله أظهر حقيقة ما حدث في قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

ظل الحواريون يدعون بالسر إلىٰ الله، ويعلمون الناس الدين في السر، وظل النصارىٰ علىٰ التوحيد أكثر من مائتي سنة، ثم آمن أحد ملوك الروم واسمه قسطنطين، وأدخل الشركيات في دين النصارىٰ.

يقول ابن عباس: افترق النصارىٰ ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلىٰ السماء، وقالت طائفة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وقالت طائفة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه، فتظاهرت الكافرتان علىٰ المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام مطموسًا حتىٰ بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم فذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾.

عيسى عليه السلام حي في السماء:

لا يزال عيسىٰ عليه السلام حيًا في السماء، ويدل علىٰ ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، والحديث الجامع لها عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلًا مَرْبُوعًا إِلَىٰ الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ المِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَتَقَعُ الأَمَنَةُ عَلَىٰ الأَرْضِ، حَتَّىٰ تَرْتَعَ الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ البَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالحَيَّاتِ لا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ**» [صحيح، مسند الإمام أحمد (٢/٤٠٦)].

(مربوع) ليس بالطويل وليس بالقصير، (إلىٰ الحمرة والبياض) وجهه أبيض فيه احمرار، (سبط) شعره ناعم، (ممصرتين) عصاتين أو منارتين وفي الحديث الآخر ينزل عند المنارة البيضاء من مسجد دمشق.

لا بد أن يذوق الإنسان الموت، عيسىٰ لم يمت؛ وإنما رفع إلىٰ السماء، لذلك سيذوق الموت في نهاية الزمان.

ويخبرنا المولىٰ عز وجل بحوار لم يقع بعد، هو حواره مع عيسىٰ عليه السلام يوم القيامة فيقول: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟!

يقول عيسىٰ عليه السلام: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

هذا هو عيسىٰ بن مريم ﵇، آخر الرسل قبل سيدنا محمد ﷺ كان ميلاده بدون أب معجزة من الله، وكان رفعه إلىٰ السماء معجزة أخرىٰ، فسلامٌ عليه يوم وُلد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيًّا.

عقيدتنا في عيسى ﵇:

١ - أنه عبدُ الله ورسوله، خلقه الله تعالىٰ بقوله كن في رحم أمه مريم ﵍ وولد طفلًا، وتكلم في المهد، ونشأ وكبر وأوحىٰ الله إليه بالنبوة والرسالة، فهو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه.

٢ - إنه لم يصلب يقينًا، والكذابون من اليهود وأتباعهم هم الذين يزعمون هذا.

٣- ينزل آخر الزمان عبدًا لا رسولًا ولا ملكًا، ويصلي خلف إمام المسلمين، ويقاتل جنديًا في جيش المسلمين، ويكون عمله في الأرض محدودًا:

☆ يكسر الصليب.

☆ يقتل الخنزير.

☆ يضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام.

☆ يدعو إلىٰ الإسلام، ويتم التمكين لدين محمد ﷺ علىٰ يديه.

☆ يقتل الدجال.

ثم يموت ويصلي عليه المسلمون، ويدفن في الأرض المقدسة.

من فوائد القصة:

١ - جواز تمني الموت عند خوف الفتنة في الدين.

٢ - قرب الله من أوليائه ونصرته لهم وتأييده لهم بالمعجزات والكرامات.

٣- الله علىٰ كل شيء قدير، ينطق الرضيع كما ينطق الحجر والشجر، كما ينطق جوارح العبد فتشهد عليه يوم القيامة.

٤ - الأخذ بالأسباب لا يقدح في التوكل، بل هو سنة كونية لابد منها، فالله ﷻ

قادر على أن يرزق مريم الطعام دون هز الجذع، ولكنه الأخذ بالأسباب.

٥- من كرامة الله لمريم مطاوعة جذع النخلة لها، فلو اجتمع رجال أشداء لهز جذع النخلة ما طاوعتهم، فكيف بامرأة ضعيفة في مخاض الولادة؟!

٦- اليهود أهل بهت وكذب وزور، هم أحرص الناس على الدنيا وشهواتها، وفي سبيلها يقتلون الأنبياء، ويكذبون الرسل.

٧- في اتباع شرائع الأنبياء والرسل تخفيف على الناس، وتسهيل لهم ووضع الإصر والأغلال عنهم.

٨- أتباع الأنبياء دائمًا هم الأقلون، ولكنهم هم الفائزون المفلحون.

٩- أسلم طريقة للنجاة من الفتن البعد عنها والهروب منها، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [سورة هود: ١١٣]، وقال رسول الله ﷺ **«مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ»** [صحيح أبي داود (٤٣١٩)].

١٠- كن طالبًا للاستقامة لا طالبًا للكرامة؛ فإن أفضل الكرامة لزوم الاستقامة.

١١- إذا جدد الله عليك نعمة فلابد أن تقابلها بالشكر وحمد الله عليها.

١٢- أنبياء الله بشر يموتون كما يموت البشر ويتعرضون للأذى كما يتعرض البشر، وهم عباد الله المرسلون، ليسوا آلهة يعبدون: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٩٣].

١٣- كل نفس ذرأها الله وبرأها لابد أن تذوق الموت، تعالج كروبه وغصصه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة


تم بحمد الله